



في سماء المعرفة

مذكرات فريدة
عن بعض العلماء الريانيين

الأستاذ العلامة
الشيخ حسن حسن زاده أملي (رحمه الله)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّا كَتَبْنَا لَهُ لِنَلِيهِ قُرْبَانًا
فَنُفِثْنَا بِهِ نَفْسًا فِي قُرْبَانٍ لَطِيفًا مِمَّا نَشَاءُ
لِغُلَامٍ غَلِيظِي عُنُقٍ وَجُودًا مِمَّا نَشَاءُ
وَلَمْ يَلْمِ يَئِيمًا سَفِيهًا

قبي سماء المعرفة

مذكرات فريدة عن بعض العلماء الروائيين



حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤسسة

مؤسسة أم القرى للإتجاهات والنشر

اسم الكتاب: في سماء المعرفة (مذكرات فريدة من بعض العلماء الريانيين)

بقلم: آية الله العلامة الأستاذ الشيخ حسن حسن زاده أملي (حفظه الله)

جمع وتنظيم: محمد البديعي

ترجمة: وليد المحسن

الناشر: مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

الطبعة الأولى ربيع الأول / ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م

لبنان / بيروت / الغبيري ص . ب ٢٧٨ / ٢٥

info@Omalqora.com

في سماء المعرفة

مذكرات فريدة عن بعض العلماء الربانيين

آية الله العلامة الأستاذ

الشيخ حسن حسن زاده آملی (حفظه الله)

جمع وتنظيم
محمد البديعي

ترجمة
وليد المحسن

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين

عن الإمام الصادق (عليه السلام): «مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَمِلَ بِهِ، وَعَلَّمَ لِلَّهِ دُعِيَّ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ عَظِيمًا، فَقِيلَ: تَعَلَّمَ لِلَّهِ وَعَمِلَ لِلَّهِ وَعَلَّمَ لِلَّهِ»^(١).

إن أرباب العلم والمعرفة يعرفون مدى أهمية وفائدة إحياء تراث علماء الدين والمعرفة العظماء، وترجمة حياتهم لجميع طبقات المجتمع.

إن تسليط الضوء على مثل هذه الشخصيات المشهورة والتميزة في العالم، والتعريف بتاريخهم والأوضاع التي عاشوا فيها، خصوصاً أولئك الأولياء الربانيين منهم، يقدم دستوراً وبرنامجاً للنفوس المهية لبلوغ الكمالات، ويؤدي إلى زيادة البصيرة في مجالي التعليم والتربية في مسيرة الترقى والتكامل؛ لأن التجارب لقاح العقول.

يقول العارف رومي في الدفتر الأول مشوي^(٢):

پس سپاس او را که مارا در جهان کرد پیداز پس پیشینیان

(١) أصول الكافي ١: ٢٧.

(٢) وترجمته النثرية:

نشكر الله سبحانه وتعالى على نعمة الاستفادة من تجارب الماضين.

إن هذا الكتاب المستطاب من الكتب القيمة والرصينة والتي عُنت
بترجمة أعلام وكواكب منيرة في سماء المعارف، الذي يحمل اسم «في
سماء المعرفة»، حيث قام الفاضل المحترم السيد محمد بديعي وفقه الله
سبحانه لمرضاته بجهد جميل وذوق رفيع بجمعه وتنظيمه وتنسيقه .
نرجو الله الفياض على الإطلاق أن يبقى ذكر هذا الأثر عبر الأيام،
لتعم به الفائدة، قال تعالى جلّ شأنه «إنّا لا نضيع أجر من أحسن عملاً» .

حسن حسن زاده آملی

١٣٧٥/١/٨ هـ

الفصل الأول

الأستاذ العلامة

السيد محمد حسين الطباطبائي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ *
الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١)

الأستاذ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي

وأتيناه الحكمة وفصل الخطاب:

مع إهداء التحية والسلام من حسن حسن زاده الأملي ، الذي اقتطف القليل من ثمار لطف العلماء العظام ، وقد أردتم منا شرح الحياة السعيدة لبقية الماضين ، وكمال الباقيين ، آية العلم والدين ، المفسر الكبير ، الفيلسوف الإلهي ، العارف الرباني ، الفقيه الصمداني ، فخر الإسلام ، الأستاذ الأكبر ، حضرة آية الله العظمى العلامة الحاج الميرزا السيد محمد حسين الطباطبائي (متع الله الإسلام والمسلمين بطول بقائه الشريف).

ومع أن القيام بهذا العمل المهم ، وبالشكل الذي يليق بشأن العلامة ، خارج عن قدرة هذا الحقير ، الذي ليس له القدرة على البيان باللسان الفارسي الحسن ، ولا بالعربي المبين ، فماذا يمكنه أن يحزّر بقلمه المكسور في هذا البحر من الفصاحة

العالية؟ فرأيت أنه ليس من المروءة عدم الامتثال، فأقدمت ببضاعة مزجاة على تحرير القليل مما كتبه في مذكراتنا عندما كنا نحضر، ولسنوات طويلة، في مجلس الدرس ومحضر الأنس والقدس لذلك المعلم الرباني والقدّيس القدّوسي، فتركنا الحرية للقلم ليكتب بلا تصنع ولا تكلف في الإنشاء، ومضينا باختياره، فبسم الله مجريها ومرسيها.

يك دهان خواهم به پهنای فلک تا بگویم وصف آن رشک ملک
ور دهان یابم چنین و صد چنین تنگ آید در بیان آن آمین
اینقدر هم گر نگویم ای سند شیشه دل از ضعیفی بشکند^(١)

فحول هؤلاء الرجال العظام الذين هم فوق الزمان والمكان ومن نوابغ الدهر، يجب أن يكون الكلام من عدّة أبعاد، وأقصر هذه الأبعاد هو بُعد الزمان والمكان، وشرح طبيعة عيشتهم ومعاشهم، وأنّ التحدّث في هذا البُعد المادي لا يناسب شأن ومقام هذه الأرواح العرشيّة، ولهذا نكتفي في هذا القسم بذكر هذا القول للشاعر الايراني حافظ:

فلک به مردم نادان دهد زمام مراد

تو اهل دانش و فضلی همین گناہت بس^(٢)

عندما أصبت ببؤس وألم شديد لما يقتضيه زمان الجدّ والدراسة إلى الحدّ الذي لا تطيق سماعه، زارني أحد الأصدقاء الذي كان لي فخر السكن معه في غرفة واحدة، وقد جاء لعيادتي وتلطف عليّ بالشفاء، ومنحني الأمل بأن تحمّل هذه

(١) المعنى: أريد أن يكون عندي فم كبير بحجم الفلك حتّى أتمكّن من وصف هذا العالم العظيم، وحتّى لو وجدت مثل هذا الفم لكان ضيقاً وقاصراً في بيان ذلك، وإن لم أستطع فليحتطّم ذلك الورق بهذا القلم الضعيف.

(٢) المعنى: لقد أعطى الزمان زمام الأمور والقدرة للناس الحقراء، فكونك من أهل العلم والفضل يُعدّ ذنباً لك.

المصاعب ستكون هنيئة حلوة المذاق عندك ، فالكثير من النفوس المستعدة أصبحت بتحمّل هذه المصاعب من العلماء الكبار وعظماء الزمان . نعم :

نه در غنچه کامل شود پیکر گل نه در بوته ظاهر شود صورت زر
ز أحداث چرخ است تهذیب مردم چو از زخم خایسک تیزی خنجر^(١)

آثار كل شخص مؤثر لما يملكه:

إنّ أفضل مُعرّفٍ لذلك العالم هو سلوكه الإنساني وآثاره العلميّة من التدريس والتأليف ، وأنّ الكثير من فضلاء حوزة قم العلميّة الذين يدرسون أصول المعارف الحقّة هم من تلامذته ، وتفسير (الميزان) الذي يعتبر من كتب التفسير العظيمة ، وعالم العلم ، ومدعاة للفخر والاعتزاز ، يُعدّ من آثار قلمه النفيسة ، وأمّ الكتاب لمؤلّفاته القيّمة .

تفسير القرآن بالقرآن وشرح المثاني:

قال إمام الكلّ في الكلّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في وصفه للقرآن الكريم :

« كتاب الله ينطقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ »^(٢) .

بل يقول القرآن في وصفه لنفسه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٣) .

ويقول : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي ﴾^(٤) .

(١) المعنى: إنّ الذي يصنع الإنسان ويهدّب الناس هو تحمّل المصاعب ، كالورد الذي لا يكتمل بمجرّد ظهور الزهرة ، ولا يظهر جمال الذهب عند استخراجها ، بل لا بدّ أن يمرّ بمراحل عديدة حتّى يكتمل .

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٣١ .

(٣) النحل: ٨٩ .

(٤) الزّمر: ٢٣ .

و: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾^(١).

فمعنى المثنائي هو ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: « كِتَابٌ يُنطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ » ، فالمثنائي جمع مثنية ، وهي اسم مفعول من ثني بمعنى عطف ولوي ، يعني الالتفاف والعودة ، فمثلاً تنحرف الأنهار عن مسيرها في بعض المناطق ، وتسمى هذه المناطق بالمثنائي ؛ لأنها وبسبب هذا الانعطاف قد جعلت القسم قبل الانحراف حاكياً وناظراً للقسم بعد الانحراف ، وكذلك الآيات القرآنية ، فإن بعضها يوضح ويبين البعض الآخر .

يقول في منتهى الإرب: « ثني بالكسر: نقاط الانعطاف للوادي والجبل » .

كانت هذه خلاصة لمضمون ما جاء في التحقيق اللطيف في بيان معنى المثنائي ، والذي ذكره الأستاذ روجي فداه في التفسير الكبير (الميزان) . فقد فسّر بهذا الأساس المتين القرآن الكريم بلسان القرآن ، وأشار إلى هذه النقطة المهمة في بداية التفسير ، وخلاصة قوله: « حاشا للقرآن أن يكون نوراً وتبياناً لكل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه » .

فهذا التفسير هو مدينة الحكمة والمدينة الفاضلة ، فقد تمّ فيه بحث أفضل وأطول المباحث الإنسانية والشعب الدينية ، من العقلية والنقلية والعرفانية والفلسفية والحكمة المتعالية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها .

ولا تعتقد أن كلامي هذا يتناقض مع قول الأستاذ في مقدّمة تفسيره حيث يقول: « قد اجتنبنا فيها عن أن نركن إلى حجة نظرية فلسفية أو إلى فرضية علمية ، أو إلى مكاشفة عرفانية » ، فكلما قلنا كان حقاً ، وكما قال الأستاذ نفسه في آخر المقدّمة: « ثمّ وضعنا أبحاثاً مختلفة فلسفية وعلمية وتاريخية واجتماعية وأخلاقية... الخ » ، فتبصّر .

كلام بلسان الأستاذ المبارك:

في صباح يوم الثلاثاء الخامس والعشرون من شعبان المعظم سنة ١٣٨٧هـ. ق، تشرفت عند حضرة الأستاذ العلامة الطباطبائي (مد ظله العالی)، وجرى الحديث عن زمان الدراسة ونشاطات الأستاذ العلمية، فقال: «كنت أنتظر حلول الربيع والصيف؛ لأن الليالي تكون قصيرة فيهما، فكنت أقضي الليل بالمطالعة والكتابة إلى طلوع الفجر، ثم أنام في النهار».

ثم قال حول تفسيره: «في البداية كنت أتتبع وأتفحص الروايات في كتاب البحار بدقّة كبيرة، لعلّي أتمكن من القيام بعمل في هذا المجال، ويكون لي مؤلفاً في موضوع خاصّ حول هذه الروايات، فبذلت جهداً كبيراً في مقايسة الآيات والروايات حتّى خطر لي أن أكتب تفسيراً للقرآن، لكنني كنت أتصور أنه قد لا أوفق في ذلك إذا أردت البحث وتفسير كل القرآن؛ لأنه بحر عظيم لا متناهي، لهذا قمت بتصنيف وفصل ما في القرآن من أسماء وصفات إلهية وآيات المعاد وغيرها، فألفت سبع رسائل مستقلة في سبعة مواضيع مختلفة، حتّى بدأنا بالعمل في تفسير القرآن، فأكملنا إلى الآن أربعة عشر جلدًا منه تمّ طبعها ونشرها».

لقد كان هذا كلام للأستاذ في ذلك اليوم، وقد وُفق - والله الحمد - بعد ذلك من إكمال تفسير الميزان في عشرين مجلدًا وخلال عشرين سنة، وكتب تاريخ الإكمال في نهاية كتاب التفسير بهذه العبارة:

تاريخ إكمال الميزان وتوصية إلى طلاب العلوم الدينية:

«تمّ الكتاب - والحمد لله - واتفق الفراغ من تأليفه في ليلة القدر المباركة الثالثة والعشرين من ليالي شهر رمضان المبارك من شهور سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة، والحمد لله على الدوام، والصلاة على سيّدنا محمد وآله، والسلام».

فأيتها الطلبة الأعزاء ، ليكن العلامة الطباطبائي قدوة لكم ، فقد كان يُحيي ليلة القدر في البحث والتحقيق حول الآيات القرآنية ، وأكمل تفسيره في هذه الليلة المباركة ، نعم لا بد أن يكون العمل بهذه الجدّة والسعي ، كما في الشعر البليغ لشمس الدين محمد بن محمود الأملي صاحب نفائس الفنون :

به هوس راسـت نبايد به تمـتى نشود

كاندرين راه بسى خون جگر بايد خورد^(١)

ويقول شيخ المشايخ صاحب الجواهر (قدّس سرّه العزيز) في آخر كتاب الديات من (جواهر الكلام) : « تمّ كتاب جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام في ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك ليلة القدر التي كان من تقدير الله تعالى فيها أن يتفضّل علينا بإتمام الكتاب المزبور من سنة الألف والمأتين والأربع والخمسين من الهجرة النبوية... الخ » .

ونقل في مفاتيح المحدث القمي عن الصدوق ابن بابويه (رضوان الله تعالى عليه) في إحياء ليالي القدر الحادية والعشرين والثالثة والعشرين من شهر رمضان المبارك ما نصّه : « قال شيخنا الصدوق فيما أملى على المشايخ في مجلس واحد من مذهب الإمامية ، ومن أحيى هاتين الليلتين بمذاكرة العلم فهو أفضل » .

السيد حسين بادكوبه هو أحد أساتذة العلامة الطباطبائي :

سألت يوماً في محضر العلامة مجموعة من الأسئلة في الولاية والإمامة ، حتّى تطّرق الحديث إلى الآية الكريمة : ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾^(٢) .

(١) المعنى : لا بأس بالتمنى للوصول والسير في الطريق الصحيح ، لكن ذلك يحتاج أيضاً إلى

السعي وتحمل المشاق والمصاعب .

(٢) البقرة : ١٢٤ .

فقلت لحضرة العلامة: أتكم في كتاب التفسير، وفي دلالة هذه الآية على عصمة الإمام قد ذكرتم بعض أساتذتكم: «وقد سئل بعض أساتيدنا رحمة الله عليه عن تقريب دلالة الآية على عصمة الإمام، فأجاب: ... الخ، فمن كان هذا الأستاذ الكبير؟».

قال: «المرحوم سيد حسين بادكوبه»^(١).

ويقول الكاتب: «إن أساتذتنا العظام الآخرون، كالأيات العظام الحاج الشيخ محمدتقي الأملي، والسيد محمد حسين قاضي النهي الطباطبائي رحمتهما، كانوا أيضاً يذكرون أساتذهم السيد حسين بادكوبه بتجليل وتعظيم. وهو السيد حسين ابن السيد رضا ابن السيد موسى الحسيني بادكوبي لاهجي (وليس لاهيجي)، وقد ولد في سنة ١٢٩٣هـ. ق في قريته المسماة دلان بادكوبه، وكان من أعظم تلامذة السيد الميرزا هاشم الأشكوري، والسيد الميرزا أبو الحسن جلوه، والسيد علي المدرّس صاحب بدائع الحكم، والآخوند الخراساني صاحب الكفاية، والشيخ محمد حسن المامقاني، (رضوان الله تعالى عليهم). وهو أيضاً من مناخر العلماء المتأخرين، حيث كان يتحلّى بالملكات الإنسانية الفاضلة، وانتقل إلى رحمة الله في ٢٨ شوال سنة ١٣٥٨هـ. ق في التجف الأشرف، وله تأليفات في المعقول والمنقول، ويذكر العلامة الشيخ (آقا بزرگ طهراني رحمتهما) اسمه في طبقات أعلام الشيعة»^(٢).

كتاب شرح حكمة الإشراق هو من تقريرات درس الخواجة:

في ليلة الجمعة الثالث عشر من ذي الحجة سنة ١٣٨٩هـ. ق كنا مع عدّة من فضلاء الحوزة للاستفادة من المحضر المبارك للعلامة الطباطبائي، وبعد انتهاء

(١) تفسير الميزان ١: ٢٧٧.

(٢) أعلام الشيعة ١: ٥٨٤، القسم الثاني - علماء القرن ١٤.

الجلسة ، خرجت بمعية الأستاذ ، وفي أثناء الطريق كان يقول : « إن أستاذنا المرحوم السيد حسين بادكوبه قال بنحو الجزم واليقين : أن شرح حكمة الإشراق للقطب الشيرازي (شرح العلامة القطب الشيرازي على حكمة الإشراق للشيخ السهروردي) هو من تقريرات درس الخواجه نصير الدين الطوسي رحمته الله ، وقد كان للخواجه مذهباً إشراقياً ، وفي الحكمة الإشرافية ، لكنه خالف قواعد المسائفة على خلاف شرطه الذي ذكره في أول كتابه في مبحث علم الإشارات ، وقرّر أن العلم يكون على طريق الإشراق الذي يكون هو الفاعل بالرضا . »

دراسة الأستاذ الطباطبائي للرياضيات :

وأيضاً في ليلة الخميس العشرين من ذي القعدة سنة ١٣٩٧ هـ . ق ، وبعد انتهاء الجلسة ، وأثناء الطريق - جرى الحديث لمناسبة ما عن الرياضيات ، فقال العلامة : « لقد أمرنا أستاذنا السيد حسين بادكوبه في النجف أن نقرأ (تحرير اقليدس) ، فكنا ندرس التحرير المذكور والرياضيات عند السيد أبو القاسم الخوانساري لمدة سنتين وقليل . »

ثم قال : « لقد كان المرحوم السيد أبو القاسم الخوانساري متبحراً جداً في الرياضيات ، حتى كانوا يرسلون له الأسئلة من الجامعة ، وكذلك كان متبحراً في معادلات الجبر والمقابلة ، وكان يقوم بتثليث الزاوية إلا أنه لم يدرّسنا ذلك ، وأخيراً توفي في الهند . »

مسألة رياضية في تثليث الزاوية :

أقول : إن ما قاله العلامة كان يقوم بتثليث الزاوية ، فهي إحدى المسائل الرياضية القابلة للتأمل ، إن مسألة تثليث الزاوية أعم من المستوي والدائري لم تبحث بشكل مستقل كأحد أشكال المقالة في أصول اقليدس وكتب الرياضيات الأخرى ، سواء في الابتدائيات أو المتوسطات أو النهايات ، لا في أصول اقليدس ولا في

اكرمانالاثوس والمنتوسطات الأخرى ، ولا في مجسطي بطليموس ، فأحياناً بتحرير الخواجه ، وأحياناً بتحرير المغربي الأندلسي (محيي الدين يحيى بن محمد بن أبي الشكر المغربي الأندلسي) ، وعلى الرغم من أن أصول اقليدس يختص بفروع الرياضيات ، فإنه إذا لم يكن لمسألة رياضية عنوان خاص فيه ، أي لم تكن من الأشكال المعروفة ، فلا بد أن تستنبط من الأشكال الأخرى المرتبطة بهذه المسألة . وكما أن حكم الأصول في أي فن هو نفس حكم الفروع . وأستاذ الرياضيات هو الذي يستطيع - مثلاً - أن يستخرج تثليث الزاوية من تلك الأصول .

ولا يخفى أن الكلام هو في مسألة تثليث الزاوية بالبرهان الهندسي ، وليس باستخدام الوسائل والأدوات الهندسية الخاصة بتقسيم وقياس الزوايا ، لأن تثليث الزاوية بهذه الأدوات يكون أمر سهلاً . فكما تم - مثلاً - إقامة البرهان الهندسي على تصنيف الزاوية في الشكل التاسع للنظرية الأولى في أصول اقليدس ، يقام برهان هندسي أيضاً على تثليث الزاوية .

تدريس علم الهيئة في قم :

في أحد الأيام قال لي العلامة الطباطبائي : « في البداية عندما أتيت من تبريز إلى قم كنت أدرس شرح الجفميني » .

أقول : إن شرح الجفميني هو من كتب الهيئة . وكاتبه محمود بن محمد بن عمر الجفميني ، مؤلف كتاب القانون في الطب ، وشارحه قاضي زاده الرومي ، وكان الشارح من الراصدين في مرصد سمرقند . وله دور كبير في عمل (الزيج الغ بيكي)^(١) . ويعتبر هذا الكتاب من الكتب الأولية في الترتيب الدرسي والكلاسيكي لفن الهيئة .

(١) أحد الآلات المستخدمة لتعيين أحوال وحركات النجوم . (المترجم)

نصب دائرة هندية في قم بواسطة العلامة الطباطبائي:

في يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الأولى لسنة ١٣٨٣هـ. ق ، هاجرت من طهران إلى الأرض المقدسة قم . وفي ذلك الوقت حكى لي طلاب مدرسة الحجتية أنّ العلامة الطباطبائي قد صنع في إحدى زوايا حوض المدرسة المذكورة دائرة هندية لتعيين جهة القبلة ، وتحديد خط نصف النهار ، حيث كان يُعَيَّن بواسطة زوال الظهر لكل يوم بأفق قم ، لكن - وللأسف - حصل تقصير في الحفاظ على هذا الأثر العلمي والعملية مما أدى إلى ضياعه .

ترك تبريز والإقامة في قم ، والاستخارة بالقرآن :

هاجر العلامة الطباطبائي إلى النجف الأشرف بعد إكماله دراسة المقدمات والسطوح في تبريز ، وحصل على المقامات الرفيعة في الننون العلمية والعملية على يد العديد من الأساتذة العظام . مثل الآيات العظام : الحاج السيد علي قاضي الطباطبائي ، والسيد حسين بادكوبي ، والسيد أبو الحسن الإصفهاني ، ومحمد حسين الكمپاني ، والميرزا حسين النائيني ، والسيد أبو القاسم الخوانساري . وبعد عشر سنوات من إقامته في النجف عاد مرة أخرى إلى تبريز سنة ١٣٥٤هـ. ق ، وعمل هناك لعدة سنوات في التدريس والتأليف والتحقيق ، ثم ترك تبريز قاصداً قم في سنة ١٣٥٦هـ. ق ، حيث أقام في قم وأسس دروساً في تفسير القرآن وتدرّس العلوم العقلية وأصول المعارف الإلهية الحقّة .

على الرغم أنّ الكثير من طلاب حوزة قم العلمية قد أدركوا مجلس درس العلامة ، لكن لم يوفق إلا القليل منهم في حضور الدرس ، وفريق منهم كان له نصيب الاطلاع على الاصطلاحات ، وبعض قد نال العروج إلى المعارج العلمية ، وطائفة مالوا للسير والسلوك العملي ، وقليل منهم وصلوا إلى المنقبتين في العلم والعمل ، وفي الواقع لمثل هذا السياق كتب الحكيم الإلهي الميرزا أبو الحسن جلوه في شرح حاله :

«بالفعل أنّ أكثر الطلاب من المدن المختلفة الذين عندهم ميل إلى المعقول يجتمعون عندي، وكلّ مجموعة منهم - لأمل ما -: فيعضهم لمجرد تعلّم الاصطلاحات، وطائفة لتجميل المجالس، وشرذمة بدافع الصدق والبساطة والاعتقاد بعالم التجرد، وشرح هذه الطائفة: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾^(١).

وحكى لي يوماً حضره الأستاذ العلامة الطباطبائي: «أته عندما أردت الهجرة من تبريز إلى قم استخرت بالقرآن المجيد، فظهرت هذه الآية الكريمة: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً﴾^(٢).

السيد عليّ القاضي الطباطبائي هو الأستاذ الأكبر للعلامة الطباطبائي:

لقد كان آية الله العظمى العارف العظيم الشأن، والفقير الكبير، وصاحب المكاشفات والكرامات، المرحوم الحاج السيد الميرزا عليّ قاضي التبريزي، هو أحد الأساتذة الكبار للعلامة الطباطبائي في النجف الأشرف. وقد ذكر العلامة الشيخ (آقا بزرگ الطهراني رحمته الله) شرح حاله وأسماء بعض أساتذته، في طبقات أعلام الشيعة^(٣)، فقال: «هو السيد الميرزا عليّ آغا ابن الميرزا حسين ابن الميرزا أحمد بن الميرزا رحيم الطباطبائي التبريزي القاضي، عالم مجتهد، تقوي ورع، أخلاقي فاضل... وقد دامت المودة والصحة بيننا عشرات السنين، فرأيتته مستقيماً في سيرته، كريماً في خلقه، شريفاً في ذاته... الخ، له تفسير القرآن من أوله إلى قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ تَمَّ ذَرَهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾^(٤)... الخ، ولوالده تفسير أيضاً.

(١) الواقعة: ١٣ و ١٤.

(٢) الكهف: ٤٤.

(٣) أعلام الشيعة ١: ١٥٦٥، القسم الرابع - أعلام القرن ١٤.

(٤) الأنعام: ٩١.

وبيتهم بيت فضل وتقى قديم» (انتهى ملخصاً).

كان القاضي المذكور من معجزات الدهر، ومن نجله الجليل -مصادق: الولد على سراًبيه- السيد مهدي القاضي الطباطبائي (رحمة الله عليه)، والمرحوم آية الله الشيخ محمدتقي الأملي (رضوان الله عليه)، وجناب العلامة الطباطبائي (مد ظله العالي)، وأخوه الماجد حضرة آية الله السيد محمد حسن النهي القاضي الطباطبائي رحمته، ولكل منهم حق عظيم عليّ، وقد دوت بعض الوقائع المحيرة العجيبة عن هذا العالم، وأوكل نقلها إلى وقت آخر.

ومن الكلمات المؤثرة واللطيفة للمرحوم الحاج السيد عليّ القاضي: «يستحق أن يصرف الإنسان نصف عمره في البحث عن كامل».

وما قاله المرحوم الشيخ (آقا بزرك) في حق المغفور له القاضي: «فرايته مستقيماً في سيرته»، هي كلمة قيمة جداً. لأن الاستقامة من أهم الأعمال في السلوك إلى الله، وأنها سبب نزول البركات والفيض الإلهي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ * نَزَلْنَا مِنْ غَافِرٍ رَحِيمٍ﴾^(١).

الميرزا الشيرازي والميرزا حسين القاضي رحمتهما:

في ليلة الخميس ٢١ رجب المرجب ١٣٨٧هـ. ق كنت وجمع من الأصدقاء الفضلاء نستفيد من المجلس المبارك للعلامة الطباطبائي، وفي حاشية جلسة الدرس تطرّق في الحديث إلى أستاذه المرحوم القاضي وأساتذته وطلابه، ومن بعض ما قال: «إن المرحوم قد درس ورأى أساتذة كثيرين»، وذكر أسماء

عدد منهم ، - إلى أن قال :- « وقد كتب والده المرحوم الحاج الميرزا حسين القاضي تفسيراً لسورة الفاتحة وسورة الأنعام ، ورأيت ذلك التفسير ، لكنني لا أعلم بحوزة من الآن » ، ثم قال : « كان الحاج الميرزا حسين القاضي من تلامذة المرحوم الميرزا الشيرازي ، وعندما أراد توديع الميرزا الشيرازي ويذهب إلى تبريز ، قال له المرحوم الميرزا : الآن وقد نويت الذهاب اهتم بحالك ساعة في الليل والنهار ، وبعد فترة سأل المرحوم الميرزا عن حال المرحوم الحاج الميرزا حسين القاضي ، فأجابته البعض : أن هذه الساعة قد تحوّلت إلى ٢٤ ساعة ، وكان دائماً في حال المراقبة والحضور والعزلة ، لكنّها عزلة كما قال الشاعر :

هرگز میان حاضر و غایب شنیده‌ای

من در میان جمع و دلم جای دیگر است»^(١)

أقول: في صباح يوم الخميس ٢٠ شعبان المعظم سنة ١٣٨٧ هـ. ق تشرفت بالحضور في المجلس الشريف للمرحوم آية الله الحاج السيد حسين القاضي الطباطبائي ابن عم آية الله الحاج السيد علي القاضي رحمته في مدينة قم ، وقد دوّنت بعض المواضيع منه ، وكان من جملتها موضوع المراقبة والحضور الدائم للمرحوم الحاج السيد حسين القاضي ، وقول الميرزا الشيرازي له ، كما نقلنا ذلك عن الأستاذ العلامة الطباطبائي .

حساب عدد الحروف المشدّدة في الأبجدية :

لا بدّ في هذه الحادثة اللطيفة أن نتحدّث عن التأثير النفسي للمرحوم الميرزا الشيرازي ، وأيضاً عن قابليّة المرحوم الميرزا حسين القاضي الذي كان فاعل في الفاعليّة التامة ، وقابل في القابليّة أيضاً . فهكذا يكون تأثير النفوس الكاملة

(١) هل سمعت أبداً عن حاضر وغائب في آن واحد ، فأنا موجود بين الناس ، لكنّ قلبي في مكان آخر .

في النفوس المستعدة .

وكان من جملة المواضيع التي ذكرها - ولأنه كان من أهل الدعاء ومن العاملين في كتب الأدعية - أن جميع الحروف المشددة في الأبجدية تحسب حرفاً واحداً، إلا في كلمة الجلالة حيث تحسب لأمأ مكررة، وعددها ٦٦ حرفاً.

مراتب الجنة وآيات القرآن:

ومن جملة تلك المواضيع أنه قال: « روي عن رسول الله ﷺ في المادة ج م ع مجموع البحرين للطريحي أنه: « ما من حرف من حروف القرآن إلا وله سبعون ألف معنى »، وقد نقلت سابقاً أنه إذا كان يمكن الاستفادة واستنباط ٤٩٧٦٦٤ حكم هندسي من شكل هندسي واحد (القطاع)، فما البعيد في أن يكون لكل حرف من القرآن سبعين ألف معنى، ولعل هذا العدد يزداد أيضاً حسب استعداد المخاطب، كما في قول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إلى ابنه محمد بن الحنفية: « اعلم أن درجات الجنة على عدد آيات القرآن، فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن: اقرأ وازق^(١).

بل جاء في قول القرآن الكريم: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ يُؤْمِنُ الْبَحْرُ مِثْلَ مَدَادِ كَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾^(٢). وكذلك:

﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(٣).

شكل القطاع السطحي:

يقول العلامة نظام الدين النيشابوري في شرح (مجسطي بطليموس) في بيان

(١) وفي الفيض ١٤: ٦٥.

(٢) الكهف: ١٠٩.

(٣) لقمان: ٢٧.

القطع السطحي: « والدعاوى الواقعة في هذا الشكل هي ٤٩٧٦٦٤، فانظر أنه في هذا الشكل الصغير كيف استلزم جميع تلك المسائل. فلا تعجب من قول عز من قائل: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴾ الآية.

وتشرّفت في ليلة الأربعاء ٢٧ ذي الحجة ١٣٤٧ هـ. ق في محضر آية الله الأستاذ العلامة الطباطبائي، حتى وصل الحديث إلى هذا الموضوع، فقال: « إن كل ما عندنا من هذه الأمور الحقيقية فهي من المرحوم السيد القاضي. سواء ما تعلمناه منه في حياته من محضره الشريف، وسواء ما حصلنا عليه من أنفسنا، فكله من بركات المرحوم القاضي. فتبصر.»

نقل رؤيا وكلام المرحوم آية الله الأملي حول العلامة الطباطبائي:

في غد تلك الليلة (الأربعاء ٢٧ ذي الحجة ١٣٤٧ هـ. ق) ذهبت من قم إلى طهران وتشرّفت بالمحضر المبارك لآية الله الحاج الشيخ محمدتقي الأملي رضوان الله تعالى عليه، ونقلت له أنني رأيت في عالم الرؤيا يقول لي: « التوحيد أن تنسى غير الله ». فما أن سمع هذه الجملة مني حتى قرأ لي في بيان ذلك بيتاً للشاعر العارف الشبستري:

نشاني داده اندت از خرابات كه التوحيد اسقاط الاضافات^(١)

لكن المرحوم الأملي قرأ المصراع الأول هكذا: « خبر در داده اندت از خرابات ». وبعد ذلك تطرقت بالحديث عن المرحوم القاضي والأستاذ العلامة الطباطبائي وأخيه المحترم آية الله المرحوم السيد محمد حسين إلهي، فقال لي المرحوم الأملي:

(١) المعنى: أن التوحيد لا يتحقق إلا بإسقاط وترك ما دون الله، لأن كل شيء، مصيره الزوال والانتها. .

« يا سيّد، إذا تريد أن تصل إلى المراتب العلميّة الكاملة وتخطو خطوات ثابتة في هذا المجال، فلا أعرف لك أفضل من أن تكون في اختيار وتحت عناية الأستاذ الطباطبائي (يعني العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان)، وتردّد عليه كثيراً للاستفادة من علمه، فقد كان هو والمرحوم السيّد أحمد الكربلائي الكشميري من أفضل طلاب المرحوم القاضي (آية الله الحاج سيّد عليّ القاضي الطباطبائي التبريزي) رحمته الله، وقد كان للعلامة الطباطبائي مكاشفات كثيرة في ذلك الوقت ».

رسالة محاكمات الأستاذ العلامة الطباطبائي :

في يوم الجمعة الأوّل من شهر ذي القعدة ١٣٩٢هـ. ق تشرّفت بمحضر الأستاذ العلامة الطباطبائي، وجرى الحديث عن رسالة تذييلاته وهي محاكمات الأستاذ عل مكاتبات العارف الكبير المرحوم السيّد أحمد الكربلائي والحكيم المعروف المرحوم الكمباني رحمته الله، وكانت هذه المكاتبات بين العَلَمين المذكورين لتوضيح معنى بيت شعر للعارف الكبير الشيخ العطّار رحمته الله، والبيت :

او بسر نايد ز خود آنجا كه اوست كي رسد عقل وجود آنجا كه اوست
وأنقل هنا تبرّكاً المقدّمة التي كتبها حضرته للمحاكمات، وتبين أسلوبه السلس البليغ وقدرة بيانه، بالإضافة إلى أنّها تتضمّن فوائد عديدة :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم، والسلام على عباده الذين اصطفى. تصدير: لقد جرت مجموعة من المكاتبات بين اثنين من أستاذتنا العظام: السيّد الأجلّ أبو الحسين والمكرمتين ذو المنقبتين العارف الفقيه علم المعرفة، وطود الفقه، ومنار العلم، وسناد العمل المرحوم الحاج السيّد أحمد الكربلائي أفاض الله علينا من بركاته. والشيخ الأجلّ الحكيم المتألّه، والفقيه البارِع، الذي هو من فلك التحقيق دائرها، وفي بسطة التدقيق سائرها وناظرها الشيخ محمّد حسين الإصفهاني الغروي رفع الله درجته السامية، في بيان معنى بيت

من الأبيات الشعرية للشيخ العطار، وبمقتضى الكلام يجزّ الكلام قام هذان العُلمان بتقوية أساسين معروفين للحكماء والعرفاء، حيث أيد كل منهما أحد هذين الأساسين، وفصلوا كثيراً في ذلك لتوضيح المطلوب، ونظراً لنفاسه وقيمة الموضوع ودقة الموضوع، فلم يكن ذلك خالياً من الغموض، ولأجل حفظ آثار هذين العلمين، وإدعاءً لحق الأخذ بيد وتربية هذا العبد الحقير محمد حسين الطباطبائي، سعيت جاهداً لتوضيح هذا الموضوع جيداً، فكتبت عدّة أوراق باسم (تذيلات ومحامكات).

كان المرحوم السيد اصفهاني الأصل، ولكن نشأته ونموه، كانت في كربلاء المقدسة، وبعد بلوغه ورشده بدأ بدراسة الآداب، ويتضح من الرسائل التي كتبها لطلبته وأهل ملته، أنه كان يمتلك أسلوباً سلساً وبيانياً جميلاً لحدّ الإعجاز، وبعد إكماله الآداب توجه إلى دراسة العلوم الدينية حتى التحق بدرس المرحوم الملا كاظم الخراساني (رضوان الله عليه)، وأكمل دورة تعلم العلوم الظاهرية تحت تربيته، وأخيراً أصبح تحت عناية وتربية وتهذيب المرحوم آية الحق وأستاذ ذلك العصر الشيخ الكبير الآخوند الملا حسين قلي همداني رحمه الله العزيز، وبقي ملازماً له لسنوات طويلة، فتقدّم على زملائه حتى أصبح في الصف الأول والطبقة الأولى من تلامذته والمتعلمين عنده، واتخذ لنفسه مكاناً مستحكماً. ومقاماً أميناً في العلوم الظاهرية والباطنية. وبعد وفاة المرحوم الملا همداني أقام في النجف الأشرف، واشتغل في تدريس الفقه وعمل على تربية وتكميل الناس في المعارف الإلهية.

فقد وضع الكثير من العظام والصالحين أقدامهم على دائرة الكمال ببركة تربية وتكميل هذا العالم، فهجروا الدنيا وزهدوا بها، حتى أصبحوا من سكنة دار الخلد والخاصين لحريم القرب الإلهي، ومن جملتهم السيد الأجل آية الحق، ونادرة الدهر، العالم العابد، والفقيه المحدث، والشاعر العظيم سيد العلماء الربانيين المرحوم الحاج الميرزا علي القاضي الطباطبائي التبريزي، المتوكل سنة ألف ومائتين

وخمس وثمانين هجري قمري ، والمتوفى سنة ألف وثلاثمائة وست وستين هجري قمري ، وكان أستاذاً في المعارف الإلهية وفقه الحديث والأخلاق ، رفع الله درجاته السامية وأفاض علينا من بركاته .

وقد توفي هذا السيد العظيم صاحب الترجمة ، وترك هذه الحياة الفانية في سنة ألف وثلاثمائة وثلاثين هجري قمري في مدينة النجف المقدسة ، وحلقت روحه الطاهرة في العالم الأعلى ، رحمة الله عليه .

كان المرحوم الشيخ اصفهاني الأصل ، لكنه قضى معظم عمره في العتبات المقدسة ، فبعد تهيئة مقدمات العلوم في الحكمة حضر درس الحكيم المتأله المرحوم الشيخ محمدباقر الاصطهباناتي رحمته . والتحق بدرس المرحوم الآخوند الملام كاظم الخراساني رحمته في الأصول والفقه . واستمر في درسه لمدة ثلاث عشرة سنة حتى أكمله ، وفي مرحلة تهذيب النفس وتصفية الباطن كانت له رابطة ومكاتبة مع المرحوم العالم التحرير فخر المجتهدين وسند العارفين الحاج الميرزا جواد ملكي التبريزي نزيل قم ، والذي كان من أكابر تلامذة المرحوم الملا حسين قلي الهمداني . وكان المرحوم الشيخ رجلاً جامعاً بين العلم والعمل ، رابطاً بين التقوى والذوق ، له طبع سيال وكلام عذب ، له ديوان شعر معروف ، وكتب أشعاراً كثيرة في فنون الشعر المختلفة من القصيدة والمدح والغزل والرباعي والعلمي ، وله أيضاً مؤلفات كثيرة في الفقه والأصول والحكمة والعرفان ، وأغلبها تتداولها الأيدي ، كأنها من الضروريات اليومية والحياتية . فكان له سيماء متواضع ، ولسان ساكت ، ووجه منخفض ، وغالباً ما كان غارقاً في الفكر مشغولاً بنفسه ، وكانت حياته بسيطة حتى توفي فجأة في منامه . وانتقل إلى دار الخلد سنة ألف وثلاثمائة وواحد وستين هجري قمري .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سؤال : يقول الشيخ العطار في منطق الطير :

دائماً او پادشاه مطلق است در کمال عزّ خود مستغرق است
 او بسر ناید ز خود آنجا که اوست کی رسد غفل وجود آنجا که اوست
 وضح معنی البيت الثاني ... الخ؟

فكانت هذه مقدّمة الأستاذ العلامة الطباطبائي التي كتبها بقلمه الشريف على رسالة محاكماته بين مكاتبات آيتي العلم والعمل السيد أحمد الكربلائي والشيخ محمد حسين الإصفهاني الكمباني رفع الله تعالى درجاتهما، وفي هذه المحاكمات معاني عرفانية دقيقة ولطيفة ونظرات فلسفية قيمة يتطلّب الولوج فيها مجالاً آخر، ووقتاً أوسع.

السيد أحمد الكربلائي أستاذ القاضي، والسيد الكشميري تلميذ القاضي:

عند التمعّن في قول الأستاذ في بداية مقدّمته حيث قال: «مجموعة مكاتبات بين اثنين من أساتذتنا الكبار... الخ». يطرح هنا سؤال وهو أنّ تاريخ وفاة السيد أحمد الكربلائي (رضوان الله عليه) كان في عام ١٣٣٠هـ. ق، وحسب ما ذكر ذلك الأستاذ العلامة نفسه، وكانت ولادة السيد الحاج (الأستاذ العلامة الطباطبائي مدّ ظلّه العالی) في أواخر ذي الحجّة ١٣٢١هـ. ق، وانتقل إلى النجف الأشرف لإكمال دراسته سنة ١٣٤٤هـ. ق، إذن فقد كان الأستاذ في التاسعة من عمره عند ارتحال المرحوم السيد، ولم يكن قد ذهب إلى النجف الأشرف عند وفاة السيد، وقد صرح حضرة العلامة في مقدّمته أنّ أستاذه المرحوم القاضي قد أدرك محضره المبارك، ونال عنده الكلمات الظاهرية والمعنوية. إذن فما المقصود من قوله: «اثنان من أساتذتنا الكبار السيد أحمد الكربلائي والشيخ محمد حسين الإصفهاني»؟

والظاهر أنّ القصد من جوابه هو لأنّ المرحوم السيد كان أستاذاً أستاذه، فلذلك عبّر عنه العلامة الطباطبائي تشرفاً بالأستاذ. والآن حيث ما زلت مشغولاً بتحرير هذه الرسالة المباركة (الثلاثاء ٢٧ شعبان المعظم ١٤٠١هـ. ق) لم يكن حضرة الأستاذ

الطباطبائي في قم حتى أسأله شفاهياً ، وفي نفس اليوم المذكور (الأربعاء ٢٧ ذي الحجة ١٣٤٧ هـ. ق) تشرفت بمحضر آية الله الحاج الشيخ محمد تقي الأملي في طهران ، وعندما قال : « كان هو - يعني الأستاذ الطباطبائي - والمرحوم السيد أحمد الكربلائي الكشميري الأفضل من بين تلامذة المرحوم القاضي » ، فقلت للأستاذ الأملي : هل أن هذا السيد أحمد الكربلائي الكشميري هو نفس ذلك السيد أحمد الكربلائي المعروف ؟ قال : « كان غير ذلك السيد ، فإننا لم نر أصلاً ذلك السيد أحمد الكربلائي ، فهو من تلامذة المرحوم الملا حسين قلي الهمداني ، وكان من أساتذة الحاج السيد علي القاضي . أمّا هذا فهو السيد أحمد الكربلائي الكشميري من تلامذة المرحوم القاضي . وتوفي شاباً . وذلك السيد أحمد الكربلائي أستاذ القاضي ، كان إصفهاني الأصل ، وحينها حكى لي المرحوم الأملي إحدى كرامات المرحوم الكشميري في فتح قفل مغلق . وقد دونتها في دفتر مذكراتي في ص ٦٤^(١) .

عليّ والفلسفة الإلهية هو أحد مؤلفات العلامة الطباطبائي :

إن أحد مؤلفات صاحب الترجمة (الأستاذ العلامة الطباطبائي) رسالة مختصرة وعزيزة جداً هي (عليّ والفلسفة الإلهية) ، وقد تمنى الأستاذ في المقالة التي أرسلها الأستاذ بمناسبة تأسيس المؤتمر الألفي لنهج البلاغة في طهران ، أن يكمل هذه الرسالة المذكورة .

وقد أشار الأستاذ في هذه المقالة إلى نقطة مهمة وقيمة جداً ، وقريبة من هذا المضمون : « أنه لم يكن من بين جميع أصحاب رسول الله ﷺ أحداً غير

(١) أخيراً ، وفي نفس اليوم ، سألت أحد الأصدقاء تلفونياً العلامة الطباطبائي - الذي كان موجوداً في طهران - عن هذا الموضوع ، فأجابته : « الحق مع فلان » ، يعني : أنا ، وأن التعبير بالأستاذ كونه أستاذ الأستاذ .

أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال كلّ هذه الخطب في بيان المعارف الإلهية الحتمّة بهذا الشكل ، الذي يمثل كتاب نهج البلاغة نموذجاً بارزاً لها .

كلام عدد من الأعظم حول ولي الله الأعظم أمير المؤمنين عليه السلام :

كاتب هذه السطور المتمسك بذيل عناية أهل الولاية حسن حسن زاده الأملي ، يقدّم مجموعة أخرى من عبارات بعض علماء الإسلام حول برهان الحكماء الإلهيين أمير المؤمنين حضرة الوصي عليّ عليه السلام .

١ - خليل بن أحمد البصري أستاذ سيبويه ، وواضع علم العروض ، المتوفى سنة ١٧٥هـ . ق ، قال في حضرته : « احتياج الكلّ إليه واستغنائه عن الكلّ دليل على أنّه إمام الكلّ »^(١) .

وسئل أيضاً : ما هو الدليل على أنّ عليّاً إمام الكلّ في الكلّ ؟ فقال : « احتياج الكلّ إليه وغناه عن الكلّ »^(٢) .

٢ - الشيخ الرئيس ابن سينا ، المتوفى سنة ٤٢٨هـ . ق . يقول في الرسالة المعراجية : « قال أعزّ الأنبياء وخاتم الرسل صلوات الله عليهم في أمير المؤمنين عليه السلام مركز الحكمة ، وفلك الحقيقة ، وخزينة العقل ، أن : يا علي . إذا رأيت الناس يتقربون إلى خالقهم بأنواع البرّ تقرب إليه بأنواع العقل تسبقهم »^(٣) .

وهذا الخطاب لم يكن إلّا مع عظيم كان بين الخلق مثل المعقول بين المحسوس .

٣ - الفخر الرازي ، المتوفى سنة ٦٠٦هـ . ق . في التفسير الكبير لمفاتيح الغيب ضمن سورة الفاتحة ، عرض عدّة أدلّة لاختياره الجهر من بين الجهر أو الاخفات

(١) و (٢) مجموعة الرسائل / الشيخ لطف الله الصافي ٢ : ٤٥٠ ، معجم رجال الحديث

٨١ : ٨ ، ط . ٥ ، بغية الوعاة / السيوطي : ٢٤٣ .

(٣) الرسالة المعراجية / الشيخ الرئيس ابن سينا : ١٥ .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، ومن جملة هذه الأدلة يقول : « السابغ أن الدلائل العقلية موافقة لنا ، وعمل علي بن أبي طالب عليه السلام معنا ، ومن اتخذ علياً إماماً لدينه فقد استمسك بالعرورة في دينه ونفسه »^(١) .

٤ - الشيخ الأكبر محيي الدين العربي . المتوفى سنة ٦٣٨ هـ . ق ، في الباب السادس من الفتوحات المكية في بحث الهباء ، يقول : « فلم يكن أقرب إليه قبولاً في ذلك الهباء إلا حقيقة محمد عليه السلام المسماة بالعقل ... وأقرب الناس إليه علي بن أبي طالب عليه السلام إمام العالم ، وسرّ الأنبياء أجمعين »^(٢) .

٥ - ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة . المتوفى سنة ٦٥٥ هـ . ق ، في شرح الخطبة ٨٥ عندما يصل إلى قول الإمام عليه السلام : « وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وَيَبِينُكُمْ عِثْرَةٌ نَبِيَّكُمْ ! وَهُمْ أَرْمَةٌ الْحَقِّ ، وَأَعْلَامُ الدِّينِ ، وَالسِّنَّةُ الصُّدْقِ ! فَأَنْزَلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ ، وَرَدُّوهُمْ وَرُودَ الْهَيْمِ الْعِطَاشِ ... الخ »^(٣) .

يقول : « فَأَنْزَلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ تحته سرّ عظيم ؛ وذلك أنه أمر المكلفين بأن يجزّوا العترة في إجلالها وإعظامها والانتقاد لها ، والطاعة لأوامرها مجرى القرآن . قال : فإن قلت : فهذا القول منه يشعر بأن العترة معصومة ، فما قول أصحابكم في ذلك ؟

قلت : نصّ أبو محمد بن متويه عليه السلام في كتاب الكفاية على أن علياً معصوم وأدلة النصوص قد دلّت على عصمته ، وأن ذلك أمر اختصّ هو به دون غيره من الصحابة^(٤) .

(١) التفسير الكبير / الفخر الرازي ١ : ١٦١ ، طبعة تزكية .

(٢) الفتوحات المكية ١ : ١٣٢ ، طبع بولاق .

(٣) نهج البلاغة / ابن أبي الحديد - الخطبة ٨٧ : ٧٨ ، ط . دار التعارف للمطبوعات - بيروت .

(٤) الكفاية / أبو محمد بن متويه ١ : ٣٤١ ، الطبعة الحجرية .

فذلك الخليل يقول: «احتياج الكلّ إليه واستغنائه عن الكلّ دليل على أنه إمام الكلّ» .

والشيخ الرئيس يقول: «كان عليّ بين الخلق مثل المعقول بين المحسوس» .
والفخر الرازي يقول: «ومن اتخذ عليّاً إماماً فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه» .

الشيخ الأكبر يقول: «عليّ إمام العالم وسرّ جميع الأنبياء»
وابن متويه يقول: «أدلة النصوص قد دلت على عصمته ، وأن ذلك أمر اختصّ هو به دون غيره من الصحابة» .

كانت هذه مجموعة من العبارات التصارفي حقّ المقام الأعلى للولاية العلوية ، وهي شرح من آلاف العبارات الأخرى .

الفلسفة الإلهية هي الدين الإلهي:

حضرة الأستاذ العلامة الطباطبائي مدّ ظلّه العالی ، في مقدّمة تلك الرسالة المختصرة العريضة (عليّ والفلسفة الإلهية) ، قد كتب أصلاً قيماً جداً ، وموضوعاً في نهاية العظمة بعنوان الدين والفلسفة ، وهو: حقّاً أنه لظلم عظيم أن يفرق بين الدين الإلهي والفلسفة الإلهية .

هذا الكلام صادر من عرش التحقيق وما أن يسمعه أحد إلا وقال: «لله درّ قائله» .
والمعلم الثاني أبو النصر الفارابي في آخر كتابه القيم باسم (تحصيل السعادة) ، له بيان شريف حول الفلسفة ، حيث ينتهي إلى هذه النتيجة القيمة: «الفيلسوف الكامل إمام» .

وقال صدر المتألّهين في الأسفار (٤ : ٧٥ ، ط . ١) : «تبّاً لفلسفة قوائها غير مطابقة للكتاب والسنة» .

سلسلة مشايخ العلامة الطباطبائي في سير وسلوك العرفان العملي :

في سنة ألف وثلاثمائة وست وثمانون هجري قمري ، كنت قد استفدت من المحضر المبارك لآية الله السيد محمد حسن النهي القاضي الطباطبائي (أخو الأستاذ العلامة الطباطبائي) رفع الله درجاته المتعالية ، عندما كان موجوداً في قم للتدريس والإفادة والإفاضة ، وقد كنت في يوم الخميس الرابع من ذي الحجة ١٣٨٦ هـ . ق ، بمعينته في شيخان قم ، فجرى الحديث عن سلسلة مشايخه ومشايخ حضرة الأستاذ العلامة الطباطبائي في سير وسلوك العرفان العملي ، فقال :

« إن أستاذنا كان المرحوم القاضي (رضوان الله عليه) (آية الله الحاج السيد علي القاضي الطباطبائي (قدس سرّه العزيز)) ، وأما المرحوم الحاج السيد أحمد الكربلائي فكان أستاذ القاضي ، وأستاذ السيد الكربلائي هو المرحوم الآخوند المولى حسين قلي الهمداني ، وأستاذه المرحوم الحاج السيد علي الشوشتری ، وأستاذه الملا قلي جولا .»

ولا نعرف ما بعد الملا قلي جولا . ولا نعلم من هو الملا قلي جولا ، وحتى الحاج السيد علي الشوشتری لم يكن يعرفه .

حادثة لقاء الحاج السيد علي الشوشتری والملا قلي جولا :

كان المرحوم الحاج السيد علي الشوشتری عالماً مبسوط اليد في مدينة شوشتر ، وحدثت هناك يوماً ما مرافعة حول مُلك وقفي ، فكانت مجموعة تدّعي أنّ هذا الملك ليس وقفاً ووضعوا ورقة الوقف في صندوق ودفنوها في مكان خاص ، وأولئك الذين يدّعون أنّه وقف لم يكن لديهم أي مدرك على ذلك . والخلاصة أنّ المرحوم الشوشتری بقي متحيراً في حكم هذه القضية لعدّة أيام ، وكان المدّعين يصرون على ادّعائهم ، ويتدّون عليه يومياً طالبين منه إصدار الحكم ، وبينما كان المرحوم الشوشتری مشغولاً بهذا الأمر ، وإذا بشخص يطرق باب منزله في

أحد الأيام ، فسأله أحد الأفراد عند الباب : من أنت ؟ فقال ذلك الرجل : أخبر السيّد أنّ رجلاً باسم المّلا قلي جولاً يريد رؤيتك ، فدخل البيت وذهب عند المرحوم الشوشتري فقال له : يا سيّد ، لقد أتيت لأقول لكم أنّه لا بدّ أن تسافروا إلى النجف وتقيمون هناك ، واعلم أنّ ورقة الوقف لذلك الملك مدفونة في المكان الفلاني ، وأنّه وقف .

ولم يكن المرحوم الشوشتري أيضاً يعرف المّلا قلي جولاً ، والخلاصة أنّه أمر بحفر ذلك المكان ، فاستخرجوا ورقة الوقف ، فترك القضاء والمرافعة بعد هذه الحادثة ، وانتقل من شوشتر إلى النجف وأقام بها ، وهناك كان يذهب إلى درس الفقه للمرحوم الشيخ مرتضى الأنصاري رضوان الله عليه ، وكذلك يحضر درس الأخلاق عنده .

إلى أن بدأ المرحوم المّلا حسين قلي الهمداني يسعى وراء الحقيقة ، ويطلب هادياً لذلك ، وأخذ يتردّد على أحد العلماء في همدان . فلم يجد عنده شيئاً ، فعزم السفر إلى النجف ، وحضر عند المرحوم الشوشتري والشيخ الأنصاري ، فاستفاض من كمالاتهم .

وعند ارتحال الشيخ الأنصاري . عزم المرحوم الهمداني إلى كتابة المواضيع الأصوليّة والفقهية للمرحوم الشيخ الأنصاري . فمنعه المرحوم الشوشتري وقال : إنّ هذا ليس عملك ، فهناك من يتولّى ذلك . ويجب عليك أن تجد الطلبة المستعدّين ، لهذا بدأ المّلا حسين قلي الهمداني بتربية القابلين وإرشادهم إلى طريق السعادة الأبديّة ، بحيث كان يدرس مجموعة من الصبح إلى طلوع الشمس ، وبعض آخر من طلوع الشمس إلى مقدار من النهار . وهكذا حتّى كان يُدرّس بعضهم إلى أول الليل ، والبعض الآخر في آخر الليل ، حتّى تمكّن من تربية ثلاثمائة نفر أصبح كلّ منهم من أولياء الله ، ومن جملةهم : المرحوم الشيخ محمد البهاري ، المرحوم السيّد أحمد الكربلائي ، المرحوم الميرزا جواد ملكي التبريزي ، المرحوم الشيخ عليّ زاهد

القَمِّي ، والمرحوم السيّد عبدالغفار المازندراني .

كان هذا قسم من كلام الأستاذ إلهي الطباطبائي في ذلك اليوم عندما كنّا في شيخان قم عن سلسلة مشايخه في السير والسلوك .

الإنسان قبل الدنيا ، وفي الدنيا ، وبعد الدنيا :

إنّ من جملة مؤلّفات حضرة الأستاذ العلامة الطباطبائي ، ثلاث رسائل قيّمة جدّاً باسم : (الإنسان قبل الدنيا ، والإنسان في الدنيا ، والإنسان بعد الدنيا) .

وكما قلنا في بداية هذه الرسالة : أنّ التفسير العظيم (الميزان) هو أمّ الكتاب لحضرتّه ، حيث أنّه يحتوي على الكثير من أمّهات رسائل العلامة ، كرسالة الولاية التي تحتوي على تفسير آية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيكُمْ أَنْفُسُكُمْ ﴾^(١) ، أو رسالة الإنسان بعد الدنيا ، وفيها تفسير آية : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾^(٢) ، مع ذلك فإنّ للرسائل المفردة أهميّة خاصة ؛ لأنّ همّ العالم يكون منصباً على تصنيف وتدوين هذا الموضوع فقط ، لهذا لا بدّ من الاعتناء والإقبال على رسائل العلماء .

ومن المناسب في هذا المقام أن نذكر عالم الفلك الفرنسي المشهور كاميل فلاماريون ، فقد كان لفلاماريون مصنّفات مفيدة وقيّمة في مواضيع مختلفة ، من جملتها كتاب باسم (الموت وسرّه) في ثلاث مجلّدات : الأوّل : (قبل الموت) ، والثاني : (عند الموت) ، والثالث : (بعد الموت) .

وترجم العالم المصري محمّد فريد وجدي كتاب فلاماريون إلى العربيّة ، وأطلق عليه اسم (على أطلال المذهب المادّي) ، وهو كتاب مفيد جدّاً مثل أصله .

(١) المائدة: ١٠٥ .

(٢) البقرة: ٢١٣ .

والظاهر أن الأستاذ كان ناظراً إلى كتاب فلاماريون في تسميته لرسائله المذكورة ، ولا بد من سؤاله عن ذلك .

إن هدف السفراء الإلهيين هو تعليم وتربية البشر :

لقد وجد هذا الحقيق أن حضرة الأستاذ العلامة الطباطبائي (أفاض الله تعالى علينا بركات أنفاسه الشريفة) ، كان في أمر التعليم والتربية ، كما قال المعلم الثاني أبو النصر الفارابي عن هذين الركنين المهمين والأصلين الأصيلين ، أعني التربية والتعليم ، في كتابه تحصيل السعادة :

« والتعليم هو إيجاد الفضائل النظرية في الأمم والمدن ، والتأديب هو طريق إيجاد الفضائل الخلقية والصناعات العلمية في الأمم . والتعليم هو بقول فقط ، والتأديب هو أن يعود الأمم والمدنيون الأفعال الكائنة عن الملكات العلمية بأن تنهض عزائمهم نحو فعلها ، وأن تصير تلك وأفعالها مستولية على نفوسهم ويجعلوا كالعاشقين لها»^(١) .

إن لكل واحد من مؤلفات حضرة الأستاذ العلامة الطباطبائي في هذين الأصلين المذكورين أهمية كبيرة ويحتوي على الكثير من الانتقادات الدقيقة والعميقة ، وحقاً أن وجود العلامة في تعليم وتأديب النفوس المستعدة في جامعة المعارف الإلهية الحقة ، أعني الحوزة العلمية في قم ، في الوقت كان التعلق بالأمر الطبيعي واللذائذ المادية منتشراً بين الكثيرين ، كان لطفاً من الله به علينا حتى يكون حجة على الجميع ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾^(٢) . وقد كان العلامة من شجرة علم وتقوى ، حتى أن العديد من أجداده كانوا جميعاً من أمثال وفضلاء عصرهم في منقبتي العلم والتقوى (رضوان الله عليهم أجمعين) .

(١) تحصيل السعادة: ٢٩ ، طبع حيدرآباد - الدكن .

(٢) الجمعة: ٤ .

أهم آثار قلم العلامة الطباطبائي في الشعر والنثر:

إنّ جميع آثار ذلك العالم الكبير علم وفكر، كلّها حقيقة ومعرفة، كلّها بحث وفحص، كلّها عشق وعقل، كلّها قرآن وحديث، ...

هرکه سخن با سخنی ضم کند قطره‌ای از خون جگر کم کند^(١)

- ١- التفسير عالي المنزلة (الميزان) في عشرين مجلداً، وهو أمّ الكتاب لمؤلفاته.
- ٢- أصول الفلسفة والطريقة الواقعية.
- ٣- الحاشية على أسفار صدر المتألهين، والتي طبعت مع الطبعة الثانية للأسفار.
- ٤- محادثات مع الأستاذ كرين.
- ٥- رسالة في الحكومة الإسلامية.
- ٦- حاشية الكفاية، وهي في حال الطبع والنشر.
- ٧- رسالة في القوّة والفعل.
- ٨- رسالة في إثبات الذات.
- ٩- رسالة في الصفات.
- ١٠- رسالة في الأفعال.
- ١١- رسالة في الوسائط.
- ١٢- رسالة الإنسان قبل الدنيا.
- ١٣- رسالة الإنسان في الدنيا.
- ١٤- رسالة الإنسان بعد الدنيا.
- ١٥- رسالة في النبوة.

(١) المعنى: كلما تكلمنا أكثر عن هذا العالم لكان مصحوباً بالألم الشديد لفقده وانقطاع علمه عنّا.

- ١٦- رسالة في الولاية .
- ١٧- رسالة في المشتقات .
- ١٨- رسالة في البرهان .
- ١٩- رسالة في المغالطة .
- ٢٠- رسالة في التحليل .
- ٢١- رسالة في التركيب .
- ٢٢- رسالة في الاعتبارات .
- ٢٣- رسالة في النبوة والمقامات .
- ٢٤- منظومة في رسم خطّ النستعليق .
- ٢٥- عليّ والفلسفة الإلهية .
- ٢٦- القرآن في الإسلام .
- ٢٧- الشيعة في الإسلام .
- ٢٨- محاكمات بين مكاتبتين .
- ٢٩- نشر الكثير من المقالات العلمية في المجالات العلمية .
- ٣٠- بداية الحكمة .
- ٣١- نهاية الحكمة .

وبعد هذين الكتابين الأخيرين (البداية والنهاية) من النصوص الفلسفية المهمة جداً، حيث كتب فيها أعلى سير تكاملي وفلسفي إلهي من قلم متين وعظيم كصاحب الميزان، والله الحمد، فهما الآن من الكتب الدراسية لطالبي الحكمة في الحوزة العلمية. أنكس كه زكوى آشنایى است داند كه متاع ما كجائى است^(١)

(١) المعنى: أن الشخص الذي يمنح المعرفة والعلم يعلم ما هو المفيد لنا؛ لأنه ابن العلم والمعرفة.

٤٠ مذكرات فريدة عن بعض العلماء الربانيين

وقد كتبت هذه السطور القليلة عن هذا العالم الجليل على عجل وحسب علمي ،
وقدمتها إلى أصحاب الفضل ، وأقرّ أنني لم أوف حق صاحب هذه الترجمة ، ولو أن :

مرد را صدسال عمّ و خال او يك سر موئی نداد حال او

لكنتي أمل أن تسنح لي الفرصة مرّة أخرى لأقوم بوظيفة شكري وتقديري إلى
حضرة هذا العالم وأخيه المكرّم حضرة آية الله جامع المعقول والمنقول السيّد محمّد
حسن إلهي القاضي الطباطبائي قدس سرّه العزيز وروحي له الفداء ، حيث أنّ لهذين
العالمين الجليلين حقّ كبير على هذا الحقير في مجال التعليم والتأديب ، وأوفق
بتقديم ذلك للناس المحبّين .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « لَقَدْ عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَلْفَ بَابٍ ، يَفْتَحُ كُلُّ بَابٍ أَلْفَ
بَابٍ » (١) .

وعن زرارة وأبي بصير ، عن الباقر والصادق عليهما السلام ، قالوا : « عَلَيْنَا أَنْ نُتْلِقِيَ إِلَيْكُمْ
الْأَصُولَ ، وَعَلَيْكُمْ أَنْ تُفْرَعُوا » (٢) .

العلاقة بين الإنسان والعرفان من وجهة نظر العلامة الطباطبائي :

أودّ هنا التذكير بإحدى الكلمات القصار والعظيمة جداً لهذا العالم الجليل ،
وهي : « ليس لدينا عمل أفضل من بناء أنفسنا » ، وقد كان أعلى الله مقامه كثيراً ما
يكثّر على لسانه كلمة « أبد » . وكان يُلقني علينا دائماً في إفاداته ومحاضراته هذه
الجملة القصيرة والقيّمة : « أنّ الأبد ينتظرنا جميعاً » إنّما تنقلون من دار إلى دار » .

فالإنسان خالد ، باقي وموجود إنّما يغيّر ملابسه بمعنى خاصّ ، ويغيّر مكانه

(١) بحار الأنوار ٢٢ : ٥١١ ، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت .

(٢) وسائل الشيعة / الشيخ الحرّ العاملي ٢٧ : ٦١ ، ب (٦) ، ح ٥١ ، طبع مؤسّسة
آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - قم . مجمع البحرين / الطريحي : المادة ف ر ع .

بمعنى آخر، من رحم الأم إلى حجرها، إلى المهد، وإلى المدرسة و...، فالإنسان موجود أبدي، وحسب نظرة القرآن والعرفان والبرهان، فإن العلم والعمل يصنعان الإنسان، فالعلم والعمل جوهر وليس عرض، ويصبح أصل الجوهر سلباً بحق، فيصبحا غذائين للروح، مثلما يكون الماء والخيز غذائين للبدن، والغذاء مطلقاً يبقى من سدنة الاسم الشريف، سواء كان مادياً أو روحياً.

إنّ (الباقي) هو أحد أسماء الله سبحانه وتعالى، والغذاء يكون من خدمة اسم الباقي، يعني أنّ الغذاء المادي سبب لبقاء البدن، والغذاء الروحي سبب لبقاء النفس الناطقة، وبهذه الخاصية في أنّ الغذاء الروحي حامل من وراء الطبيعة ولا يتأثر بالحوادث الطبيعية، فلا تؤثر به الرياح والمطر. ولا يضمحل ولا ينتهي بالماء والتراب، وكذلك فإنّ بقية الأمور المادية لا تستطيع التأثير في أمور ما وراء الطبيعة. فالغذاء الذي يكون لقمة للروح، يصبح متحداً وجوداً مع النفس الناطقة التي هي أسمى من الطبيعة، ويبقى موجوداً إلى الأبد، فإذا بقي الإنسان ليلاً ونهاراً في طريق بناء نفسه إلى (الأبد).

وكان هذا الحافز والهدف وما زال دائماً الهمّ الأساسي لأولياء الله، وأنّ أساس العرفان العملي هو هذه الحقيقة.

فذلك الشخص الذي يراقب نفسه، يجب عليه في مقام التجلية أن يجعل ظاهره وآدابه وعلاقاته الدنيوية مطابقة للأوامر الإلهية، أمّا تهذيب الروح والنفس فتسمى التحلية، فالتحلية تعني الزينة، وتجميل النفس فلا بدّ له أن يهتم بتجميل نفسه، ولو أنّ الله سبحانه هو في الحقيقة مُجَمَّل للظاهر ومرتبّي للباطن، كما في شعر سنابيّ (غزنوي):

اي درون پـرور بـرون آرا و اي خردبخش بي خرد بخشا^(١)

(١) المعنى: أيها المُجَمَّل للظاهر، والمرتبّي للباطن، وماتح العقل والعلم دون أن يمنحه أحد ذلك.

وبرغم أن الله هو مصوّر عالم الملك والملكوت ، لكن لا يمكن غصّ النظر عن الوسائل والأدوات ، فلا بدّ على الإنسان أن يكون مراقباً لنفسه ، ويجب عليه أن يفهم ويعلم حتّى يتمكّن من طيّ طريق البلوغ والصلاح .

مثلاً: لو أردنا شراء آلة صناعيّة ، ولنفترض ماكنة خياطة ، فنرى أنّ منتج الماكنة يضع معها دفترأ كدليل للاستفادة منها ، ويكتب فيه كيفيّة المحافظة عليها ، وطريقة تفكيك وتركيب أقسامها المختلفة .

فهذا الدفتر في الحقيقة هو دين هذه الماكنة ، ولا بدّ من تطبيق هذا الدين عليها حتّى يمكن الاستفادة منها بشكل صحيح ومناسب ، وبالتالي يمنع من استهلاكها السريع .

وقد خلق الله هذه الآلة العجيبة ، يعني وجود الإنسان ، الذي يعتبر أعظم وأرقى الآلات في نظام الوجود ، ووضع معه أيضاً كتاباً يوضح كيفيّة الاستخدام والاستفادة الصحيحة ، وأيضاً كيفيّة المحافظة عليه ، ولا بدّ أن يكتب هذا الكتاب صانع ذلك الموجود ، يعني أنّ القلم الذي حرّز هذه الآلة لا بدّ أن يحرّز ويكتب دليل حياتها الواقعيّة أيضاً ، ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾^(١) .

ز اسر افكند قطره اي سوي يم	ز صلب آورد نطفه اي در شكم
از آن قطره ، لؤلؤ لالا كند	و از اين صورتی سر و بالا كند
دهد نطفه را صورتی چون پری	كه كرده است برآب صورت گری ^(٢)

فهذا القلم الذي صوّر هذه النطفة بهذا الشكل وصنع منها إنساناً قد وضع مع هذه

(١) آل عمران: ٦ .

(٢) المعنى: يصف في هذا البيت كيفيّة خلق الإنسان من قطرة ، ثمّ من نطفة تخرج من صلب الرجل وتستقرّ في رحم المرأة... ، وهكذا حتّى يضع لتلك النطفة وجهاً ورأساً فتصوّر بهيئة الإنسان ، وكأنّ ملكاً قام بذلك .

الصناعة كتاباً أسماه القرآن الكريم ، كتاب الله ، الكاشف الكامل للمحمّدي ﷺ .
فصل الخطاب للمحمّدي ﷺ ، فهذا الكتاب يجب أن يطبق على هذه الصناعة
وإلا فإنها تلتف وتنتهي ، ويطلق على هذا المعنى العرفان العملي .

القرآن والروايات والأدعية أفضل الطرق العرفانية :

ليس لدينا أي برنامج عمل في العرفان العملي سوى القرآن ، وأن الروايات
والأدعية الصادرة عن أهل بيت العصمة ﷺ إنما هي جميعاً فروع تشعب من البحر
الإلهي العظيم القرآن الكريم ، وأنها جميعاً مراتب دنيا من القرآن . فالقرآن جسدها
وروحها جميعاً ، فأصل الروايات من القرآن . وأصل جسد الإنسان من روح الإنسان ،
فكما أن البدن مرتبة دنيا من الروح ، والروايات مرتبة دنيا من القرآن المجيد .
فكل ما قاله أهل بيت العصمة ﷺ متشعب من القرآن ، فإذاً ليس لدينا برنامج عمل
سوى القرآن .

إن كلامي هذا ليس ناشئاً من تأثر مذهبي صرف . بل هو كلام موزون وعن تجربة ،
ولمّا كانت أبواب المكتبات الضخمة في العالم مفتوحة اليوم على مصراعها أمام
المحقّقين ، وأنهم يستطيعون أن يبحثوا في مصادر المعارف البشرية ، فإذا تمكّنوا أن
يجدوا معارفاً أسمى من المعارف القرآنية فليعرّفوا ذلك لنا ، لأننا كلما بحثنا أكثر ما
وجدنا إلا الأدنى .

فإننا لا نجد في العرفان النظري والعملي قولاً أسمى وأكثر قيمة من قول
خاتم الأنبياء وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) . فإن كل ما يحتاجه الإنسان
من غذاء لنفسه وروحه للتعرب إلى الله . إنما يجده مخفياً في القرآن وكلام
المعصومين ﷺ .

والقرب يعني الاتصاف بالصفات الإلهية والتحلّي بالأخلاق الملكوتية ، يعني أن
الإنسان ينمو علماً وعملاً في مسير تكامله حتى يصبح متصفاً بالصفات الإلهية ،

٤٤ مذكرات فريدة عن بعض العلماء الربانيين

وطبعاً مع حفظ المراتب ﴿ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾^(١)، فأعلى المراتب أن يصل الإنسان إلى فعليته التامة ويصبح إنساناً كاملاً، وسيكون كل إنسان من أهل النجاة حسب طاقته وقابليته الوجودية وبمقدار موقعه في مسير التكامل الإنساني.

منزلة العلامة الطباطبائي في العرفان العملي:

لقد كانت مكانة العلامة الطباطبائي (رضوان الله عليه) في العرفان العملي أنه وجد ووصل إلى يقين ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾^(٢)، فهذا هو الطريق ولا يوجد سواه، فكان سلوكه وقوله وسكوته وقلمه دقيقاً بهذا الاتجاه، وحتى آثاره الوجودية كلها كانت حاكية عن نزاهته وعظمة ذخائره العلمية والعملية.

وعندما يزور الإنسان حضرة العلامة الطباطبائي فإنه يتذكر ذلك الحديث الشريف الذي نقله الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام في كتاب فضل العلم الكافي: « مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَمِلَ بِهِ، وَعَلَّمَ اللَّهُ دُعِيَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ عَظِيمًا، فَقِيلَ: تَعَلَّمَ اللَّهُ، وَعَمِلَ اللَّهُ، وَعَلَّمَ اللَّهُ »^(٣).

ونقل العلامة الشيخ البهائي أبو الفضائل (رضوان الله عليه) رواية أخرى بنفس هذا المعنى عن لسان أهل بيت العصمة عليهم السلام، في كتابه الشريف الأربعين الذي كان حاوياً أحاديث شريفة وقيمة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « قَالَتِ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى: يَا رُوحَ اللَّهِ، مَنْ نُجَالِسُ؟ قَالَ: مَنْ يَدْكُرُكُمْ اللَّهُ رُؤَيْتَهُ، وَيَزِيدُ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقَهُ، وَيُرْعَبِكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ »^(٤).

إنّ للإنسان واردات وصادرات، ولا بدّ أن يكون مراقباً لنفسه بشدّة، فوارداته

(١) المجادلة: ١١.

(٢) الإسراء: ٩.

(٣) الكافي / الشيخ الكليني ١: ٨٥، ح ٦، طبع دار الأضواء - بيروت.

(٤) المصدر المتقدم: ٨٩، ح ٣.

تصنعه ، وصادراته تخبر عن باطنه ، فكلام كل شخص دليل على شخصيته .

كاسه چيني كه صدا مي كند خود صفت خویش ادا می كند^(١)

فهذا هو الإنسان الحقيقي ، وهذه هي الحقيقة التي كانت واضحة بأحسن وأكمل وجه ممكن في حضرة العلامة الطباطبائي .

وإني أتجأ إلى الله تعالى وأقسم به سبحانه أنني لا أريد قول كلام مبالغ فيه إرضاءً لخاطري ، أو أقوله جزافاً ، أو إغراقاً ، أو دون تأمل وتفكير ، فهذا العالم الكبير الذي ارتحل من بيننا يُنادي (عظيماً) في ملكوت السموات ، وقد كنت لمدة سبعة عشر سنة أنس بمحضره الشريف ، فلم أر منه عملاً ولم أسمع منه قولاً لغواً ؛ لأنه كان شديد المراقبة لكلامه .

فكما تلاحظون أن كل ما صدر عن قلمه كان علماً من تفسير الميزان إلى رسائله الصغيرة ، فكلها كانت علماً وفكراً ، عشقاً وعقلاً ، برهاناً وعرفاناً وقرآناً ، وتحقيقاً وتفسيراً وعظماً على المجتمع ، ولوضع الأسس لبناء المدينة الفاضلة .

العارف يرى صور ملكات الأشخاص :

يصل الإنسان في العرفان العملي إلى حد بحيث تفتح عينه البرزخية ، يعني يشاهد الناس طبقاً لسرائرهم وملكاتهم ، فمثلاً يُعد يوم الحشر بالنسبة للناس العاديين من أمور ما وراء الطبيعة ، أما بالنسبة لأهله فإن قيامتهم قامت الآن ، يعني أن القيامة قامت في هذه الدنيا بالنسبة للرجال العظام وأولياء الحق .

وهكذا تسلقوا درجة بعد أخرى حتى وصلوا إلى إمام العارفين والتمتقين ، وإمام الموحدين حضرة الوصي أمير المؤمنين علي عليه السلام ، حيث يقول : «لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ لَمَا

(١) المعنى: أن كلام كل فرد دليل ومخبر عن شخصيته وطريقته في الحياة ، كالوعاء الخزفي ، فالصوت الذي يظهر منه يكون دليلاً على صفته وأنه من الخزف .

ازْدَدْتُ يَقِيناً» ، فَإِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ الَّتِي هِيَ حِجَابٌ عَلَيْنَا لَيْسَتْ كَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِحَضْرَةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

كان العلامة الطباطبائي من العلماء العارفين لهذا المذهب ، وكذلك أخوه الأكبر حيث كان مثيلاً له في العلم والعمل . إلا أنه بقي في تبريز ولم تنهي له ظروف العلامة ، فقد أتى حضرة العلامة إلى قم وأخذ يظهر نفسه من خلال علمه وكلامه ، بينما بقي أخوه في عزله وانزوائه .

فقد كانا رفقاء درس وبحث من البداية حتى النهاية ، ويدرسون الفقه والأصول وسائر العلوم والمعارف الأخرى عند نفس الأساتذة ، وكان كلاهما مجتهدين في الفقه والأصول والعلوم العقلية ، وكانا أيضاً من أهل العمل في العرفان العملي ، فقد كانت عينهم البرزخية مفتوحة في مسير العرفان العملي . ويرون الأشخاص بصورة ملكاتهم ، وقد اتفق لي عدّة مرّات أن أرى مشاهداً في هذا المجال في محضرهم الشريف ، وقد دَوّنت وجمعت بعضها في دفتر خاص .

فالأصل أن تكون العين البرزخية مبصرة . فإذا كانت بصيرتي لا ترى ، فلا بدّ من معالجتها كالعين البصرية ، فلا عجب في الرؤية لأنّ خاصية العين أن ترى ، وأنّ اللازم للبصر وأصل البصيرة هي أن ترى وتبصر . فالعجب إذن في عدم الرؤية ، ولماذا لا ترى .

وتوجد حول موضوع تجسّم الأعمال وحشر الخلائق مطابق ملكاتهم ، الكثير من البراهين والمسائل العرفانية إلى ما شاء الله من القرآن الكريم والتفسير والجوامع الروائية عن أهل بيت العصمة عَلَيْهِ السَّلَامُ . وفي الكتب العقلية والعرفانية ، وخلاصة ذلك نجده في الشعر الجميل الذي نظمه العارف الكبير الملا الرومي :

ای دریده پـوستین یوسفان

گرگ بر خیزی از آن خواب گران

گشته گرگان آن همه خوهای تو
 می درانند از غضب اعضای تو
 آن سخنهاى چو مار و کژدمت
 مار و کژدم گردد و گیرد دمت
 سیرتی که اندر نهادت غالب است
 هم بدان تصویر حشوت واجب است^(١)

فلکل شخص شكلاً مطابق لملكاته ، والأفراد الذين تراهم في الطريق بهيئة الإنسان ، قد يراهم شخص آخر بهيئة أخرى إذا كانت عينه البرزخية مفتوحة ، وبالطبع فهم أناس ساكتون وهادئون ولا يكشفون ذلك الحجاب لأنه ليس لهم الحق في كشفه .

لعل هذه الخاطرة التي أذكرها الآن قد قرأتموها في كتاباتي الأخرى ، أو سمعتموها في أقوالي السابقة ؛ وهي أنني عندما ذهبت بمفردي إلى محضر حضرة آية الله جناب الشيخ محمدتقي الأملي (رضوان الله تعالى عليه) وقد كان أحد أساتذتي أيضاً ، وكان ذلك اليوم عطلة ، فتناولنا أطراف الحديث ، وقال عندما كنا في النجف الأشرف كنا نتلمذ أنا والعلامة الطباطبائي ومجموعة أخرى عند حضرة آية الله الحاج السيد علي القاضي (رضوان الله عليه) ، وكان للعلامة الطباطبائي في ذلك الوقت في النجف مكاشفات عجيبة ومحيّرة ، وقد أخبرني بها نفس الشيخ الأملي في زمان حياة العلامة الطباطبائي ، وقال لي حجة الإسلام حضرة السيد مهدي القاضي (رضوان الله عليه) وهو ابن حضرة آية الله القاضي : « كان أبي يقول لي مراراً : إن الإنسان لا بدّ أن يتدرّج في صعوده البرزخي حتّى يعلم أسرار الحروف وأسرار

(١) المعنى: أن كل ما يفعله الإنسان من خير وشر يعود عليه مرة أخرى ، وأن سيرة الإنسان وسلوكه في الحياة الدنيا تنعكس عليه ويحشر بتلك الصورة والخصال في الحياة الأخرى .

الكلمات ، ويطلع على حقائق الأشياء ، فلا بد أن يتدرج في صعوده البرزخي ويخرج من هذه الحالة الطبيعية والعادية للناس العاديين .

وهناك أيضاً روايات في هذا المجال ينقلها أئمتنا عن حضرة المسيح عيسى عليه السلام ، أنه قال : « لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين »^(١) ، فإذا لم يولد الإنسان مرة أخرى ، ولم يخرج من هذه العادات المتعارفة الطبيعية والسلوك العادي للناس ، فإنه لا يتمكن من الوصول ومعرفة ملكوت العالم .

نعم ، لقد كان العلامة وأخوه الأكبر متنعمين بهذه النعمة الإلهية ، وكانوا حقاً مصداقاً لهذا الحديث الشريف الذي ينقله الديلمي في إرشاد القلوب عن حضرة رسول الله ﷺ ، حيث قال : « إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنًا وَمَعْدِنَ التَّقْوَى قُلُوبُ الْعَارِفِينَ »^(٢) .

وحقاً كان قلب هذا الرجل العظيم معدن التقوى ؛ لأنه كان شديد المراقبة لنفسه ، فكان هذا محور اهتمامه دائماً ، ويقول : « اجعلوا لكم في الليل والنهار وقتاً لمحاسبة أنفسكم ، وانظروا ماذا فعلتم ، وكيف قضيتم هذه الأربع والعشرين ساعة ، فكونوا أهل محاسبة ، كما يحسب التاجر والكاسب كسبه ومصرفه ، صادراته ووارداته ، انظروا ماذا جمعتم في هذا النهار والليل ، وماذا قلتم ، بل دققوا واحسبوا كل تصرف وقول واحداً بعد الآخر ، واستغفروا لأخطائكم واسعوا أن لا تكرر ، وكونوا شاكرين عن كل عمل صالح ومطابق لحكم العقل ، حتى يصبح تدريجياً التخلق بالأخلاق الإلهية ملكة عندكم ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾^(٣) .

لقد كان العلامة مراقباً لنفسه دائماً ، ولم يكن يغفل عن الله ، وكان واضحاً

(١) إثنا عشر رسالة / المحقق الداماد : ٨ : ٩٢ ، طبع مكتبة السيد الداماد .

(٢) إرشاد القلوب / الديلمي : ١ : ١٥ ، ب (١) ، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار / أبو علي الفضل الطبرسي : ٤٤٧ ، مطبعة الحيدرية - النجف الأشرف .

(٣) الحشر : ١٩ .

في تصرّفه وكلامه أنّه في مقام ومكان آخر، فبرغم أنّ الصورة الظاهرية لجسمه كانت مع الآخرين إلّا أنّه كان واضحاً أنّه جالس في محضر آخر.

وحول هذا الموضوع يقول في مصباح الشريعة: «العارف شخصه مع الخلق، وقلبه مع الله...، ولا مؤنس له سوى الله، وهو في رياض قدسه متردّد، ومن لطائف فضله متزوّد...»^(١). فهكذا إنسان مراقب لنفسه وعلى أثر هذه المراقبة يتّصف تدريجياً بالصفات الملكوتية ويصبح ذلك له خلقاً وملاكة.

أساتذة للعلامة الطباطبائي في العرفان النظري:

في العرفان النظري كان من تلامذة آية الله الحاج السيّد عليّ القاضي، وأستاذه الآخر حضرة آية الله العالم الرباني السيّد حسين بادكوبه.

وقد تعلّم المرحوم العلامة الطباطبائي الكثير من هذين الأستاذين الكبيرين، وكان الكثير من أساتذتنا أيضاً الذين تتلمذوا في محضر هذين العالمين الكبيرين في النجف، يذكرونهم باحترام وتعظيم.

وتوجد ترجمة هذين العالمين العارفين الربانيين السيّد القاضي والسيّد حسين بادكوبه في مذكرات وكتب العلامة الشيخ آقا بزرك الطهراني (رضوان الله عليه)، وقد ذكرنا ذلك في بعض كتاباتنا.

وقال العلامة الطباطبائي: «إننا كنّا ندرس تمهيد القواعد عند المرحوم بادكوبه». وتمهيد القواعد هو أوّل الكتب العرفانية، ويدرسونه عادة قبل شرح فصوص القيصري، ثمّ مصباح الأتس، وبعده يدرسون الفتوحات المكيّة للعارف الشيخ الأكبر محيي الدين العربي. وكان آية الله القاضي يُدرّس الفتوحات المكيّة، فعلى كلّ حال كان المرحوم العلامة متبحّراً في العرفان النظري.

(١) مصباح الشريعة: ١٩١، ب (٩١)، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

علاقة العرفان بالقرآن والحديث والحكمة من وجهة نظر العلامة:

إنَّ جميع الرجال الإلهيين والحكماء والعظام . والعرفاء والأشخاص الذين يعملون في سير وسلوك العرفان النظري . يتزوّون بحقيقة واحدة ، وهي أنّ القرآن والعرفان والبرهان لا يفترق أحدهم عن الآخر ، وأنّ القرآن عرفانٌ ، وتعبير مشايخنا : أنّ العرفان تفسير أنفسي للقرآن . وهذا كلام شريف قيم .

فمثلاً: عندما يُسئل بعض العلماء الكبار الذين يُدرّسون الفصوص القيصريّة في شهر رمضان المبارك . ماذا تفعلون في شهر رمضان ؟ فيجيبون مشغولون بتفسير القرآن ، وهذا صحيح ؛ لأنّ الكتب العرفانيّة هي تفسير ذاتي للقرآن المجيد . فكما تلاحظون أنّ بعض التفاسير هي تفاسير روائيّة ، مثل تفسير البرهان . وتفسير نور الثقلين ، وتفسير الصافي ، والدرّ المنثور للسيوطي وبعد ذلك نصل للكتب العرفانيّة التي تكون تفاسير أنفسيّة (ذاتيّة) للقرآن ، مثل كتاب الفتوحات المكيّة ومصباح الأنس ، وهكذا الفصوص وتمهيد القواعد .

وتعبير أحد أساتذتنا ، وهو آية الله رفيعي القزويني (رضوان الله عليه) ، أنّه إذا قرأ إنسان عالم هذه الكتب لرأى أنّها تفسير ذاتي للقرآن . فالقرآن والبرهان والعرفان لا يفترق أحدهم عن الآخر .

وكان العلامة يقول : « إنّ كلّ ما نعلمه قد علّمنا إياه الآخوند » ، (يعني : المآلا صدرا) .

فالمآلا صدرا يقول : « تباً لفلسفة تكون قوانينها غير مطابقة للكتاب والسنة »^(١) ، فالفلسفة غير المطابقة للكتاب والسنة ليست بفلسفة .

ويقول المرحوم الآخوند أيضاً في مكان آخر من الأسفار ؛ لقد قمنا في هذا

الكتاب - ويحمد الله - ببرهنة الحقائق التي قالها مشايخ العرفان ولم يقيموا برهاناً عليها ، يعني أقمنا البرهان على العرفان .

إن مصباح الأنس كتاب عجيب ، فقد برهنوا العرفان في كتب مصباح الأنس وتمهيد القواعد والإشارات و... ، وكان حضرة الآخوند يقول في الأسفار: « لقد وجدنا البرهان للمسائل العرفانية التي لم يتمكن الآخريين من البرهنة عليها » .

مشايخ العلامة في المعقول والمنقول:

الموضوع الآخر الذي نبخته حول العلامة الطباطبائي هو مشايخه في العرفان النظري والعملي ، وكما قلنا سابقاً فإن العلامة قد تتلمذ عند المرحوم آية الله السيد علي القاضي في موضوعي: العرفان النظري والعملي ، وكان المرحوم القاضي إنساناً عظيماً مجتهداً ، قد وصل إلى الفعلية في العرفان .

ومن مشايخه الآخريين المرحوم آية الله السيد حسين بادكوبه ، فبالإضافة إلى استفادتنا الشفاهية من العلامة الطباطبائي ، فقد ذكر في سيرته الشخصية أننا قد استفدنا من هذين العالمين الكبيرين في المنون العقلية ، وأما في العلوم النقلية فلا بد من ذكر اسم علماء مثل المرحوم آية الله النائيني ، والرحوم آية الله السيد أبو الحسن الإصفهاني ، والرحوم آية الله الكمباني ، وفي الواقع قد استفاد من المرحوم آية الله الكمباني في المعقول والمنقول أيضاً .

والحق أنه لا بد من القول: إن العلامة الطباطبائي كان لطفاً إلهياً في تأسيس المعارف والأصول الجعفرية الحقّة في عصرنا ، فقد وهب الله وجوده الشريف وهو من ﴿ أَصْلَهَا ثَابِتٌ وَقَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُمَّكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾^(١) للحوزة العلمية وبلدنا الإسلامي ، وشعبنا ، فكان وجوداً مباركاً بحق .

فقد قضى عشرين سنة في تفسير القرآن بالقرآن ، وكان هذا التفسير مدعاة فخر عالم العلم ومدعاة فخر الحوزات العلمية وكتاب القرن ، بل كتاب الدهر ، وهذا يحتاج إلى طهارة الروح ، كما جاء في تعبير نفس القرآن : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾^(١) .

فالإنسان لكي يترقى ويتسامى في وجوده من خلال معرفة حقائق القرآن ، يعني الروح الإنسانية المجردة والعقل المجرد عن المادة وأحكام مادة الإنسان ، ويتمكن من التفكير بهذا الكتاب المكنون ومشاهدة أصل الحقائق القرآنية ، ويأخذ علمه منها فينقله إلى عالم الخيال ، ثم تجري على قلمه لكتابتها ، كل ذلك لا يمكن أن يتحقق بدون الطهارة ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ، فهذه الروح الطاهرة للعلامة الطباطبائي التي كانت نتيجة لتقواه وجدّيته في الدرس والتعليم وخدمته في محاضر العلماء والمشايخ الكبار واستعداده وقابليته العالية واعتدال مزاجه وفكره ، قد أدت جميعها إلى توفيقه في القيام بهذه العمل العظيم . إن من سعادة الإنسان المتعلم وطالب العلم أن يدرس عند مشايخ عظام ، وقد كان للعلامة الطباطبائي حظاً وافراً في هذا الجانب .

فإدراك محاضر المشايخ الذين طووا الطريق ، وساروا فيه ، وتجاوزوا المصاعب ، وسلكوا في المراتب العرفانية للوصول إلى الحق ، وجدّوا واجتهدوا في ذلك ، يعتبر توفيقاً عظيماً للإنسان ، فإذا كان لهذا الإنسان نفساً مستعدة لتمكّن من الارتقاء والوصول إلى المراتب العليا ، وقد استطاع العلامة الوصول والارتقاء لهذه المراتب ، وأفضل دليل على ذلك هو آثاره ومؤلفاته .

على كلّ حال كانت هذه نظرة عابرة عن شخصيّة يحتاج التعرف على أبعاد وجودها إلى تأمل أكثر وفرصة أكبر ، فما قلناه كان تذكير بأولياء الله ؛ لأنّ ذكرهم سبب

للبركة ويمنح الإنسان الصفاء والاطمئنان .

محاورة مع العلامة الأملي حول شخصية العلامة الطباطبائي :

السؤال : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، نطلب من حضرتكم كأول سؤال أن توضّحوا لنا ما هي الأفكار والآراء والابتكارات الجديدة التي أدخلها العلامة الطباطبائي إلى الفلسفة ، إضافة إلى الفلاسفة والحكماء الماضين ، مثل أبو علي ابن سينا ، والملا صدرا ؟

الجواب : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أسأل الله أن يوفّقكم أيّها السادة على طريق إعلاء المعارف الإلهية الحقّة ، والتعريف بالرجال الإلهيين ، والعلماء الربانيين ، وإن شاء الله يستجاب دعائنا في حقكم .

لقد كان العلامة الطباطبائي رضوان الله تعالى عليه مجتهداً في العلوم العقلية والنقلية ، كما كان مجتهداً في الحكمة المتعالية ، ومجتهداً ومستنبطاً في الفقه والأصول ، وكان صاحب قلم وكاتباً ماهراً في علم الأدب ، يكتب بشكل متين ومحكم بالعربية ، وفصيح وبلغ بالفارسية . وكان لديه موهبة إلهية أيضاً ، يعني كان صاحب طبع لطيف ، بحيث يمكن اعتباره من الشعراء الكبار والفنانين الماهرين ، ولأنه يتمتع بطبع لطيف فهذا يعني أنّ لديه روحاً لطيفة وفكراً شريفاً ، وكما كان يستخدم أسلوباً لطيفاً في شعره ونثره كان له أسلوباً لطيفاً خاصاً أيضاً في آثاره الوجودية الأخرى ، فمثلاً يمكن اعتباره في المقدمة والصدارة في حُسن الخطّ ، فإنّ له خطاً ممتازاً ، ولم يكن يكتب بخطّ جميل فقط ، بل كان ممتازاً في ذلك ، وله قصيدة في آداب حسن الخطّ .

وبالإضافة إلى أنّ العلامة كان مجتهداً في العلوم العقلية والنقلية فقد كان له أيضاً يد في العلوم الأخرى غير المتعارفة في الحوزات العلمية ، وسأوضح ذلك لكم .
والآن نعود إلى سؤالكم الذي طرحتم فيه موضوعاً مهماً جداً ، فأقول : إنّ الحكمة

المتعالية (الأسفار) هي بحر يقوم على أساس مسائل قرآنية وإسلامية وإنسانية محكمة ومهمّة وقيّمة جداً، وكلّها ناطرة لحقيقة واحدة، وقد تمّ البرهنة في هذا الكتاب العظيم على الحقائق العظيمة لمشايع العرفان، فهو كتاب فلسفة، وفلسفة بالمعنى الذي أوّضحه لكم: لقد أطلق المرحوم المألا صدرا على أسفاره اسم الحكمة المتعالية، وهو الاصطلاح الذي أشار إليه حضرة الخواجه في (شرح الإشارات) للشيخ الرئيس، حيث إذا كانت العلوم العقلية لا تستند إلى المشاهدات والمكاشفات والسير والسلوك فهي حكمة وفلسفة، لكن لا يطلق عليها متعالية. وإنما يطلقون متعالية إذا كانت مصحوبة بالوجدان بالإضافة إلى البرهان، فبالإضافة إلى وجود البرهان والمعرفة فقد كان نفسه واصلاً متدوّقاً، ولهذا كانت الأسفار حكمة متعالية، فهو يقول في مواضع متعدّدة من الأسفار أنه إضافة إلى البرهان قد حصلت لنا مشاهدات أيضاً، ووصلنا في السير والسلوك، وقد كان يكتب ذلك في المتن بعض الأحيان، وأحياناً أخرى في الحاشية بقوله: «منه». وقد نقلت هذه الحاشية في بعض كتاباتي حيث توجد نسخة من الأسفار تحتوي على الهوامش التي كتبها ذلك العالم. وقد ذكرنا هذا الموضوع في بحث اتحاد العاقل بالمعقول في كتاب اتحاد العاقل بالمعقول.

الوصول بالسير والسلوك:

قال صدر المتألهين: «في يوم الجمعة أصبح عمري عدّة سنوات (وذكر تاريخه)، أتيت من كهك إلى قم (كنت أسكن في كهك ذلك الوقت) لزيارة حضرة السيّد فاطمة المعصومة، وقد أفاض الله عليّ بهذه الحقيقة وهذا المعنى بجوار تربة باب الحوائج إلى الله». وحينئذٍ قام بذكر وصوله هذا مع البرهان، حيث كان يشير إلى حالاته ومشاهداته في المرحلة العاشرة من الأسفار.

فمثلاً: يقول أحياناً: «لا تجدوا هذا الموضوع في كتب أخرى»، ولا يقول:

«أفيض علينا»، فهو - وخاصة في هذا الموضوع - لا يذكر لفظ «أفيض» في الأسفار، وإنما يقول: «لا تجدوه في كتب أخرى»، وبعد ذلك يشكر الله ويقول: «الحمد لله رب العالمين».

ويقول المرحوم الحاج السبزواري في الهامش وفي تعليقه: «عندما يشكر ويحمد الله» يعني يقول: «نعم، نعمه قد وهبنا الله إيّاها».

لقد كان لهذا الكتاب الذي تكلمنا عنه بهذا الإجمال، مكانة عظيمة، فهو أسفار وحكمة متعالية أيضاً، وكلا الاسمين لهذا الكتاب، وكان أستاذنا المرحوم حضرة آية الله رفيعي القزويني (رضوان الله عليه) يقول: «إنّ هذا الكتاب هو حكمة متعالية بلحاظ جمعه ولفظه ومنتنه وقضائه، وهو أسفار بلحاظ تفسيره وشرحه وبسطه، مع أنّ لفظ الأسفار يؤيد هذا القول أيضاً».

والآن أتكلّم باختصار عن الفلسفة ثم نعود للحديث حول سؤالكم.

من هو الفيلسوف الواقعي؟

كثراً نرى في وقتنا، وخاصة في الفترة الأخيرة، أفراداً - ولعلّهم ما زالوا موجودين إلى الآن - لديهم اطلاع في السيرة الذاتية للفلاسفة، فأولئك قد جمعوا المعلومات عن حياة العلماء الكبار من الكتب والمذكرات والتراجم، فيطلقون عليهم (فيلسوف)، أو إذا جاءوا من الغرب - مثلاً - يطلقون عليهم مستشرق وفيلسوف.

فمن هو الفيلسوف؟ الفيلسوف هو الذي يستطيع فهم (الشفاء) للشيخ الرئيس، لا ذلك الشخص الذي ليس لديه اطلاع عن (شفاء) الشيخ، ولا عن إشارات الشيخ، ولا حتّى عن كتبه الأخرى. فهو يعلم فقط - على نحو الإجمال - عدد كتب الشيخ الرئيس، ومتى كتبها، ويعلم آثاره القلمية والأوضاع السياسية في ذلك الوقت، وأشياء أخرى من هذا القبيل. وكذلك يجمع المعلومات عن الخواجه نصير الطوسي - مثلاً - ومعلومات عن العلماء الآخرين، ثم يطلقون على هذا الشخص

(فيلسوف)، أو لعلنا نجد بعض الأفراد الذين ساروا قليلاً على الساحل في الأمور والمسائل الطبيعية، لا أنهم غاصوا في بحرهما، أو نزلوا إلى قاع هذا البحر، وعلى هؤلاء أيضاً يطلقون (فيلسوف)، وإتنا نسمع ذلك خاصة عن العلماء الغربيين فيقولون الفيلسوف الفلاني لمجرد أنه سلك قليلاً في المسائل الطبيعية، أو إذا كان قد سلك في الإلهيات، فبمقدار ضعيف جداً لا يعادل شيئاً بالنسبة لمشايخ علمائنا، وعلى هذا أيضاً يطلقون اسم (فيلسوف). لكن المرحوم الفارابي (رضوان الله تعالى عليه) يرى أن: «الفيلسوف الكامل إمام».

فهذا الفيلسوف الكامل هو إمام، وإن كل فكره وجهته أن: الفلسفة علم بأعيان أحوال الموجود، والفيلسوف الكامل يعني ذلك الشخص العالم بأعيان أحوال الموجودات، ولو تذكروا هذا المعنى أمام أحد العرفاء، بأن الفيلسوف يقول: الفيلسوف الكامل إمام، لقال العارف العارف: «نعم، إنهم يقولون الفيلسوف الكامل إمام، ونحن نقول: إن خليفة الله هو الشخص الذي يبين حقائق الأسماء»، يعني أن محتوى ومراد ومقصود كلا الاثنين واحد، ولكن يوجد تفاوت وتباين بينهما في اللفظ حسب الظاهر، فذلك يقول: «الفيلسوف الكامل إمام»، وهذا يقول: «هو الفرد الذي يكون مبيناً لحقائق الأسماء الإلهية، وهادياً للناس، وواسطة للفيض».

ولو نعرض كلا المعنيين والاصطلاحين على المنطق والوحي والقرآن والروايات، نرى أن القرآن يقول: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾^(١)، ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾^(٢)، فالإنسان الكامل، والفيلسوف الكامل، والمبين لحقائق الأسماء هو الفرد الذي يكون مظهراً للكمال ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾.

ولو تلاحظون الكتاب الشريف للفارابي (المدينة الفاضلة)، لترون أن محور

(١) يس: ١٢.

(٢) البقرة: ٣١.

كلامه هو أن المدينة الفاضلة لا تتحقق إلا إذا كان إمامهم وقائدهم وهاديهم يتصف بمواصفات ذلك الشخص ، وهذا المعنى هو الذي نقوله نحن الإمامية : بأن الأرض لا يمكن أن تخلو من حجة ، وأن الإنسان الكامل هو المبيّن لحقائق ذات الأسماء ، وقلبه وعاء لحقائق القرآن ، وأنه كلام الله الناطق ، ولا بد أن نجد أسرار القرآن في جدول نهر نيل وجوده . فهذا الشخص هو حجة الله وإمام معصوم ، يعني أمير المؤمنين يعني وسائط أخرى للفيض الإلهي ، يعني أناس كاملون : « إذا شاءوا أن يعلموا ، علموا »^(١) ، بسبب تلك النفس القوية والمكتفية والكاملة والقدسية التي لديهم .

« ما طبيبانيم وشاگردان حقّ بحر قلزم ديد ما را فانفلق »^(٢)

فكلما سلط نظره على شيء لعلمه ، وكلما وجّه فكره نحو شيء لحصل عليه دون الحاجة للرجوع إلى كتاب ما ، لأنهم بأنفسهم كتب ، وعندهم اطلاع كامل بلغة كتاب تكوين نظام الوجود ، فلا يحتاجون إلى أن يسألوا أحداً أو يرجعوا إلى كتاب ما .

غواص في محيط المعارف والعلوم الإسلامية :

العلامة الطباطبائي هو ذلك الرجل العظيم ، والغواص في بحار المعارف ، وكان قد وصل إلى عمق المطالب العرشية لأسرار الحكمة المتعالية لحضرة صدر المتألهين ، فكان مجتهداً بحق في هذا الفن . وفي كلمات الشيخ الرئيس ، سواء منطقته أو فلسفته وحكمته . وقد درس الشفاء عند أستاذه العظيم السيد حسين بادكوبه ، وخلاصة غرضي وقولي أن العلامة الطباطبائي كان مجتهداً وصاحب نظر

(١) الكافي / الشيخ الكليني ١ : ٢١٦ ، طبع دار الأضواء - بيروت ، خاتمة المستدرک / الميرزا النوري ٥ : ٤٣٤ ، طبع مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم .

(٢) المعنى : نحن أطباء وتلامذة الحق ما أن رأنا بحر قلزم حتى انفلق لنا ، كما انفلق لموسى بن عمران في زمان فرعون . بحر قلزم : هو البحر الذي انفلق لموسى .

في حكمة (المشائية)، ومجتهداً أيضاً في حكمة (الإشراق)، وكان مطلعاً بدقائق أفكار (المشائية)، ومستنبطاً وصاحب نظر في حكمة (الإشراق)، ووصل إلى حقيقة أقوالهم، وكان أيضاً مجتهداً بحرّ في الحكمة المتعالية.

وبالإضافة إلى هذا الكمال العظيم للعلامة ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾^(١)، فقد كان صاحب سير وسلوك ومراقبة كاملة وعجيبة وقوية جداً، وقد دوّنت في دفتر مذكراتي أنه عندما كنت في محضره الشريف جرى الحديث بيننا حول مواضع العرش والأسرار والمواضع الدقيقة الإلهية المتعالية، فقال:

« يا سيّد، إن هذا ما علمنا إياه الملاً صدرا ». وقد استطاع نتيجة لهذا التبخر في الحكمة المتعالية وتسلّطه على المواضع المتعالية في كتب الشفاء والإشارات وحكمة الإشراق، أن يؤلّف ويصنّف كتابين مختصرين وعزيزين باسم (البداية) و (النهاية) في الحكمة.

ونريد أن نذكر الآن بعد حضرة الآخوند الملاً صدرا، أسماء بعض المشايخ الذين كان لهم معرفة وتسلّط في فتوحات ذلك الشيخ العظيم، وكذلك في كتب (الفصوص) و (المصباح) و (التمهيد)، وهي كتب العرفان الدراسية الأربعة، ولهم المعرفة الكبيرة في دورة الحكمة المتعالية. و (شفاء) الشيخ، و (الإشارات)، وكذلك بالأفكار الأصلية والتقديمية للحكماء الإلهيين في أصول العقائد الإنسانية، بحيث وصلوا إلى عمق تلك الكتب. فبعد اسم الملاً صدرا نستطيع أن نذكر في كلّ عصر وقرن عدداً قليلاً من العلماء والمشايخ.

فبعد الآخوند كان من تلامذته - مثلاً - حضرة فيض وفتاى وغيرهم. ويذكرون مثلاً الحكيم الملاً عليّ نوري إلى أن يصلوا إلى الميرزا محمد رضا قمشه، والميرزا هاشم الأشكوري، والسيد حسين بادكوبه، وهكذا حتى نصل إلى هذا الزمان،

فتجد عدد من العظماء في أرجاء البلاد المختلفة ، مثل الميرزا مهدي آشتياني ، وحضرة الأستاذ الكبير الميرزا أحمد الآشتياني ، وحضرة أستاذنا الكبير المرحوم السيد أبو الحسن القزويني ، وحضرة الحاج الميرزا أبو الحسن الشعراني ، وحضرة المرحوم العلامة الطباطبائي وأخوه الأكبر السيد محمد حسن إنهي الطباطبائي ، وقبلهم المرحوم علي المدرّس صاحب (بدائع الحكم) . وغيرهم من العلماء الذين يعيشون في مختلف مناطق ايران ، فقد كان عددهم قليل جداً ، فهم رجال علم استطاعوا تحمّل ثقل هذه المعارف والعلوم . فكانت أرواحهم وصدورهم وأفكارهم ممتلئة بهذه الحقائق والمعارف الإلهية . فنشروا بذور هذه المعارف ، وكذلك حفظت هذه السلسلة من العلماء واحداً بعد الآخر هذه العلوم والمعارف التي هي تفسير أنفسي للقرآن وأصول الدين ، وأساس وأصول ترقّي وتعالّي الإنسان .

فهم كما وصفهم أمير المؤمنين حضرة الوصي عليه السلام في نهج البلاغة حيث قال : « وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ »^(١) ، فقد وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام بأنهم كالمزارعين الذين ينثرون بذور المعارف في النفوس المستعدة ، فهي مزرعتهم . فحفظوا دين الله واحداً بعد الآخر بقلمهم ولسانهم بالتدريس والتربية والتأديب .

وبعدّ حضرة العلامة الطباطبائي من هؤلاء العظام ، فقد أدرك أعماق هذه الحقائق ، وكان مجتهداً في هذه العلوم العقلية ، واستطاع أن يفهمها ويدركها جيّداً ، فكان مستنبطاً وصاحب نظر وفكر ، فكان واصلاً يدرك كنه الكلام ولم يكن حاوياً للعلم فقط ، بل واصلاً متذوّقاً وأهل نظر ورجل استنباط وأهل فكر . وكان أيضاً - وبهذا التعبير القصير - مجتهداً في العلوم النقلية والعقلية .

سؤال : المعروف أنّ من الخدمات القيمة للعلامة الطباطبائي هي تعيينه لحدود

(١) نهج البلاغة / ابن أبي الحديد - قصار الحكم ١٤٧ : ٣٧٤ ، ط . دار التعارف للمطبوعات -

وثغور الفلسفة الإسلامية ، يعني تجنّب ما يصطلح عليه التطع غير الدقيق الذي ارتكبه بعض الفلاسفة الماضين ، وحدّد بدقّة مكان العقل والدين ، ولعلّه كان أحد الأسباب الرئيسيّة لازدهار ورونق الأفكار الفلسفيّة في حوزة قم العلميّة ، فهل يمكن أن توضّحوا لنا هذه المسألة (تشخيص موقع الفلسفة بين المعارف الإسلاميّة) ؟

الجواب : أودّ أن أوضح لكم أنّ سؤالكم هذا يعتمد على هذا الأمر ، وهو : أنّه لا فرق بين البرهان والعرفان والقرآن في نظر أهل المعرفة ، وفي عين التوحيد للعلماء الإلهيين ، فقولكم يعتمد على هذا الأصل ، وهو سؤال شريف ، وأمر مهمّ جداً ، حتّى أنّ العلامة الطباطبائي كان بصيرٌ ويؤكد أنّ الشخص الذي يريد الفصل بين الفلسفة والدين يكون قد ارتكب ظلماً عظيماً ، فدين الله لا يتفصل عن الفلسفة أبداً ، لأنّ الفلسفة - وكما وضّحت في السؤال الأوّل - ليست مجرد اصطلاحات في الأمور الطبيعيّة ، بل هي برهان والوصول إلى الحقائق بالبرهان ، وأنّ دين الله برهان ودليل ، فحاشا وكلاً أن يكون لمنطق الوحي حكم دون برهان ، والفلسفة هي برهان الحقائق .

ونلاحظ أنّ السفراء الإلهيين ، وهم أئمة ديننا وأئمّتنا المعصومون ، حيث كان كلّ واحد منهم وعاء لحقائق القرآن ، وهم كلام الله الناطق ، كانوا يتحدّثون مع الناس بالبرهان والاحتجاج ، فالأسئلة التي كانت تطرح عليهم ، وبشهادة كتبنا الروائيّة ، كانت كلّها احتجاج ، كلّها فلسفة وبرهان ، وكلّها عرفان ، وكلّها قرآن ، كلّها صانعة للإنسان ، وبرنامجاً لرقّيّ وسمو الإنسان ، ومن هذه الكتب الروائيّة تلك الكتب التي كتبت بشكل خاصّ في الاحتجاج ، مثل : (احتجاج الطبرسي) ، (احتجاج البحار) ، فقد كان الأئمة الأطهار عليهم السلام والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، وحتّى نفس القرآن ، يستخدمون الاحتجاج في كلامهم وفي مواضيع مختلفة . فالاحتجاج برهان ، وبالطبع احتجاج بالتي هي أحسن ، لأنّه حاشا للأنبياء والسفراء الإلهيين أن يتحدّثوا مع الناس إرضاءً لأنفسهم ، فهم مؤدّبون بالأداب الإلهيّة ، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أدبني ربّي

فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي»^(١).

فهم يرون الخلق مظهر الأسماء والصفات الإلهية، وهم الآباء العطوفون للناس، ويريدون أن يُثمر غرس وجود الناس لهذا فهو منزّهون عن السفسطة، ومعصومون من الأفكار الفاسدة، والتفوّه بالسفسطة. وقد أيدهم الله فقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢).

وفي هذه الكتب التي كتبت حول الاحتجاج وغيرها من المجامع الروائية، مثلاً في أصول الكافي، في كتاب (التوحيد)، وفي كتاب (الحجة)، وفي كتاب العقل، في أصول العقائد هذه، نجد أنّ الأئمة عليهم السلام عندما كانوا يتعرّضون لأسئلة الناس لا يصدر منهم القول البذي أو الشتيمة أو الكلام الخشن، بل كلّ ما يصدر عنهم من كلام هو برهان، ونور وعلم، وهذا البرهان والنور والعلم فلسفة كاملة، بل كمال الفلسفة وحقيقة الفلسفة.

وأما سؤالكم حول حضرة العلامة الطباطبائي، نعم هو والحكماء الإلهيون تلامذة هذا المذهب، فهم ينتفسون الفلسفة. ويتحدّثون الفلسفة، فأصبحوا في الأفق الأعلى، ليس بحده الطبيعي. ولا أن أقول: «البحث عن المادة خطأ»، فهذا مرحلة من الوجود أيضاً، بل كلامي هو: «ليس حصر في هذا الحد»، لا كما ترون، قديماً وحديثاً، بعض الأفراد المختصين بالمسائل الطبيعية، أنّهم في الأصول الطبيعية والمسائل الطبيعية مع أحد الأفراد الإلهيين، مثلاً هل الجسم مركّب أو بسيط، مؤلّف من أجزاء صغيرة صلبة، والجزء الذي لا يتغيّر من أجزاء الذرّة أم لا؟ وفي خلق الكائنات، ما هو الرعد؟ ما هو البرق؟ وكيفيّة نشوء الغيم والمطر والندى والقوس قزح وغيرها من هذه الأمور؟ فالفيلسوف الطبيعي يكون مصاحباً

(١) بحار الأنوار / الشيخ المجلسي ١٦: ٢١٠، ب (٩)، طبع دار إحياء التراث العربي -

بيروت.

(٢) النحل: ١٢٥.

للفيلسوف الإلهي حتى يصلوا إلى هذه العقبة ، وهي معرفة النفس .

عقبة معرفة النفس :

لنتجاوز الآن الطبيعة ونحزم أمتعنا نحو العالم الإلهي وما وراء الطبيعة . وأول باب يجب تجاوزه للانتقال من الطبيعة إلى ما وراء الطبيعة ، وحتى يُفتح لنا هذا الباب الذي هو في بداية السير والسلوك الإنساني . لا بد أن نجد طريقاً لما وراء الطبيعة من خلال باب معرفة النفس . وعندما يصبح إلهياً مدركاً ويتجلى سلطان الملكوت أمام عينه الموحدة سيرى أن الملكوت في كل مكان في حال تدبير وإدارة ، وأن إرادة الملكوت هي التي تدير ذلك . ففي هذا المقام يصل كل شيء . العلم والرؤية وسير التكامل إلى الكمال . بحيث يصبح في حال سفر من (الحق إلى الخلق) حتى يصل إلى هذه الدرجة . وفي بداية الأمر لا بد من السفر من باب النفس إلى ما وراء الطبيعة ، فإلى هذه العقبة يكون الفيلسوف الطبيعي مرافقاً للفيلسوف الإلهي ، لكن بعد ذلك يتركه الإلهي ويسافر وحيداً نحو عالم الطبيعة وديار المرسلات ، فالعالم الطبيعي الذي يدور في عالم الطبيعة ، فإنه يسير ويذهب . فطريقه طويل وغير مستقيم ، فلهذا لا يكون سفره ارتقائياً . أما الحكماء والفلاسفة الإلهيون ، كما طرحتم في سؤالكم . فهم في كنف منطق الوحي ، وأن كل كلام وموضوع عندهم يكون منطقاً للوحي ؛ لأنهم قد وصلوا إلى البرهان ، وإلى الوجدان . إلى العرفان ، وإلى نور العلم . فالكلام في ذلك العالم وليس في هذا العالم .

فكل سعي وجهد الفلاسفة الإلهيين أن يصلوا ويفهموا هذا البرنامج الصانع للإنسان والمجتمع ، والذي هو صورة مكتوبة للإنسان الكامل ونظام الوجود . والبرنامج الوحيد لبناء الإنسان ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ ﴾^(١) ، يريدوا أن

يفهموا هذا الكتاب ، ويغوصوا في بحره . وقد استطاع العلامة الطباطبائي أيضاً أن يصل بنحو أفضل إلى هذا الهدف والغرض الإلهي ، فقد تمكن أن يصل إلى هذا الهدف بالإضافة إلى تأليفاته ، وتصانيفه ، وتدرسه ، وسيره ، وسلوكه ، وتربيته الأبوية لتلامذته .

فقد كان وجوده خير محض (رضوان الله تعالى عليه . وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً) . فكتب الكتاب الشريف (الميزان) في مدة عشرين سنة . وهذا مدعاة لمباهاة وافتخار عالم العلم . بالإضافة إلى أنه قد قال قبل كتاب تفسير الميزان : « لقد كتبت عدة كتب حول أمهات وأصول المسائل الإنسانية والقرآنية والإيمانية للمجتمع البشري . والتي وضحت جميعها منطلق النوحى ، فقد كتبت عدة مجلّدات وأخذت بنظر الاعتبار مواضيع خاصة فيها . فكان كلامه :

« كنت أفكر أنه لعلي لا أوفق في تفسير كل القرآن . فتمت في البداية بالغوص والعوم في هذه المواضيع الخاصة . وبعد ذلك بدأت بتفسير القرآن » . وقد وفق في ذلك - والله الحمد - . بالإضافة إلى تأليفه كتب أصيلة أخرى مثل : (البداية) و (النهاية) . فالعالم هكذا كل ما يصدر منه ، ومن قلمه الشريف ، ومن بيانه وتدرسه . ومن آثار وجوده الأخرى . كلّها خير وكلّها نور .

وأما قولكم إنه قد بدأ بهذا العمل المؤثر في الحوزة ، وبسط هذه المائدة ، ونشر هذه العلوم فيها ، فبالطبع كان كذلك . فكما يجب علينا أن ندرس - مثلاً - (المغني) و (شرح الجامي) و (المطول) و (شرح النظام) في العلوم الأدبية ، وكذلك ندرس - مثلاً - (السيوطي) و (شرح الشافية) . وكذلك في العلوم الأخرى . مثل الرياضيات والفقه والأصول لا بدّ من دراسة كتب أخرى . وهكذا أيضاً في أصول العقائد القرآنية ، حيث نحتاج إلى كتب خاصة وأساتذة خاصين فإنها أصل . فهي أصول العقائد الإنسانية والفروع متفرعة عن هذا الأصل .

فكان هذا دأب حكماننا الإلهيين ، فأنتم ترون المرحوم الفارابي الذي كان العلامة الطباطبائي نفسه يعترف جداً بمقامه الشامخ ، ويرى أن الفارابي معجون من الشيخ الرئيس والملا صدرا ، وكان أيضاً ينقل هذا الكلام عن أساتذته أن الفارابي رجل عظيم ، وكما جاء حوله في تاريخ (ابن خلكان) : « كان أكبر فلاسفة المسلمين » ، فهو من أعظم ومفاخر علماء الإمامية ، بل من مفاخر عالم الإسلام والعلم ، فقد وجد في كتابه الشريف المعروف باسم (فصوص الحكيم) أن زبدة وعصارة أصول العقائد الإنسانية مطابق لمنطق الوحي في أصل الكتاب وشرحه وكلاهما بقلمه الشريف في أربعة وسبعين فصلاً ، فيذكر في هذه (الفصوص) كيفية النفس القدسية للنسوة ، وكيفية الوحي ، وكيفية نزول الملك ، وبأي شكل يكون الإعجاز ، وكيف تكون هذه النفس التي « لا يشغله شأن عن شأن » ، ويذكر أيضاً بعض أسماء الله .

والخلاصة أن الإنسان يحتاج لأن يطبق بالمنطق دورة أصول أساسية في اعتقاده الإسلامي والإنساني ، وقد طبقتها الفارابي في (الفصوص) .

مصائب الحكماء الإلهيين :

إن غرضي من طرح (الفصوص) كشاهد هنا ، هو أن الحكماء الإلهيين واحد بعد الآخر في بيانهم لأصول العقائد الإنسانية ، سواء بقلم العرفان ، مشايخ العرفان ، وسواء بقلم الفلسفة ، فهم مشايخ البرهان ، قد طبّقوا ذلك على المجتمع ، ولو أنه - مثلاً - كان عند بعض المتتقّمين وأهل الجمود أحياناً أقوال في هذا المجال بسبب عدم وصولهم ، وعدم علمهم ، وعدم اطلاعهم بالمعاني والحقائق والمعارف ، أمّا بتعبير العلامة الطباطبائي (رضوان الله تعالى عليه) ، عندما كنت في محضره وجرى الحديث حول ذلك ، فقال : « يا سيّد ، لقد رأى المشايخ كلّ هذه المصائب ، وسمعوا كلاماً قاسياً ، وتعرّضوا لحوادث شديدة ، و... و... آلاف و... ، لكنهم

لم يتخلوا عن كنز عقيدتهم الثمين ، ذلك التفسير الذاتي للآيات والروايات ، فدوّنوا هذه المعارف برغم كل هذه المشاق والآلام والمصاعب .»

وبعد ذلك قال : « فهذا هو الحقّ ، وهذا هو الطريق وجِدُوا أَنْفُسَكُمْ وَتَعَرَّفُوا عَلَى مَنْطِقِ الْوَحْيِ ، حَيْثُ ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ ، حَتَّى تَتَأَدَّبُوا بِالْآدَابِ الْإِلَهِيَّةِ » .

لقد خطا العلامة الطباطبائي هذه الخطوة المؤثرة في حوزة قم العلميّة بسبب استقامته ، وحسن سيره ، وسلوكه ، وحسن سليقته ، وأدبه الإنساني ، ورقة قلبه ، وأبويته العظوفة ، وتمسكه بالولاية ، وكونه من أهل القرآن ، وبحمد الله أنّ شجرة طوبى هذه ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ * تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴿ (١) ، وأنه ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (٢) ، فكان هذا الرجل العظيم كلم طيب ، وكان لذات وجوده كلم طيب . وكان عمله الصالح رافع لهذه الحقائق ، يعني أنه خطى تلك الخطوات المؤثرة في حوزة قم العلميّة بالعلم والعمل ، فكان له -وبحمد الله - وجوداً مؤثراً بحيث ظهرت وستظهر كل هذه البركات من عمل وخطوات ذلك العالم العظيم .

فالسنة الإلهية أن كل شخص يخطو خطوة في طريق الخير ، فما دام هذا الأثر باقي ، وما دامت هذه السنة الإلهية موجودة بحيث تطبق وتعمل بها ، وتُعطي اللذة والثمر وتؤثر بالآخرين ، يكون ثوابها للعامل بها ، وهذا نوع من اللذة ، وثواب لوأضعها ومؤسّسها ، فهو العامل الأول بها . وهذه لذة أخرى دون أن ينقص ذلك شيئاً من الأولى ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٣) .

سؤال : ما هي امتيازات (تفسير الميزان) على غيره من الكتب باعتباره أفضل

(١) إبراهيم: ٢٤ و ٢٥ .

(٢) فاطر: ١٠ .

(٣) الجمعة: ٤ .

تفسير في القرن ، وبتعبير الأستاذ الشهيد المطهري بعنوان (أفضل تفسير للقرآن الكريم من صدر الإسلام إلى الآن في جميع الفرق الإسلامية) ، ويُعد بنظركم (أم الكتاب) تأليفات العلامة الطباطبائي؟ وهل تم الاستفادة من طريقة تفسير القرآن بالقرآن قبل حضرة العلامة أم لا؟

الجواب: أن هذا الموضوع أيضاً ، سؤال مهم جداً جداً ، فهو يتضمن عدّة مواضيع ، ولا بد أن نتحدث حول هذا الموضوع من عدّة اتجاهات ، وقبل الولوج في المباحث المرتبطة بموضوعكم أود أن أوضح لكم أن الله سبحانه حقيقة الحقائق ووجود أحدي صمدي غير متناهي ، وكلماته غير متناهية أيضاً . هو غير متناهي . فكتابه غير متناهي أيضاً ، كتابه التدويني غير متناهي ، وكذلك كتابه التكويني غير متناهي .

لقد وضع الله سبحانه وتعالى لرسوله الأكرم ﷺ أصلاً معيناً ، وقانوناً كلياً ، حيث قال: ﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾^(١) ، فكل شخص يطبق ما عنده في الخارج ، ﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ ، يعني: أن كل شخص دليل على ما عنده ، والآن وطبقاً لهذا الأصل الكلي ﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ فإنه حتى الله غير مستثنى من هذا القانون الكلي ، فكما أنه غير متناهي فأثاره الوجودية غير متناهية أيضاً ، وقد قلت إن كتابه مطلقاً غير متناهي ، سواء التدويني أو التكويني .

إن صاحب الفصوص والفتوحات العارف المشهور (الشيخ محيي الدين العربي) ، في كتابه (الدرّ المكنون والسرّ المكتوم) ، والذي كتبه في (الجفر الجامع) ، قد ذكر كلاماً عن القرآن . فقال: ذلك القرآن الذي كتبت حوله كل هذه التفاسير .

والآن لاحظوا جميع كلامه في شرح حال ناصر الخسروي العلوي: « كان في زمان

الشيخ الرئيس تقريباً» ، وبالطبع فإنه لم يرَ الشيخ . لكنّه رأى تلامذة الشيخ ، فيقول ناصر الخسروي العلوي قبل ألف سنة من هذا: «لقد رأيت في زماني سبعمئة دورة تفسير» ، وتمضي ألف سنة وتلاحظون في كتاب (الذريعة) لحضرة الحاج الشيخ آقا بزرگ الطهراني (رضوان الله عليه) أنّ الإمامية فقط قد كتبوا أكثر من سبعمئة دورة كتاب التفسير غير تلك السبعمائة دورة التي ذكرها ناصر خسرو .

والغرض من كلامي هو أنّ الشيخ العارف (محيي الدين) يقول: برغم كلّ هذه التفاسير التي كتبت حول القرآن وحتى قيام القيامة . وبهذه المعاني الشريفة التي تحملها ، فإنكم ترون أنّ القرآن ما زال بكرّاً . ولم يُكشف معناه كاملاً لحد الآن ، وأنا لا نزال نرى هذا البحر الإلهي اللامتناهي بكرّاً مع كلّ ما يحمله بين طيّاته من المعارف والحقائق ، والشاهد على قوله كلام حضرة الوصي إلى ولده (ابن الحنفية) ، والذي رواه (ابن بابويه) في كتاب (من لا يحضره الفقيه) ، حيث قال: القرآن كتاب «أقرأ وأزق»^(١) . وإلى أي نقطة وصلت فلا تقل انتهى الأمر قد وصلت إلى القمة ، ووصلت إلى ساحله . لأنّ هذا البحر ليس له ساحل ، وهذا الوادي ليس له حافة ونهاية .

غريق بحر وحدت راز ساحل چه می پرسی

که این دریا ندارد ساحل ای نادیده روشنها^(٢)

فهذا البحر ليس له ساحل يا بني (وازق) . وإلى أي مكان وصلت فتسلّق إلى الأعلى ، فهناك أمور كثيرة لم تعلمها ولم تطّلع عليها .

(١) الكافي / الشيخ الكليني ٢: ٥٧٧ ، طبع دار الأضواء - بيروت ، من لا يحضره الفقيه / الشيخ الصدوق ٢: ٦٢٨ ، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية - قم .

(٢) المعنى: أيها الغريق في هذا البحر ، لماذا تسأل عن الساحل ، فهذا البحر ليس له ساحل . أيها الغريق في الظلام الذي لا يرى الواضحات .

الغواص الماهر في البحر الإلهي اللامتناهي :

طرحت هذه المواضيع كمقدمة لسؤالكم . وبالطبع كان هناك علماء كبار قد غاصوا في هذا البحر الإلهي اللامتناهي . وقد استطاع كل واحد منهم - وحسب استعداده - أن يستفيد منه ، ويستخرج اللآلئ والدرر منه ، ويجلبها إلى الساحل ليستفيد منها الآخرون .

يذكر (ابن آشوب) في (المناقب) اسم أحد تلامذة الإمام الحسن العسكري ، ويقول : إن هذا الشخص قد كتب بإملاء حضرة الإمام الحسن العسكري كتاباً بمائتي مجلد في تفسير القرآن ، لكن ماذا حدث لهذه الكتب ، وماذا حدث لهذه التفسيرات ، وأين يمكن أن نجدها ، وأي حوادث جرت على عالم العلم والمكتبات العلمية من قبل الأفراد الجهلة ؟ وعندما يذكر صاحب (الوفيات) اسم (الشيخ العارف محيي الدين) يقول : إنه قد كتب ٩٥ مجلداً في تفسير القرآن . وأن بعض المشايخ والمشاهير قد كتبوا حول ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ التي تتكوّن من ١٩ حرفاً ، كتباً ورسائل بعدد حروفها ، بحيث كتبوا رسالة حول كل حرف .

إن القرآن كتاب الله ، وهو كتاب غير متناهي ، وأن الأفراد الذين لديهم معرفة بالعلوم الغربية مثل (الجفر) لديهم أقوال وكلام مهمّ عن بطون هذا القرآن ، فكما جاء في الروايات فإن القرآن بطون ، وبطونه بطون (إلى سبعين بطناً) ، إضافة إلى ذلك فإنهم قالوا إن هذا العدد يطلق بعنوان الكثرة في لغة العرب ، وليس حصراً للقرآن ، فبطونه ومقاماته ومراتبه غير قابلة للنفاذ ؛ لأنها من الله ذي المعارج ، فكما أن الله ذو المعارج فالقرآن ذو المعارج أيضاً ، وحضرة العلامة هو أحد العلماء العظام ، وغواص ما هو في هذا البحر الإلهي اللامتناهي .

وطبعاً كلما كان الاستعداد أكثر ، وكلما كانت سعة صدر الإنسان ، وانسراح صدر الإنسان ، والمراقبة والتوجّه ومراتب طهارة الإنسان ومعلومات الإنسان العلمية

والفنية أكثر، كلما كان حظّ واستفادة الإنسان من هذا المحيط ومن هذا البحر اللامتناهي أكثر، والعلامة بسبب تبخره في العديد من العلوم، وكما قلت سابقاً في المعقول والمنقول، في الرياضيات وحتى في العلوم الغربية وفي العلوم الأدبية، وكذلك الاطلاع بأفكار فلاسفة الشرق والغرب والفلاسفة الإلهيين، وبسبب تبخره في الروايات (والروايات مرتبة دنيا من القرآن). وخدمته عند الأساتذة الكبار الذي كانوا مفسرين للقرآن أيضاً، بسبب كل هذا أصبح لائقاً لكتابة التفسير الشريف (الميزان)، الذي سيبقى محفوظاً إلى الأبد بعنوان أفضل مائدة، وأفضل موهبة ونعمة للمجتمع الإنساني والمجتمع البشري، يعني أنه يجب أن نجعل هؤلاء العظماء بعد المعصومين وبعد مقام الولاية الكاملة، فهؤلاء العظماء الذين كانوا في مسير العناية الإلهية وتلقوا العلم من منطلق الوحي لا بد من اتخاذهم واسطة للفيض الإلهي حسب قابلياتهم وحد وجودهم.

إن تفسير القرآن بالقرآن من سيرة الأئمة:

إن الكثير من التفاسير التي رأيناها (وقد رأينا - وبحمد الله - الكثير من كتب التفسير) كانت تستخدم هذه الطريقة، وهذه السليقة، وهذا الدأب، يعني تفسير القرآن آية بآية، فهي طريقة لها جذور. قد علمها أئمتنا الأطهار عليهم السلام، يعني أمير المؤمنين عليه السلام وأئمتنا الآخرين إلى الناس. وفي ذهني روايات في الكافي عن الأئمة الأطهار أنهم عندما كان الناس يسألونهم ويسمعون الجواب، ولأجل تربية الأفكار وتعريف الناس بالقرآن ويعلموا الناس أن لا يسألوا بشكل أعمى، ومن أي شخص، وأن لا يطبقوا كل ما يسمعه. ويعلموا أنه يجب السؤال عن العلم من أهله، ففي ذهني أن الإمام كان يقول بعد إجابة السائل: «لماذا لا تسألني من أي مكان في القرآن أجبتك؟»، فلقد كان الأئمة يروّضون الناس فكرياً، ويمنحونهم جناحاً وريشاً ويعلموهم: لماذا لا تسألني من أي مكان في القرآن أجبتك،

٧٠ مذكرات فريدة عن بعض العلماء الربانيين

وفي الكثير من مسائل الفروع والأصول يتفق أن ترى أئمتنا الأطهار يقوموا بتلخيص وانسجام وجمع الآيات بعضها مع البعض الآخر، فيضعوها جنباً إلى جنب، ثم يستنبطوا حكماً من الأحكام الإلهية، وكما ذكرت عندي شواهد كثيرة حول هذا الموضوع. وقد ذكر الكثير منها في الكتب الفقهية بالإضافة إلى معاجمنا الروائية.

فقد علمنا هذا الموضوع في البداية، الأئمة عليهم السلام، وكان عند العلامة الطباطبائي هذه السيرة الحسنة أيضاً من منطلق الوحي ومقام الولاية، وهو يتحدث حول ذلك بعناية واهتمام كبير، فيقول: «القرآن الذي يقول بلسانه إني تبيان لكل شيء، فحاشا وكلاً أن لا يكون تبيان نفسه».

وهذه الحقيقة بيان لقول وعمل المعصوم، فكان تفسير القرآن آية بآية السيرة المستمرة لعلماء الدين من صدر الإسلام إلى الآن، فكما أن الآيات شاهدة كذلك التفاسير شاهدة، وحتى المنسرون الذين فسروا في العلوم الأدبية، ومثلاً كتبوا كتاباً في علم القراءة وغيرها من فروع العلوم الأدبية الأخرى، فإنهم قد اطلعوا على القرآن، وذكروا آيات كشواهد منه. وهكذا الحال في كتب مثل تفسير (الميزان)، وتفسير (مجمع البيان)، وتفسير (البيان)، والكتب العظيمة الأخرى التي كتبها العلماء ومشايخ العالم الإسلامي حيث كانوا يرجعون كل آية إلى آية أخرى.

ولدينا روايات حول هذا الموضوع. وفي نهج البلاغة أيضاً حيث يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «آيات القرآن يوضح بعضها الآخر، وهي لسان بعضها الآخر». وعندنا حديث عن حضرة كشاف الحقائق الإمام الناطق بالحق الإمام جعفر الصادق، حيث يقول: «الروايات أيضاً يوضح بعضها الآخر». والغرض هو كما أن الآيات تبين بعضها الآخر، فإن الروايات كذلك تبين بعضها الآخر. فنحن نفسر حديثاً بحديث آخر، ونوضح آية بآية أخرى، وقد علمنا ذلك الأئمة أنفسهم والعلامة الطباطبائي تلميذ هذا المذهب.

تأويل الأحاديث :

سؤال : أن من كمالات المرحوم العلامة الطباطبائي الممتازة ، والتي تلاحظ في قسم من تفسير (الميزان) ، هي صفة (تأويل الأحاديث) ، يعني إرجاع الروايات الصادرة عن أهل البيت إلى القرآن ، والظاهر أنه لم يصل لحد الآن أحد الأفراد الإلهيين بعد الأئمة الأطهار إلى الكمال الذي وصل إليه العلامة الطباطبائي في هذا العلم ، فهل يمكنكم التفضل بتوضيحات في هذا المجال ؟

الجواب : أود أن أوضح لكم أنه لا بد من اعتبار الآيات والروايات كالروح والبدن ، وبعبارة أخرى أن الروايات هي مرتبة دنيا من الآيات ، فكما أن البدن مرتبة دنيا للروح والنفس الإنسانية الناطقة ، كذلك الروايات ، فإنها مرتبة دنيا للقرآن . فجميع الروايات وكتب الأدعية مثل (الصحيفة السجادية) وجميع الخطب العلوية وأقوال أئمتنا الأطهار ، وكل المعاجم الروائية التي كتبت من قبل الفريقين ، وكذلك معاجمنا المتعددة والمعاجم الإسلامية الأخرى التي تلاحظونها ، فكل هذه المعاجم الروائية هي مرتبة دنيا من القرآن . وهي ظل القرآن ، فمنهج البلاغة والصحيفة السجادية هي ظل القرآن ، وكذلك فإن الكافي والمعاجم الأخرى هي مرتبة دنيا من القرآن ، فالكل متفرع من القرآن وينبع منه ، والكل تبيان للقرآن ، والكل يعود إلى القرآن .

فهذا أصل للروايات والآيات . بأن القرآن روح . والروايات بدن ، فالبدن مرتبة دنيا من الروح ، وهي ضياء الروح . حيث تظهر نفسها وتتجلى في هذه الروايات ، لهذا فنحن نعتبر الروايات التي كان صدورها قطعي من المعصوم ، والروايات الصادرة من بيت الوحي ، الصادرة من الأفراد المشمولين بهذا الحكم «إنما يعرف القرآن من خوطب به» . أنها مرتبة دنيا من الآيات الإلهية ، وتبيان وظل لها ، ويذكرني التعبير الذي طرحتموه في سؤالكم . يقول العلامة الطباطبائي الذي دوتته

في دفتر مذكراتي ، فقد كان يقول : « إن هذه الروايات التي كنا نعتبرها تأويلاً ، لا بد أن نستبدل هذا اللفظ ونقول تفسير الآيات ، فالروايات فقط هي تفسير الآيات ، إلا أن التفسير مراتب ، وهو مراتب متعدّدة في طول بعضها الآخر . وكذلك يذكّرني بقول حضرة أمير المؤمنين عليه السلام الذي ذكرناه سابقاً « اقرأ وأزق » ، ورواية مطابقة لفهم المخاطب مثل : « نحن معاشر الأنبياء بعثنا لنكلم الناس على قدر عقولهم »^(١) ، وكذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام لتلميذه كميل بن زياد : « ها إن ها هنا (وأشار إلى صدره الشريف) لعِلماً جَمّاً ، لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً »^(٢) ، فكانت أتكلّم مع النَّاس بما يتناسب مع فهمهم ورؤيتهم .

وفي الحقيقة أنّ الروايات بطون الآيات وتفسير ذاتي لها وبيان مقدّمات الآيات ، وأنّ نفس كلمة « أوّل » و « تأويل » تدلّ على ذلك المعنى ، فعندما نقول هذه الآية تأويل وهذه الرواية تأويل فهذا يعني أنّها تؤلّ الفكر والعقل والذكاء ، تأولها وترجعها إلى معارج ومقامات القرآن السامية ، وبناءً على هذا ، فإنّ التأويل يعني تفسير الآيات في مقاماتها السامية ، وكذلك الروايات بنفس هذا المعنى .

التحليق بجناحي العرفان النظري والعرفان العملي :

سؤال : لطفاً تكلّموا عن مراتب العلامة الطباطبائي في العرفان النظري والعرفان العملي ؟

الجواب : كان العلامة الطباطبائي تلميذاً لعالمين وعارفين مشهورين وتلميذاً لثلاثة حكماء معروفين ، وهم السيّد حسين بادكوبه ، والمرحوم الحاج السيّد عليّ

(١) بحار الأنوار / الشيخ المجلسي ١٦ : ٢٨١ ، و ١٨ : ١٦١ ، باختلاف يسير .

(٢) نهج البلاغة / ابن أبي الحديد - قصار الحكم ١٤٧ : ٣٧٥ ، طبع دار التعارف للمطبوعات - بيروت .

القاضي ، وحضرة السيد الكمباني رضوان الله تعالى عليهم . وكان أستاذاً في تدريس كتب العرفان ، وكما أنّ المرحوم العلامة كان متبحراً في الحكمة المتعالية للأسفار ، وقد وصل إلى عمق قول الملاء صدرا ومجتهداً في هذا الفن ، كذلك كان مجتهداً في علم العرفان النظري .

ولا يغيب عن ذهني ما قاله لي المرحوم العلامة الطباطبائي : « يا سيّد ، إنّ مراقبتي تصبح كلّ يوم أقوى . وتصبح مشاهداتي ومكاشفاتي ليلاً أكثر زللاً ، وأكثر صفاءً ، فكلمة تكون المراقبة أشرف نهاراً . تكون المكاشفات ليلاً أكثر زللاً وصفاءً » .

وحسب تعبير المتأله السبزواري يقول المرحوم الحاج في أسرار الحكم : « إنّ هذين الاثنين بمنزلة الجناحين للإنسان بحيث أنّ الإنسان لا بدّ أن يحلق بهذين الجناحين ويرتفع عالياً » ، فالعرفان النظري والعرفان العملي كلاهما مهم ، ويكمل أحدهما الآخر ، والعلامة بامتلاكه هذين الجناحين كان عارفاً متنعماً ، وله جناحان سالمان وصحيحان في العرفان النظري وكذلك في العرفان العملي وذو جناحان قويان قادران على التحليق إلى درجات السموّ . فاسأل الله أن يرفع درجاته أكثر .

المراتب الفقهيّة للعلامة الطباطبائي :

سؤال : بالنظر إلى أنّ المرحوم العلامة الطباطبائي كان يشتهر أكثر في مجال الفلسفة والتفسير ، ونعلم أنّه كان يتمتع أيضاً بمقام متميّز في العلوم الإسلاميّة الأخرى ، فهل يمكنكم أن تبيّنوا لنا بعض الشيء عن مراتبه في مجال الفقه والأصول والمنطق ؟

الجواب : لا بدّ أن أوضح أنّه بالإضافة إلى إكماله المقدمات والسطوح بشكل متعارف في مدينة (تبريز) عند أساتذة ذلك الزمان ، فإنّه قد أنهى علومه النقلية عندما هاجر إلى النجف لدى الأخوند الخراساني والمرحوم السيد النائيني ،

فقد كان العلامة وبدون مبالغة ولا إغراق مجتهداً في الفقه والأصول كليهما . وأنّ تعليقاته على الكفاية (والتي تمّ طبعها) تمثل نموذجاً بارزاً لعلمه في هذا المجال ، ولو أنّها لم توضح حقيقة العلم الذي يمتلكه في الأصول .

فكان يدرّس الفقه عند قدومه إلى قم . وكان يدرس مبحث الصوم ، ثمّ أنّه . وحسب بيان وتعبير نفس العلامة . قد لاحظ أنّ دروس الفقه والأصول (العلوم النقلية) كانت تقام في قم - والله الحمد - بحرارة وبكثرة . لكن لم تكن هناك دروس في الأصول ، يعني الأصول الاعتقادية . (ولا أعني أصول مقدّمة الفقه) في العقائد والتفسير والاعتقادات البرهانية والإمامة والولاية وفي علم الإمام والمبدأ والمعاد . لهذا بدأ العلامة بتدريس الحكمة الإلهية وتفسير القرآن وتربية الطلاب .

ولقد جرى الحديث يوماً عن المباحثة والجلسات الليلية في البحث والتحقيق حول أصول العقائد الإسلامية . وقد كان كتاب الطريقة الواقعية الذي طرح في المجتمع قسماً من بركات تلك الجلسات . وكذلك كتاباته الأخرى كانت من بركات تلك الجلسات وطلابه وكتاباته فيها .

وكذلك قال : « ولأني لاحظت أنّ الحوزة بحاجة إلى معرفة القرآن ، بدأنا بتفسير القرآن ، ورأيت أيضاً أنّ الآخرين عندهم الفقه والأصول ويدرسونها ، فقرّرنا أن نبدأ بعمل ليس موجوداً عندهم ولم يدرّس » . لهذا فقد قضى هذه الفترة من عمره الشريف على طريق إعلاء معارف أصول أمّهات منطق الوحي ، وقد حقّق - والله الحمد - هدفه ، وخطى خطوات كبيرة في هذا المجال ، وكان له عمر مليئة بالبركة ، هو والكثير من المشايخ العظماء . كلّ حسب قدرته . إلاّ أنّه كان متنعماً بنعم أكثر ، وكما قلت سابقاً : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾^(١) .

تربية الحوزة العلمية:

سؤال: المعروف أنهم يقولون: «إن الأفلام أصبحت جارية» في قم بعد قدوم المرحوم العلامة الطباطبائي رحمه الله لها. يعني أنه كان سبباً لرونق التأليف والكتابة وظهور الاستعدادات والطاقات الخلاقة التي كانت موجودة بالقوة في هذا المجال في الحوزات العلمية، كحوزة قم، فهل يمكنكم أن توضّحوا ذلك؟

الجواب: الحق ما تقولون. فقد كان مريباً كبيراً. وكان مجلسه مجلس بحث وتحقيق وتدقيق، ومجلس برهان وعلم. بحيث إذا طرح فيه موضوعاً ما فلا بدّ من المضي فيه والغور إلى أعماقه. ولا يمكن لأي شخص أن يتكلم كلاماً فيه إلا إذا كان مطمئناً منه، فكان هذا عمله، وكان طلبته يقضون وقتهم في مجلسه بهذا النحو. وعندما جئت إلى قم سنة ١٣٨٣هـ. ق كنت منذ ذلك الحين ولمدة سبعة عشر أو ثمانية عشر سنة في خدمة مجلسه الشريف في قم. ورأيت المجلس عظيماً، فقد كان مجلس تفسير القرآن ومجلس تربية وتأديب وتهذيب الأفكار.

فكان هذا الرجل العظيم يتصرّف بهذا الشكل. وحتى أنه كان يرغب طلابه أن يهتموا بمواضيع خاصة، وأن يفكروا - مثلاً - بهذه المواضيع في وقت آخر، ويكتبوا كل ما يعرفونه عنها، ويقول البيهقي: «الرجل لا يصبح عالماً إلا إذا تعلّم الكتابة»، فقد كان عنده اهتماماً كبيراً بتعليم وتربية الطلاب وترغيبهم بالكتابة والقلم وتحرير المعاني والمواضيع على الورق، فالحق هو ما طرحتموه في سؤالكم، فقد كان بصراً إصراراً عظيماً في هذا الموضوع، وكان يريد تربية الحوزة، وقد توصل - والله الحمد - إلى نتائج قيمة ولائقة من عمله واهتمامه: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾^(١)، فكل من يزرع بذراً (الله)، فإن الله يتكفل بنموه وتربيته كما قام بتربيته، فقد قام الله

بتربته بحيث تلاحظون كل هذه الآثار منه ، والمرحوم المطهري الذي ذكرتموه هو أحد طلبته ، وأن الكثير من طلبته في داخل وخارج البلاد كانوا ينهلون من متبعه الزلال .

سؤال : ينظركم إلى أي حد كان للأساتذة الكبار الذين تتلمذ على أيديهم المرحوم العلامة الطباطبائي لسنوات عديدة . تأثيراً على شخصيته وصفاته الأخلاقية المتميزة والرفيعة ، وما هي الذكريات التي كان ينقلها عنهم ، وينظركم ما هي العوامل التي كان لها تأثير أكبر حتى يصبح العلامة الطباطبائي (العلامة الطباطبائي) بهذه الصفات والخصوصيات النادرة ؟

الجواب : كما وضحت سابقاً ، لقد كان للعلامة أساتذة كبار في هذه المواضيع ، وسؤالكم الشريف هذا يبني على شيئين ، فإنه لا بد أن يكون قابلاً وكفوءاً في قابليته ، وفاعلاً في فاعليته أيضاً ، ويصدق أن المجالسة والمعاشرة مؤثرة . وللخواجة عبدالله الأنصاري جملة قصيرة (أعجبتني كثيراً) حيث يقول : إلهي لا تظهر الدخان من النار والتراب من الرياح ، بل الظاهر من الباطن والتلميذ من الأستاذ .

فالتلميذ يحكي عن أستاذه كما أن (الولد على سراًبيه) ، فالابن يحكي عن أبيه وعن أمه ، والتلميذ يحكي عن المعلم ، ولقد كان المرحوم العلامة الطباطبائي نموذجاً للعلم والتقوى والمراقبة والحضور والأدب مع الله . فكان معلوماً أنه تلميذ لأساتذة ، كالمرحوم الحاج السيد علي القاضي (رضوان الله عليه) ، والمرحوم الحاج الشيخ محمد حسين كمباني . والسيد حسين بادكوبه ، حتى أن العلامة كان يذكرهم ويمتدحهم ، وأنهم أهل علم وعمل ، ولو تمنعوا النظر في (المحاكمات) للعلامة الطباطبائي التي كتبها حول مكاتبات الأستاذ الكمباني والأستاذ السيد أحمد الكربلائي الكبير (أستاذ القاضي) ، للاحظتم كيف كان الأستاذ العلامة يُمجّد أساتذته المرحوم القاضي والمرحوم الكمباني . ويصفهم بالإخلاص والتقوى

والمراقبة والاهتمام بذاتهم ، وبتعبير العلامة الطباطبائي : « كان المرحوم الكمبائي غارقاً في ذاته دائماً » ، وعندما حصلت حادثة « كانت حول عظمة شخصيّة المرحوم الحاج السيّد عليّ القاضي) جعلتني أتشرف بالحضور عنده ، قال : « نعم ، كان رجلاً عجبياً ، قام بتربية الكثير من الطلبة ، وما زال الكثير منهم على قيد الحياة لحدّ الآن » ، وقد درس عند الكثير من الأساتذة ، وله مكاشفات قويّة جداً بالإضافة إلى كمالات شهوده وعرفانه وسيره وسلوكه .

وقد ذكر حضرة الشيخ (آقا بزرك تهراني) ، اسم المرحوم القاضي في (الطبقات) ، ويقول : « لقد كان لي مع المرحوم القاضي مجالسة ومعاشرة لعدّة سنوات » (لا أتذكر عددها الآن ، وقد كتبتها في دفتر مذكراتي) ، وذكر أنه كان مجتهداً .

إلا أنهم عرفوا في فنّ معيّن ؛ لأن أكثر آثارهم الوجوديّة فيه ، أو أنهم تخصصوا في ذلك الفنّ ، وكان موضع اهتمامهم أكثر من غيره في الفنون الأخرى ، فمثلاً كان البعض يعرف أنّ المرحوم العلامة الطباطبائي فيلسوف ، ولا يعرفه البعض الآخر أكثر من مفسّر (مع أنّ ذلك مدعاة فخر ومباهاة الإنسان ، وأي فخر) . لكنكم تلاحظون أنّه كان أديباً أيضاً ، وشاعراً وكاتباً وفقهياً وأصولياً ، وكان خطّاطاً أيضاً ، وعنده كلّ هذه الصفات ، وقد كان هو وأخوه آية الله الحاج السيّد محمّد حسن إلهي والمرحوم الحاج الشيخ الحاج محمّد تقي الأملي والكثير من العلماء من بين أساتذتنا الذين وصلوا إلى الكمالات الإنسانيّة عند محضر المرحوم الحاج السيّد عليّ القاضي ، وقد استفاد من مجلسه كلّ منهم حسب طاقته وقابليّته ، فقد ربيّ ذلك الأستاذ الكبير طلاباً كباراً كثيرين ...

وعلى كلّ حال فقد كان للعلامة الطباطبائي أساتذة كبار ، وأنّ المرحوم القاضي كان مفسّراً للقرآن ، وقد قال عنه حضرة العلامة الطباطبائي : « ليس عندي تفسيره ، كان خطّياً ولم يطبع » ، وكذلك كان أستاذه الآخر المرحوم السيّد حسين بادكوبه

مفسراً أيضاً.

فكان أساتذة العلامة الطباطبائي مفسرين وسالكين وفقهاء ، فالمرحوم السيد حسين بادكوبه كان من أعظم طلاب المرحوم الميرزا هاشم الأشكوري العارف المشهور ، ومن طلبة المرحوم الميرزا أبو الحسن جلوه ، ومن الطلاب المتميزين للمرحوم علي المدرّس صاحب (بدائع الحكم) ، وكان أيضاً أهل مراقبة شديدة . وكذلك المرحوم السيد حسين بادكوبه كان مراقباً لنفسه جداً ، ولا يتكلم إلا لضرورة ، وقد نقل لي بعض طلابه : « كان يتنفس بحساب ومراقبة شديدة » .

ولقد كان المرحوم العلامة الطباطبائي قابلاً للاستنادة من محضر هؤلاء الأساتذة الكبار ، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى كان الفيض الإلهي أيضاً الذي يجري ويسري دائماً للجميع ، فهو (فياض على الإطلاق) . ولا يوجد شخص محروم في العالم . فلفظ الحرمان يستعمل بشكل عادي ومتعارف في زماننا ، إلا أنه لا يوجد شخص محروم ، وأن كل شخص يأخذ حسب قابليته ، والله يعطيه ذلك . فإذا وجد المجال اللازم . والمزرعة اللازمة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : « وَيُرْزَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ » ، كان أولئك العظام مزارعين إلهيين . فثمر لنا من محضر هؤلاء المزارعين والمرتبين الإلهيين هكذا عرس وهكذا بركات ﴿ أَضْلَهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ ^(١) .

آية الله السيد محمد حسن إلهي (الطباطبائي) :

سؤال : نعلم أن حضرتكم استندتم أيضاً من فيض محضر الأخ الأكبر للعلامة المرحوم حضرة آية الله السيد محمد حسن إلهي (الطباطبائي) ، ولعلّه يمكن القول

إن الشخصية الرفيعة لذلك العالم الرباني قد وقعت إلى حد ما تحت شعاع الشخصية المتميزة لأخوه المرحوم العلامة الطباطبائي، وليس للكثير من الأفراد المعرفة الصحيحة عن ذلك الأستاذ الكبير، فأرجو التفضل بالتحدث قليلاً حول شخصيته؟

الجواب: هذا لطف منكم أن أخذتم هذا السؤال أيضاً بنظر الاعتبار. وتكلمتم عن حضرة آية الله السيد محمد حسن إلهي الطباطبائي أيضاً، يرحمه الله فقد كان مصاحباً لأخيه من تبريز إلى النجف. ومن النجف إلى تبريز، وكانا معاً في جميع الدروس والبحث، وجميع شؤونهم. حتى في دروس الرياضة العرفانية عند الحاج السيد علي القاضي، ودرسوا جميع العلوم والفنون. فكان ذلك الأستاذ الكبير جامعاً للعلوم العقلية والنقلية أيضاً، وكانت رياضته النفسانية عجيبة جداً، وقد قلت في حديث صحفي سابق أنني قد استفدت من محضر السيد محمد حسن إلهي عندما جاء إلى قم، فكنت اقتطف من ثمار علمه وأتبرك من وجوده المبارك.

وعندما ذهبت إلى حضرة الأستاذ العلامة الطباطبائي. فسألني: «كيف وجدتكم أخي؟». فكان السؤال منه، وكان يجب علي أن أقول أمامه الحقيقة كاملة، لأن الكلام عند حضرة المرحوم العلامة الطباطبائي يستلزم احتياطاً أكبر، فقلت الواقع له: «سيدي الجليل. حضرة أخوكم مثل أخيه. سوى أن ذلك الأخ باذلاً جداً، وهذا الأخ كتوم جداً». فقد كان المرحوم العلامة الطباطبائي كتوماً جداً. وكان ذلك الأستاذ باذلاً معطاءً، فما أن يتذكر مسألة أو آية، أو يتفق حدوث موضوع عرفاني أو أن يتذكر مقاماً إنسانياً، أو تمر عليه حادثة معينة. إلا وكان السيد قد جلس في الليلة الماضية يطالعها، ثم يكتبها أو يعلق عليها حتى يذكرها في جلسة الدرس.

وقد بقي ذلك الأستاذ في تبريز. وانتقل العلامة الطباطبائي إلى قم. واستطاع بما كان يمتلكه أن يكتب العلوم. ويربي الطلاب. ويطبّق معارفه، وتكون له كتب تكوينية وتدوينية، كتب حيّة ناطقة، وأخرى صامتة.

فقد انعزل ذلك العالم، وتوقف أثره بسبب البقاء في تبريز، وتحدث مثل هذه

الأمر الباعث للأسف كثيراً ، وقد قلت أيضاً للأصدقاء عدّة مرّات أنّه كان من اللائق أن يكون هذا الإنسان الذي عرفناه ، والكثير من العلماء الكبار الآخرين ، أمثال حضرة آية الله رفيعي القزويني ، وحضرة السيّد محمّد حسن إلّهي ، وحضرة السيّد الميلاني ، وحضرة رحيم أرباب ، وحضرة السردار الكابلي ، وحضرة الميرزا أحمد الآشتياني ، وحضرة الميرزا مهدي الآشتياني ، وحضرة الميرزا أبو الحسن الشعراني ، وحضرة محمّد تقّي الأملي ، وحضرة الميرزا مهدي قمشه ، والكثير من المشايخ الأعظم ، الذين لم يكن لهم نظير ، فقد كان من الواجب أن يجمع هؤلاء العظام وينابيع ماء الحياة وهذه الجداول والأنهار ، وهذه البحار وأصحاب المعارف الإماميّة الحقّة المنتشرون في أرجاء البلاد ، في حوزة علميّة واحدة ، فيكون لنا حوزة نموذجيّة ، حيث لو اجتمعوا في مكان واحد لكان من الممكن أن يكون لنا حوزة أفضل من تلك التي كانت في زمان الصنويّة .

والغرض أنّي أريد القول إنّه توجد حوادث كثيرة باعثة للأسف ، وعندني مشاهدات ومكاشفات وحالات وذكريات عن حضرة الحاج السيّد محمّد حسن إلّهي ، وقد رأيت بنفسني حقائق عنه ، وقد أخبرني بنفسه عن أحداث ومعلومات ، لو أردت أن أقول أو أكشف بعضاً منها لعلّها تسبّب وحشة وتعجّب البعض ، أو قد تُتهم مثلاً - والعياذ بالله - باللغو والثرثرة والهديان ، وأنّ كلامنا كذب وزائف .

نعم ، فمن هذه الجهة كان هناك الكثير من أمثال هؤلاء العلماء الكبار يعيشون في مختلف أرجاء البلاد . وأنهم لم يتمكّنوا بسبب الظروف الزمانيّة من إظهار كمالهم وعلمهم كما يجب .

غزل في رثاء الأستاذ الإلهي الطباطبائي :

توفّي المرحوم آية الله السيّد محمّد حسن إلّهي ﷺ في يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع المولود سنة ١٣٨٨هـ . ق ، في الثالثة والسّتين من عمره مودّعاً هذه الدنيا الفانيّة

إلى أعلى عليين ، وقد كتب قصيدة غزلية في رثائه مطلعها :

امروز مرا چون شب تار است بديده كز خار غمی در دل زارم بخليده

الفناء في الولاية :

سؤال : في الختام ، وكسؤال أخير . نطلب منكم أن تتحدّثوا عن ذكرياتكم في زمان استفادتكم من جلسات الدرس والبحث للمرحوم العلامة الطباطبائي ، خاصة عن عشقه وعلاقته الشديدة بمقام ولاية أهل البيت عليهم السلام ؟

الجواب : لا يمكن لأي شخص في الإسلام أن يكون حكيماً وعارفاً إنهما وعارفاً مسلماً ولا يكون صاحب ولاية ، ولا يخضع ولا يظأطأ رأسه أمام مقام الولاية ، أو لا يكون من مُقبلي عتبة الولاية ، فلا يمكن بدون ذلك أبداً ؛ لأنّ الولاية واسطة الفيض ، وفي الباب السادس من (الفتوحات المكيّة) والذي يبحث موضوع (الهباء) (الهباء باصطلاح العرفان) ، يقول : « إنَّ الشخص الذي وصل إلى مقام الهباء كان خاتم الأنبياء »^(١) ، وبعده حضرة أمير المؤمنين عليه السلام ، فهو بتعبير صاحب الفتوحات : « لأنه كان سرّ الأنبياء والعالمين أجمعين . . . وكذلك يذكر في الكتاب الذي ذكرنا اسمه في الأسئلة السابقة (الدرّ المكنون والسرّ المكتوم) ، فيقول : « كانت أسرار القرآن بعد النبيّ عند أمير المؤمنين . وعدّ الأئمّة واحداً بعد الآخر ، حتّى وصل إلى حضرة بقية الله » .

فليس هناك طريق لعارف بلا ولاية ، وليس عندنا واسطة للفيض سوى الولاية ، ولا يمكن لأي شخص أن يصل إلى مقام دون الولاية . وأنّ صاحب الفتوحات بالإضافة إلى أنه يتحدّث في الباب ٣٦٦ من الفتوحات بشكل خاصّ حول حضرة (بقية الله) ، حيث يصفه ببدن عنصر الآن في العالم وواسطة الفيض ، فإنّه يذكر

(١) الفتوحات المكيّة / محيي الدين بن عربي ٢ : ٢٢٧ ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة .

صفاته في أماكن متعددة من الفتوحات ، وقد دوّنت بعض موارد بعد فتوحاتي ، فيقول : « لقد حضرت عند عظمته وسألته وتشرفت بزيارته » ، فلا يمكن لأي حكيم إلهي أو أي فرد مؤمن وأي مسلم ، أن يصل إلى مقام بدون الولاية .

فكيف لا يكون العلامة الطباطبائي من أهل الولاية وأنتم تلاحظون في تفسيره للقرآن ، وفي بحث كل آية يقول : « بحث روائي » . فهذا البحث الروائي يعني فيض وبركات لسان الولاية : « إنّما يعرف القرآن من خوطب به » ، المطلعين على أسرار ويطون القرآن ، وقد فسروا لنا القرآن فتعرفنا على حقائقه . فتعرفنا على المعاجم الروائية ، والحقيقة أنّ معاجمنا الروائية هي تفسير للقرآن . وكما قلنا إنّها مرتبة دنيا من القرآن ، وظلّ القرآن ، وشرح القرآن . ودليل القرآن ، وهي تفسير القرآن .

وقد كان العلامة الطباطبائي قرب مائدة الولاية . وفانياً في الولاية ، وما أن يمرّ ذكر مصيبة أهل بيت العصمة والظهرة ، وذكر حضرة سيّد الشهداء (سلام الله عليه) ، وشهادته وأنصاره وأسر أهل بيته ، وشهادة الأئمة الآخرين . إلا وكان يجهد بالبكاء في مجالس الوعظ والخطابة ، وتسيل دموعه المحرقة بحجارة من عيونهم ، فقد كان فانياً في الولاية .

وبالإضافة إلى كتابته رسالة في الولاية ، فقد كتب أيضاً رسالة باسم (الشيعة في الإسلام) بالمنطق والبرهان ، فتدين إنسان مثله ليس تقليداً . بل أنّه قد خرج من الدين ، وقبّل الدين مرة أخرى ، فهؤلاء لم يكونوا متقلّدين . وكتب (الشيعة في الإسلام) ، وبحث متى ظهرت الشيعة ، وأثبت بالبرهان أنّ الإسلام يعني الشيعة ، والشيعة يعني الإسلام . والقرآن يعني عليّ عليه السلام . والقرآن يعني بقرّة الله ، والقرآن يعني الولاية ، والولاية تعني القرآن ، والقرآن الناطق والقرآن هو كتاب الله ، وهذه لا تفترق عن بعضها أبداً ، ولا يمكن لأي عارف أو حكيم إلهي أو أي فرد مسلم أو من أهل القرآن ، أن يبرهن أبسط المواضيع وهو مُعرض عن الولاية ، خاصّة وأنّ علماء الإماميّة الاثني عشرية قد وصلوا مع التمسك بالولاية

إلى مقامات عالية ، وكانوا أصحاب تصنيفات وتأليفات ، وهم الركن الأعظم للولاية . فمحال أن يصل الإنسان إلى مقام بدون الولاية . لقد جرى الحديث حول الولاية ، ولا بد أن أوضح أن أكثر البحث والتفسير كان حول هذا الموضوع (لنترك ذلك إلى وقت آخر) وإجمالاً:

اي دل غلام شاه جهان باش وشاه باش	پيوسته در حمايت لطف اله باش
امروز زنده ام به ولاي تو يا على	فردا به روح پاک امامان گواه باش
آن راکه دوستی علی نیست کافر است	گو زاهد زمانه وگو شیخ راه باش
قبر امام هشتم سلطان دین رضا	از جان بیوس وبر در آن بارگاه باش
دستت نمی رسد که بچینی کلی ز شاخ	بازی به پای گلین ایشان گیاه باش ^(١)

فنشكر الله سبحانه وتعالى أن جعلنا من أهل الولاية ، وترتينا وترتبي في كنف الولاية ، وإن شاء الله يجعلنا الله تعالى جميعاً من أهل الولاية ، وأن يمنّ عليكم أيها الاخوة بالسعادة والسلامة ، ويوفّقكم في طريق إعلاء المعارف الإلهية ، ويجعلنا إن شاء الله شركاء معكم في هذا الدعاء .

قصيدة في رثاء حضرة الأستاذ العلامة الطباطبائي :

في سحر ليلة الأربعاء السابع عشر من ربيع الأول سنة ١٤٠٢هـ. ق المبارك ، والمصادف لميلاد خاتم الأنبياء ﷺ . ووصيه صادق آل محمد عليه الصلاة

(١) المعنى : تتحدّث هذه الآيات عن التمسك بالولاية ، وأنّ الإنسان المتمسك بولاية عليّ والأئمة المعصومين ﷺ يكون له الخير في الدنيا ، وفي الآخرة تكون الولاية له بمثابة التأييد بالمغفرة ، وأنّ الذي لا يحبّ عليّ ﷺ كالكافر حتّى وإن كان زاهد زمانه ، أو شيخاً في الطريقة والعبادة ، ويوصي بالتوجه إلى مرقد الإمام الرضا ﷺ ، وأن يقبل عتبة بابه بعمق وجدانه ، والتماس الشفاعة منه عند بابه ، ويوصي بالتوسّل به فيقول : لو لم تحصل على سؤالك من الله فاجعله وسيلتك لضمان استجابة الدعاء .

والسلام ، وحيث كنت مشغولاً بكتابة رسالة « أنه الحق » - كذكرى للأستاذ العلامة الطباطبائي (رضوان الله تعالى عليه) ، وكان في الليلة الستين بعد رحلته - وفجأة تمثل لي - فتمثل لنا بشراً سوياً - شخصه المبارك بسيمائه النوراني يحكي عن سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، وبشروني بلهجة عذبة مريحة عن طيب حالي ، وحسن سيرتي وسيرتي ، فتشرفت بحضوره الشريف لعدة لحظات ، وما أن انتهيت لنفسي ، فعرفت أن تعبير ذلك هو أن هذه التحفة والهدية « أنه الحق » مرضاة خاطر ذلك المتأله ، فكان ختم تأييد لهذه الرسالة وكهدية العيد في عيد ميلاد النبي ﷺ وميلاد وصيه (أفاض الله علينا من بركات أنفاسه النفيسة) ، وقد كتبت هذه الأبيات البسيطة تقديراً وذكرى للمرحوم الأستاذ العلامة الطباطبائي ، كان مطلعها :

صبا به كوى عزيزان روضه رضوان

سلام ما به حضور عزيز ما برسان

حضور قدسى قدس عيسوى مشرب

كه مرده زنده نمودى به حكمت و عرفان^(١)

ولد العلامة الطباطبائي في مدينة تبريز في آخر ذي الحجة سنة (١٣٢١ هـ. ق) ، ولبي نداء ربه في صبيحة يوم الأحد (١٨ محرم الحرام ١٤٠٢ هـ. ق) في أرض قم المقدسة ، حيث هنالك الولاية لله الحق . وخوطب بخطاب : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * اِرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَأَدْخِلِي فِي عِبَادِي * وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴾^(٢) .

(١) المعنى : يا ربح الصبا ، اذهبي نحو الأعزّة والأحبّة في روضة الرضوان ، وأبلغهم سلامنا ، وأبلغني سلامي إلى ذلك العزيز القدسي القدوسي العيسوي المشرب الذي أحياني بعد ما كنت ميتاً بما سقاني من الحكمة والعرفان .

(٢) الفجر : ٢٧ - ٣٠ .

وبمجرد إعلان رحلة هذا العالم الجليل في الأخبار والصحف حتى تقاطر الناس محبي العلم والعلماء من كافة الأطراف والأرجاء من بعيد وقريب على مدينة قم ، فلذلك تم تأخير تشييع الجنازة لغد ذلك اليوم . وصلى عليه حضرة آية الله الحاج السيد محمدرضا الكليبايگاني ، ودفن جسده الطاهر في ظهر يوم الاثنين ١٩ محرم في المسجد أعلى رأس الحرم المطهر لحضرة السيدة فاطمة المعصومة بنت باب الحوائج إلى الله موسى بن جعفر عليه السلام رضوان الله عليه .

النص المكتوب على ضريح العلامة الطباطبائي :

كتب على لوح تربة حضرة الأستاذ العلامة الطباطبائي (رضوان الله تعالى عليه) بقلم تلميذه الذي اقتطف من معارف علمه حسن حسن زاده الأملي . ما نصه :

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

روضة من رياض الجنة . ادخلوها بسلام آمين

قد تجافى عن دار الغرور، وارتحل إلى مثوى الكرامة والسرور . علم العلم والعمل ، عميد الدين ، فخر الإسلام والمسلمين . الرافعي إلى ذرى المعارف القرآنية ، والسامي إلى أسنمة النحائت الإنسانية ، الذي عزفت نفسه عن الدنيا وما فيها ، فتساوى عنده ترابها وتبرها . مؤسس نشر أصول المعارف الإلهية في الحوزة العلمية الإمامية بقم ، مربّي النفوس المستعدة . المفسر الكبير صاحب التفسير العظيم الميزان ، والصحف القيومة القيمة الأخرى في تبيان أسرار ما صدرت عن أهل بيت العصمة والوحي . الحكيم المتأله . والفقيه الصمداني ، والعارف الرباني المرتقي إلى جنة الذات ، آية الله الكبرى . العلامة الحاج السيد محمد حسين الطباطبائي التبريزي ، وقد لبى نداء ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ صبيحة ١٨ من محرم ١٤٠٢ هـ . ق . وقد مضى من عمره الشريف ثمانون عاماً ، وحشر مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء

والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

وأني لعاجز عن مدح وثناء مجد وثناء تلك الجلسات الصباحية ، ولسنوات طويلة ، في حضور معطي النور ، أستاذ التعليم والتأديب العلامة الطباطبائي ، والتي كانت سبباً لفتح أبواب الرحمة من إلقاء أصول المعارف الإلهية ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير جزاء العاملين ، إنَّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

﴿ دَعَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ

وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

الفصل الثاني

العارف الرباني آية الله الحاج

الميرزا جواد ملكي التبريزي

العارف بالله الميرزا جواد الملكي التبريزي

العارف الإلهي ، السالك المستقيم . المحقق الرباني . الفقيه الصمداني ، ومرتبّي النفوس ، آية الله الحاج الشيخ الميرزا جواد الملكي التبريزي (رضوان الله تعالى عليه) ، كان من أعظم العلماء الإلهيين في العصر الأخير . وبحقّ من علماء الفقه والأصول والأخلاق والحكمة والعرفان .

إنّ عظمة مقام العروج الروحي لهذا العالم الجليل تتجلّى من خلال الرسالة التي أرسلها إلى آية الله الحاج الشيخ محمّد حسين الكمباني .

وقولي إنّه سالك مستقيم من جهة أنّ المرحوم قد وصل إلى الفعلية ، ولا يمكن لأبي سالك أن يصل من القوّة إلى الفعل دون أن تكون عنده استقامة .

وإنّ محيي آثار العلم والعلماء حضرة الشيخ بزرگ الطهراني (رضوان الله تعالى عليه) قد ذكر في القسم الرابع من الجزء الأول لأعلام القرن الرابع عشر من طبقات أعلام الشيعة (ص ١٥٦٥) . شرح حال آية الله الحاج السيّد الميرزا عليّ القاضي التبريزي ، فيقول : « وقد دامت المودّة والصحبة بيننا عشرات السنين ، فرأيتّه مستقيماً في سيرته ، كريماً في خلقه ، شريفاً في ذاته . . .

وأنّ ما قاله المرحوم الشيخ بزرگ الطهراني في حقّ المغفور له : « فرأيتّه مستقيماً في سيرته » هو عبارة قيّمة جداً . لأنّ العمل الأساسي في السلوك إلى الله تعالى هو الاستقامة ، وأنّ نزول البركات والفيض الإلهية إنّما يكون بسبب الاستقامة ،

وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ * نَزَلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾^(١).

وقال أيضاً: ﴿وَأَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(٢).

وقد فسّر الإمام الصادق عليه السلام ﴿مَاءً غَدَقًا﴾ بالعلم الكثير، فافهم.

وقد نقل أمين الإسلام الطبرسي في مجمع البيان بيانه الشريف في تفسير هذه الآية: عن الصادق عليه السلام، قال: «معناه لأفدناهم علماً كثيراً يتعلمونه من الأئمة عليهم السلام»^(٣). وفسّر ابن عباس الماء في هذه الآية: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾^(٤) بالعلم، وهذا من جهة أنّ العلم سبب حياة الأرواح، كما أنّ الماء سبب حياة الأشباح.

والطريقة هي الطريقة المثلى، والطريقة المثلى الأشبه بالحق، وهي طريقة الولاية، فإذا كان عندك استقامة عليها فإنك تستفيد علماً كثيراً من الأئمة عليهم السلام، وكنز «العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء»، ففي الكافي - كما في تفسير الصافي -: عن الباقر عليه السلام، يعني: «لو استقاموا على ولاية أمير المؤمنين علي والأوصياء من ولده عليهم السلام وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيتهم لأسقيناهم ماء غدقاً. يقول: لأشربنا قلوبهم الإيمان»^(٥).

(١) فضلت: ٣٠-٣٢.

(٢) الجن: ١٦.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن / أبو علي الفضل الطبرسي ١٠: ١٥١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

(٤) المؤمنون: ١٨.

(٥) الكافي / الشيخ الكليني ١: ٤١٩، طبع دار الأضواء - بيروت، مناقب آل أبي طالب (٣: ٤٢٣)، عنهما بحار الأنوار / الشيخ المجلسي ٢٤: ١٠١ و ١١٠، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت، تفسير الصافي / الفيض الكاشاني ٥: ٢٣٦، طبع منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

الحال والهمّة:

اعلم بأنّ الأشخاص الذين يصبحون أحياناً أصحاب حال ، لا يمكنهم أن يكونوا أرباب مكاشفة ، فمثلاً يتفق حصول حادثة معينة كالذهاب لزيارة أهل القبور ، أو رؤية موت شخص ما ، أو الحضور في مجلس وعظ وخطابة ، أو التعرّض لبلاء أو مرض ، أو أمور أخرى من هذا القبيل ، فيتغيّر حال ذلك الشخص ويتعرّض لاضطراب وعدم ارتياح وحرقة وألم لمدّة معينة ، ثمّ ترتفع تدريجياً هذه الحالة منه ؛ لأنها أمور تنسى بعد فترة ، فهؤلاء الأفراد لا يناوئوا مقام المكاشفة .

فالمكاشفات تحصل يوماً للأشخاص أصحاب الهمّة والاستمرار والاستقامة على الطريقة ، فينالوا مقاماً في ذلك ، وقد أخذنا هذا الموضوع الشريف من كتاب (الفتوحات المكيّة) ، حيث ذكره بالإضافة إلى كلام آخر في غاية الأهميّة .

وقال بعض أرباب الكمال: «الحال معنى يرد على القلب من غير اكتساب ، فإذا دام وصار ملكاً يسمّى مقاماً ، فالأحوال مواهب ، والمقامات مكاسب . والأحوال تأتي من عين الجود ، والمقامات تحصل ببذل المجهود»^(١) .

الأسرة:

كان الميرزا جواد التبريزي من إحدى أسر أعيان وتجار تبريز ، وكان والده المرحوم الحاج الميرزا شفيع أول الأمر عامل مضاربة لناصر الدين شاه ، وكان يعدّ أحد الأثرياء الكبار في عصره ، وقد وُفق في خدمة المرحوم الحاج الميرزا عليّ نقويّ الهمداني ، فنال المقامات الرفيعة نتيجة تهذيب الأخلاق وتزكية النفس ، واتجه نحو عالم المعنى ، والخلاصة أنّ ذلك الموجود الأرضي أصبح من أهل السماء .

ويقول المرحوم المدرّس في ربحانه: «الحاج الميرزا جواد من أكابر علماء

(١) شرح مناقب محيي الدين: ١١٥ ، ط . الأولى .

الأخلاق والعرفان في تبريز في عصرنا الحاضر. وقد عرف باسم الملكي بسبب انتسابه إلى أسرة ملك التجار التبريزي .

الدرجات العلمية والسير والسلوك :

بعد إكمال الحاج الميرزا جواد التبريزي دراسة المَقَدِّمات في تبريز مسقط رأسه ، هاجر إلى العراق وأقام في النجف الأشرف في جوار الولاية المطلقة لحضرة آدم أولياء الله حضرة الوصي أمير المؤمنين عليّ مَظَلًا . وانصرف إلى كسب المعارف الإلهية الحقّة ، ودراسة الفقه والأصول العالية لدى الفقيه الكبير الشيخ رضا الهمداني وغيره من الفقهاء العظام . فنال درجة الاجتهاد ، وأصبح صاحب نظر وعلم ، وأحياناً يدوّن فتاواه الفقهية في كتبه بالإضافة إلى وجود تأليفات فقهية مستقلة عنده ، كما سنوضح ذلك فيما بعد .

ومن التوفيقات التي شملت حال الميرزا جواد الملكي التبريزي أنّه وأثناء تشرفه بالقرب من مقام الولاية في النجف الأشرف . قد وفق بحضور مجلس أعظم معلّم للأخلاق في العصر الأخير . وهو جملة السالكين حضرة المآل حسين قلبي الهمداني ، فحصل على أعلى المنازل والمراحل العالية لعوالم النفس في السير والسلوك ، بسبب تمام قابليته وأتمّ فاعليته .

ورسالته : لقاء الله ، هي بارقة من بوارق ذلك المجلس العرشي العالية والباعثة لاطمئنان النفس . وأسرار الصلاة هي أيضاً من ثمار شروق أسرار ذلك المحضر الأعلى ، ويعتبر كتاب مراقباته إحدى مظاهر درس الحضور والشهود لذلك المجلس الشريف للأستاذ الكبير الرباني المآل حسين قلبي الهمداني . أفاض الله علينا من بركات أنفاسهما النفيسة .

كلمات حضرة الأستاذ العلامة الطباطبائي :

المرحوم الأستاذ العلامة الطباطبائي صاحب التفسير العظيم الميزان ، في مقدّمة

رسالة محاكماته بين المكاتبات العرفانية للآيتين السيّد أحمد الكربلائي الإصفهاني والشيخ محمد حسين الإصفهاني المعروف بالكمباني (وكان من أساتذة المرحوم الأستاذ العلامة الطباطبائي) يقول في شرحه لحال المرحوم الكمباني ما نصّه: «لقد كانت له في مرحلة التهذيب وتصفية الباطن علاقة ومكاتبه مع المرحوم الخالد والعالم التحرير فخر المجتهدين . وسند العارفين الحاج الميرزا جواد الملكي التبريزي نزيل قم الذي كان من أكابر تلامذة المرحوم الملا حسين قلي الهمداني» . انتهى .

تشرّفت (الكاتب) في عصر يوم الأربعاء الحادي والعشرين من شهر شعبان سنة ألف وثلاثمائة وثمانين هجري قمري . في قم بالحضور عند الأستاذ العلامة الطباطبائي روجي فداء . وبعد عرض بعض أحوالي تطرّقت في الحديث عند محضره الشريف إلى ذكر الميرزا جواد الملكي التبريزي .

وقال حضرة الأستاذ العلامة رضوان الله تعالى عليه : «يا سيّد ، إنّه كتب برنامج عمل لأستاذنا المرحوم الشيخ محمد حسين الكمباني ، وكان الشيخ الكمباني حريصاً جداً في إعطائه للآخرين . وقد حصلت على نسخة منه ، وحصل الشيخ علي البروجردي أيضاً على نسخة أخرى . وهو موجود في بروجرد الآن . ومن الأخير ، وكانت هذه النسخة برنامج العمل لجميع التوصيات التي كانت عند المرحوم الميرزا جواد الملكي من المرحوم الأخوند .

فسألت العلامة من تفصّدون بالأخوند؟ فقال : «الأخوند الملا حسين قلي الهمداني رضوان الله عليه» ، فقلت : باللعجب ، أنّ المرحوم الميرزا جواد قد أدرك الملا؟! فقال : «يا سيّد ، لقد حضر الميرزا في مجلس المرحوم الملا لمُدّة أربع عشرة سنة» .

فقلت : يا سيّدي . لقد كنت أتصوّر أنّه من تلامذة المرحوم القاضي (الحاج الميرزا علي القاضي المذكور) ، قال : «لا ، الميرزا القاضي هو تلميذ تلميذه» .

يعني أنه استفاد من تلامذة المرحوم الآخوند ، ولو أنه أدرك أواخر عمر المرحوم لكنه لم يستفد منه .

وعندئذ نقل الأستاذ العلامة الطباطبائي رحمه الله هذا الموضوع ، وكان قد دونه من أستاذه المرحوم القاضي ، فقال : « عندما كنت في النجف الأشرف ، رأيت يوماً رجل دين في الطريق ، يشبه إنسان مختل الحواس ، ومشاعره لا تعمل بشكل صحيح ، فسألت أحداً : هل عند هذا الرجل اختلال فكر وحواس ؟ فقال : لا ، قد خرج الآن من جلسة درس أخلاق الآخوند الملا حسين قلي الهمداني ، وكلما يتحدث الملا يترك تأثيراً كبيراً في الحاضرين ، فيخرجون بهذه الهيئة من شدة تأثير الكلام والتصرف الروحي لحضرته » .

عندئذ سألت الأستاذ العلامة الطباطبائي : هل أدركت المرحوم الميرزا جواد الملكي التبريزي ؟ فقال : « لا . لقد توفي في سنة ألف وثلاثمائة واثان وأربعون . وأنا هاجرت بعد سنتين من ذلك إلى النجف الأشرف (يعني هاجرت من تبريز إلى النجف الأشرف ، وقد انتقل المرحوم الملكي إلى رحمة الله في قم) ، فلم أوفق لرؤية المرحوم الميرزا جواد الملكي التبريزي » .

وفي ليلة الخميس الحادي عشر من ذي الحجة سنة ١٣٨٨ هـ . ق ، أعطاني الأستاذ العلامة الطباطبائي رضوان الله عليه ظرفاً على أفراد فوأيت مكتوباً على الظرف : « رسالة المرحوم الحاج الميرزا جواد الملكي » . فقال : « استنسخ هذه الرسالة وأعد النسخة لي » .

وكانت هذه النسخة هي نفس النسخة التي كتبها آية الله الرباني المرحوم الميرزا جواد الملكي ، إلى آية الله الصمداني المرحوم الحاج الشيخ محمد حسين الكمباني .

برنامج عمل عرفاني :

إنّ برنامج العمل الذي أرسله السالك الرباني الحاج الميرزا جواد الملكي

التبريزي إلى آية الله الحاج الشيخ محمد حسين الكمباني (رضوان الله تعالى عليه)،
هذا نصّه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جعلت فداك ...

في باب الإعراض عن جدّ وجهد الرسميات . وعدم الوصول إلى الواقعات
المكتوبة ، وقد طلبتم من هذا الفقير أن يكتب مقدّمة موصلة ، فإني أقدم لحضرتكم
بلا تكلف كلّ ما تعلّمته لسير وسلوك هذه العوالم ، وقد ذكرت بعض نتائجه
بالتفصيل لحضرتكم في بداية الكلام . وإني ذكرت بدون مضايقة كلّ ما تعلّمته من
لوازم هذا السير ، لشدة شوقي كي أصبح مثل الرفاق في جميع هذه العوالم . والآن
أيضاً أعرض ذلك مجدّداً بالإجمال وبالطريقة التي تعلّمتها :

لقد عيّنا الطريق المناسب لمعرفة النفس : إن النفس الإنسانيّة إذا لم تتمكّن من
تجاوز عالم مثالها فإنّها لن تصل إلى العالم العقلي ، وما لم تصل إلى العالم العقلي
فلا تحصل عندها حقيقة المعرفة . ولن تصل إلى المطلوب . لذا وإلّا إكمال هذا
المقصود ، كان المرحوم المغفور جزاءه الله عنّا خير جزاء المعلمين يقول :

يجب على الإنسان أن يقلّل من الغذاء . ويستريح أكثر من المقدار المتعارف حتّى
يقلّل من الصبغة الحيوانيّة . ويزيد من الروحانيّة . ووضّح مقدار ذلك أيضاً بهذا
الشكل :

أولاً: على الإنسان أن لا يتناول أكثر من وجبتي غذاء ، وأن لا يستقلّ ما بين
الغذائين .

ثانياً: في كلّ وقت يتناول الغذاء لا بدّ أن يكون -مثلاً- بعد ساعة من الجوع ،
ويأكل بمقدار بحيث لا يشبع كاملاً . هذا من ناحية تقليل الغذاء ، وأمّا نوعه ، فلا بدّ
أن يكون بغير الآداب المتعارفة . فلا يتناول اللحم كثيراً ، بمعنى أن لا يأكل في الليل

والنهار، ويترك تناول اللحم في كليهما، أي النهار والليل، دفعتين أو ثلاث دفعات اسبوعياً، ولأجل التكيف أن يمتنع عن أكل اللحم إذا استطاع، وحتماً لا يكون من أكلة المكسرات، وإذا راودته نفسه أحياناً لأكل المكسرات فليستخير في ذلك، وأن لا يترك صيام الثلاثة أيام في كل شهر إذا استطاع.

أما من ناحية تقليل النوم فعليه أن ينام ست ساعات، وبالطبع لا بد أن يهتم كثيراً بحفظ اللسان والابتعاد عن أهل الغفلة، وهذا يكفي في تقليل الحيوانية. وأما لتقوية الروحانية:

أولاً: يجب أن يكون دائماً في همّ وحزن قلبي بسبب عدم الوصول إلى المطلوب.

ثانياً: لا يترك الذكر والفكر ما أمكنه، فإنهما جناحا السير إلى سماء المعرفة، فإن أهم ما يوصى به في الذكر هي أذكار الصباح والعشاء، كما ذكر في الأخبار، والأهم تعقيبات الصلوات، والأهم منها الذكر وقت النوم، فهو المأثور من الأخبار، لا سيما أن ينام متطهراً وفي حال الذكر.

وعن قيام الليل يقول: في الشتاء ثلاث ساعات، وفي الصيف ساعة ونصف، ولا يترك سجدة الذكر اليونيسية، ويستمر عليها ليلاً ونهاراً، وكلما استطاع أكثر كان تأثيرها أكبر، وأقل أقلها أربعمئة مرة، وقد رأيت أثرها كثيراً، فقد جربت ذلك بنفسي، وكذلك ادعى البعض التجربة، وأيضاً عندما يقرأ القرآن، فليقرأ بنية الهدية لحضرة خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وآله.

وأما بخصوص الفكر للمبتدئ، فكان يقول: فكّر في الموت إلى أن يفهم من حاله أنه أصبح حيراناً بالاستمرار بهذه المراتب، وفي الجملة حصل له الاستعداد، آنذاك ينتبهون لعالم خياله، أو أنه يلتفت لذلك، ويفكر لعدة أيام في ذلك ليل نهار، حتى يفهم أن كل ما يراه خيالاً هو منه ولا يخرج عنه، فإذا استطاع جعل ذلك ملكة لرأى

نفسه في عالم المثال يعني كان يفهم حقيقة عالم مثاليّة، وجعل هذا المعنى ملكة .
ثمّ يقول: يجب عليه في ذلك الوقت تغيير الفكر، فيمحو جميع الصور والأوهام، ويبدأ التفكير في العدم. وإذا استطاع الإنسان أن يجعل ذلك ملكة لتجلى له سلطان المعرفة حتماً، يعني تتجلى حقيقته بشكل نوراني بلا صورة ولا حدّ مع بهاء كامل، والأفضل أن يرى في حال الانتعاش، وبعد أن وجد طريق الرقيّ إلى العوالم العليا، فإنّه كلما سار أكثر سيشعر بتأثيره أكثر.

ويسبب ترتيب هذه العوالم فإنّه يجب على الإنسان:

أولاً: أن يترقى من عوالم الطبيعة هذه إلى عوالم المثال. ثمّ إلى عالم الأرواح والأنوار الحقيقيّة، وطبعاً عليكم إيجاد البراهين العلميّة بأنفسكم، والعجب أنّ التصريح بهذه المراتب قد حصل في سجدة دعاء ليلة النصف من شعبان، وهي وقت وصول المراسلة، حيث يقول: «سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي وَبَيَاضِي»^(١)، فأصل المعرفة يكون في الوقت الذي تنفي فيه هذه الثلاثة. فحقيقة السجدة عبارة عن الفناء، حيث عند الفناء عن النفس بمراتبها يحصل البقاء بالله، رزقنا الله وجميع إخواننا بمحمّد وآله الظاهرين.

ولله الحمد لم يحرمني الله من عوالم دعاء إخواننا، وقد جعلت لنفسي دعاء الوجود الشريف، وجمع من إخواننا كورد الليل ...

إنّ حدّ كمال الفكر هو عالم المثال، وبعد ذلك يكون وقت محو الصورة، وعندئذٍ إنّما يجب عليه أن يلتفت لذلك بنفسه ويرى عياناً حقيقة الموضوع. أو أنّ يفكر كثيراً حتّى يتيقن من علميّته السابقة، عندئذٍ يكون قد محا الأوهام وتفكر بالعدم، حتّى تتجلى له حقيقة نفسه .»

(١) بحار الأنوار / الشيخ المجلسي ٢٢: ٢٤٥، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت.

كان هذا قسم من رسالة المرحوم الحاج الميرزا جواد الملكي التبريزي إلى المرحوم الحاج محمد حسين الكمباني .

توضيح عدة نقاط مهمة :

كانت هذه تمام النسخة التي قد استنسخناها بدون زيادة ونقصان ، وعندما ذهبت إلى المرحوم الأستاذ العلامة الطباطبائي لإعادة النسخة الأصلية له ، سألته أن الحاج الميرزا قد كتب في ذيل هذه الرسالة : « قسم من رسالة المرحوم الحاج الميرزا جواد الملكي التبريزي إلى المرحوم الحاج محمد حسين الكمباني » ، فكيف يمكن الحصول على بقية الرسالة وأصلها ؟

قال : « لقد رأيت أصلها بنفسي ، وكان هذا هو جميع البرنامج الذي استنسخته ، أما الباقي فكان مجرد سلام وسؤال عن الحال » .

ثم سألت المرحوم الأستاذ العلامة الطباطبائي في بيان رسالة المرحوم الميرزا جواد ، وماذا يعني بقوله : « حينئذٍ يلتفت إلى عالم خياله » ؟

فقال : إن كل ما يعلمه الإنسان جميعه من صنع نفسه ، وكل عالم المثال علمه ، وكل ما ترى (يعني تدركه) هو أنت وليس خارج منك » .

أما قصد المرحوم الملكي التبريزي من قوله : « يجب تغيير الفكر ، ومحو جميع الصور والأوهام ، والبدء بالتفكير في العدم » ، هو أنه يعتقد أن جميع ذلك مظاهر ومجال الحق ، وأن يرى الحق في هذه المظاهر . ولا يجعل لها استقلالاً وجودياً ، فذلك هو معنى العدم ، لأنه لا معنى ولا تتحقق لظهور بدون مظهر وجلاء بدون مجلي . إذن يرى الجميع حقاً ، والعارف هو الذي يكون ما وجدته في النهاية نفس الذي وجدته في البداية ، ويحصل عامة الناس في (الحال) على العلم مع تفاوت في طريقة الحصول ، ويكون قد وصل في هذه (الحال) إلى عالم النور والبياض والعيان . كان هذا قول الأستاذ العلامة الطباطبائي في بيان الجملتين السابقتين ، واعلم أن

قصد المرحوم الملكي من « المرحوم المغفور جزاه الله عنّا خير جزاء المعلمين » هو حضرة المرحوم الآخوند الملا حسين فلي الهمداني .

وأما قوله: « يقول في سجدة دعاء ليلة النصف من شعبان: « سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي وَبِيَاضِي » ، هو إشارة إلى سجدة رسول الله ﷺ في ليلة النصف من شعبان ، حيث كان يقول: « سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي ، وَأَمَّنْ بِكَ فَوَادِي »^(١) ، حيث جاء في النسخة: « بياضي » بدلاً من « فوادي » ، وتفصيل ذلك مذكور في مفاتيح الجنان للمرحوم المحدث القمي ، وأصل ذلك مكتوب في مصباح المتهجد لشيخ الطائفة الشيخ الطوسي^(٢) .

الهجرة إلى قم:

عاد حضرة الميرزا جواد الملكي إلى وطنه تبريز بعد إكمال دراسته وكسب الكمالات المعنوية في النجف الأشرف ، وانصرف هناك إلى التدريس وإكمال النفوس ، وكان من جملة ذلك درس الأخلاق ، حيث ذكروا أنه كان يحضر الدرس أربعمئة نفر من تلامذته .

وكان بيته الشريف في تلك المدينة ، ولمدة ما يقرب عن ست سنوات ، معقلاً ومأمناً للنفوس الوالهة ، إلى أن حدثت حركة المشروطية وما سببت من تدمير لمدينة تبريز ، وحدث ما حدث فيها .

فترك حضرته تبريز سراً وذهب منها إلى طهران ، ومن طهران إلى حضرة عبد العظيم عليه السلام ، وهاجر منها إلى قم ، وأقام فيها واتخذها وطنه الثاني ، واشتغل بتدريس وإكمال النفوس المستعدة حتى لبى دعوة الحق في

(١) مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمي : ١٦٩ ، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت .

(٢) مصباح المتهجد / الشيخ الطوسي : ٥٨٥ ، ط . الحجرية .

١٠٠ مذكرات فريدة عن بعض العلماء الربانيين

يوم عيد الأضحى لسنة ألف وثلاثمائة وثلاث وأربعون هجري قمري . وتربته إلى جوار حضرة فاطمة المعصومة بنت باب الحوائج إلى الله في شيخان قم ، مزاراً للخاصة .

معرفتي بحضرته :

إن معرفتي بحضرة الميرزا جواد الملكي التبريزي قد بدأت عندما وقع نظري لأول مرة على رسالته أسرار الصلاة في طبعتها الأولى في إحدى المكتبات ، ومال قلبي لها ، فاشتريتها ، وبدأت بمطالعتها . وبعد ذلك انشغلت بمطالعة رسالة مراقباته ، وقد تعلمت كثيراً من هذين الكتابين . لكنني لم أعرف الميرزا جواد لحد الآن بشكل صحيح .

ولقد لاحظت في أحد هذين الكتابين أن مؤلفهما العظيم يقول : « يوقظونا في السحر أن انهض قد حان وقت الملاقاة والمناجاة » ، ففهمت أن هذا ليس قول فقط ، بل أن صاحب الكتاب أهل فعل ورجل بحق . وما أن سمعت أن لحضرته رسالة في لقاء الله طرقت الأبواب لأجل الحصول عليها ، ولأن عاقبة الباحث أن يجد ما يبحث عنه تمكنت من الحصول عليها . فبدأت بمطالعتها من أعماق القلب والروح . وقد استفدت منها ، وتلذذت بها حسب طاقتي .

وفي بداية شرح حال ذلك الكتاب ، كتب ناشره أن نسخة من هذا الكتاب كانت موجودة عند الحاج السيد حسين الفاطمي . فسألت عن هذا الرجل المحترم ، لأن الشخص الذي عنده نسخة من رسالة لقاء الله ، لا بد أن يكون رجل حال وصاحب قلب وأهل طريق .

فعرفت أنه أحد تلامذة المرحوم الميرزا جواد الملكي ، وأنه رجل مُسنّ ما زال على قيد الحياة ، لكنّه مريض ولا يخرج إلى مكان . وعنده مجلس وعظ أخلاقي في ليالي الجمعة في منزله الواقع بالقرب من (تكية سيد حسن) في قم .

كلمات من المرحوم الحاج السيد حسين الفاطمي القمي:

تشرّفت في عصر يوم الخميس الخامس عشر من شعبان سنة ألف وثلاثمائة وثمان وثمانون هجري قمري ، بزيارة حضرة السيد الفاضل حجة الإسلام والمسلمين الحاج السيد حسين الفاطمي القمي . ولم أكن رأيتُه قبل ذلك اليوم ، وكان رجلاً كبيراً في السنّ في حدود المائة سنة . وبعد أداء آداب الدخول جرى الحديث حول الميرزا جواد التبريزي . فقال لي - ولأجل التشجيع :-

« يا سيّد ، إنّ الشخص الذي يأتي لي في هذه الأوضاع ، وفي هذا المكان المعتزل ، ويسأل ويتتبع أحوال وآداب الميرزا جواد الملّكي رحمة الله عليه ، فمن المعلوم أنّ في داخله شيئاً » .

فطلبت من حضرته أن يسمح لي بقراءة قصيدة غزليّة كتبتها في ذلك اليوم ، ومطلعها:

بلبلان را آرزوئی جز گل و گلزار نیست

عاشقان را لذتی جز لذت دیدار نیست^(١)

فسمح لي واستمع للقصيدة باهتمام واستحسن ذلك .

فقلت له : تلطّفوا علينا ببرنامج عمل من المرحوم الملّكي ، فقال : « كان هو بنفسه برنامج عمل ، فإنّه ما أن يجزّ الليل حتّى يصبح مجنوناً . ويتمشّي بجنون في ساحة المنزل ويترنّم :

گر بشکافند سراپای من جز تو نیابند در اعضای من^(٢)

وكان آخر كلامه في مرضه أن قال : « الله أكبر » . ثمّ انتقل إلى رحمة الله . وبعد ذلك

(١) المعنى: لا تتمنى البلابل سوى الورد ورياض الأزهار ، وليس للعشاق لذّة سوى لذّة اللقاء .

(٢) المعنى: لو يشرّحوا جسدي من الرأس إلى القدم فلا يجدوا شيئاً في أعضائي سواك .

قال المرحوم الفاطمي : « كان والد المرحوم الحاج الميرزا جواد الملكي باسم الحاج الميرزا شفيع ، ولم يكن رجل علم ، لكنّه كان إنساناً ذا خلق وكمال . ولم يبق من أبناء الحاج الميرزا جواد أحد ، حيث كان لديه ابن باسم عليّ ، وكان من أهل العلم ، وقد توفّي في حياة والده ، والأخر باسم حسين قلي ولم يكن من أهل العلم ، وتوفّي بعد رحيل والده .

وكان هناك صورة للمرحوم الحاج الميرزا جواد الملكي في اطار معلّقة على حائط المرحوم الفاطمي ، قد التقطت له وهو في حال الصلاة .

فقال المرحوم الفاطمي : « إنّ حضرة الميرزا لم يكن يسمح لأحد أن يلتقط له صورة ، وقد خطّط بعض أصدقائه المخلصين أن يلتقطوا له صورة في الصلاة ، بحيث لا يستطيع منع ذلك ، فالتقطوا له هذه الصورة وهو في حال القنوت ، وهو لا يعلم بذلك » .

وكانت هذه الصورة جميلة جداً ، فطلبت من حضرة السيّد الفاطمي أن يسمح لي بأن أخذ لها صورة وأعيد له الأصل . فقبل ذلك دون تردّد ولا كلام ، وبدون أي قيد وشرط رفع الصورة من الحائط وأعطاني إياها بكمال الكرم واللطف . وفي غد ذلك اليوم أرسلت لتكبيرها وأعدت الأصل إلى حضرة المرحوم حسين الفاطمي ، فكان من جملة صور الأولياء الذين افتخر بزيارتهم ورؤية صورهم ، هي هذه الصورة للمرحوم الملكي التبريزي .

وقد زرته مرّة أخرى أثناء ذلك الاسبوع . لكنّه كان مريضاً جداً فلم أرى من الإنصاف أن أزعجه في هذه الحال ، وقد لبّي نداء ربّه في ذلك المرض . وتربته في شيخان قم ، وتربة الحاج الميرزا جواد الملكي التبريزي في شيخان قم أيضاً .

كانت هذه كلمات سمعتها من حضرة المرحوم الحاج السيّد حسين الفاطمي واستفدت منها .

وحول ما قاله عن ولديه عليّ وحسين قلي ، فقد سمعت من شخص آخر ،

حيث قال لي: «لقد سمى المرحوم الميرزا جواد ابنه باسم حسين فلي لشدة علاقته بأستاذه المرحوم الآخوند الملا حسين فلي».

أمّا عليّ فهو الذي قال عنه المرحوم الميرزا جواد في مراقبات محرّم من كتاب المراقبات، وهو يخاطب حضرة سيّد الشهداء روجي لتربته الفداء: «يا سيّدي، يا ليتني كنت فداء لك من جميع هذه البلايا وجلّ هذه الرزايا، فيا ليت أهلي وأولادي كانوا مكان أهلك وأولادك مقتولين مأسورين، ويا ليت سهم حرملة لعنة الله عليه ذبح رضيعي، ويا ليت ولدي عليّاً قطع عوض ولدك إرباً إرباً، ويا ليت كبدي تفتّت من شدة العطش... الخ»^(١).

قصّة (المجهول):

إنّ كاتب هذه السطور بعد أن تعرّف على شخصيّة المرحوم الحاج الميرزا جواد الملكي، كان يتصوّر، ولمدّة طويلة، أنّ قبر حضرته في النجف الأشرف، إلى أن التقيت مصادفة في أحد الشوارع مع حضرة آية الله السيّد حسين القاضي الطباطبائي التبريزي أخو المرحوم الحاج السيّد عليّ القاضي -السابق ذكره-، وكان ذلك في إحدى ليالي النصف الثاني من رجب سنة ألف وثلاثمائة وثمان وثمانون هجري قمري، وقد مضى من الليل حوالي ثلاث ساعات.

فتكلّمت معه أثناء الطريق عن المرحوم الحاج الميرزا جواد الملكي وسألته عن تربته، فقال: «إنّ قبره في شيخان قم قرب قبر المرحوم الميرزا القمي صاحب القوانين، وعلى قبره لوح مكتوب». وعندما سمعت أنّ على قبره لوح مكتوب فلم أسأله في أي جهة من قبر الميرزا القمي.

وما أن ودّعت السيّد حسين القاضي ذهبت مسرعاً نحو شيخان قم حتّى أصل

(١) المراقبات / الشيخ الميرزا جواد ملكي التبريزي: ٢٨، طبع دار الاعتصام.

قبل أن يغلقوا الباب ، فذهبت إلى هناك ونظرت إلى العديد من ألواح القبور ، وتمكنت من تشخيص بعضها . أمّا تشخيص البعض الآخر فكان صعباً جداً . فقلت في نفسي : الآن ليل وظلام فلاأترك هذا إلى الغد . فخرجت من شيخان آيساً ، لكنني خرجت بتأني وأنظر مرة أخرى بألواح القبور . فرأيت شخصاً مجهولاً يدخل من الباب الشرقي لشيخان إلى المقبرة ، واتجه نحوي مباشرة . وما أن وصل لي قال : « يا سيّد ، هل تريد قبر الميرزا جواد الملكي ؟ » .

فأخذني إلى جوار قبر ذلك المرحوم ، وذهب عني واتجه بسرعة نحو الباب الغربي لشيخان وخرج من المقبرة ، وقد اضطربت وتحركت بلا إرادة وناديته بهذه العبارة وقلت : يا سيّد ، لقد كنت أبحث عن قبره . لكن من أين علمت ذلك ؟ ! فأدار ذلك الشخص وجهه لي ، وهو في حال خروجه مسرعاً من الباب الغربي لشيخان ، فقال لي وقد اتجه بنصف وجهه نحوي : « نحن نعرف مريدنا » .

المؤلفات :

إنّ مؤلفات المرحوم الحاج الميرزا جواد الملكي عبارة عن كتاب المراقبات ، وهو نفس كتاب أعمال السنة ، وله كتاب آخر باسم أسرار الصلاة ، وكذلك كتاب لقاء الله ، وجميعها مطبوعة ، وبعضها تكرر طبعه وترجم ، والحق أنّ كلّ واحد منها كان مهماً جداً في موضوعه . ولا بدّ من شرح وبيان هذه الكتب في فرصة أفضل .

وقد كتب حضرة الأستاذ العلامة الطباطبائي رحمه الله ، تقرّظاً على كتاب (أعمال السنة) ، طبع في بداية كتاب المراقبات ، يقول فيه : « أما بعد ، فهذه أسطر أعلّقها على كتاب أعمال السنة للعلّم الحجّة الآية المرحوم الحاج ميرزا جواد آقا الملكي التبريزي قدّس الله روحه . ولست أريد بها أن أمدح هذه الصحيفة الجليلة ، أو أثني على مؤلّفها العظيم ، فليست هي إلّا بحراً زاخراً لا يوزن بمزّ ولا صاع ، ولا هو إلّا علماً شامخاً لا يقدر بشبر أو ذراع ، وكفى بالفصّور عذراً ، وبالبأس عن البلوغ

راحة ، وإنما أريد أن أواجه إخواني من أهل الولاء ، وسادتي من أرباب الصدق والصفاء بما فيه بعض التذكرة ، وأنّ الذكرى تنفع المؤمنين » - إلى قوله في آخره :- « وما بين أيديكم من الكتاب من أحسن ما عمل في هذه الشأن ، ففيه لطائف ما يراقبه أهل ولاية الله ، ودقائق ما يهجس في قلوب الوالهيين في محبة الله ، وجمل ما يلوح للرائضين في عبادة الله نور الله مرقد مؤلفه العظيم ، وأفاض عليه من سحائب رحمته ومغفرته ، وألحقه بنبيه وآله الطاهرين » .

ومن كتبه الأخرى الذي ذكروها رسالة في الحجّ ، وأخرى في السير والسلوك ، وله تعليق بالفارسيّة على الغاية القصوى .

والمؤلف لم ير هذه الكتب ، وليست عنده ، وقد جاء في نهاية ترجمة مراقباته ، وأيضاً في نهاية شرح حاله في بداية كتاب المراقبات : « وله رسالة في الأصول ، وأخرى في الفقه لم تطبع بعد » . فهل أنّ رسالة الفقه هذه هي نفس رسالة في الحجّ أم غيرها ؟ وأنّ رسالة لقاء الله هي نفس الرسالة في السير والسلوك أم غيرها ؟

تلامذته :

إنّ من تلامذة حضرة المرحوم الملكي التبريزي : حضرة ثقة الإسلام الحاج السيّد حسين الفاطمي رحمة الله عليه ، الذي سبق ذكره ، ومن تلامذته أيضاً ، وأصحابه الخاصين حضرة ثقة الإسلام المرحوم الحاج السيّد محمود اليزدي ابن الميرزا سعيد اليزدي ، والمدفون في مقبرة شيخان قم (توفّي سنة ١٣٧٨ هـ . ق) ، وتلميذه الآخر آية الله الملا عليّ الهمداني رحمته الله . والآخر الناضل المتّقي . والعالم الكبير ، والشاعر عذب الكلام ، والأديب الصالح حضرة الشيخ إسماعيل بن الحسين المتخلّص إلى تائب التبريزي ، وأحياناً كان يتخلّص في أشعاره إلى (المحترق) ، وسأل لأي سبب تتخلّص محترقاً ؟ فأجاب : « حتّى إذا قالوا لابني (ابن المحروق) ^(١) يكون ذلك

(١) نوع من الشتيمة في الفارسيّة .

في محلّه ، ويقول :

از بسکه بسوخت باہم اندر ره عشق زین باب بود کہ من پدر سوخته‌ام^(١)
وقد نظم هذا الشيخ إسماعيل تائب قصيدة باسم القصيدة الجوادية في رثاء
أستاذه الحاج الميرزا جواد الملكي .

ملاحظة: أنّ هذا الشيخ إسماعيل التائب المحترق ، وهو نفس العالم الذي جمع
مكاتبات^(٢) المرحوم السيد أحمد الكربلائي ومحمد حسين الكمباني ، وجمع
المرحوم التائب أيضاً رسائل الملا حسين قلي الهمداني وتلامذته في مجموعة باسم
(تذكرة المتّمين) ، كما يذكر ذلك في طبقات أعلام الشيعة في شرح حال المولى
حسين قلي الهمداني ، فيقول : « فقد جمع الأديب الصالح الميرزا إسماعيل التبريزي
نبذة من مكاتيب المترجم له (يعني المولى حسين قلي الهمداني) ، ومكاتيب
تلامذته ، وطبعها في ١٣٢٩ باسم تذكرة المتّمين . كما أشرنا إليه في الذريعة ج ٤ أيضاً
ص ٤٦ »^(٣) .

وقال في نفس ذلك المجلّد المذكور الذريعة . وفي عنوان تذكرة المتّمين ما نصّه :
« وقد باشر جمع هذه المكاتيب وطبعها في ١٣٢٩ . الأديب الصالح الميرزا
إسماعيل ابن الحاج حسين التبريزي الشهير بمسألة گمو ، نزيل مشهد الرضا عجلاله »

(١) المعنى : لكثرة ما احترقت في طريق العشق لهذا السبب كنت الأب المحروق .

(٢) تحتوي هذه المجموعة النفيسة على مكاتبات عرفانية وحكمية بقلم آيات الحقّ : السيد
أحمد الكربلائي على أساس أصالة الوجود والوحدة الشخصية ذات مظاهر وجودها ، وهي
الأساس السليم للصحف العرفانية ، والشيخ محمد حسين الكمباني على أساس أصالة
الوجود والوحدة ذات المراتب التشكيكية لها . وتعليقات حضرة العلامة الطباطبائي
صاحب الميزان بشكل محاكمات في معنى بيت شعري واحد للعارف الكبير الشيخ العطار :

او به سر نايد ز خود آنجا که اوست کی رسد عقل وجود آنجا که اوست

(٣) طبقات أعلام الشيعة / الجزء الأول ، وهو نقباء البشر في القرن الرابع عشر : ٦٧٧ .

أخيراً ، والملقب في شعره بتائب .»

وسنذكر بعض آخر من تلامذته فيما بعد .

نظر أصحاب التراجم :

ننقل بعض أقوال أصحاب التراجم حول شخصيّة الحاج الميرزا جواد الملكي التبريزي (قدّس سرّه الشريف) :

١ - طبقات أعلام الشيعة^(١) :

« هو الشيخ الميرزا جواد آغا ابن الميرزا شفيع الملكي التبريزي نزيل قم ، عالم فقيه ، وأخلاقي فاضل ، وورع ثقة . كان في النجف الأشرف ، اشتغل فيها على أعلام الدين ، فقد أخذ مراتب السلوك عن الأخلاقي الشهير المولى حسين قلي الهمداني وأكمل نفسه عليه ، وتلمذ في الفقه والأصول على العلامة الشيخ آغا رضا الهمداني وغيره من العلماء . وعاد إلى إيران في (١٣٢٠هـ) فاستوطن دار الإيمان قم ، وقام بوظائف الشرع ، وكان مروجاً للدين . مرتباً للمؤمنين إلى أن توفّي يوم عيد الأضحى (١٣٤٣هـ) ، ورثاه تلميذه الشيخ إسماعيل بن الحسين المتخلص بتائب بقصيدة أرّخ في آخرها عام وفاته ، وسماها بالقصيدة الجوادية . وله تصانيف منها (أسرار الصلاة) طبع (١٣٣٩) ، وله أيضاً (السير والسلوك) مخطوطة توجد نسخة عند تلاميذه ، واستنسخ عنه أيضاً السيّد عبدالحسين الحجّة في (١٣٥٨هـ) .»

وقال في الذريعة : « وبها ألف أسرار الصلاة ، وطبعه سنة ١٣٣٨ »^(٢) .

٢ - ريحانة الأدب^(٣) :

« الحاج الميرزا جواد من كبار علماء الأخلاق والعرفان في عصرنا الحاضر في

(١) الجزء الأول ، وهو نقباء البشر في القرن الرابع عشر : ٣٢٩ .

(٢) الذريعة ٢ : ٤٧ .

(٣) ريحانة الأدب ٥ : ٣٩٧ .

تبريز، ويعرف بالملكي لانتسابه إلى أسرة ملك التجار التبريزي، وكان يعقد في منزله (في تبريز) مجلس ذكر وموعظة لسنوات عديدة. وبقيّة كلامه منقول من الذريعة.

٣- كتاب العلماء المعاصرين^(١): تأليف الحاج الملا علي الواعظي الخياباني التبريزي، وقد ترجم حضرته في هذا الكتاب نفس قول الذريعة^(٢) في بيان أسرار الصلاة، وقد وُقّق بقلمه القدير في ذلك. بهذا الشكل:

«الحاج الميرزا جواد الملكي رحمته الله المتوفّي سنة ١٣٤٤^(٣). رسالة أسرار الصلاة من تصنيف الشيخ الميرزا جواد الشهير بالملكي التبريزي نزيل قم. والمتوفّي هناك سنة ١٣٤٤. وقد أكمل المرحوم العلوم والمعارف طيلة سنوات عديدة في النجف الأشرف، وهذّب نفسه بمصاحبة جمال السالكين المولّي حسين قلي الهمداني، وعاد إلى إيران في حدود سنة ١٣٢٠، وأقام إلى جوار حضرة السيّدّة فاطمة عليها السلام في قم، وقد ألّف كتاب أسرار الصلاة في ذلك المكان الشريف. وطبع في سنة ١٣٣٨.»

٤- آثار الحجّة^(٤):

«لقد شهدت الحوزة العلميّة في قم من أوّل تأسيسها حوادث وقضايا تاريخيّة مهمّة، ولها أهميّة عظيمة من حيث التاريخ... والثاني أنّ من الحوادث المهمّة التي شهدتها الحوزة العلميّة في قم في سنواتها الأولى. والتي يمكن عدّها من المصائب المؤسفة والأحداث المؤلمة في العالم الإسلامي هي فقدان حجّة الإسلام والمسلمين آية الله في العالمين العالم الربّاني. والكامل الصمداني،

(١) كتاب العلماء المعاصرين: ١٣٧، ط. الحجرية.

(٢) الذريعة ٤: ٤٧.

(٣) الذريعة ٢: ٤٧.

(٤) آثار الحجّة / محمّد الرازي ١: ٢٦.

الفصل الثاني: آية الله الحاج الميرزا جواد ملكي التبريزي ١٠٩

جمال السالكين ، وقطب العارفين ، الحاج الميرزا جواد الملكي التبريزي . وقد حدث ذلك في ذي الحجة سنة ١٣٤٢ هـ . ق . فأظلم الحوزة العلمية بغروب نوره .

لقد كان الفقيد المعظم له من شخصياتنا المتميزين ، ومن علمائنا المتأخرين المعاصرين ، حيث يمكن عدّه من نوادر الزمان في السلوك والعرفان ، والخلق والإيمان .

ولد في تبريز ، وبعد دراسة المتدمات والسطوح سافر إلى العتبات المقدسة والتجف الأشرف ، وتعلّم الفقه من المرحوم الحاج رضا فقيه فقيه الهمداني صاحب مصباح الفقيه ، وتعلّم الأصول من المآل الأخوند الخراساني ، وعلم الحديث والدراية من الحاج النوري ، وقد اختار من البداية ملازمة ومصاحبة المرحوم جمال السالكين ، صاحب النفس الزكية ، مولانا المآل حسين قلي الهمداني ، والذي لفضائله شهرة واسعة لدى أرباب العلم والمعرفة والعرفان والنظر ، ممّا يغني عن توضيحنا غير اللائق هذا . وقد أشرت إلى مقامه وتلامذته في رسالة التقوى ، فاهتمّ بتهديب وتكميل نفسه عنده . وعاد إلى إيران حدود سنة ١٣٢١ ، وسكن أولاً في تبريز ، وبعد حادثة ثورة المشروطة في سنة ١٣٢٩ هجري هاجر إلى قم وانشغل بالتدريس (درس الفقه وكان بعنوان مفاتيح المرحوم فيض) . وتهديب وتربية تلامذة مذهب جعفر بن محمد عليه السلام . وكان يصوم الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان ، وكان يدرّس في المدرسة الفيضية درساً عاماً في الأخلاق ، والآن وقد مضى ثلاثون سنة من رحلة وفقدان ذلك العالم الرباني . لكن ما زال باب وحائط صفّ وفضاء المدرسة يترنم بصوته الحزين الباكي ، وآهاته المؤلمة والمحزنة من الشوق . فكان يقول : « اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي التَّجَافِي عَن دَارِ الْفُرُورِ . وَالْإِنَابَةَ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ ، وَالْإِسْتِعْدَادَ لِلْمَوْتِ قَبْلَ حُلُولِ الْقَوْتِ » ^(١) .

(١) بحار الأنوار / الشيخ المجلسي ٩٥ : ٦٣ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .

إن فضائل وكرامات المرحوم الحاج الميرزا جواد أكثر من أن يمكن ذكرها في هذا المختصر ، وقد ذكر تلامذته ، وهم من العلماء المعروفين ، قصصاً حول أخلاقه وزهده وتقواه وعشقه وعرفانه ، وحتى عدوه في عداد بكائين آخر الزمان ، وكانت صلاة جماعته في المسجد الواقع أعلى الرأس الطاهر ، وأحياناً في المدرسة الفيضية ، ودرسه فيها شاهد على هذا المدعى .

وكان ارتباطه ولقائه مع حضرة بقیة الله الأعظم أرواحنا له الفداء كثيراً ، وتمسكه بالتقوى والورع كبيراً . ولم يكن يغفل عن المراقبة بالانوافل ، والحضور والتوجه الدائمي الآتي ، ولم يخرج لحظة عن ذكر الله .

وقد حكى لنا حضرة حجة الإسلام الحاج السيد جعفر الشاهرودي ، وهو من علماء طهران في الوقت الحاضر ، مكاشفتين مفصلتين له ، وأنقل مجملها لكي نتعرف على مقام ومنزلة صاحب الترجمة :

ذكر مكاشفات حول الميرزا جواد الملكي :

١ - قال : رأيت في إحدى الليالي رؤيا في نومي عندما كنت في شاهرود ، أن حضرة صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف حضر مع جماعة في صحراء ، وظاهراً قد وقفوا الصلاة الجماعة . فتقدمت إلى الإمام لزيارته وتقبيل يده ، وما أن وصلت قريباً منه رأيت شيخاً جليلاً يتف مصللاً بحضرته ، ويظهر على سيمائه آثار الجمال والوقار والجلال . وعندما استيقظت بقيت أفكر من هذا الشيخ الجليل ، بحيث كان قريباً إلى هذا الحد من مولانا إمام الزمان (عج) ومصللاً به .

فذهبت إلى مشهد للبحث عنه ، فلم أجده . ثم أتيت إلى طهران فلم أره ، ثم تشرفت إلى قم فرأيت مشغولاً بالتدريس في غرفة من غرف المدرسة الفيضية ، فسألت من هذا ؟ قالوا : العالم الرباني الحاج الميرزا جواد التبريزي ، فتشرفت في خدمته ، فسألني عن حالتي كثيراً ، وقال : متى أتيت ؟ وكأنه قد رأني وعنده علم

وإطّلاع بالحادثة ، لهذا اخترت ملازمته ، فوجدته كما رأيت ، وكما كنت أريد .

٢- رأيت في المنام في إحدى الليالي قريباً من السحر ، أنّ أبواب السماء قد فتحت لي وارتفع حجابها ، حتى أرى أسفل العرش الإلهي العظيم ، ثم رأيت المرحوم الأستاذ الحاج الميرزا جواد واقفاً رافعاً يديه في القنوت ومشغولاً بالتضرّع والمناجاة ، فكنت أنظر إليه متعجباً لمقامه الرفيع ، إلى أن سمعت صوتاً عالياً في المنزل ، فانتبهت واستيقظت من النوم ، فذهبت إلى المنزل ورأيت أحد ملازميه ، حيث قال : تعال نذهب إلى منزل الحاج الملكي . فقلت : ما الخبر ؟ فقال : سلّمك الله ، لقد رحل عن هذه الدنيا .

قبره في شيخان قرب قبر الميرزا أبو القاسم القمّي صاحب القوانين ، وتاريخ ذلك مكتوب على لوحة قبره بالعربيّة (رفع العلم وذهب الحلم) يعني ١٣٤٣ هـ . ق .

وله مؤلّفات عديدة من جملتها أسرار الصلاة ، وقد طبعت سنة ١٣٢٨ ، والآخر السير والسلوك ونسخته الخطيّة عند سيّد الأعلام العالم الزاهد والعايد والمتّقي الحاج حسين الفاطمي القمّي . وكان من تلامذته الملازمين له دائماً إلى آخر عمره ، وأيضاً عند حضرة آية الله الحاج السيّد أبو القاسم الخوئي في النجف الأشرف ، وبعض تلامذته الآخرين .

ثمّ أنّ المرحوم الرازي قد كتب : إنّ تلامذة درس أخلاقه كثيرون ، وذكر عدد منهم .

تمثّلات ومكاشفات السالك :

يقول كاتب هذه السطور حسن حسن زاده الأملي : أنّ ما نقل : « رأيت أنّ أبواب السماء قد فتحت لي ... » . أنّ هذه الأمور والأحوال هي تمثّلات وأحداث ومكاشفات تتفق للسالك حسب استعداده وطلبه ، وهذه التمثّلات هي أحوال معنويّة تظهر فقط في صقع نفس السالك المستعدّ ، ولا تكون من الأمور الجسمانيّة

والمادية الخارجية ، مثلاً إذا كان شخص جالساً إلى جانب المكاشف فإنه لا يرى أبواب السماء مفتوحة ، ولا أن حجابها يرتفع ، وإذا كانت هناك أمور جسمانية فإنه يراها متساوية جميعاً . وقد كتبت ذلك في الفصل التاسع من رسالة نور على نور في الذكر والذاكر والمذكور .

٥ - مرآة العلماء^(١) :

« يعدّ الحاج الميرزا جواد من الفقهاء وعلماء الأخلاق الكبار... وهذا العالم الكبير هو من إحدى أسر أعيان وتجار تبريز ، وكان والده أول الأمر عامل مضاربة للسلطان ناصر الدين شاه ويعدّ من الأثرياء الكبار . ثم أتجه نحو عالم المعنوية ، ونال المقامات الرفيعة في خدمة الميرزا علي نقي الهمداني . فتعرّف على عالم آخر نتيجة لتهديب الأخلاق والمجادلة والاجتهاد .

وكان صاحب الترجمة من كبار درس الحاج رضا الهمداني . ويتبع مسلك المحدثين أيضاً ، على الرغم من أنّ الرسالة في الحجّ قد كتبت على مذهب الإخباريين ، والخلاصة أنّ حضرته يُعدّ من كبار علماء الفقه والأصول والعرفان . وأما كتبه فأحدها كتاب أسرار الصلاة . والآخر حاشية باللغة الفارسية على الغاية القصوى ، وكتاب آخر باسم مراقبات السنة . وسمعت أنه كان يقرأ هذا الشعر مكرّراً في قنوت النوافل :

زان پيشترکه عالم فانی شود خراب ما را ز جام باده گلگون خراب کن
وكان من تلامذته وأصحابه الخاصين السيّد محمود البيدي . وهو من أبناء الميرزا سعيد ، انتهى .

ويقول المؤلف : وأما ما نقل أنه كان يقرأ في قنوت النوافل ذلك الشعر ، فإنّ حضرة الشيخ الصدوق قد قال في من لا يحضره الفقيه : « وذكر شيخنا محمد

(١) مرآة العلماء / السيّد علي رضا ریحان الله البيدي : ٣٥٠ .

الحسن بن أحمد بن وليد عليه السلام ، عن سعد بن عبدالله أنه كان يقول: لا يجوز الدعاء بالفارسيّة ، وكان محمّد بن الحسن الصفّار يقول: إنّه يجوز. والذي أقول: إنّه يجوز لقول أبي جعفر الثاني عليه السلام (هو الإمام محمّد النقي عليه السلام) «لا بأس أن يتكلّم الرجل في صلاة الفريضة بكلّ شيء ينجي ربه عزّ وجلّ» ، ولو لم يرد هذا الخبر أيضاً لكنت أجزيز بالخبر الذي روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «كل شيء مطلق حتّى يرد فيه نهي» ، والنهي عن الدعاء بالفارسيّة في الصلاة غير موجود والحمد لله .

وكما يظهر من عبارة الصدوق هو إطلاق جواز القنوت بالفارسيّة ، سواء في الصلاة المفروضة أو المندوبة ، وسواء باللغة الفارسيّة أو غيرها ، يعني كلّ لغة أعجميّة وغير عربيّة .

وظاهر الحكاية من عمل المرحوم الميرزا جواد ، والجمع بين القولين المذكورين أنّه «لا يجوز الدعاء في القنوت بالفارسيّة في الصلاة المفروضة ، ويجوز في النافلة» ، ولتفصيل البحث يرجع إلى الكتب الفقهية .

يجب تقديم أحذيتهم أمام أقدامهم:

٦- تاريخ الحكماء والعرفاء^(١):

«نقل عن بعض أهل السلوك أنّ الميرزا جواد ، وبعد سنتين من خدمة (الأخوند المولى حسين قلبي الهمداني) ، يقول: لم أصل في شيء» .

وعندما سأله المألّا عن اسمه ورسمه ، أجاب الميرزا متعجباً وقال: ألا تعرفني؟ أنا جواد التبريزي الملكي ، فيقول له: هل لك علاقة قرابة بأسرة الملكي؟ فكان الميرزا جواد ينتقدهم لأنّه لم يكن يرى أنّهم لاثقون وجيّدون ، فأجابه الأخوند

(١) تاريخ الحكماء والعرفاء / الصدوقي سها: ١٣٣ ، ط. الأولى .

المآل حسين قلبي قائلاً: عندما تستطيع أن تقدم أحذية أولئك الذين تعتقد أنهم سيئون أمام أقدامهم ، فسأتي بنفسني إليك .

فكان الميرزا جواد عندما يريد الذهاب إلى الدرس في الغد ، يهيئ نفسه ليجلس في مكان أدنى من بقية الطلبة ، حتى استطاع تدريجياً أن يغمر الطلبة من أبناء أسرته الذين كانوا في النجف ويعتقد أنهم سيئون ، ويشملهم بمحبته إلى حد أنه يقوم بتقديم أحذيتهم أمام أقدامهم ، وما أن يصل هذا الخبر إلى العشيرة الموجودين في تبريز حتى يؤدي إلى رفع الخصومة بين أفراد الأسرة .

بعد ذلك يلتقي به الأخوند ويقول : « لا توجد توصيات جديدة ، يجب أن تصلح حالك حتى تتمكن من الاستفادة من هذه التوصيات الشرعية ، وأذكرك أن كتاب مفتاح الفلاح للشيخ البهائي جيد للعمل » .

توصية للحوزات العلمية بتدريس كتب الأدعية :

يقول المؤلف : حول ما نقل عن حضرة المآل حسين قلبي الهمداني أن كتاب مفتاح الفلاح للشيخ البهائي جيد للعمل . قال هذا الفقير في بعض مقالاته :
أمل أن تجعل في الحوزات العلمية كتب الأدعية والأذكار الصادرة عن أئمتنا الأطهار التي تبين مقامات ودرجات ومعارج الإنسان ، ضمن متون الكتب الدراسية وتُدرس للطلبة الذين يفهمون القول ومن أهل الدعاء والسير والسلوك وساروا في هذا الطريق .

فمثلاً تُدرّس بهذا الترتيب : الأول كتاب مفتاح الفلاح للشيخ البهائي ، وبعده عدّة الداعي لابن فهد ، ثم قوت القلوب لأبي طالب المكّي ، ثم الإقبال للسيد ابن طاووس ، وأخيراً إنجيل أهل البيت وزبور آل محمد ﷺ الصحيفة السجادية ، وأن تصبح ضمن الكتب الدراسية حيث أن لها دور مهم في إحياء المعارف الإسلامية الأصلية .

سلسلة مشايخه في السير والسلوك العملي:

وكما تكثر القول إن أستاذه كان جمال السالكين آية الله المرحوم الآخوند الملاً حسين قلي الهمداني ، وأن هذا الأستاذ رضوان الله تعالى عليه قد استطاع حسب قول بعض مشايخي من تربية وإعداد حوالي ثلاثمئة نفر من أولياء الله ، ومن جملتهم المرحوم الحاج الميرزا جواد الملكي رحمه الله ، وكان أستاذاً حضرة الآخوند المرحوم الحاج السيد علي الشوشترى ، وأستاذه الملاً قلي جولاً ولا نعرف ما بعد الملاً قلي جولاً بل حتى الملاً قلي جولاً نفسه ، وحتى الحاج السيد علي الشوشترى لا يعرفه أيضاً ، وبالتفصيل الذي تم ذكره في شرح حال الأستاذ العلامة الطباطبائي .

لوح القبر:

يوجد على تربته الشريفة ، وهي مزار خاصة أهل القلب لوح من الحجر مكتوب عليه :

« قد ارتحل عن دار الغرور إلى دار السرور ، وعن بيت الظلمة والفسور إلى البيت المعمور وعالم النور ، طود العلم والتقى ، ومعدن الحلم والسخاء ، من هو في مضمار موتوا قبل أن تموتوا بلغ غاية السباق ، وفي ائتمار واستبقوا الخيرات وصل إلى حد الاستباق ، وتد الأوتاد ، والعماد الضاد ، ربيع الزمان ، وأويس اليمان ، مصداق ما قاله أبو الأئمة والد السبطين : « لَوْلَا الْأَجَالُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرُّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ »^(١) ، حلال المشكلات ببنان البيان ، كشاف المعضلات بنور البرهان ، عممت الدهور عن عديله ، والعصور عن بديله ، فخر

(١) الكافي / الشيخ الكليني ٢ : ٢٤٥ ، ب (٩٩) ، المؤمن وعلاماته وصفاته مع اختلاف .
بحار الأنوار / الشيخ المجلسي ٦٤ : ٣١٥ ، و ٦٦ : ٢٨٩ مع اختلاف ، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت .

العلماء الراسخين ، وذخر الفقهاء الشامخين ، أبو الفضائل الجمّة الذي بموته ثلم في الإسلام ثلّة ، مقتدى الأنام ، حجّة الإسلام والمسلمين ، مولى العالمين : الحاج ميرزا جواد آقا التبريزي ، أعلى الله تعالى شأنه ، ورفع في الخلد مكانه ، فأليق به أن أقول في تاريخ هذا الرزّ العظيم ، والخطب الجسيم ، ورفع العلم ، وذهب الحلم .

وبالفارسيّة : « از جهان جان رفت و از ملت پناه » . وهو المطابق لليلة الجمعة الحادية عشرة من شهر ذي الحجّة من شهر سنة ١٣٤٣ هـ .

هذا ما كان مكتوباً على لوح تربة هذا العالم . وجملة « ورفع العلم ، وذهب الحلم » ، فيها حرف الواو في بداية الجملة ليس من حروف التاريخ ، لأنّ « رفع العلم ، وذهب الحلم » تعادل ١٣٤٣ هـ . وأيضاً لا ضرورة لوجود الواو حسب سياق العبارة ، إلا إذا كان لتكلف المعنى ، والظاهر أنّه زيادة لسهوّ الحجّار .

والنقطة الأخرى هي أنّ كلمة « الحادية عشر » كتبت بتذكير عشر في حين أنّ الصحيح هو الحادية عشرة ؛ لأنّ الأعداد في حالة اسم الفاعل تكون مطابقة للموصوف في التذكير والتأنيث .

ونقطة أخرى أيضاً : أنّ القسم الأعلى من اللوح قد تعرّض لصدمة أدّى إلى كسره وانقسامه إلى نصفين ، وعبارة : « وصل إلى حدّ الاستباق ، وتد الأوتاد ، والعماد الضاد » تشرف على التلف ، ويستبعد أن تكون العبارة : « وتد الأوتاد والعباد والزهاد » ، برسم أشكال تحكي عن أصلها .

وكيف كان ، أعلى الله درجاته ، وجعلنا وإياكم من المتبرّكين بأنفاس الأولياء الإلهيين .

﴿ دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ

وَتَجِئْتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ

وَأَخَّرَ دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

الفصل الثالث

**العلامة ذوالفنون الحاج
الميرزا أبوالحسن الشعراني**

العلامة ذوالفنون الحاج الميرزا أبو الحسن الشعراني

هو حضرة العلامة ذوالفنون ، جامع العلوم العقلية والنقلية ، الحكيم المتأله ، وصاحب التأليفات العديدة ، المعرض عن متاع الدنيا المرحوم آية الله الميرزا أبو الحسن الشعراني (شرف الله نفسه الزكية) ابن المرحوم الحاج الشيخ محمد ومن أحفاد الملائق فتح الله الكاشاني ، صاحب تفسير منهج الصادقين ، ولد في سنة ١٣٣٠ هجري قمري في مدينة طهران . ونشأ وتربى في بيت علم وفضيلة وتقوى .

تعلم منذ الطفولة والشباب القرآن والتجويد وآداب العرب عند والده ، وتعلم الكتب الدراسية المتداولة في الفروع المختلفة عند بعض الفضلاء وعلماء قم وطهران ، وخاصة مدرسي المدرسة الفخرية (مروى) .

وأساتذته في هذه الفترة هم :

الحكيم المحقق الميرزا محمود القمي (المشهور برضوان) في العلوم العقلية ، وفي الفقه الفاضل المتبحر الشيخ الساجي ، وأما والد وأستاذ والده الميرزا حبيب الله ذوالفنون ، فكان أستاذه في العلوم الرياضية ، ومنها علم الهيئة والنجوم والعمل بالاسطرلاب واستخراج الزيجات و ...

وكذلك استفاد كثيراً من مجلس المحدث الفاضل السيد أبو تراب الخوانساري .

في النجف الأشرف .

١٢٠ مذكرات فريدة عن بعض العلماء الربانيين

وفي طهران ، بالإضافة إلى إقامته صلاة الجماعة في مسجد الملا أبو الحسن (جده) ، والمعروف بمسجد الحوض وتوضيح المعارف الإسلامية للناس ، فقد قضى عمره في المطالعة والتحقيق والتأليف والتدريس ، وكان عنده مجلس درس لمدة ثلاثين سنة .

وكان المرحوم العلامة الشعراني مثلاً للتواصل في كسب العلم والجمع بين العلوم المختلفة وتعليمها للآخرين .

العلامة الشعراني على كرسي التدريس :

لقد كانت سعته وعمقه العلمي واضحة جداً من خلال الدروس التي أعطاها لسنوات عديدة .

وقد جاء في كتاب وجه متألق نقلاً عن أحد العلماء : ترجم هيئة فلانماريون من الفرنسية إلى الفارسية ودرّس مجموعة ... وأمر السيد حسن المدرّس أعلى الله مقامه آية الله الشعراني أن يدرس الرياضيات في المدرسة العالية في سبهاالار .

ومن النقاط الجديرة بالذكر أنّ درس الأستاذ لم يكن منحصراً بالخواصّ وطلبته ، بل كان يقيم جلسات متعدّدة في بيان الأصول والأحكام والأخلاق الدينية ورفع الشبهات .

وجاء بهذا الخصوص في كتاب وجه متألق هكذا : « أتذكّر أنّه بدأ درساً متنقلاً في التفسير ، وكان له مظهراً دعائياً أيضاً ، فكانوا يأتون بعد صلاة الجماعة يأخذوه من المسجد ، حيث كان يرّد في هذه الجلسات المتنقلة التي يشترك فيها أهل الفضل أيضاً ، على شبهات الأفراد بجواب قاطع وأمثلة مناسبة . »

مؤلفات العلامة الشعراني :

إن آثاره المطبوعة وغير المطبوعة كثيرة ، والتدبر والتأمل في هذه الآثار يوضّح

بشكل كبير الإحاطة العلميّة الواسعة ، ومتابعة وعمق وفهم ودقّة العلامة الشعراني ، ونذكر هنا فهرساً تقسم من آثاره المطبوعة والمخطوطة :

أ - في التفسير وعلوم القرآن :

١ - تعليقة على مجمع البيان في عشرة مجلّدات مع التصحيح الكامل وإعراب الأشعار وشرحها .

٢ - التصحيح الكامل لتفسير الصافي في مجلّدين .

٣ - هوامش وتعليقات على التفسير الكبير منهج الصالحين في عشرة مجلّدات .

٤ - مقدّمة وهوامش والتصحيح الكامل لتفسير أبو الفتوح الرازي مع شرح الأشعار وأمثلة عربيّة وفارسيّة في اثني عشرة مجلّد .

٥ - نشر طوبى : دائرة المعارف لاصطلاحات القرآن - إلى حرف الصاد . ، حيث

تُعرض فيها معاني مختلفة واصطلاحات قرآنيّة بأسلوب لطيف ، وحسب في الآيات المختلفة ، ثم تُفسّر وتُوضّح ، وتحتوي على المعارف الفلسفيّة والكلاميّة المختلفة وعلى مواضيع فقهية وتاريخية دقيقة .

٦ - تجويد القرآن : ويعدّ من أكثر كتب التجويد فائدة .

٧ - طبع أكثر من ٦٠ نسخة للقرآن - وبأحجام مختلفة - وتمّ تشكيلها إعرابياً وتصحيحها بإشرافه ونظرة .

ب - في الحديث والدراية :

١ - جمع هوامش وتحقيق وتصحيح كتاب الوافي للمرحوم فيض في ثلاثة مجلّدات .

٢ - تعليقات على شرح أصول الكافي للملا صالح في اثني عشر مجلّداً ، ويمكن هذين الكتابين ذروة عمله في مجال دراية الحديث وفقه الحديث ، وبالتأمّل في هذه التعليقات يتّضح جيّداً سعة النظر ، وحسن الذوق ، وطريقة فهم الروايات ،

١٢٢ مذكرات فريدة عن بعض العلماء الربانيين

واستنباط المعارف الإسلامية من الأصول والفروع (الكلام والفقه).

٣- تعليقات على وسائل الشيعة من المجلد ١٦ إلى المجلد ٢٠.

٤- هوامش على إرشاد القلوب الديلمي.

٥- ترجمة وشرح دعاء عرفة لسيد الشهداء عليه السلام ملحق كتاب فيض الدموع.

٦- ترجمة وشرح مفصل للصحيفة السجادية الكاملة.

٧- تحقيق وتصحيح جامع الرواة بأمر آية الله العظمى البروجردي.

٨- رسالة في علم الدراية.

ج - الفقه والأصول:

١- المدخل إلى عذب المنهل في الأصول.

٢- شرح كفاية الأصول بطريقة قال أقول، حيث اكتفى بتفسير وتوضيح مقاصده بعبارة واضحة.

٣- شرح تبصرة العلامة الحلبي الحاوية على مختصر من جميع الكتب الفقهية الشيعية الإمامية.

٤- هامش كبير على القواعد.

٥- رسالة في شرح شكوك الصلاة في العروة الوثقى.

٦- الفقه (باللغة الفارسية) مختصر للتدريس في المدارس.

٧- مناسك الحج مع هوامش لتسع من مراجع التقليد.

د - الفلسفة والكلام:

١- شرح التجريد في علم الكلام.

٢- هامش على فصل الخطاب (للحاج النوري) في عدم تحريف الكتاب.

٣- طريق السعادة في إثبات النبوة وردّ شبهات اليهود والنصارى.

٤ - ترجمة كتاب الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيّة مع نقد لزلزل كاتبه .

٥ - تعليقات على كتاب محمّد النبيّ والسياسي تأليف مونتكمرى وات .

٦ - الاصطلاحات الفلسفيّة .

٧ - مقدّمة وهوامش بأسلوب تحقيقي على أسرار الحكم للسبزواري .

هـ - الهيئة والنجوم :

١ - شرح العمل بالزيج^(١) الهندي ، وبراھين عمليّاته المعتمدة على الهيئة الجديدة .

٢ - تعليقة ومستدرك تشريح الأفلاك في الإشارة إلى الهيئة الجديدة .

٣ - هيئة فلماريون ترجمة من اللغة الفرنسيّة .

٤ - تقاويم الأيام .

و - تاريخ وفنون أخرى :

١ - ترجمة نفس المهموم للشيخ عباس القميّ .

٢ - مقدّمة وتصحيح وتحقيق كشف الغمّة .

٣ - مقدّمة وتصحيح منتخب التواريخ .

٤ - مقدّمة كتاب وقائع السنين للمرحوم خاتون آبادي .

٥ - مقدّمة وتصحيح وتعليقات على كتاب روضة الشهداء .

٦ - تصحيح كامل ومقدّمة وهوامش على الجلد الأوّل والثالث لكتاب نفائس

الفنون وعرائس العيون للأمليّ .

ولا بدّ هنا من التذكير أنّ الكثير من رسائل ومقالات الأستاذ موجودة عند بعض

تلامذته المحفّقين ، ممّا يلقي على عاتقهم وظيفة الإقدام على نشر هذه الآثار .

(١) الزيج : آلة لتعيين أحوال وحركات النجوم . (المترجم)

الخصائص الأخلاقية والعلمية للعلامة الشعراني:

ينقل طلبة الأستاذ الفضلاء ذكريات كثيرة تحكي النقاء الباطني والبساطة والأخلاق الحسنة والالتزام الإنساني في التعليم والتعلم ، وعدم التظاهر للأستاذ ، ونكتفي هنا بذكر عدّة نماذج على ذلك .

فحول طريقة تدريس وبيان الأستاذ ، جاء في كتاب^(١) ما نصّه : « كان آية الله الشعراني يبسط المطالب العلمي لكي يتمكن الجميع من الاستفادة من المواهب العلمية التي منحها الله إياه ، وكان طلبته يفهمون المطالب العلمي جيداً من خلال الأمثلة التي يوجد لها الأستاذ نفسه » .

ومن كتاباته التي تبين ورع وتواضع وصفاء وإخلاص العلامة الشعراني لأهل البيت عليهم السلام ، مقدمته على ترجمة كتاب نفس المهوم ، وهي كالتالي :

« أمّا بعد ، يقول العبد الفاني أبو الحسن بن محمد بن غلام حسين بن أبي الحسن المدعو بالشعراني ، لأنني قضيت عهد الشباب بتحصيل العلوم وحفظ الاصطلاحات والرسوم ، واقتدائاً بأسلافي الصالحين من عهد صاحب منهج الصالحين قد استندت من كلّ علم ، واقتطفت من كلّ ثمر ، فكنت مشغولاً أحياناً بمطالعة كتب الأدب من العجم والعرب ، وزماناً بدراسة الإشارات والأسفار . وزماناً بتتبع التفاسير والأخبار ، وزماناً بتفسير وتهميش كتب الفقه والأصول . وأحياناً أخرى بالتعمق في المسائل الرياضية والمعقول إلى ذلك العهد .

لقد طفت في تلك المعاهد كلّها وسرحت طرفي بين تلك المعالم وقضيت سنوات طويلة مستيقظ في الليل وأكثرت العمل في النهار ، ودائماً ملازم للدفاتر والكراس ، ومرافقاً للأقلام والقرطاس ، وفجأة ناداني ملك الغيب أنّ العلم

(١) وجه متلّق: ١١ .

لأجل المعرفة ، والمعرفة بذر العمل ، والطاعة ولا طاعة بدون إخلاص ، ولا يتحقق ذلك إلا بتوفيق من الله وتوسّل بالأولياء ، فإلى متى العمل ؟

علم چندانکه بیستر خوانی چون عمل در تو نیست نادانی^(١)

لذا يجب الإسراع وتحضير الزاد للمعاد ، فانهض سريعاً ، فقد طلعت الشمس ، وذهب الركب ، ولم يبق إلا القليل ، ولم تنفذ كل القوى فتوسّل واخدم الأولياء
وقد ربي آية الله الشعراني طيلة فترة حياته المباركة الكثير من التلامذة الفضلاء والطلاب المعروفين .

رحيل العلامة الشعراني :

أصيب العلامة في سنّ الثالثة والسبعين بالضعف ومرض القلب والرئة ، وبعد فترة أرسل إلى ألمانيا لشدة مرضه ، فأدخل في إحدى مستشفيات مدينة هامبورغ ، لكن لم يثمر العلاج ، ففاضت روحه الطاهرة في المستشفى بعد منتصف ليلة الأحد السابع من شوال المكرّم سنة ١٣٩٢ هجري قمرى ، ونقل بعد عدّة أيام إلى طهران ، ودفن إلى جوار حضرة عبدالعظيم في مقبرة الأسرة . ونقل هنا نصّاً بعنوان : (وصيته العلميّة والأخلاقيّة والمعنويّة) مخاطباً الطلاب وطلبة العلوم الدينيّة ، وقد ذُكرت في نهاية المجلّد الثالث لحاشية الوافي .

منتخب وصيّة آية الله الشعراني :

أوصي إخواني : يعني طلبة العلوم الدينيّة ومحققوا آثار سيّد الأنبياء ﷺ ، والذين يقرؤون هذا الكتاب ، أنّ أهمّ الأمور الواجبة والضروريّة لطالب العلم هو الإخلاص

(١) المعنى : مهما كان عندك من العلم فإذا لم يكن مقارناً بالعمل فكأنك جاهل لعدم استفادة الآخرين من علمك .

في النيّة لله ، فإنّه يوفّق عبده ، ويهيئ له وسائل طاعته ، ويلهم طريق الحقّ في قلوب عباده ، فلو لم يكن هناك إخلاص في النيّة فلا يوفّق أحد في ارتقاء سلّم العلم أو الاستفادة ممّا تعلمه ... ومن الأمور الأخرى الواجبة على طالب العلم ، هو الورع والابتعاد عن الحرام والمسائل التي فيها شبهة ، والمواظبة على العبادات ، لأنّه لا يمكن لأي شخص الانتفاع من عمله إلّا إذا قرنه بالعمل ، ولأنّ قلوب الناس لا تطمئنّ ولا تهدأ بواسطة عالم بلا تقوى .

وعلى طالب العلم أن يستفيد من الأوقات التي لا يقضيها بطلب العلم بالعبادات المستحبّة والنوافل ، وأن يقلّل من البطالة . وصرف الوقت في المناقشات ، وفي قراءة المواضيع التي ليس فيها أي منفعة لدينه . مثل الصحف السياسيّة والحكايات والقصص الخالية من العبرة والموعظة .

ويجب على طالب العلم أيضاً أن لا يترك قراءة القرآن الكريم في الليل والنهار ، وأن يقرن هذه القراءة مع التدبّر والتأمّل في دقائق ومعاني الآيات حسب قابليّته ، ويرجع إلى التفسير في الآيات التي يواجه صعوبة في فهمها . ويجب عليه أيضاً ترك القول والتصرّف ومطالعة كلّ ما هو غير منبذ .

وإذا شعر في وقت ما أنّ الكسل والتعب بدأ يتسلّل إليه ويعيقه عن الاهتمام بالمسائل العلميّة ، يجب عليه - كما هو مذكور في الحديث - أن ينعش ويهدئ قلبه بالحكم ، ويتجنّب الانشغال بالألعاب والأعمال غير المفيدة ، وقراءة الأشعار والقصص إلّا إذا كانت حاوية على عبرة وموعظة .

ويجب أن يُحسن طالب العلم الظنّ بالعلماء . فهذا سرّ الموفقيّة والنجاح والفوز ، لأنّ سوء الظنّ بهم يجلب الشقاء والفشل . بل قد يؤدّي أحياناً إلى الكفر والضلال والجهل . إذن يجب التّفكّر باهتمام كامل والتدبّر بكلامهم . لأنّ الله تعالى قد جعل لكلّ شيء سبباً ، ويجب على طالبه الاهتمام في البحث عنه ، وأنّ الأستاذ هو أحد أسباب التعليم ، والعناية بالأستاذ لا تحصل إلّا بالتفائل وحسن الظنّ .

وهذه (قاعدة) في جميع العلوم الشرعيّة والعقليّة والصناعات الحالية . فلو لم يكن الشيخ أبو عليّ سينا حسن الظنّ بأرسطو وفارابي لما حصل له أبداً هذا الوعي الكامل في فهم كتبهم ، ولا على ذلك المقام الشامخ في الفلسفة ... طبعاً ليس قصدنا أنّ هؤلاء العلماء معصومون من الخطأ ، بل قصدنا أنّ لا يجوز تخطئتهم من البداية .

ويجب على طالب العلم أيضاً أن لا يتعصّب إلى كتاب خاص ، أو طريقة خاصّة ، وبالخصوص في الفقه ؛ لأنّ هذا يعني التقليد والتبعيّة للآخرين ، فقد لوحظ كثيراً أنّ بعض الطّلاب يكتفون بقراءة الكتب الجديدة فقط تقليداً لمؤلفين آخرين ، في حين أنّ أساتذة وأساطين العلم ، كانوا يعيشون في أواسط القرن الرابع إلى العاشر (هجري قمري) حتّى أنّ بعض الطّلاب لا يتأمّلون ولا يدقّقون فيما ينقل عن (ابن الجنيّد) و(ابن أبي عمير) و(عليّ بن بابويه) ، لأنّهم يعتقدون أنّ فتاواهم قد نُسخت ولا تستحقّ التأمل .

ويجب على طالب العلم السعي لتهديب نفسه وتزيينها بالأخلاق الفاضلة ، فلا يكتفي في هذا الطريق بقراءة الأحاديث المذكورة فقط ، بل أساس ذلك معايشرة ومجالسة أهل الأخلاق ، ويعرض عليهم أعماله ، فيجد عيوبه ونواقصه ويتعلّم منهم طرق إصلاح نفسه .

ومن اللائق لك أن تقلّل معايشرة الناس الخالية من التعليم ، وخاصّة مع الأغنياء والمترفين وطالبي الدنيا ، ويجب أن تترك كلّ ما يُبعد الآخرة عن ذكرك ، ويوجد الميل والرغبة للدنيا في نفسك ، وصاحب الصالحين والزهاد وأهل العبادة ؛ لأنّ هذا العمل مؤثّر جداً في تهديب النفس .

وأما لو ظنّ أحقّ أنّه لم يكن في صدر الإسلام مجتهد ولا مقلّد ولا علم أصول ولا علم نحو ، ولم تكن توجد مدرسة ولا مرشد ولا ذكر أو حلقة درس ، فلا يجب الاهتمام بهؤلاء الأفراد (ولا بقولهم) ؛ لأنّ العلماء كانوا كثيرين في كلّ زمان وفي عصرنا - بسبب غلبة الكفّار والنصارى - أصبحوا أكثر أيضاً ، فلو كان مقرّراً أنّ كلّ

ما لم يكن موجوداً في صدر الإسلام يكون حراماً ، إذن لا بدّ أن يكون بناء المدارس وتعلّم النحو والصرف وحفظ اصطلاحات الحديث ونقلها وروايتها وإجازة الرواية - كما هو متداول بين أهل الحديث - حراماً أيضاً [في حين أنه ليس كذلك] . وعلى طالب العلم أن يُحسن الظنّ بالله تعالى والناس ، وصيّي الأَخيرة الورع والتقوى ، وأسأل الله أن يوفّقنا وإياكم في مرضاته .

واعلم أنّ العلوم الشرعيّة كثيرة ، ونادراً ما يتفق أن يوجد شخص متفوقاً ومهراً في جميعها ، لذا يجب على كلّ طالب علم أن ينتخب قسم من هذه العلوم حيث أنّ :

١- تكون فائدها للناس أكثر .

٢- تكون مصحوبة بقوة وعون أكثر ، في الترغيب والميل إلى الدين .

٣- تتميز أيضاً بامتلاكها قدرة أكثر في جهة التخلّص من الضلال .

ولمّا كان معرفة وتعلّم كلّ هذه العلوم واجب كفاي ، فإذا ازداد عدد العلماء في أحد الفروع وقَلَّ عددهم أو بدأ يضمحلّ في فرع آخر ، يكون واجب على الطالب المستعدّ أن ينتخب هذا الفرع ، حتّى لو كانت منزلته ومنافعه الدنيويّة مخفيّة في فرع آخر ، وهذا من علامات الإخلاص في النيّة في طريق تحصيل العلم ، ومن هذا الأمر يُعرف أنّ هدف هذا الطالب هو رضا الله تعالى فقط .

ومن العلوم التي يحتاج تعلّمها في كلّ الفروع هي :

١- اللغة العربيّة .

٢- علم القراءة ... برغم أنّه يمكنه الاكتفاء بقراءة أحد القراء ... لأنّ حفظ كلمات

وألفاظ القرآن من الواجبات ، وهذه تكون وظيفة أهل العلم أيضاً ، ولهذا السبب تكون معجزة القرآن باقية وراسخة ...

٣- السيرة ...

٤ - الحديث ... يجب أن يعلم نماذج من أحاديث النبي ﷺ وأهل البيت عليه السلام ، لأنّ التأمل في هذه الأحاديث يؤدي إلى رسوخ الإيمان في قلب الإنسان ويحصل يقين يصدقهم في النبوة والإمامة .

٥ - أصول الاعتقادات ، من الواجب على طالب العلم أن تكون عنده معرفة بأصول المذهب ، وكلّ ما يرتبط بالاعتقادات ... لأنّ كلّ عالم يحتاج إلى البحث والتفكير والتعليم ، ولا يمكن أن يتحقّق ذلك إلّا عن طريق العلم التفصيلي بخلاف عامّة الناس الذين يكتفون عادة بعلم مختصر واجمالي .

ولا يجب أن يخطو نحو كسب العلم قبل أن يستكمل مقدّماته ، فمثلاً لأجل التوجّه للتفسير والحديث يجب أولاً الوصول إلى حدّ الكمال في الأدب العربي ، وأيضاً تعلّم مقدار من الفقه والكلام .

أو مثلاً يتّجه نحو علم الكلام إذا تسلّط على علم المنطق وأصبح ماهراً في تشخيص الأدلّة .

واعلم أنّ أشكل العلوم علم الفقه ، بسبب كثرة مقدّماته أولاً ، وثانياً لأنّه لا يمكن للفقيه أن يحصل على مهارة كافية في فرعه ما لم يكن لديه استعداد جامع في بقية الفروع ، وهذا نادراً ما يتّفق لأحد ما ...

وإنّ إدراك أدقّ العلوم وأصعب المسائل يكون يسيراً لأهل التحقيق ، على الرغم من أنّ هذا الذهن الدقيق لأهل التحقيق قد يعجز أحياناً عن درك النقاط الأدبية الطيفة والقول الجميل ، في حين أنّ ذهن الفقيه يجب أن يكون عنده الاستعداد لدرك هذه الأمور ، لأنّ الفقه يشمل جميع هذه الأقسام ، بخلاف الفلسفة والرياضيات وغيرها ، فكلّ منها يحتاج إلى استعداد خاصّ به .

وكذلك لأنّ موضوع الفقه يرتبط بـ (أفعال المكلفين) التي تشمل جميع الأعمال المرتبطة بجميع الموجودات ، لهذا يجب أن يكون ذهن الفقيه بشكل يُسهّل عليه

درك الأمور التالية :

- الأعداد والمساحة والحساب ، التاريخ والسيره ، أخلاق الناس وعاداتهم في نقل الأحداث ، وأيضاً كَيْفِيَّة تأثير هذه العادات في تغيير الحوادث - الأمراض النفسية وإخلاص النية في العبادات - النحو والصرف ومحسنات القول واللغة - المعاملات والحيل في المعاملات - وعادات التجار في طريقة عملهم وكذلك كَيْفِيَّة إلحاق الضرر بهم - السياسة وغيرها .

ونادراً ما يوجد الذهن المستعد لفهم كل هذه الأمور المختلفة التي ذكرناها - والتي لم نذكرها أيضاً ..

وهكذا يعمل الشخص غير المستعد على تغيير وجه العلم ، فيدفعه زماناً نحو الفلسفة ، وزماناً نحو الأدب ، وزماناً نحو ما يتلائم مع فكره وحسب فهمه وضميره ...

فيجب على الفقيه أن يكون جامعاً لذاكرة قوية ، ودقة نظر ، ودرك عميق لكلام المخاطب ، وغالباً لا تتجمع هذه الصفات في ذهن واحد .

وأن العلوم التي يحتاجها الناس كثيراً يكون القادرون على فهمها كثيرين أيضاً ، وطريق الوصول إليها أسهل ، كالقرآن واللغة العربية وأصول الدين ، والمعارف ، والمواظ ، وبيان السيرة والأخلاق وعلم الكلام ودفع شبهات المخالفين ، وقد جاءت أكثر الآيات القرآنية في هذه المجالات .

ويجب على الحكماء والمتكلمين أن يعلموا ميزان درك مستمعهم ، ويتكلموا معهم حسب عقولهم ؛ لأنه توجد في أذهانهم أموراً - من اللوازم والملزمات - لا توجد في أذهان الخاصة ، ويتجه ظنهم وتوهمهم من أي كلمة إلى شيء آخر - خلاف نظر العلماء - فمثلاً إذا قيل لهم أن « الله للدين كالبنا للبناء » ، فإنهم يفهمون من ذلك أن المخلوقات لا تحتاج إلى الخالق مع استمرار الوجود .

طريقة المعرفة العلمية :

نظراً لسعة وتنوع المعارف الإسلامية التي تطوّرت على مرّ العصور بأيدي علماء الدين في الفروع المختلفة ، حيث أثمر كل واحد منها بما يتناسب وظروفها الزمانية . ولو أخذنا بنظر الاعتبار أنه قد ظهر في كل فرع من الفروع العلمية علماء ومفكّرون ومحقّقون ومُجدّدون ، لهذا كان من اللازم دراسة ومطالعة السيرة العلمية والعملية لكل واحد منهم ، يعني بالإضافة إلى مطالعة حياتهم العادية المذكورة في كتب التراجم والرجال وكذلك كتب الأخلاق ، من الضروري أيضاً القيام بدراسة وتحقيق لتعيين ومعرفة أسلوب الحياة الفكرية وطريقة المعرفة العلمية لهؤلاء العلماء ، حتى تكون ضوءاً يبيّن طريق طلبه العلم .

لكن مع الأسف ، على الرغم من ضرورة هذا الأمر الذي يمكن بدوره أن يوضّح جوانب من تاريخ العلوم الإسلامية وسير التحوّلات الفكرية وطريقة المعرفة عند العلماء والمفسّرين والفلاسفة والعرفاء والفقهاء والأصوليين الرجاليين المسلمين وخاصّة الشيعة منهم ، لم يتمّ الاهتمام بهذا العلم بالشكل المطلوب .

طريقة المعرفة عند العلامة الشعراني :

نظراً لكثرة آثار المرحوم العلامة في إرثه أبعاد الدين المختلفة ، نضطرّ إلى تعريف مجموعة منتخبة من هذه الآثار ، والشئ ، الأساس الذي نستند عليه في هذا القسم ، هو تعليقات العلامة الشعراني على شرح أصول الكافي تأليف المصالح المازندراني^(١) .

وفي هذه التحقيقات لا بدّ من الاهتمام فقط بتحليلات وطرق العلامة الشعراني

(١) الكافي والأصول والروضة وشرح جامع للمولى محمّد صالح المازندراني مع تعليقات علمية للعالم المتبحّر الحاج الميرزا أبو الحسن الشعراني من منشورات المكتبة الإسلامية .

في مجال أصول الدين والكلام والفلسفة بما يتناسب مع الآيات وروايات الشيعة . حيث أنّ هذه الطرق المذكورة قد انتزعت في الغالب من الطريقة العامّة لتعليقات وأسلوب تحليلات العلامة ، وقد صرّح بنفسه أحياناً بهذه الطرق . ومن البديهي أنّ آراء العلامة الأصوليّة وكذلك طرفه في العلوم الأخرى مثل التاريخ والرجال وغيرها ، تحتاج إلى تحقيق مستقل .

الخصائص العلميّة البارزة للعلامة الشعراني :

نتطرّق الآن إلى ذكر الخصائص الفكرية والعلمية العامّة للعلامة في مجال المبادي والطرق الكلامية والمعرفة الدينية ، وهي كالتالي :

١- كثرة وسعة المعلومات :

لمّا كان القرآن والسنة ، ولأجل هداية البشر ، قد طرح كلّ مسألة وموضوع يؤثّر في هداية الإنسان إلى طريق السعادة بالتصريح ، أو بالكناية ، أو بطرح البراهين الفلسفيّة والاعتقاديّة ، أو بنقل تاريخ في قالب الأمثال ، أو بصورة مواضع أخلاقيّة ، أو المجادلة بالتي هي أحسن ، لذا فإنّ أحد الأركان الأساسيّة للتعامل الصحيح والاستفادة من المنبعين المذكورين هو الإحاطة بالعلوم المختلفة والموارد المتنوّعة المطروحة في الآيات والروايات .

وللمرحوم الشعراني امتياز بارز من هذه الجهة ، فقد كان من الأفراد المعدودين في القرن الأخير الذين جمعوا بين المعقول والمنقول ، بل كان أيضاً صاحب نظر في علوم أخرى ، كالنجوم والرياضيات والطب ، وتعدّد هذه الجامعيّة وسعة المعلومات امتيازاً مهمّاً للمعرفة الإسلاميّة^(١) .

(١) حول مسألة تأثير هذه الخاصيّة في طريقة الاستنتاج من الأحاديث ، يرجع إلى شرح أصول الكافي / الشيخ الكليني ١ : ١٢٥ - ١٣٥ ، طبع دار الأضواء - بيروت ، حيث استنتج حوالي ستّ براهين لإثبات وجود الحقّ تعالى من حديث بثلاثة أسطر ، كذلك يرجع إلى

٢ - الدقة والتعمق :

نشاهد في التاريخ أفراداً برغم سعتهم العلميّة وكثرة معلوماتهم إلاّ أنّه يُلاحظ نوع من العجز عندهم أثناء التحليل واستنتاج اللوازم من الملزومات . وأنّ عدد الأفراد الذين يجمعون هذه الخصويّة مع الدقة والتعمق والإبداع قليل جداً .

ويمكن عدّ المرحوم الشعراني ضمن هؤلاء الأفراد المعدودين ، بشهادة آثاره في الدقة والتعمق بالمسائل العلميّة والآيات القرآنيّة وروايات أهل البيت عليهم السلام ، بالإضافة إلى بيانه الكافي والواضح الذي غالباً ما يكون مع ذكر المواضيع والأمثال اللطيفة ، وكذلك يُعدّ اختصاره للمواضيع من الامتيازات الخاصّة به - بحيث كان في بعض الأحيان يوضّح موضوعاً طويلاً في عدّة أسطر - .

٣ - روحية النقد :

ولو أنّ الإحاطة العلميّة والدقة والبيان الواضح من لوازم طالب الحقّ والحقيقة ، إلاّ أنّها غير كافية ؛ لأنّ طلب الحقّ لا يحصل إلاّ بالتحقيق والنقد المنصف للآراء . وغالباً ما كان العلامة المرحوم الشعراني يستفيد من هذه الخاصيّة في الوصول إلى نقاط بارزة ودقيقة ومفيدة في مجالات العلوم العقليّة والتقليّة (مثل التاريخ والفقه والرجال) ، وكذلك فهم الآيات والروايات .

والنقطة الملفتة للنظر هي أنّه ، وبرغم احترامه الشديد للعلماء ، إلاّ أنّ ذلك لم يكن مانعاً أبداً من نقده لآثارهم وآرائهم ؛ لأنّه كان يرى أن استمرار حياة العلم في تحزّي الحقيقة وتمييز الصحيح من السقيم .

٤ - سعة الصدر والتقوى العلميّة :

إنّ الشرط اللازم لطلب المعرفة والبحث عن الحقيقة هو الابتعاد عند التعصّب

❦ ١ : ١٦٦ - ١٦٧ ، شرح الحديث ١ ، من باب حدوث الأسماء ، حيث بيّن كيفية ظهور الأسماء الإلهيّة .

الأعمى بلا دليل وترك التبرير بلا معنى .

فأولئك الذين يتمسكون بحرية الاتهام والتكفير عند التعرض للنظريات المخالفة إنما يعرضون أفكارهم الناشئة قبل أي شيء آخر . وقد كان عند المرحوم الشعراي خصلة الإنصاف والتقوى العلمية ، فكان يسعى أولاً لفهم نظريات الآخرين واستدلّاهم بشكل أفضل ، ثم يقوم بالتجزئة والتحليل المنطقي والخالٍ من أي نوع من التعصب الأعمى والانحياز ويستخدم أسلوب الرأي الاستدلالي ، وأحياناً كان يتجاوز المخالفين أنفسهم في طرحه الدقيق لأدلتهم حيث يقوم بإحكام الأدلة ثم يتناولها بالتحقيق والنقد وقبولها أو ردها .

ولم يكن يكتفي أبداً ، في مقام التحقيق في عقائد دين أو مذهب خاص ، بالمسموعات والمنتقولات الثانوية ، فكان يرجع إلى المصادر الأساسية ، ولما كان يجيد أكثر من لغة ، فقد كان يقرأ ويحلل المصادر الأصلية قدر الإمكان .

وقد كان أيضاً أميناً جداً في نقل الأقوال والآراء ، ولم يكن يطرح أبداً نظريات الآخرين باسمه ، حتى أنه كلما شاهد مثل هذا الموضوع كان ينبه الآخرين مع رعاية الأدب والاحترام .

وفي ذم الاستفادة من حرية التكفير . يقول : إن التكفير بواسطة أهل الظاهر ، كان من المصائب التي ابتلى بها المسلمون بسبب إغواء الشيطان في أكثر العصور إلى الحد الذي شوّه صورة الدين عند الملحدّين ، وقبّد العلماء من الاستعداد والمهارة في دفع شبهات المنكرين حتى لا يتمكنوا من إحكام المبادئ العقائدية .

ويقول العلامة الشعراي في الملاك لتكفير عقيدة ما : « إن الملاك لتكفير عقيدة ما وخروج صاحبها من الدين هو أولاً ، أن تستلزم هذه العقيدة نفي أو إنكار إحدى ضروريات الدين ، وثانياً : أن تكون هذه الملازمة واضحة وبيّنة ، لا أن تكون غير واضحة بحيث تحتاج إلى الاستدلال والدقة العقلية بالشكل الذي يؤدي إلى الثفات

صاحب العقيدة إلى فساد عقيدته ، ولذا لا يمكن اعتبار صاحب هذه العقيدة كافراً وخارجاً عن الإسلام ، بمجرد تلازم عقيدته بالشرك أو الكفر ، بل هو مسلم ، إلا أنه جاهل بلوازم عقيدته ، ولعلّه يرجع عنها إذا التفت إلى توالي فسادها .

وعلى كل حال فإنّ ملاك الإسلام هو الاعتقاد القلبي واليقيني ، وإلا فنادرأ ما يوجد أحد لا يكون عند عقيدة مستلزمة لتالي فاسد ، حتّى من المتكلمين وبعض المذاهب الإسلاميّة ، بل أحياناً يصرون على قول يستلزم نفى إحدى ضروريات الدين ، كالقول بماديّة هويّة الإنسان عند الكثير من متكلمي ومُحدّثي العاثة والخاصّة المستلزم لنفي المعاد ، وكذلك القول بالحدوث الزماني للعالم (بمعناه الشائع) ، حيث بالتدقيق العقلي نلاحظ أنه يؤدّي إلى القول بحدوث إرادة الله ورسوخ التغيير في ذات الحقّ ، أو القول بإنكار العلّية - عند الأشاعرة - المستلزم لسدّ باب أدلّة إثبات واجب الوجود .»

ويقول أيضاً حول حقيقة الإيمان : « أولاً أنّ اليقين هو الأمر المعتبر في الإيمان ، ولا يمكن التقليد في ذلك ، وطبعاً فإنّ المادة الأصليّة لحصول اليقين وطريقة التفكير تكون بمتداول جميع الناس بشكل بحيث تكون حتّى الأصول الموضوعية لبرهان الوجوب والإمكان - يعني بطلان الدور والتسلسل - مسلّمة عند الجميع ، ولو أنّهم لا يعلمون اسمه الاصطلاحي ، كالشخص الذي لا يحتمل أنّ غذاءه المالح كان بسبب الملح ، وأنّ الملح أيضاً قد أزيلت ملوحته من الغذاء ، أو أنّ غذاءً غير مالح وكلّ نوع منه قد اكتسب ملوحته من الآخر . وهو الآن مالح أيضاً .»

٥ - نفاذ البصيرة وقدرة درك المفاهيم والمواضيع الجديدة :

إنّ حبّ الاستطلاع الفطري للعلامة الشعراني ونظرة الناقد في درك وفهم العلوم البشريّة إضافة إلى العلوم الدينيّة ، المصاحب لإجاداته عدّة لغات ، قد أدّى إلى إيجاد (زاوية نظر جديدة) في رؤيته بحيث كان يستفيد أحياناً من نتائج العلوم الحديثة والنظريات العلميّة في استنتاج وبيان المفاهيم الإسلاميّة ، وأحياناً أخرى

كان يستفيد من التحليلات التاريخية لعلم الاجتماع ، أو علم النفس ، أو من التحليلات الاقتصادية ؛ لتوضيح آية أو رواية ما ، أو لتوضيح فلسفة الأحكام الفرديّة أو الأحكام الاجتماعية الإسلاميّة ، وطبعاً مع رعاية الدقّة والوسواس العلمي للابتعاد عن التفسير بالرأي (من جملتها في بُعد الأحكام يرجع إلى مباحث المال ، والبنوك ، والربا ، والأوراق الماليّة ص ٢٧٢ إلى ٢٨٠ ، وأيضاً يرجع إلى تحليلات علم الاجتماع في مختلف صفحات كتاب نثر طوبى في مواد الحكم والدين والخلف ...).

نظر العلامة الشعراني حول العرفان :

إنّ من مصاديق الإنصاف العلمي وسعة صدر المرحوم الشعراني ، هو أنّه ، وبرغم مخالفة الكثيرين ، وتكفير بعض الأفراد له ، فكان إضافة إلى اعتباره العرفان من العلوم الشرعيّة ، وتأكيد على صحّة الأركان الأصليّة للعرفان العملي (كالحاجة إلى أستاذ ، وكذلك تأييد الرياضيات الشرعيّة) . كان يحذّر الجميع في نفس الوقت من الإفراط والتفريط الملاحظ عند بعض فرق التصوّف .

برغم أنّ الشارح (الملا صالح المازندراني) في شرح أصول الكافي لا يذكر الحكمة والعرفان من العلوم الشرعيّة^(١) . فإنّ المرحوم الشعراني يكتب : «إنّ الملاك في العلم الشرعي هو: كلّ ما وافق الشرع فهو من العلوم الشرعيّة ، وليس إذا لم يوافق قسم من المسائل العلميّة على أساس بعض الأصول (أو بعض النظريّات في علم ما) مع الأحكام الشرعيّة ، فلا يُعدّ عندئذٍ داخلًا ضمن العلوم الشرعيّة ، وإلا لوجب إخراج الفقه وأصول الفقه أيضاً من العلوم الشرعيّة ؛ لأنها شاملة على بعض المسائل كالقياس والرأي أو العول أو التعصيب (الموجودة فقط عند مذهب أهل السنّة) ، في حين أنّها باطلة عند الشيعة .

(١) شرح أصول الكافي / الشيخ الكليني ١ : ١٢٥ - ١٣٥ ، باب فرض العلم ، طبع دار الأضواء -

كذلك على الرغم من احتواء الحكمة والفلسفة والكلام والعرفان أيضاً في بعض مذاهبها على أمور غير موافقة لمذهبنا، لكن ذلك لا يوجب خروجها من العلوم الشرعية، أما في مجال الطبيعيات فالحق أن بعض العلوم كالرياضيات والطب خارجة عن العلوم الشرعية، لأنها قائمة على أساس الوضع أو العقل (أو التجربة)، ولو أنها في بعض الأوقات تكون داخلية بنحو ما في العلوم الشرعية^(١).

كذلك يكتب المرحوم المآل صالح المازندراني في شرحه لكلام الإمام حول مجموعة من الناس قد اهتموا: « وكلام أمير المؤمنين هو: «رَجِمَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى، وَدُعِيَ إِلَيَّ رَشَادٍ فَدَنَا، وَأَخَذَ بِحُجْرَةِ هَادٍ فَتَنَجَا»^(٢).

ثم يشير إلى أن: كلام أمير المؤمنين عليه السلام له دلالة على حاجة الناس الملحة إلى أستاذ عالم لهدايتهم إلى طريق النجاة... وهناك اختلاف بين أهل السلوك في أنه هل يحتاج السالك إلى عناية وإرشاد شيخ عارف أم لا؟ والأكثر على القول بلزوم وجوب ذلك، وإضافة إلى كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فإن ما يؤيد ذلك أيضاً هو أن طريق المرید يكون أقرب بالتمسك بشيخ عارف.

ويقول المرحوم الشعراني في ذيل هذا الكلام: « لا شك أن الشارح كان مائلاً للتصوف، لكن، وكما أنه يوجد طريقتان في الفن واستنباط الأحكام الشرعية: أحدهما صحيح ومحل رضا الشارع، يعني طريق الأئمة عليهم السلام، والآخر هو الطرق الخاطئة غير المرضية للشارع، يعني القياس والرأي... فكذا يوجد طريقتان في التصوف: أحدهما طريق صحيح ومشروع، وهو التعبد بالعبادات والرياضات الشرعية، والطريق الآخر غير ذلك، ولا يتوهم أن الشارح كان جاهلاً بهذه

(١) شرح أصول الكافي / الشيخ الكليني ١: ١٢٥، باب فرض العلم، طبع دار الأضواء - بيروت.

(٢) نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: الخطبة ٧٦: ٦٢، طبع دار التعارف للمطبوعات - بيروت.

المجموعة من المتصوفة من أهل البدع، الذين لم يكونوا يعلمون معنى السلوك ولا يعلمون الشيخ والمريد، ولا فائدة الإرادة والإرشاد، بل أن مراد الشارح هو السلوك الشرعي وتهذيب النفس وتكميل المعرفة والرياضة حسب ما يسمح به الشرع.

ثم أنه يقول: «الحق أن السالك يحتاج إلى أستاذ عارف، لأن المبتدئ عندما يريد تهذيب نفسه من الرذائل لا يعلم كيف يبدأ السلوك، وما هو الشيء اللائق لكي يقوم به، وماذا يعمل لتركة ما يجب تركه، ولعله يصاب برذيلة العجب وهو غير ملتفت لذلك، حتى يستطيع تجنبها، لهذا فهو يحتاج إلى معلم حتى ينبيه ويرشده إلى طريق التخلص منها. إذن كما يحتاج الإنسان إلى أستاذ في الصناعات والحرف، فإنه يحتاج إلى أستاذ أيضاً في الحصول على ملكة تهذيب النفس، بل الحاجة أشد في هذا الطريق»^(١).

نماذج من الحياة العلمية للعلامة الشعراني:

أقدم الآن مجموعة من المواضيع التي قد دونتها حول المرحوم العلامة الشعراني (رضوان الله عليه): ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾^(٢)، وإذا وجدنا مجالاً أكبر لعلنا نستطيع تقديم الكثير من فروع شجرة فيض وإفاضات وإفادات ذلك العالم الجليل إن شاء الله تعالى.

والحقيقة هي أن رجل العلم والعمل العظيم هذا، له من الكتابات الكثير جداً بحيث لو تجمعت في مجموعة واحدة لأصبحت كدائرة للمعارف. وجميع كتاباته في التحقيق والمعرفة وبيان أسرار الآيات والروايات والإشارات بأقوال المشايخ في

(١) مأخوذ من مقالة فكر وحياة العلامة الشعراني بقلم سعيد رحيميان المنشور في مجلة (كيهان انديشه)، العدد ٤٥.

(٢) الطلاق: ١.

العلوم والفنون المختلفة، مثل: الفقه والأصول والأدب والطب والآيات والروايات والنقاط التاريخية والرياضيات والهيئة والفلك، والتفسير وفروع العلم الأخرى.

ونحن بصدد جمع آثار قلم ذلك العالم الجليل، وقد تمّ جمع الكثير منها، وسنقوم بتنظيمها وترتيبها إن شاء الله، ونأمل تقديمها لأرباب المعرفة عند تكاملها، ونعرض نقاطاً مهمّة جدّاً حول ذلك.

التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري:

لقد كان من بركات حضورنا في مجلسه المبارك - ويتوفيق الله -، دراسة دورة كاملة لتفسير مجمع البيان - مع اللغة والقراءة والإعراب والحجّة، وجميع ما يتعلّق بذلك -، وقد استمرّت لأكثر من سنتين.

وعندما أكملنا مجمع البيان، وانتهى تفسير سورة ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾^(١) حدّثنا من أمر، فقال: «إنّ حضرة أمين الإسلام الطبرسي - صاحب تفسير مجمع البيان - قد ذكر في بداية المجمع أسماء الكثير من المفسّرين وكتب التفسير، إلّا أنّه لم يذكر التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام، ثمّ قال: «ولم ينقل أي شيء عن تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام الموجود بين أيدينا الآن، وتمّ طبعه»، ثمّ قال بعد ذلك: «الحقّ مع حضرة العلامة الطبرسي، فلا يمكن اعتبار ذلك التفسير منسوباً لحضرته، ولو كان التفسير لحضرة الإمام، وأنّه تفسير معتبر، لنقل أمين الإسلام الطبرسي عنه في مجمع البيان».

وكان قوله مختصراً جدّاً في نهاية مجمع البيان - الذي طبع بتصحيحه وتهميشه - حيث قال: «ولم ينقل المصنّف عن التفسير المنسوب إلى العسكري عليه السلام».

كانت هذه إحدى النقاط العلميّة المهمّة التي ذكرها حول تفسير مجمع البيان.

النزول الدفاعي والتدريجي للقرآن :

وللعامة الشعراني كلام آخر حول تفسير مجمع البيان ، وكان هذا الكلام يتكرر كثيراً أثناء التفسير ، وهو : أنّ المرحوم الطبرسي كان يهتم كثيراً بهذه النقطة المهمة ، وهي أنّ القرآن كان له إنزال وتنزيل ، ولكلّ منهما حساب خاص ، والفرق بين الإنزال والتنزيل هي أنّ التنزيل تدريجي ، والإنزال دفعي ، فيقولون على النزول التدريجي (تنزيل) ، وكلّما أتت كلمة (نَزَلَ) فلأجل التنزيل والتدريج . وكلّما جاءت كلمة (إنزال) فيعني النزول الدفعي لمرة واحدة . وكان أهل العرفان ، كالقيصري في شرح الفصوص ومحبي الدين العربي . يذكرون القرآن بهذه الأسماء . فأحياناً يقولون الكشف التامّ المحمّدي ﷺ ، وأحياناً أخرى يقولون الكشف الأتمّ المحمّدي ﷺ . وهذا الكشف التامّ والكشف الأتمّ بمعنى أنّ القرآن قد نزل بقلب حضرة رسول الله ﷺ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ^(١) .

بحث حول ليلة القدر :

صحيح أنّ ليلة القدر كانت في إحدى هذه الليالي . إلّا أنّ أساس تلك الليلة الواقعية ، كما يقول أرباب المعقول والحكماء المتألمين الإلهيين : هو الصبغة المحمّدية التي اتخذتها ، فلا بدّ من الاهتمام بهذه الليالي في الطول أيضاً ، وعندما كنت مشغولاً بالمطالعة حول ليلة القدر وجمع الروايات حولها تعبت كثيراً ، فلم يتضح الكلام جيّداً عندي ، فبحثت في جميع الروايات ، وقمت بجمعها وتصنيفها ، وأخيراً التجأت إلى حضرة أستاذنا الكبير المرحوم آية الله الشيخ محمّد تقي الأملي (رضوان الله عليه) ، فقلت له : « سيدي الجليل . لم أستطع العثور على المفهوم الواقعي لروايات ليلة القدر ، ولم تتضح لي ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ، حسناً فإذا

كانت هذه الليلة ظلّ الأرض ، والأرض تدور ، فما هي خصوصيّة الظلّ بالنسبة لليل والنهار؟ فلا بدّ أن نأخذ نفس الشخص والشخص الذي أحيا هذه الليلة ، فعنده هذه الفترة من الزمان ظلّ ، وهذا الظلّ يدور الآن ، فكيف تكون خير من ألف شهر؟

في الواقع أنّ هذا البحث واسع جداً ، وقد كتبنا حول هذا البحث - والله الحمد - كتاب الإنسان والقرآن ، حيث أنّ محوره ولبّه وروحه هو توضيح هذا الموضوع . ورأس مالنا في هذا الكتاب - وحتّى لا نضيع حقّ أساتذتنا - هو كلمتان ، إحداهما: الكلمة التي تفضّل بها علينا العلامة الرفيعي القزويني ، والأخرى كلمة أستاذنا الشيخ محمّد تقي الأملي ، وهاتان الكلمتان دفعتنا إلى كتابة كتاب الإنسان والقرآن ، وقد ظهر بشكل جيّد أيضاً: لأنّ هذين العالمين - كما قلنا سابقاً - قد تفضّلوا علينا برأس مال جيّد ، وخاصّة المرحوم القزويني الذي عنده مقالة مختصرة حول هذا الموضوع ، قد نقلناها في الكتاب .

وما أن عرضت هذه المواضيع بالإجمال على حضرة الشيخ الأملي ، قال لي : « تأمل في تلك الرواية التي يصف فيها الإمام الصادق عليه السلام جدّته فاطمة الزهراء عليها السلام بلبلة القدر ، والعجب أنّه ، ورغم جمعي لكلّ هذه الروايات ، إلاّ أنّه لم تصادفني هذه الرواية : أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام ليلة القدر ^(١) .

وطوال سنتين من تكلفي عناء جمع الروايات حول حضرة فاطمة الزهراء عليها السلام ، لم تصادفني هذه الرواية ، وقد تأثرت بهذا الكلام في محضره ، وبعد عدّة لحظات من السكوت والجلوس طلبت السماح بالذهاب وخرجت ، وكنت مرتاحاً جداً ، وقد عبّرت عن ذلك داخل نفسي ، بأنّه لا بدّ أن تكون فاطمة الزهراء عليها السلام ليلة القدر ، لأنّ الإمام هو القرآن الناطق ، وأنّ أحد عشر قرآناً ناطقاً قد نزل من ليلة القدر هذه في ليلة القدر .

(١) تفسير فوات الكوفي / فوات بن إبراهيم الكوفي : ٥٨١ ، تحقيق محمّد الكاظم - طهران .

وقد كان ذلك الكلام تحليلاً وتصوراً فقط عندنا في البداية ، فتوجهت للبحث عن الحديث فوجدته ولحسن الحظ قد وجدته في تفسير فرات الكوفي ، وقد بحث هذا الموضوع في كتاب الإنسان والقرآن ، حيث كان فيه قسماً يختص بالبحث حول ليلة القدر ، وأن فاطمة الزهراء عليها السلام نفسها هي ليلة القدر ، وبالطبع أن المراد من ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ أنه قرآن إنزالي ودفعة واحدة ، وليس قرآناً تنزلياً يعني أنه نزل بالتدرج في ٢٣ سنة .

وبعد ما تشرفت في محضر العلامة الطباطبائي (رضوان الله عليه) عرضت عليه هذا الموضوع ، فكانت له نفس العقيدة ، فما الإشكال في أن يأخذ الإنسان حقائق آيات القرآن بشكل إنزالي ودفعي ، ثم يطبقها على العالم الروحي والعصمة وارتباطها بملكوت العالم ، لأنه إنسان كامل ، وخليفة الله ، وجامع الأسماء والصفات الإلهية ، وأن هذه النشأة المادية قد ظهرت وفقاً لمصالح معينة ، فالقرآن الإنزالي والتنزيلي قرآن واحد ، لكن أخذ الحقائق إنزالي وتطبيقها تنزيلي .

وبناءً على هذا فإن قول العلامة الطباطبائي كان موافقاً أيضاً لنظر المرحوم الشعراي وأساتذتنا الآخرين .

ارتباط السور على أساس القرآن الإنزالي :

توجد في تفسير مجمع البيان نقطة لطيفة ، ولا بد من أخذها بنظر الاعتبار ، وأن بعض رجال الدين لم ينتبهوا لهذه النقطة حتى أنهم كانوا يعترضون على المرحوم الطبرسي أنه في مجمع البيان وفي ربطه سورة بسورة أخرى ، لماذا كان عندما يريد تفسير السورة التالية يقول حول ارتباط السورتين مثلاً ، لما كان الحق تعالى قال في تلك السورة هكذا قال في هذه السورة هكذا .

فالشخص المعترض يقول : إنه لما كانت السورة السابقة قد نزلت بعد هذه السورة فإنه لا يصح أن تعتبروا السورة التالية مترتبة على السورة السابقة ، ويقولون :

لَمَّا كانت السورة السابقة هكذا ، لهذا أنزل الله السورة التالية ، فكان هذا اعتراضه على قول المرحوم الطبرسي ، وكثيراً ما تكرر ذلك ، ولم يكن هذا الشخص الوحيد الذي لم ينتبه لهذه النقطة .

إنَّ تلك الـ «لَمَّا» التي يذكرها المرحوم الطبرسي في ترتيب السور ترتبط بالقرآن الإنزالي ، فذلك القرآن الذي أخذه النبي الأكرم ﷺ دفعة واحدة كان بهذا النظم والترتيب ، وقد تمَّ تطبيقه في الخارج حسب ذلك الترتيب ، ولهذا لم يسمح رسول الله ﷺ أن يرتبوا القرآن حسب تنزيله ، فعندما كانت تنزل آية يقول : ضعوا هذه الآية في المكان الفلاني ، وفي السورة الفلانية » ، حتَّى يكون مطابقاً لإنزاله وأسلوبه الواقعي ، لأنَّ القرآن انسجام وترتيب وطريقة وأسلوب خاص ، وبناءً على هذا فإنَّ المرحوم الطبرسي في تفسير مجمع البيان عندما يذكر «لَمَّا» أحياناً في ترتيب السور فإنَّ ذلك يرتبط بالقرآن الإنزالي وليس بالقرآن التنزيلي ، ولهذا الموضوع أهمية كبيرة في تفسير مجمع البيان .

عدم تحريف القرآن :

عندما كان يجري الحديث حول تحريف القرآن في مجمع البيان ، كان المرحوم الشعراني ينبه ويقول : انظروا أنَّ القرآن لم يُحرّف ، ويجب النظر لما كان يقوله المرحوم الطبرسي والسيد المرتضى والمفيد والعلماء الآخرين ، فإذا أسند شخص ما تحريف القرآن إلى الإمامية فقد افترى . وقد قال هذا الموضوع عظماء ديننا ، كحضرة الطبرسي والشيخ المفيد والسيد المرتضى ، وقد أكد المرحوم الشعراني (رضوان الله تعالى عليه) كثيراً على عدم تحريف القرآن ، وأنه نفس القرآن الذي أنزل على النبي الأكرم ﷺ ، وأنَّ سوره وآياته بهذا الترتيب ، أوَّله سورة الحمد ، وآخره سورة الناس .

وكان العلامة الطبرسي يكرّر في أثناء التفسير لمرات عديدة ، فيما يتعلّق بآية

معينة ويقول: «إن حضرة الرسول ﷺ قال: ضعوا هذه الآية في المكان الفلاني من القرآن، وكان المرحوم الشعراني يقول: التنزيل حسب الإنزال، وقد نُظِمَ حسب أمر رسول الله ﷺ نفسه، حتى لا يتناول أحد على القرآن، ولو لم يكن القرآن بتنظيم رسول الله ﷺ فكيف كنا نتمكّن من ربط هذه الآيات مع بعضها البعض، حيث يذكر القرآن في تحدّيه للعالم: ﴿ قُل لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (١) (٢).

وكان هذا بسبب الانسجام والفصاحة والبلاغة والترتيب الذي قد نظّمه ورثبه لسان النبوة ومنطق الوحي مطابقاً للواقع.

فقولنا: هو أنه لا يوجد أي تعرّض أو تغيير في القرآن. وقد كان يتحدث كثيراً حول أصالة القرآن.

لقد كان السيّد محمود شلتوت، رئيس جامعة الأزهر في مصر، عالماً مقتدرًا، وإنساناً منصفًا، وقد أظهر بعض أساتذة الأزهر وعلمائهم في محضره أنّ الإمامية يعتقدون بتحريف القرآن، ويقولون: إنّ القرآن قد حُرّف، فعندما قال أولئك أمامه أنّ الشيعة يقولون بتحريف القرآن فأجابهم شلتوت: أوليس الطبرسي صاحب مجمع البيان من الشيعة؟

قالوا: نعم، هو من كبار علماء ومشايخ الإمامية.

فقال شلتوت: إنّ صاحب تفسير مجمع البيان يقول: إنّ الذي ينسب لنا التحريف قد افترى علينا، وأنّ الإمامية يقولون بعدم تحريف القرآن، فهذا كلامه لأساتذة الجامعة وسنده أيضاً قول حضرة الطبرسي في مجمع البيان.

(١) الإسراء: ٨٨.

(٢) مجمع البيان / الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي ٦: ١٠٥، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

آخر آية نزلت من القرآن:

لقد ذكر المرحوم الطبرسي في مجمع البيان ومفسرون آخرون مأخذ ومصادر كثيرة في أنه عندما نزلت الآية الكريمة من سورة البقرة: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(١) (يعني آخر آية نزلت على النبي الأكرم ﷺ)، قال جبرئيل عليه السلام للنبي ﷺ، والنبي قال ذلك للناس أن يضعوا هذه الآية بعد الآية ٢٨٠ من سورة البقرة، وقد نقل مجمع البيان وتفسير أخرى هذا الموضوع عن العامة والخاصة^(٢).

وعندما كنّا نقرأ هذا الحديث من مجمع البيان في مجلس الأستاذ الشعراني قال: إن رسول الله ﷺ قال - وبأمر من جبرئيل عليه السلام - أن يضعوا هذه الآية، برقم ٢٨١ من سورة البقرة، ولا يوجد اختلاف في أن هذه الآية هي آخر آية نزلت من القرآن، إلا أن الاختلاف في رواياتنا هو في المدة التي عاشها الرسول ﷺ بعد هذه الآية، فبعضهم قال: عدّة أيام، وبعض آخر قال: عدّة ساعات، فاختلافهم كان فقط في بيان مدّة حياة الرسول ﷺ بعد نزول هذه الآية، فهذا التنزيل طبق الوضع الإنزالي.

حول الجزيرة الخضراء:

لقد نقل المرحوم الحاج النوري رواية حول الجزيرة الخضراء، وقد كان من فوائد المجلس الشريف للعلامة الشعراني هو وجود الحاشية فيه أيضاً، وقد نقلنا هذه الحاشية في كتاب ألف وواحد نكتة (النكتة ٩٩٠)، فكان يقول: إن الجزيرة الخضراء موجودة الآن أيضاً في بلاد الأندلس، جزيرة خضراء ونضرة جداً، وعادة ما تكون

(١) البقرة: ٢٨١.

(٢) مجمع البيان / الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي ٢: ٢١٤، طبع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

الجزر خضراء نوعاً ما، لكن لهذه الجزيرة صفة وامتياز خاص، وهي أنّ المهدي الفاطمي قد اتخذها عاصمة له، ومقرّاً لحكومته، وبعد هذا بدأت قصّة المهدي الفاطمي والجزيرة الخضراء تتداولها الألسن، وتنتقل من فم إلى فم. وقد استبدل بعض هؤلاء الجهال الثقلّة، المهدي الفاطمي بحضرة المهدي بقيّة الله - صلوات الله عليه - وأسكنوه في الجزيرة الخضراء، وربطوا الجزيرة الخضراء بمثلث برمودا، فأبي أمور أحدثوا، وأبي أشياء حاكوا حول هذا الكلام. وقد قبله الآخرون أيضاً، فكتبوا ذلك في هذا الكتاب وذلك الكتاب.

وكذلك الحال فيما يتعلّق بمثلث برمودا، وفيه كلام كثير، فلأسف أنّ البعض يجلبون كلّ قول يسمعونه ويستندوه للدين والمذهب، إلى الدين الذي كلّّه برهان وعقل: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(١).

فأعلى الله درجات حضرة الأستاذ آية الله الرفيعي. فإيّه كان يقول حول: «لولا الحجّة لساخت الأرض»^(٢)، وأمثال هذه الأقوال حول الحجّة، وأنّ الإنسان يحتاج إلى حجّة: إنّ وجود بقية الله وهو سرّ الله. لازم. وأنّ نظام الوجود لا يكتمل بدون واسطة للفيض والإنسان. وهذا كلام في محلّه، ولدينا البرهان والدليل لإثباته، ولدينا كلام وبرهان حكمي، وبطالِب عرفانيّة. وآيات وروايات إلى حدّ التواتر والتظافر، أمّا الحجّة التي تشجّعنا عليها الروايات. وأنّ العالم يحتاج إلى حجّة «لولا الحجّة لساخت الأرض»، فهذه الحجّة تعني العقل والبرهان، وتعني الدليل، فالإنسان لا يقول أي شيء جزافاً، فهو يريد التثبت في كلامه، ويريد الإثبات والتعقّل في قبوله، فالدين دين عقل وبرهان. والآن حول مثلث برمودا فتلك المنطقة تحت البحر لها جبل مغناطيسي وحجر مغناطيسي وقوّة مغناطيسيّة،

(١) البقرة: ١١١.

(٢) الكافي / الشيخ الكليني ١: ٢٣٥، طبع دار الأضواء - بيروت.

فأنتم تعلمون أنّ القطب الجغرافي للأرض هو قطب يقاس نسبة إلى كُرة ، وكذلك للأرض قطب مغناطيسي أيضاً ، وهذا القطب المغناطيسي غير ثابت ، بل يدور ، ومقدار دورانه معلوم أيضاً حسب القواعد الرياضية .

وهذا القطب المغناطيسي لمثلث برمودا تحت البحر أيضاً ، لهذا فإنه يجذب السفن نحوه ، بل يجذب حتّى الطائرة في الهواء نحوه ، فهو قوي جداً ، وقد سجّلوا ذلك أيضاً بحساب إمام الزمان عليه السلام .

رسالة نهج الولاية :

إنّ الدين كلّ حقّ ، ولدينا مواضيع حول حضرة بقیّة الله ، وعندنا برهان ودليل لها ، وعندنا رسالة مختصرة باسم نهج الولاية ، قد تكلّفنا العناء لأجلها ، ونهج الولاية هي عصارة لما دوّنته طيلة ثلاثين سنة من محضر العلماء ، وهي رسالة مختصرة ، لكنّها تحتوي الكثير من إفادات أساتذتنا الفضلاء : المرحوم العلامة الطباطبائي ، وأخوه العزيز حضرة السيّد محمد حسن إلّهي ، والعلامة الشعراني ، والشيخ الأملي ، والقزويني ، والميرزا أحمد الآشتياني ، وأساتذة آخرون .

فقد كانت هذه عقبة لي ، ووادياً مرعباً بأن أعلم ما هي جذور نظام العالم والإنسان الكامل كما نقول ، وما هو بحثه الفلسفي والعرفاني ؟ وقد كان واضحاً لي بجلاء أنّ الأرض لا تخلو من حجة ، وقد تجاوزت هذه العقبة - والله الحمد - واستطعت عبورها ، وقد قلت بعد ذلك ، ومن شدّة الفرح والابتهاج ، قصيدة بهذا المعنى ومطلعها :

امامی مذهبم از لطف سبحان به قرآن و به عرفان و به برهان
من و دینداری از تقلید هیئات برون آی از دعابات و خیالات^(١)

(١) المعنى: إني - ويلطف الله سبحانه - على مذهب الإمامية ، وقد توصلت إلى ذلك بالقرآن

وقد كان المرحوم الشعراني رجل دليل وبرهان ، وفي أصول المعارف كان عنده ندار من الإياء بالذوق المتعارف والاستحسان المتعارف . فكان يريد دليل لذلك . يقول لنا أيضاً : إنّه يريد برهاناً .

المعجزات الكلامية للسفراء الإلهيين :

من الفوائد القيّمة والمفيدة جداً لمجالس العلماء أننا درسنا الكتب الروائية ند عالمين جليلين : أحدهما : قد درسنا عدّة مجلّدات من البحار عند حضرة مآلة الطباطبائي ، والآخر : درسنا الوافي عند المرحوم الشعراني ، وأحياناً عندما نأدرس الوافي عنده كان يقول : « انظروا كلّ هذا العدد من الصحابة الذين كانوا مع نبيّ ﷺ لم يظهر نفر واحد منهم عنده بيان أمير المؤمنين ﷺ ، ولم يظهر أحد من سميع التابعين الذين أتوا بعده ، عنده بيان حضرة السجّاد ﷺ ، كالصحيفة سجّادية ، أو أن لأحدهم بيان حضرة الإمام الصادق ﷺ ، أو الأئمة الأطهار الآخرين صلوات الله عليهم أجمعين) .

فكان مضمون كلامه أنّ نفس هذه الروايات ، وهذه المعجزات الكلامية . هي حجة بالغة على كونها حجة بالغة ، وإلا فجميع هؤلاء العلماء ، وجميع الكتاب ، جميع أصحاب المقامات ، كالحريري وبتديع الزمان والوكيع لماذا لم يتمكّنوا ن عرض شيئاً في مستوى هذه الآثار ؟

فهذا نهج البلاغة ، وهذه الكلمات القصار ، هي كلمات علمية .

إنّ كتاب البيان والتبيين هو أحد الكتب الأدبية الأربعة . وقد ذكرت في رسالة لإنسان الكامل من وجهة نظر نهج البلاغة) : أنّ الجاحظ قد نقل في كتابه البيان

وبالعرفان والبرهان ، وهيئات أن أقبل التقليد في أمور الدين ، فأزل عن ذهنك هذا الخيال والوهم .

الفصل الثالث: الحاج الميرزا أبو الحسن الشعراني

والتبيين عبارة أمير المؤمنين: « قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ »^(١) بعد ذلك - و
تلذذه بهذا الكلام - يقول: « بولم يكن لي كلام يستحق الذكر في البيان والت
فإن وجود هذه العبارة كافية لإعطاء قيمة كبيرة لكتابي ».

وكان المرحوم الشعراني يقول: « إن نفس هذه الأقوال ، وهذه الروايات
حجة بالغة على كونها حجة بالغة » ، وفي النهاية يظهر هؤلاء الأفراد الذين لم ي
عند أستاذ ، ولم يذهبوا إلى مكتب أو مدرسة ويتحدثوا بهذا الكلام الذي
ويخضع أمامه العلماء ، أمثال الملائم صدرنا والشيخ الرئيس والفيض ، فالمر
الفيض يدعو الله في بداية الوافي ، ويطلب منه أن يترحم ويتلطّف عليه با
لنهم هذه الحقائق ، فقلائل هم الذين يتمكنون من فهم روايات الكافي ، فله
أي أحد من هو أستاذهم ؟ وأي أستاذ هذا الذي علّم كل ذلك للإمام الصادق
ولا يوجد له أي ذكر ؟ وأي أستاذ هذا الذي علّم القرآن للنبي الأكرم ، ول
أي ذكر ؟

ترجمة كشف المراد وتعليقات أسرار الحكم:

إن أحد كتب العلامة الشعراني هو كتاب ترجمة وشرح كشف المراد ، فق
العلامة يهتم كثيراً بكشف المراد وتجريد الخواجه الطوسي ، فكان يؤكد أنّ ال
لا بد أن يدرس كشف المراد حتى يتعرف على كلام الإمامية ، وكان يقو
الكتاب الدرسي الوحيد الآن ، ولا بد أن يكون موجوداً ، هو هذا الكتاب ، فق
عنده علاقة شديدة بهذا الكتاب ، وكان يشجعنا على ذلك ، وقد كنت في ط
أدرّس كشف المراد ، وقد قمت بتصحيحه والتهميش عليه ، حيث طبع
الحمد - عدّة مرّات ، وفي الحقيقة كان هذا من بركات إصرار وإبرام وتشجيع المر

(١) نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: قصار الحكم ٨١ : ٣٦٤ ، طبع دار التعارف للمطبوع

أما فيما يتعلّق بأسرار الحكم للمرحوم الحاج السبزواري إذا كنتم قد لاحظتموه سابقاً ، كان للمرحوم الشعراني كلام حول مقام الحكمة في تعليقه وتهميشه للكتاب ، وكان له أيضاً كلام حول العرفان في هذا الكتاب (كشف المراد) ، فكان يقول : « لم أذكر في كشف المراد أي موضوع عرفاني » . فيعتذر بهذا الشكل ويقول : « أمل أن لا نكون قد تكلمنا بأي نوع من التعصّب . ولم نخرج عن جادة العفاف العلمي (فقد كان مؤدّباً جداً في قلمه وبيانه) . ولم نظهر الحقد لأي شخص في مقام بيان الحقائق الدينيّة ، ولم نتمسك إلا بالأصول البديهيّة الواضحة ، وقد نقلنا من المسائل الفلسفيّة ما رأيناه موافقاً ، أو لم نراه مخالفاً . ولم نذكر أي مسألة من مسائل العرفاء ، لأنّ أساس الكلام هو العقل والعرفان فوق العقل ، لهذا لم نذكر أي بحث عرفاني في هذا الكتاب ، فهذا هو كلامه حول كتابه كشف المراد .

ويقول حول الحكمة في بداية كتاب أسرار الحكم الذي طبع مع تهميشه وتصحيحه : « إنّ الله تعالى أنزل سورة لقمان تجليلاً للحكمة والحكماء ، وذكره كشخص بارز في الحكمة ، ونقل نماذج من أقوال لقمان في الترغيب بمعرفة الله والأخلاق الحسنة ، وجاء في الأخبار أنّه عرض على لقمان الحكمة والنبوة فاختر الحكمة » .

وفي الواقع أنّ هذا الرجل العظيم له كلام كثير في آثاره العلميّة ، وعنده مواضيع وكتب ورسائل ومخطوطات مكتوبة بخطّ يده المبارك وموجودة عندنا . وآمل أن أستطيع القيام بوظيفتي في طباعة هذه المجموعة من كتاباته - المخطوطة وغير المخطوطة - في عدّة مجلّدات مترابطة لتكون مجموعة معارف ، إن شاء الله تعالى ، لكنّ ذلك يحتاج إلى عمل كثير ، فمثلاً عنده تعليقات على كتاب الطهارة للشيخ المرتضى ، وعنده تعليقات على قواعد العلامّة . وعنده تعليقات على الرسائل ، وشرح الكفاية بطريقة قال - أقول من الأوّل إلى الأخير . ولم تطبع لحد الآن . وكتب (مدخل الأصول) في فنّ الأصول ، وله رسائل كثيرة أيضاً .

وكان المرحوم الشعراني يصرّ كثيراً في هذا الموضوع أنّ الدين دين دليل ، فاطلبوا البرهان ، وتكلّموا بالبرهان ، حتّى عندما يريد الإنسان إرشاد الناس من منبر الخطابة ، فليسمي لذكر كلّ ما هو واقعي ، وكما قال لنا القرآن : ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾^(١).

لم يكن الأئمة عليهم السلام يعملون بالتقيّة :

لقد كان للعلامة الشعراني كلمة طويلة جدّاً حول التقيّة ، وقد جعلناه إحدى النكات في كتاب ألف وواحد نكتة (النكتة ١٩٩). وكان يقول : « إنّ الأئمة لم يكونوا يعملون بالتقيّة » ، إذن فما كلّ هذا الكلام الصادر منهم حول التقيّة ؟ يقول : « إنهم كانوا عالمين بالواقع ، فإذا شاؤوا أن يعلموا علّموا^(٢) ، فالتقيّة تصدق في حقنا ، أمّا هم العالمون بسرّ القدر لا تصدق التقيّة بحقهم . فنحن - ولأننا في حجاب - نتكلّم طبقاً لما نفهمه ، أمّا هم الذين فوق الحجاب ويحيطون بالزمان والمكان ، فلا تصدق التقيّة الواقعيّة في حقهم . فلم يتّقى الإمام الحسن المجتبي عليه السلام ، ولم يتّقى الإمام الحسين عليه السلام ، ولا الأئمة الآخرون عليهم السلام .

فكلام العلامة هو أنّ الأئمة لم يعملوا بالتقيّة ، بل كانوا يأمرّون الآخرين بالعمل بها ، لأنّه ليس لجميع الناس اطلاع بسرّ القدر . فهم لم يعملوا بالتقيّة ؛ لأنهم كانوا يعلمون بوقت وكيفيّة وفاتهم . ولقد كان هذا الكلام من إفادات العلامة .

وكان كلام المرحوم القزويني أيضاً نفس هذا الكلام ، إلّا أنّه وضح ذلك بهذا الشكل : « مسألة : إذا ابتلي عالم محقّق إلّهي ربّاني بحيوانات مفترسة وعنده علم ويقين أنّها تفترسه ، فحتماً ولا شك أنّها ستفترسه . وكما يقول سيّد الشهداء عليه السلام

(١) النحل : ١٢٥ .

(٢) الكافي / الشيخ الكليني ١ : ٣١٦ ، طبع دار الأضواء - بيروت .

لأخيه : لو أختبئ في حجر الحيوانات ستطالني يد بني أمية ، فهو يعلم أنهم قاتليه لا محالة ، وكذلك حضرة أمير المؤمنين عليه السلام كان يعلم أنهم قاتليه . فأنا أعلم أنهم يقتلونني ، وما دمت عالماً بذلك . فلماذا في البيت ؟ لماذا في دهليز ؟ ولماذا في صحراء دون علم أحد ؟ حسناً ، فما دام أنهم يقتلونني . فلاقتل واستشهد بحيث لا يذهب دمي هدراً ، ولتعلن مظلوميّتي على الملأ . فهم في النهاية يقتلون علياً عليه السلام ، لهذا يذهب إلى المسجد . وحتى لو لم يذهب إلى المسجد تلك الليلة لقتلوه أيضاً بطريقة أخرى .

إذن فأي شيء أفضل من أن تظهر حقانيّته للعالم في المسجد وقت الصلاة « المسجد أمان للناس » ، فتظهر بذلك المساواة والشقاوة بوضوح كامل ، فقد اختار هذا المكان ، واختار هذا الطريق ، فلا يجب القول : لماذا ألقى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بنفسه إلى التهلكة ؟ لماذا ؟ والقرآن يقول : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ ^(١) ، إنه فوق كلّ هذا الكلام ، إلا أنه اختار طريق الشهادة ليثبت حقانيّته . ويظهرها على الملأ . فكلام المرحوم التزويني مطابق لكلام العلامة الشعراني وكلاهما واحد . حيث قال : إن الأئمة لم يعملوا بالتقية ؛ لأنهم كانوا عالمين بوقت وكيفية وفاتهم . نعم ، كانوا يأمرّون بالتقية .

الملا صدرا كان لطفاً إنهياً :

عندما كان درس الأسفار ، كان للعلامة تعبيراً شريفاً حول الملا صدرا حيث قال : « كان المرحوم الملا لطفاً إنهياً ، فعند جلب الغرب بلاء المادية والماديات للناس ، وابتعد عن مسائل ما وراء الطبيعة . وتوقّف عند المادية بهذا الشكل ، فأخرج الله سبحانه وتعالى مقابله رجلاً عظيماً . فحدّر الجميع أن لا تكونوا بهذا

الشكل أن أخلد إلى الأرض ولا يكون عندك علم وإطلاع عن ما فوق الأرض وما في جوف الأرض ، وعن الله والعالم والحقيقة . فكان هذا رأي المرحوم الشعراني حول الملاً صدرا ، وقد سمعت كل ذلك عنه مشافهة .

و درسنا (الشفاء) عند أكثر من أربع نفرات : عند المرحوم الشعراني ، وحضرة الميرزا أحمد الأشتياني ، وحضرة فاضل التوني ، وحضرة العلامة الطباطبائي ، و درسنا برهان الشفاء عند حضرة العلامة الطباطبائي ، و درسنا عمدة الشفاء عند أولئك العظماء أيضاً ، وكذلك درسنا عمدة الشفاء عند المرحوم الشعراني ، يعني بدأنا من كتاب النفس ، ثم درسنا كتاب النبات والحيوان والتشريح .

رأي العلامة الشعراني حول حكومة البهلوي :

عندما كنت في مدرسة مروي ، كان يزورني أحياناً أحد الشخصيات المحترمة والأساتذة المعروفين ، ومن أهل التأليف أيضاً . ويسأل عن حالي ، فجاءني يوماً وقال : « هل عندك خبر عن طهران اليوم ؟ » .

فقلت : يا سيّد ، انا طالب ، وليس عندي خبر .

قال : « اليوم (قبل ما يقرب عن أربعين سنة) حملت إحدى الطائرات كتاباً خطياً من طهران إلى أمريكا » .

فعندما كان يجري الحديث حول هذه الأمور ، كان المرحوم الشعراني يقول : « إنّ الضرر والخسائر التي ألحقها هذا الأب وولده (رضا خان ومحمد رضا) بمعارف وثقافة هذا البلد ، أكثر حتى ممّا ألحقه المغول » .

كان هذا أحد أقواله أيضاً .

تعرفني على الأستاذ العلامة الشعراني :

أمّا كيف تعرّفت على العلامة وذهبت إلى مجلسه وأنست به ، فقد قدّم لي هذه

الخدمة الجليلة حضرة الشيخ محمدتقي الآملي ، فقد عرّف لي حضرة العلامة الشعراني والعلامة قمشه ، وقال : « إذا تمكّن من إدراك مجلس العلامة الشعراني ستصل إلى حالة الإشباع ممّا تريد » ، ومدحه لي كثيراً ، ولم يكن لي معرفة به أصلاً ، فقد كنت أتيت للتوّ من أمل إلى طهران ، فذهبت إلى العنوان الذي أعطاني إياه حضرة الشيخ الآملي ، إلى مسجده ، مسجد حوض ، وقد كان المرحوم الشعراني يصلي فيه ، فرأيت شيخاً بشكل المألفي الماضي . جالساً أمام المحراب ، فسلمت عليه وجلست منتظراً حتّى يأتي العلامة الشعراني . وعندما حان الأذان حضر جمع من النَّاس ، فذهب ذلك الشيخ إلى المحراب . فسألت أحد الواقفين في صفّ الصلاة : ما اسم إمام الجماعة هذا ؟ فقال : الميرزا أبو الحسن الشعراني . فقلت : هذا هو الشيخ الشعراني ؟ قال : نعم ، إنسان زاهد وورع جداً ، فما أن تمت الصلاة ذهبت إلى حضرته ، فاعتذر لي وقال : « لا أستطيع وليس عندي وقت » ، وأخيراً وبعد ذهاب ومجيء له عدّة مرّات ، قال : « أنا أدرس المكاسب والرسائل ، فإذا تفيّدكم هذه الدروس احضروا بها . أمّا إذا تريدون درساً آخر فليس عندي وقت » . فقلت : حسناً ، لنذهب ، فكان أولاً الرسائل والمكاسب . قال : « تريد أن نبدأ الدرس » ، فذهبتنا .

وكان العلامة قمشه يقول لي : « اغتنموا جيّداً فرصة حضوركم في ذلك المجلس » . قلت : لقد كان هذا كلام الشيخ الآملي أيضاً . وقد رأيت يوماً سيّداً جليلاً في السوق عندما كنت ذاهباً إلى الدرس ، فسلم عليّ واعترضني فقال : « أتذهب إلى درس أبو الحسن الشعراني ؟ » . قلت : نعم . قال : « أقول لكم شيئاً ؟ » . قلت : تفضّل .

فقال لي ذلك السيّد الجليل : « يا أخي ، أقول لكم أنّه معلّم العصر ، فانتبهوا جيّداً في درسه » . فقلت في نفسي : أنّ الشيخ الآملي كان يقول هكذا ، وكذلك العلامة قمشه يقول بذلك الشكل ، فلا بدّ أن تكون عنده أشياء أخرى ، وإلا فكثير يدرسون

الرسائل والمكاسب .

وقد قال المرحوم جلال الدين الهمايي (رضوان الله عليه) عدّة أبيات في تاريخ وفاته ، وأنشد كذلك عدّة أبيات حول الشيخ فاضل التوني ، وهي مكتوبة على لوح تربته ، فحضرة الهمايي يُشَبِّه العلامة الشعراني بشيخ بهائي العصر ، ويقول : « لقد كان المملأ رجلاً بحق » ، فالعلامة الشعراني كان يدرّس المجسطي ، ومن جهة أخرى يدرّس القانون في الطب ، ومن جهة أخرى كان يدرّس الفقه والأصول - وكانت علومه الرسميّة - ، فكان يدرّس الجواهر مثلاً ، وكتب تعليقات على القواعد ، وتعليقات له على المجموع ، وكذلك يدرس الرياضيات .

وقد درسنا علم القراءة وشرح الشاطبيّة عند المرحوم الشعراني . وكان يقول : « درست شرح الشاطبيّة عند والدي » . وشرح الشاطبيّة هو كتاب بألف ومئة وواحد وثلاثين بيتاً ، وجميعها بقافية اللام ، مثل ألفيّة ابن مالك ، وكان كتاباً درسياً ، وقد كان في بعض المواضع عندما يريد القراءة وتوضيح ذلك ، فلا يمكن بالسمع فقط ، فكان يقول لي انظر ، فأنظر إلى شفتيه . فيقرأ ، وكان يقول - مثلاً - : « هنا يجب إشباع ، وهنا يجب المدّ ، وهنا يجب الاشمام ، وهنا يجب الإمالة ، فبعضها يجب سماعها ، وبعض المواقع لا بدّ من رؤيتها ، كما يقول المملأ الرومي :

هرکه گيرد پيشه ای بی اوستا ریشخندی شد به شهر و روستا
هیچ کس بی اوستا چیزی نشد هیچ آهن خنجر تیزی نشد»^(١)

العلامة الشعراني شاعر مقتدر :

للعلامة ديوان شعره لم يطبع ، وشعره شبيه بأشعار الشيخ الرئيس والميرداماد

(١) المعنى : أن كلّ من يتعلّم شيئاً دون أستاذ لأصبح محلّ استهزاء الجميع ؛ لأنّه لا يمكن لأيّ أن يتعلّم شيئاً بشكل جيّد دون أستاذ ، كما أنّ الحديد لا يصبح خنجرًا حاداً دون عمل وأستاذ ماهر .

والمرحوم جلوه ، كان له وقار وهيبة وثقيلاً . ك شعر الشيخ الرئيس فارسيه وعربيه ، مثل قصيدة الفخر الرازي النونية الغراء في مدح الإمام الثامن عليه السلام ، فعندما رأيت تلك القصيدة ، ازدادت عقيدتي بما قاله الشيخ البهائي عن الفخر الرازي ، فالشيخ البهائي كان يقول في تفسير الحمد : « إذا يُمعنُ الشخص النظر في كتابات الفخر الرازي ويتفحص فيها ، لرأى أنَّ الفخر الرازي مائل للتشيع » .

بعد سماعي لهذا الكلام ، وجدت عدّة أقوال للفخر الرازي في عدّة كتب ، ورأيت أنَّ الحقَّ مع الشيخ البهائي . فمثلاً . وبرغم أنَّه كان إمام المشككين ، وشكك في كلِّ شيء من المبدأ حتّى المعاد . لكنّه كان يعتقد بلا تردّد بمعصوميّة حضرة فاطمة الزهراء صلوات الله عليها ، وله قصيدة نونية في مدح الإمام الرضا عليه السلام ، وقد شرح هذه القصيدة أحد العلماء الماضين باسم عبداللطيف الشبرواني ، المعروف بافلاطون ، ولم يطبع لحد الآن . فقلت : لأصحح هذا وأجعلها كلمة من كتاب الألف وواحد كلمة ، وقد جمعت أكثر من مئة رسالة ونظمتها لأضعها ضمن الألف وواحد كلمة ، وأحدها قصيدة الفخر الرازي هذه . والقصيدة النونية هي قصيدة فارسيّة ، وشرحها أيضاً بالفارسيّة ، وجميلة جداً ، ولها وقار كبير ، ومطلعها :

بال مرّصع بسوخت مرغ ملّمع بدن

اشك زليخا بريخت يوسف گل پيرهن

صفحة صندوق چرخ گشت نگون سار باز

کرد برون باد صبح مهرة مهراز دهن

وتتكوّن هذه القصيدة من ٦٣ بيتاً شعريّاً بهذا الوقار في مدح الإمام الثامن ، فكان لأشعار المرحوم الشعراني وقار وهيبة بهذا الشكل .

ملاحظة : أنّ قصيدة (الجناح المرّصع) من أبو المفاخر الرازي وليس من الفخر الرازي ، وقد شرحناها وبحثنا ذلك بالشكل الموجود في الدفتر الثاني من (ميراث ايران الإسلامي : ص ٦٨) .

خصائص أخرى:

من خصائصه الأخرى أنه كان لا يمدّ يده إلى أي كتاب ، حتّى المنجد ، لم يكن بين كتبه ، وقال بصراحة : « إن كتاب المنجد قد كُتِبَ لطلاب المدارس وليس لعالم دين » ، فالملا كان يمدّ يده إلى كتب اللغة العلميّة الأساسيّة ، مثلاً إلى جمهرة ابن دريد ، وتاج العروس والصحاح ، إلى مثل هذه الكتب لا إلى المنجد الذي كُتِبَ لطلاب المدارس .

ومن محاسنه أنه كان يهتم كثيراً بأفكار وآراء التدماء في المسائل الفقهيّة ، لأنهم كانوا قريبي العهد ، وظروفهم وأدابهم ونضوجهم وخبرتهم - الآن وقد قبلوا حديثاً ، نقوم نحن بوضع الشكوك بسلسلة الرجال والسند - فهم قبلوا الحديث ولقبولهم أهميّة كبيرة . فنحن لا نستطيع أن نشكك في رجال التدماء .

وكان شديد التمسك بالولاية بشكل عجيب . حتّى أنه في بداية كتاب نفس المهموم للمرحوم الحاج الشيخ عباس التمّي رحمه الله الذي ترجمه بنفسه ، قد أظهر حبه وتضرّعه وأدبه لحضرة أهل البيت والولاية عليهم السلام بكلام عذب جميل .

كان أستاذاً بحق ، ونحن عندما نمدحه . لا نقول إلا الحقّ والواقع والله شاهد على ذلك ، ونعوذ بالله أن يكون قصدنا رفع مقام أحد لإهانة الآخرين ، أو نريد بمدح أحد أن نمدح أنفسنا . فقد يتصوّر شخص أن مدحه لأستاذه يعود عليه بالمدح بالتبع والعرض . لا شهد الله العليّ العظيم . وإنما أقول الواقع . وهذه الواقعيّة هي التعلّق بالدرس والبحث والمطالعة والتحقيق . فكان لهذه الواقعيّة حبّ ووجد ، فكيف توافقت هذه الآثار العلميّة مع عمره ؟ أصلاً كان حبّاً من الرأس إلى القدم ، وكثيراً ما اتّفق أن كُنّا نصلّي صلاة الصبح في مدرسة مروي . وكان يدرس الكفاية ما بين الطلوعين في منزله ، وما أن ينتهي درس الكفاية . يجلس البعض ويذهب البعض الآخر ، فيأتي آخرون لدرس المكاسب . وكنا نذهب إلى الدرس الثاني المكاسب ،

فكان يستريح ويجدد قواه ويدخّن النارجيلة ، ولم تكن ندخّن ، فقد كان يذهب إلى غرفة أخرى ويدخّن ، ثمّ يأتي إلى درس المكاسب ، وبعد أن ينتهي الدرس ، يذهب البعض ويبقى البعض الآخر ، وكنت أيضاً ضمن الباقين ، وكان يدرّس الأسفار أو الشفاء أو يدرس الإشارات ، وهذه كانت دروس فلسفيّة ، فيذهب الطّلاب بعد ذلك ، وأبقى أنا أيضاً ، ثمّ وكما كان يقول بتعبيره الشريف : « جاء الآن دور دروس الكفر ، وهي الرياضيات والهيئة » ، فكان يعبر عنها كما يطيب له بدروس الكفر ، فكانت تمرّ الأيام - والله عليم خبير لطيف مطلع - ، ونحن نأتي ما بين الطلوعين لدرس الكفاية حتّى الدرس الأخير - مثلاً - الرياضيات أو زيج البهادري ، فإنّه يستمرّ إلى آذان الظهر ، فقد كان يدرّس من الصبح إلى الظهر وبالترتيب كفاية ، أسفار وغيرها ... إلى آذان الظهر .

الفصل الرابع

الملا محمد الأملي

الآخوند الملام محمد الأملي

في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر محرم سنة ألف وثلاثمئة وثلاث وسبعين هجري قمري . تشرّفت بالحضور لدى أستاذي جامع المعقول والمنقول آية الله الحاج الشيخ محمدتقي الأملي رحمته في طهران ، عندما كنت مشغولاً بتحصيل العلوم الدينيّة ، فقلت لهذا الأستاذ الجليل :

لقد جمعت سيرة عدد من علماء مازندران المعروفين ، فإذا تسمّحوا أن يكون عندي ترجمة لحياتكم وحياة والدكم الشخصية المرحوم الشيخ المولى محمد الأملي (رضوان الله عليه) ؟

فأجاب قائلاً: « إنّ ترجمة والدي الشخصية بقلمه مع ترجمة حياتي الشخصية بقلمي ، كلاهما في مجلّد واحد ، يمكنكم أن تستنسخوه وتعيدوا لنا أصله » .

وننقل هنا الترجمة الشخصية لوالد الشيخ محمدتقي الأملي ، يعني الملام محمد الأملي والمكتوبة بخطّ يده ^(١) :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً فيكون موروثاً ، ولم يكن له شريك في الملك فيضادّه في ما ابتدع ، ولا وليّ فيرفده في ما صنع ، وصلى الله على خيرته من خلقه

(١) لقد كتبت جميع هوامش هذه المقالة في نهايتها بشكل نقاط مشروحة .

محمد خاتم النبيين ، وآله الطيبين الطاهرين المخلصين .

وبعد ، فيها أنا العبد الخادم لعلوم الدين ، وراصد أسرار الآل الأطيبين - عليهم سلام الله الملك المبين - وكاسد رأس المال لتجارة سفرة يوم الدين إلا الرجاء من رحمة رب العالمين : محمد بن علي بن محمد بن علي الأملي عفى الله تعالى عن جرائمهم يوم الدين .

ولدت في سنة ثلاث وستين بعد الألف والمأتين في بلدة أمل من بلاد طبرستان - صان الله تعالى أهلها من الحرص وطول الأمل - . وأنشأت هذه الأبيات لإفصاح بعض الحالات :

بأمل مولدي ويسنو جوان من النسب الأصيل والحسب الجمان
 وأمّي من سلالة آل طه بها فخري إذا حصل الأماني
 ونشأت فيها سبع عشرة سنة ، ثم هاجرت منها إلى ديار الغربة . ولم آل جهداً في طلب العلوم العقلية والنقلية ، وكشف معضلاتها ، وحل عقد عويصاتها إلى أن بلغت نيتها ما لم يبلغ المرء بجده واجتهاده ، بيد أنني إلى هذه الغاية وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية (١٣٣٢ هـ ق) - على مهاجرها آلاف لتحية - لم أجد لنفسي مرتبة من مراتب الراسخين ، ودرجة من درجات الكاملين ، رمزية من مزايا الشامخين ، فحري بي أن أتمثل لنفسي بما نمي إلى فخر الدين لرازي :

نهاية أقدام العقول عقال	وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشته من جسمنا	وحاصل دنيانا أذى ووبال
وكم قدر رأينا من رجال ودولة	فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها	رجال فزالوا والجبال جبال
ولم تستفد من بحثنا طول عمرنا	سوى أن جمعنا فيه قيل وقال
وهذا النظم الفارسي أيضاً نمي إليه :	

دل گرچه در این باده بسیار شتافت مویی به ندانست بسی موی شکافند
 گرچه ز دلم هزار خورشید بتافت لکن بکمال ذره‌ای راه نیافت^(۱)
 وبعد اللتیا والتي أقول: إنَّ أَحَقَّ الفَضائلِ بالتعظيم، وأسبقها في استحقاقِ
 التقديم هو العلم، إذ لا شرف إلا وهو نظامه، ولا كرم إلا وهو ملاكته وقوامه
 ولا سيادة إلا وهو ذروتها وسنامها، ولا سعادة إلا وبه صحتها وقوامها، به يكسب
 الإنسان رفعة القدر وعلو الأمر في حياته، ويحوز جزيل الأجر وجميل الذكر به
 وفاته، وهو الصديق إذا خان كل صديق، والشفيق إذا لم يوثق بكل ناصح شفيق
 والعلماء ورثة النبیین، وسادة المسلمين، والدعاة إلى يوم الدين، والله درّ القائل فر
 نظم الفرس:

مال مايل بود ای ابن یمین علم طلب

کز تو یکدم نشود درغم و شادی منفه

علم دادند به ادريس و به قارون زر وسيم

شد یکی فوق سماک و دیگری تحت سمک^(۱)

ففي العلم حياة القلوب من الجهل، ونور الأبصار من الظلمة، وقوة الأبدان من
 الضعف، يبلغ به العبد منازل الأخيار، ومجالس الأبرار، والدرجات العلى في
 الأولى والآخرة، والذكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يطاع الرب ويعبد
 وبه توصل الأرحام، ويعرف الحلال والحرام، والعلم إمام العمل، والعمل تابعه
 يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء.

(۱) المعنى: برغم السعي والجهد في الحصول على العلم والخروج من الجهل، وبرغم الحصول
 على بعض التوفيق إلا أن هذا لا يُعدُّ أكثر من ذرة في طريق الكمال. (المترجم)

(۲) المعنى: تشير هذه الآيات، كما في الكلام الذي يسبقه، إلى مكانة العلم وسموه، وأد
 طريق السعادة، وأنه أفضل من المال، فالعلم أعطي لإدريس فرفع مقامه إلى ما فوق
 النجوم، وأعطي المال إلى قارون فأنزله إلى الحضيض. (المترجم)

فطوبى لمن لا يحرمه الله منه حظّه هذا»^(١).

وقد ذكر عند مولانا جعفر بن محمد عليه السلام قول النبي صلى الله عليه وآله: «النظر إلى وجه العالم عبادة»^(٢)، فقال: «هو العالم الذي إذا نظرت إليه ذكرك الآخرة، ومن كان على خلاف ذلك فالنظر إليه فتنة»^(٣).

وقال عليه السلام أيضاً: «العلماء أمناء الرّسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان، فإذا خالطوه وداخلوا الدنيا فقد خانوا الرسل، فاحذروهم»^(٤).

وقال عليه السلام لأصحابه: «تعلّموا العلم، وتعلّموا للعلم السكينة والحلم، ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم»^(٥).

وعن عيسى (على نبينا وعليه السلام) أنّه قال: «مثل عالم السوء مثل صخرة وقعت في فم النهر، لا هي تشرب الماء، ولا هي تترك الماء ليخلص إلى الزرع»^(٦).

ومن كلام بعض الأكابر: «إذا رأيت العالم يلزم السلطان فاعلم أنّه لصّ، وإيّاك أن تخدع بما يقال من أنّه يردّ مظلمة أو يدفع عن مظلوم، فإنّ هذه خدعة إبليس اتخذها فجّار العلماء سلماً»^(٧).

(١) عدّة الداعي / ابن فهد الحلّي: ٦٤، طبع مكتبة الوجداني - قم.

(٢) بحار الأنوار / الشيخ المجلسي ١: ١٥٠، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٣) السراج الوهّاج / الفاضل القطيفي: ٢٢، طبع مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرّسين - قم. كشف اللثام / الفاضل الهندي ٢: ٥٢٣، مكتبة السيّد المرعشي - قم.

(٤) كنز العمّال / المتقي الهندي ١٠: ١٨٣، ح ٢٨٩٥٢ و ٢٨٩٥٣، طبع مؤسسة الرسالة - بيروت. المحجّة البيضاء / المولى محسن الكاشاني ١: ١٤٤، طبع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

(٥) بحار الأنوار / الشيخ المجلسي ٢: ٣٧، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٦) اقتضاء العلم بالعمل / الخطيب البغدادي: ٦٥، مع اختلاف يسير.

(٧) فقه الإمام الصادق عليه السلام / السيّد محمّد صادق الروحاني ١٣: ٢٥٥، طبع مؤسسة دار الكتاب - قم.

وقال بعض الحكماء: «إذا أوتيت علماً فلا تطف نور العلم بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم»^(١).

وقال عليه السلام: «خيانة الرجل في العلم أشد من خيانتة في المال»^(٢).

وفي المقام خبايا إلا أن هذا القدر كافٍ لمن ألقى السمع وهو شهيد.

والغرض من تسويد هذه الأوراق تلخيص بيان صرف عمري إلى هذه الغاية، وأعوذ بالله الكريم من مصرفه إلى البطالة والجهالة، وسقوطي من المبين يوم القيامة مع عداد نفسي من أرباب العقول وأصحاب المعقول. وقد كنت من البداية إلى هذه النهايه مشغول القلب، ناقص العيش. غرضاً للبلايا والآفات، وعرضاً للخطايا والهفوات، سيما في هذه الأزمنة التي الخيرات فيها على الإطلاق متراجعة، والهمة من تقديم الحسنات قاصرة. والأفعال الحسنة منطمسة، والأقوال الصادقة مدروسة، وطرق الضلالة والجهالة مفتوحة، وأبواب العدالة والإنصاف مسدودة، والجور ظاهر، والعلم متروك، والجهل مطلوب، واللؤم والدنائة مستوليان، والكرم والمروة متواريان، والمحبة ضعيفة، والعداوة قوية، والعلماء الأخيار مستذلون محقرّون، والجهال الأشرار محترمون موقرون، والمكر والخديعة يقطان، والوفاء والحمية نائمان، والكذب مؤثر، والصدق مردود منغمر، والحق مغلوب ومنهزم، والباطل مظفر ومحترم، ومتابعة الهواء سنة متبوعة، وأحكام الشرع ضائعة معطلة، والمظلوم المحقّ ضئيل ذليل، والظالم المبطل عزيز تبيل، والحرص غالب، والقناعة مغلوبة، والعالم غدار. والزاهد مكار، وأتقى العلم في أيدي جماعة هم أسرار التقليد، وطفنقوا يتعاطونه من غير توثيق وتسديد، كل صناعتهم اللجاج

(١) فيض القدير - شرح الجامع الصغير / المتناوي ٢: ٤٦٦، طبع دار الكتب العلميّة - بيروت.

تاريخ مدينة دمشق / ابن عساكر ٥٢: ٢٣٢، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت.

(٢) بحار الأنوار / الشيخ المجلسي ٢: ٦٨، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت.

والعناد، وجلّ بضاعتهم الانحراف عن منهج الرشاد.

وقد أجمعوا في هذه الأيام المنحوسة مع شركائهم الغاوين على أمر قد أسخطوا الله فيه عليهم، وأعرض بوجهه الكريم عنهم، وأحلّ بهم نعمته، وجنبهم رحمته، واستحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله، فتبأ لهم ولما أرادوا من إبداع مقالة في الدين، وتأسيس أساس مخالف لطريق الحقّ المبين، فلهجوا بكلام بدعة غايتها هدم شريعة سيّد المرسلين، وإظهار فتنة كقطع الليل المظلم لا يطفأ حرّ نارها إلى يوم الدين، وتبعهم أشباه الناس المهج الرعاء أتباع كلّ ناعق، غير المستضيئين بنور العلم، ولا الملجئين إلى ركن وثيق ركين. وإن أصدعوا الندامة بعد حين كندامة يزيد اللعين في سيّد شباب أهل الجنّة أجمعين^(١).

فلمّا رأّت جماعة من أهل الحقّ ظهور هذه البدع المحدثّة، وإثارة تلك الفتن المستحدثة أنكروا عليهم غاية الإنكار، وأصروا على النكير عليهم نهاية الإصرار خوفاً من الملك القهار، وطرده إياهم في دار الترار. حيثما قال الرسول المختار صلّى الله عليه وآله الأطهار: «إذا ظهرت البدع في أمتي فيظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله»^(٢).

وعند ذلك قد صاروا أهدافاً لسهام البلايا والمنايا. ولم توف رعاية الحقّ فيهم، فقتل منهم من قتل، وسبي من سبي، وأقصي من أقصي، وشرّد من شرّد، ونفي من نفي، وطرّد من طرد، وجرى القضاء لهم بما يرجي له حسن المثوبة^(٣).

(١) نهج البلاغة / ابن أبي الحديد، الخطبة ١٤٧: ٣٧٥، طبع دار التعارف للمطبوعات - بيروت. بحار الأنوار / المجلسي ٢٢: ٤٦٦، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) بحار الأنوار / المجلسي ١٠٥: ٨٥، طبع مؤسسة الوفاء - بيروت.

(٣) المصدر المتقدم ٩٩: ١٠٦. مفاتيح الجنان / الشيخ عبّاس القميّ: ٥٣٤، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت.

وقد كنت من المنفيين المشردين من عقرداري إلى ديار الغربية وبلاد الوحشة ، ولولا حبوط الأجر والثواب في إفشاء المصيبة ، وزيادة الصواب في الصبر عليها وكتمانها لأشبعت المقال في ما جرى عليّ في هذه الأوقات ، لكنني أشكو بئني وحرزني إلى الله تعالى طلباً لذخريوم الميعاد . قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ثَلَاثَةٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ : كِتْمَانُ الصَّدَقَةِ ، وَكِتْمَانُ الْمُصِيبَةِ ، وَكِتْمَانُ الْمَرَضِ »^(١) .

وقال عليه السلام : « الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ ، وَلَا إِيْمَانِ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ »^(٢) .

ثمّ بعد حصول فترة قليلة من هذه الثنتنة الشديدة انتقلت من هذه المربع الموحشة إلى مسقط رأسي وموطن آبائي وسكنت فيها سنتين ، ثمّ هاجرت إلى مطمورة الريّ .

توضيح بعض المطالب من العلامة حسن زاده الأملي :

كان هذا ما كتبه المرحوم آية الله المولى محمد الأملي في ترجمة حياته الشخصية .

والآن نوضح بعض المواضيع حسب الأعداد المكتوبة بين قوسين في النصّ السابق :

١ - ولكنّ النسخة التي أعطاني إياها حضرة الأستاذ الأملي كأمانة قد استنسخت على النسخة الأصليّة بقلم والده الماجد ، بل الظاهر من العبارات أنّها كانت توحى أنّ النسخة الأصليّة قد أمليت من واحد إلى آخر - يعني إملاء - ، وقد حدثت أخطاء إملائيّة كثيرة في العبارات من قِبل الكاتب ، لهذا قمنا بإخراج الروايات من مصادرها

(١) بحار الأنوار / المجلسي ٧٤ : ٤٢١ ، طبع مؤسسة الوفاء - بيروت .

(٢) المصدر المتقدّم ٢ : ١١٤ .

ونقلناها في المتن ، وقد صححنا أشعار الفخر الرازي من تاريخ ابن خلكان ، وكذلك صححنا البيتين لابن يمين من ديوانه ، وكذلك صححنا الكثير من الكلمات حسب القواعد الأدبية .

٢- للأسف لم يستجاب دعاء هذا العالم ، والآن أيضاً كما كان .

٣- في زماننا أيضاً توجد عشيرة من أهل أمل معروفة بعشيرة جوان ، حتى أن لقب البعض (جوان أملي) . وفي شرح (بنو جوان) توجد تعليقة في هامش النسخة المذكورة بتوقيع : « منه » - يعني : المرحوم الملا محمد الأملي - وهي : « هم طائفة ينسبون إلى العارف المحقق والمكاشف المحقّ طالب الأملي رحمه الله ، حيث لقب لما قاله في بعض سوانحه : « كه بختم جوانست ومن هم جوانم » ^(١) ، وله ديوان شعر معروف حسن جيد ، ومن هذه الطائفة المولى المحقق الشريف محمد الملقب بشريف العلماء - طاب ثراه ، وجعلت الجنة مثواه - منه رحمه الله . »

إن ديوان ملك الشعراء طالب الأملي (المتوفى سنة ١٠٣٦ هـ . ق) ، قد طبع من قبل انتشارات مكتبة سنائي طهران ، وزين باهتمام وتصحيح وتعليق ومقدمة الفاضل طاهري شهاب .

وعبارة طالب الأملي المذكور سابقاً : « كه بختم جوانست ومن هم جوانم » هو المصراع الثاني لبيت من إحدى قصائد ديوانه . وهذه القصيدة ميمية من ١٥٩ بيت بهذا العنوان : « قصيدة في ترجمة حاله ومدح خان غازي » . وتوجد في ص ٥٧ - ٦٣ في الطبعة المذكورة من ديوانه ، ومطلعها :

اگر زاغ اگر صعوه ناتوانم همين بس که در جرگه بلبلانم ^(٢)

(١) إن (جوان) تعني « شاب » بالعربية ، فهو يقول : إن حظي يافع شاب ، وأنا شاب أيضاً .
 (٢) المعنى : حتى ولو كنت ضعيف كغراب الزرع أو الصعوة فيكفيتني أن أكون بين البلابل مرتاح البال .

وبعض أبياتها كالتالي :

برقصد ورق ز انتعاش سوادم ببالد قلم ز التفات بنانم
 چو من شمع دانش فروزم به مجلس نمایند پروانگی عرشیانم^(١)

٤- لقد صحّحنا الأبيات العربيّة من تاريخ ابن خلّكان في ترجمة الفخر الرازي (ج ٢، ط ١، رحلي، الطبعة الحجرية، ص ٤٩).

٥- ذكروا في التراجم أنّ هذين البيتين الفارسيّين من الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا وليس من الفخر الرازي. (شرح أحوال وآثار وأفكار الملك حسين بن عبد الله بن سينا، تصنيف وتأليف الدكتور أكبر رضواني، ص ١٩٠)، وقد نُقلت بهذا الشكل :

دل گرچه درین بادیه بسیار شتافت یک موی ندانست ولی موی شکافت
 اندر دل من هزار خورشید بتافت وآخر بکمال ذره ای راه نیافت

٦- ابن يمين هو الأمير محمود ابن الأمير يمين الدين الفريومدي، وتاريخ وفاة ابن يمين سنة ٧٦٩هـ. ق، وقد ذكرت هذه الأبيات في الصفحة ٤٥٠ من ديوانه بتصحيح واهتمام حسين علي باستاني راد من انتشارات سنائي تهران.

وسماك - يكسر الأوّل - اسم نجمين لا معين من الثوابت: أحدهم باسم السماك الأعزل، والآخر باسم السماك الرامح.

٧- إنّ هذه العبارات المذكورة في وصف العلم مأخوذة من روايتين: أحدهما عن حضرة رسول الله ﷺ ورويت في أمالي الشيخ الطوسي (رضوان الله عليه) في البحار (ج ١، ط ١، كمباني، ص ٥٥).

والأخرى من حضرة الوصي الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام التي رويت أيضاً عن

(١) المعنى: يمدح الشاعر نفسه ويقول: لترقصر الأوراق ممّا أمّلكه من علم وليفتخر قلّمي من التفاتاتي العلميّة؛ لأنّي كشمع العلم يملأ نوري المجلس، وكالفراش التي تحلّق حول العرش.

١٧٠ مذكرات فريدة عن بعض العلماء الربانيين

أمالى الصدوق - رضوان الله عليه - في البحار (ج ١، ط ١ كمباني، ص ٥٤).

٨ - يرجع إلى (باب ذم علماء السوء ولزوم التحرز عنهم) في بحار الأنوار (ج ١، ط ١ كمباني، ص ٩٧).

٩ - بحار الأنوار ج ١، ط ١، كمباني، ص ٨٠.

١٠ - من كلام حضرة الوصي أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام إلى تلميذه كميل (رحمة الله عليه) (نهج البلاغة، الحكمة ١٤٧، ط ١، تبريز، الطبعة الحجرية، ص ٢٧٧، ٢٨٨).

١١ - عندما أعدت النسخة الأصلية بعد استنساخها إلى حضرة الأستاذ آية الله الحاج الشيخ محمدتقي الأملي (قدس سرّه الشريف)، سألت حضرته: ما هي الحادثة المؤلمة التي دفعت والدكم الفاضل أن يتأوه ويتحرق من الألم ويظهر الأسف بهذا الشكل، وهو غضبان ومغموم من بعض الأفراد ويشتكى ويتبرأ منهم بشدة و...؟

فأجاب قائلاً: إنّ والدي كان كالحاج الشيخ فضل الله النوري من المخالفين جداً للمشروطة وأصحاب المشروطة، فكان منطقته أنّ أكثر هؤلاء الناس يكذبون علينا ويخدعوننا بالمكر والحيلة، ويجب علينا أن نحافظ على القرآن الكريم فقط الذي هو كتاب الوحي الإلهي وبرنامج عمل المدينة الفاضلة الإنسانية، والمعجزة الباقية من حضرة خاتم الأنبياء عليه السلام، ونحن لا نعلم من أين أتى كلام المشروطة، ومن أي فم ملوث لُفظ، وقيل: وما هي الأهداف التي يرمي لها الأعداء والأجانب منها، وأي حاجة تدفعنا للجري وراء هذا الكلام ما دام عندنا القرآن الكريم؟

ثمّ قال: لقد وصل الأمر إلى حدّ بحيث عندما كنت أخرج من البيت للضرورة وأذهب إلى مكان ما، كان الناس يشيرون إليّ بنوع من الضجر والاستنكار، أنّ هذا الشخص ابن فلان، وكأنا قد أردتدنا عن دين الله، وتركنا القرآن والإسلام، وقد

ذكرتُ بعض الإشارات في الرسالة الثانية المتعلقة بالترجمة الشخصية لهذا الفاضل .
وأما قوله: « وإن أصروا الندامة ... » ، فقد قال أستاذنا العزيز حضرة آية الله الشيخ
عزيز الله الطبرسي (رضوان الله عليه) بعد إتمام جلسة الدرس وعندما جرى
الحديث حول المشروطة: « إن أصحاب المشروطة بعد شهادة الحاج الشيخ فضل
النوري والفجائع الأخرى ، قالوا: نحن كنا نريد مشروطة مشروعة ، وليست هذه
المشروطة » .

١٢ - قصده من « جماعة أهل الحق » وهم علماء مخالفون للمشروطة .

مثل الآيات العظام: الحاج الشيخ فضل الله النوري ، والحاج الشيخ عبد النبي
النوري ، والمولى محمد الأملي في طهران ، والسيد محمد كاظم اليزدي ، والشيخ
محمد النوائي الأملي (قدس الله أسرارهم) في النجف الأشرف .

١٣ - أصول الكافي المعرّب ج ١ ، ص ١٠٥ ، الحديث الخامس باب البدع والرأي
والمقاييس ، كهذا الحديث في البحار من محاسن البرقي وثقل بهذا الشكل : « ابن
محبوب عن معاوية بن وهب ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام ، قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وآله : « إن لله عند كل بدعة تكون بعدي يكاد بها الإيمان ولياً من أهل بيتي موكلأ به
يذب عنه ينطق بإلهام من الله ويعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين ، ويعبر عن
الضعفاء فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله » ^(١) .

١٤ - إن العالم الجليل آية الله الحاج الشيخ عبد النبي النوري كان أحد أساتذة
حضرة آية الله الأستاذ الحاج الشيخ محمد تقي الأملي ، كما ذكرنا ذلك في النص
الصريح لترجمة حياته الشخصية في الرسالة الثانية ، وقد تشرفت يوماً لوحدي في

(١) الكافي / الشيخ الكليني ١ : ١٠٥ ، طبع دار الأضواء - بيروت . المحاسن / أحمد البرقي :
١٦٠ ، ب (٦) ، طبع المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف ، عنه بحار الأنوار / الشيخ
المجلسي ٢ : ٢١٥ ، طبع مؤسسة الوفاء - بيروت .

محضره المبارك في منزله الواقع في تقاطع حسن آباد طهران ، للاستفهام عن بعض المسائل العلمية ، وفي ذلك اليوم وبعد عدة أسئلة وأجوبة ولمناسبة الكلام ، قال : « كانت طهران في وقتنا مدينة علم . وكان فيها علماء كبار معروفون في المعقول والمنقول ، ومع ذلك كان حضرة الحاج الشيخ عبدالنبي النوري أعلم من في البلد في المعقول والمنقول » .

وكذلك كان حضرة آية الله الحاج الشيخ عبدالنبي النوري ، أحد أساتذة معلم العصر العلامة ذوالفنون حضرة الأستاذ آية الله الحاج الميرزا أبو الحسن الشعراني - جزاء الله عنا خير جزاء العالمين - . وفي أحد الأيام ، وبعد جلسة درس العام ، تشرفت شخصياً في محضر العلامة الشعراني لدرس خاص في الهيئة والرياضيات ، وبمناسبة ذكر ناس زمانه مع أستاذه الحاج الشيخ عبدالنبي النوري ، قال : « يا سيد ، برغم وجود علماء كبار في العلوم العقلية والنقلية في زماننا في طهران ، إلا أن الحاج الشيخ عبدالنبي النوري كان أعلم من في البلد في المعقول والمنقول » ، يعني : نفس الكلام الذي قاله الحاج الشيخ محمدتقي الأملي .

بعد ذلك قال المرحوم الأستاذ الشعراني : « كان حضرة الحاج الشيخ عبدالنبي النوري في أواخر عمره غير قادر على مطالعة الكتب بسبب ضعف بصره ، وكان المرحوم الميرزا طاهر التنكابني أنجاني . وهو الأستاذ الأعظم في البلد في ذلك الوقت ، يحضر مجلس درس الحاج الشيخ عبدالنبي احتراماً له ، وكان يقرأ في كل يوم من كتاب الأسفار بمقدار درس واحد . حيث كان حضرة الحاج الشيخ عبدالنبي يصغي لذلك ، فكانت هذه القراءة والاصغاء بمثابة المطالعة للحاج الشيخ عبدالنبي ، ثم يبدأ الشيخ عبدالنبي بعد ذلك بتوضيح قصد وغرض صاحب الأسفار للتلامذة الحاضرين في الدرس ، وكنت من جملتهم ، فبذلك كان المرحوم الميرزا طاهر تنكابني بمثابة الأذن الواعية الغانية في تقرير مطالب الأسفار بلسان الحاج الشيخ عبدالنبي النوري » .

بعد ذلك قال العلامة الشعراني : « لقد كان الشيخ عبدالنبي النوري أنجنتاني مثل المرحوم الحاج الشيخ فضل الله النوري مخالفاً بشدة للمشروطة وأصحاب المشروطة ، وقد وصلت الدعاية المعادية ضده إلى حد أن قام الناس بغلاق باب المسجد -مسجد الحاج الشيخ عبدالنبي النوري في طهران - بوجهه ومنعوه من دخوله ، وكانوا يرمون منزله الواقع مقابل المسجد بالحصى والحجارة في الوقت الذي كان موجوداً فيه مع عائلته ، وبعد استشهاد الحاج الشيخ فضل الله النوري والأحداث المؤلمة التي حدثت في طهران وسائر البلاد ، من القتل والتهتك والحبس والنهب والتعبيد وغيرها ، وبعد أن فهم الناس أي جرح وألم قد تعرّضوا له من قبل الأيادي الأجنبية ، كان كثرة حضور المصلين المجتمعين في المسجد مع الحاج الشيخ عبدالنبي النوري مدهشاً . »

١٥- كان حضرة آية الله الحاج الشيخ فضل الله النوري (رضوان الله عليه) في مقدّمة شهداء فاجعة المشروطة ، وفي أحد الأيام ، وبمناسبة الحديث ، قال حضرة الأستاذ الأعظم آية الله الحاج الميرزا أبو الحسن الحسيني الرفيعي القزويني (رفع الله درجاته) بعد جلسة الدرس : « كان المرحوم الحاج الشيخ فضل الله النوري مجتهداً مسلماً ، ومن المثير للعجب كثيراً أنه ما العمل الذي قاموا به بحيث لم يعمل هذا المجتهد المسلم بالتقيّة للمحافظة على حياته . »

وقال حضرة الأستاذ العلامة الشعراني أيضاً في أحد الأيام بمناسبة الحديث بعد جلسة درس مكاسب الشيخ الأنصاري رحمته : « لقد رأيت تعليقات المرحوم الحاج الشيخ فضل الله النوري على مكاسب الشيخ ، فكانت حقاً تعادل تعليقات السيّد محمّد كاظم اليزدي ولا تقل عنها . »

١٦- بعد صلب الشهيد الحاج الشيخ فضل الله النوري ، كانت نوبة صلب الملام محمد الأملي ، كما نقلنا ذلك في النصّ الصريح لابنه آية الله الحاج الشيخ محمّد تقي الأملي في الرسالة الثانية ، لكن وبسبب ردّ الفعل العجيب الذي حدث بعد صلب

الحاج الشيخ فضل الله النوري ، انصرفوا عن صلب حضرة الشيخ الأملي ، فأصدروا حكماً بتبعيده إلى هرات أفغانستان ، وبسبب اضطراب الأوضاع في ذلك الوقت واختلاف الناس ، لم يروا صلاحاً لهم في تبعيده إلى هرات ، وحتى لا يتعرضوا لهزيمة سياسية نتيجة العدول عن حكم التبعية . بدأوا يبحثون عن أي مدينة على وزن هرات ، حتى وجدوا (كرات) في مدينة نور في منطقة مازندران ، فأوحووا إلى الناس أن حكم التبعية كان إلى (كرات) وليس إلى (هرات) . فكان سجيناً لمدة خمس سنوات في كرات نور مازندران .

١٧ - بعد شرح ترجمة حياة ذلك الفاضل ذكرت رسالة من شخص تحتوي على حكاية رؤيا وقصيدة نونية في مدحه ، وهذه الرؤية أيضاً حول هذه القصيدة ، لكن وبسبب ضعف أشعار هذه القصيدة تجئنا عن ذكرها .

وبعد انتهاء القصيدة ذكر حضرة الأستاذ آية الله الحاج الشيخ محمدتقي الأملي بقلمه تاريخ وفاة والده الفاضل مع ذكر مؤلفاته ، بهذا الشكل :

« وتوفي قدس سره ، وطيب الله رمله . وحشره الله مع سميّه محمد خاتم الأنبياء ﷺ في صبيحة يوم الأحد اليوم الأول من شهر شعبان المعظم سنة ست وثلاثين بعد الألف والثلاثمائة ، وقد مضى في عام وفاته ﷺ عن عمره ثلاث وسبعون سنة ، ودفن جنب مقبرة أستاذه الحكيم الآقا ميرزا أبو الحسن الإصفهاني الطباطبائي^(١) في روضة الصدوق ابن بابويه ﷺ .

وله مؤلفات رشيقة ورسائل دقيقة وحواشي نميقة :

منها: حواشيه على الفرائد للشيخ الأعظم الأنصاري ﷺ .

ومنها: تحقيقاته في مباحث الألفاظ .

(١) يعني الحكيم الآقا الميرزا أبو الحسن جلوه شرف الله نفسه الزكية .

ومنها: شرحه على الكلمة الشريفة: « لا إله إلا الله »^(١).

ومنها: حواشيه على شرح المطالع .

ومنها: حواشيه على شرح الشمسية . مطبوعة .

ومنها: رسالة الفتوائية المسماة بتلخيص الفرائض . مطبوعة ، مشتملة على أعظم مسائل أبواب الفقه من العبادات والمعاملات والأحكام .

ومنها: حواشيه على الأسفار . لم تكن منها عندنا نسخة^(٢) .

حرّره الفقير محمد تقي الأملي في يوم السبت التاسع والعشرين من ذي الحجة الحرام من سنة ١٣٧١هـ . ق .

(١) هذه الرسالة بخط ذلك الفاضل - أعني: المولى محمد الأملي - ، وهي الآن موجودة عندي (حسن حسن زاده الأملي) .

(٢) قال لي: « لقد أخذ أحد الأشخاص - بعنوان أمانة - نسخة الأسفار التي عليها تعليقات والدي بخط يده ، لا أنا أتذكره الآن ، ولا هو أعاد لي هذه النسخة » .

الفصل الخامس

آية الله الحاج الشيخ محمدتقي الآملی

آية الله الحاج الشيخ محمدتقي الآملي

أمّا الرسالة الثانية - أعني شرح الترجمة الشخصية لحياة حضرة الأستاذ آية الله الحاج الشيخ محمدتقي الآملي قدّس سرّه الشريف - المكتوبة بقلمه فهي :
ولدت في طهران من رحم طيّبة ، والدتي صبيّة المرحوم الملام محمد المعروف بسبيويه ، الهزارجربي الأصل ، والطهراني المسكن ، والشاه عبدالعظيم المدفن ، وقد ذكرت بعض من ترجمة حياته الشخصية في ظهر كتاب شواهد الآيات ، وهو من مصنّفات ذلك المرحوم^(١).

ولدت في يوم الأربعاء الحادي عشر من شهر ذي القعدة سنة ألف وثلثمائة وأربع (١٣٠٤ هـ. ق) ، ولأني بلغت سنّ التعلّم أرسلني والذي إلى المكتب ، حتّى أتعلّم الفارسيّة بأسرع وقت ، وثمّ أرسلني إلى مدرسة خازن الملك لتعلّم علوم العربيّة .

دراسة المنقول والمعقول :

أكملت في حدود العاشرة من عمري دراسة السيوطي والجامي وأمثالها ؛ واخترت الشيخ محمدهادي الطالقاني رحمته الله أستاذاً لي لقراءة علم المعاني ، وفي سنة ألف وثلثمائة واثنا وعشرون هجري (١٣٢٢ هـ. ق) درست باب الإيجاز وأطناب

(١) لقد كتبت جميع هوامش هذه المقالة في نهايتها بشكل نقاط مشروحة .

ومساواة المطوّل عند السيّد جميل الموسوم بالجليل ، الذي كان في زمانه معروفاً جداً في قول المطوّل ، وكان حقاً خلاقاً في المعاني والبيان ، فهو يقول :

اندر بيان بيان معاني نموده ای و اندر بدیع بدیع سخن پروریده ای^(١)

لكن - وللأسف - شاع في تلك الأثناء مرض عامّ ، ممّا حرمني من الاستمرار في خدمة ذلك السيّد ، وفي أواخر تلك السنة التحق ذلك السيّد الجليل بأبائه الكرام .

وبدأت بدراسة شرح اللمعة عند حضرة السيّد الطالقاني ، وبعد إكمال عدّة أجزاء تذكّرت هذا المثل : « أب در كوزه و ما تشنه لبان می گردیم »^(٢) ، فاخترت الوالد ودرست عنده اللمعة والقوانين . ثمّ الرياض . ولم أذهب في الفقه والأصول إلى أي أستاذ غير الوالد .

ثمّ دفعني الشوق لدراسة علوم الرياضيات ، فذهبت إلى خالي المكرّم حضرة الشيخ عبدالحسين الهزرجري ، فدرستُ عنده الخلاصة (خلاصة الحساب للشيخ البهائي) والهيئة الفارسي (هيئة القوشجي بالفارسيّة) ، وشرح الجغميني وشرح عشرين باب للملّا المظنّر وبعض من تحرير اقليدس .

وفي هذه الأثناء حدثت المشروطة في ايران . وكان ظهورها غروب سعادتني ، فقد خالف والدي أساس المشروطة تعصباً لدينه ، ووصل الأمر إلى حدّ أنّه كان يصلنا كلّ يوم خبر أنّ هناك تجمّعاً في منتدى الأذربايجانيين وسيتحركون الآن لقتلكم .

وبعد فترة ظهر عندي شوق لدراسة العلوم العقلية ، فدرستُ الأمور العامّة

(١) المعنى : أنّه جعل بيان المعاني من البيان ، وجعل بدیع الكلام الذي يحوي بدائع الكلام من ألوان البديع .

(٢) هذا مثل يعني : أنّ الماء قريب علينا ونحن نبحث عنه في مكان آخر ، وقصده أنّ العلم عند والده وهو يبحث عنه عند الأساتذة الآخرين .

للسوارق ، وتتلذذت على يديه إلى المسألة الرابعة عشر ، وبعد إكمال شرح اللمعة والقوانين توجهت لدراسة الفرائد والمكاسب .

أعمال الشعب في طهران واعتقال العلماء المخالفين للمشروطة :

حدثت أعمال الشعب - حسب ظني - في اليوم الثالث من البدء بدراسة الفرائد ، فقد دخل وليخان التنكابني وعلي قلي البخيتاري مع مجموعة مسلحة إلى طهران ، فأدّى إلى تصاعد شدّة القتال بينهم وبين رجال الدولة التي كانت تحت سيطرة سلطنة محمد علي شاه قاجار ، وكان ذلك في يوم السابع والعشرين من شهر جمادي الثاني سنة ألف وثلاثمائة وسبع وعشرين هجري قمري (١٣٢٧ هـ . ق) ، فأغلقتنا الكتاب في ذلك اليوم لأنّ صدمة أصوات المدافع والبنادق المقتربة بالخوف قد شوّشت أفكارنا ، وفي النهاية انتصر وليخان وخُلِعَ محمد علي شاه من السلطنة بعد لجوئه إلى السفارة الروسيّة ، وعيّن أحمد شاه بدلاً عنه ، وقد كان طفلاً صغيراً ، وتولّى جميع رؤساء المشروطة زمام الأمور .

فقاموا في عصر يوم الخميس الحادي عشر من شهر رجب سنة ألف وثلاثمائة وسبع وعشرين (١٣٢٧ هـ . ق) ، باعتقال مجموعة من أهل العلم في طهران المخالفين للمشروطة وفي مقدّمهم المرحوم الحاج الشيخ فضل الله النوري ، وسُجنوا في المقرّ العسكري الذي كان برئاسة (يفرم الأرمني) في ذلك الوقت ، وكان والمدي ضمن السجناء ، « وقد صُلبَ المرحوم الحاج الشيخ فضل الله في عصر يوم السبت الثالث عشر من شهر رجب سنة ألف وثلاثمائة وسبع وعشرين (١٣٢٧ هـ . ق) » .

وفي يوم الأحد الرابع عشر من شهر رجب سنة ألف وثلاثمائة وسبع وعشرين (١٣٢٧ هـ . ق) تجمّع النَّاس في ساحة (التوبخانة) بدعوة من السيّد يعقوب الشيرازي الذي كان الناطق باسم المحلّة في ذلك الوقت ، وليس عندي اطلاع عن حاله الآن ، لمشاهدة صُلب والدي ، لكنّ فاجعة صلب المرحوم الشيخ بهذا الشكل الفجيع

قد أحدثت ردّ فعل عجيب ، لأنّ قتل العلماء لم يكن متعارفاً في إيران حتّى ذلك العصر ، لهذا كأن نصف أهل المدينة قد استبقظوا من نوم الغفلة ، وكان وقوع هذه الحادثة بأمر الشيخ إبراهيم الزنجاني المعروف باليهوديّة ، لكنّه كان ساعياً في أمور المشروطيّة ، وأخيراً رشّح نفسه في إدارة الأوقاف وبقي في هذا العمل حتّى وفاته .

وقد أذى تولّي (يفرم الأرمني) رئاسة المقرّ العسكري إلى انزجار الناس الشديد إلى درجة أن خاف المتولّون لزمان الأمور من الفتنة ، ولأجل تبرئة أنفسهم نسبوا هذا الأمر إلى رجال الدين في النجف الأشرف ، وقالوا : إنّ هذا الأمر كان امتثالاً لأمر رجال الدين في النجف الأشرف ، وكلّ من عنده شبهة في الأمر فعليه الاستعلام بالتلغراف من النجف ، حتّى أشيع في ذلك الوقت أنّ التلغراف لغرض الاستعلام مجانيّ لعدّة أيام . ولم أطلع على ذلك الأمر ، وأنّ تدخل علماء النجف ، وبرغم أنّه غير صحيح ولا أصل له أبداً ، فإنّ الاستعلام بالتلغراف لا يكشف حقيقة الأمر ؛ لأنّه يمكن بسهولة أن يُرسل جواب من كرمانشاه أو قصر على أنّه من النجف ، يكون مطابقاً لميل المتولّين لزمام الأمور في حين أنّه مخالف للواقع . نعم ، أتذكّر أنّه أرسل تلغراف من قبل ثلاثة من رجال الدين في ذلك الوقت في النجف يطلبون فيه إبعاد النوري والآملي بأي شكل كان .

انعكاس إعدام الشيخ فضل الله النوري وتبعيد والدي :

إنّ سوء انعكاس صلب المرحوم الشيخ قد دفع بشكل عام القتل عن المرحوم والدي وسائر السجناء الآخرين ، فصدر الحكم بتبعيد والدي ، وبعد اسبوع من صلب الشيخ المرحوم أبعّد والدي إلى مدينة نور في مازندران ، وأودع عند حاكم المدينة في ذلك الوقت مصدّق الممالك النوري وولده الذي كان ملقّباً في ذلك العصر بمعاضد الممالك ، وكانوا من رؤساء المشروطة وبقي سجيناً تحت محافظة المصدّق والمعاضد في مازندران لمُدّة خمس سنوات .

وقد أصبت بعد إبعاد والدي إلى مازندران بالهموم والأحزان مع تجرّع الغصص والكرب ، وبرغم أنني كنت في أوائل شبابي وفي حدود ٢٣ أو ٢٤ سنة من عمري ، فقد ابتليت بعائلة كبيرة بالإضافة إلى تحمّل الضغوط الشديدة . وكان عندي زوجة وأبناء بالإضافة إلى عائلة والدي ، وكان يجب عليّ أيضاً إرسال لوازم معيشة والدي من طهران ، ولم يكن يتفقّداً أي أحد من الناس ، حتّى بقايا رجال القاجارية برغم أنّ مخالفة والدي للمشروطة كانت بنفعهم بالعرض ، وهم يعلمون بوضعي إلّا أنّهم لم يساعدوني بشيء ، بل كانوا يؤذوننا أيضاً ، أمّا بقية الناس الذين كانوا يدعون الصداقة فقد تركوا هذه الصداقة ، بل حتّى أنّهم تبدّلوا إلى أعداء ، وقد رأيت كلاماً منسوباً لمولى الموالي مصداقاً لهذه الأوضاع ، حيث يقول :

« النَّاسُ فِي زَمَنِ الْإِقْبَالِ كَالشَّجَرَةِ وَحَوْلَهَا النَّاسُ مَا دَامَتْ بِهَا الثَّمَرَةُ
 حَتَّى إِذَا مَا عَرَتْ عَنْ حَمْلِهَا انصرفت فَرُبَّمَا لَمْ يَكُنْ خَيْرُهُ خَيْرُهُ»^(١)
 صدق صلوات الله عليه .

ولقد رأيت أموراً غير متوقّعة من بعض أهل العلم في طهران الذين دفنوا رؤوسهم تحت التراب (سامحهم الله بلطفه وكرمه) ، إلّا أنّي لم أفقد الصبر ولم أجزع في كلّ هذه الأوضاع ، وعلى الرغم من الصدمات والضربات التي تعرّضت لها بسبب عقوق الناس ، لكنّي كنت أرى كلّ هذا ابتلاءً إلهياً ، ومع أنّي طردت من كلّ باب إلّا أنّي رأيت باب قاضي الحوائج مفتوحاً أمامي ، ولو كنت إنساناً سالكاً لرأيت طريقاً واضحاً وطريقة حسنة لسلوكي . وفي تلك الحال تذكّرت معنى هذا الشعر لمولي .

اين جفای خلق با تو در جهان گر بدانسی گنج زر آمد نهان

(١) المعنى: إن جفاء الخلق معك لو تعلم فهو كالكنز المخفي ، لأنّه كلّما تصرف الناس معك بسوء فإنّ ذلك سيدفعك بالإخبار إلى اللجوء إلى الله والتوسّل والتمسك به .

خلق را با تو چنین بدخو کند تا ترا ناچار رو آن سو کند^(١)

الشوق للاستمرار بالدراسة برغم وجود محن وفتن الزمان:

وبرغم كل هذه الأمور كان الشوق للدرس قائدي نحو الخير، فبرغم المحن والفتن لم أترك الدرس، وفي شهر شوال لسنة ألف وثلاثمائة وسبع وعشرين (١٣٢٧هـ. ق) انتهت لنفسي، فإن أوضاع الدنيا تبدل والدي ما زال في سجن مازندران، فأدرت أنه لا خلاص له من السجن، ولا أنا قمت بعمل مفيد، لهذا قررت إدامة الطريق الذي سار عليه والدي، ويجب علي الإسراع في عملي والدرس.

فعزمت الأمر على إدامة الدرس في المنقول بمحضر الشيخ الجليل النبيل والفاضل على الإطلاق الشيخ رضا النوري المازندراني، فكان يدرس في مدرسة المنبرية ويعطي أيضاً الدروس في منزله، وكان أستاذاً منقطع النظر في تدريس الفرائد، ولم أجد له نظيراً إلى الآن في مباحث الرسائل، وقد حضرت الرسائل عنده من رسالة البراءة وأكملتها معه، ثم بدأ من البداية، فحضرت معه إلى آخرها، يعني حضرت دورة ونصف لاستماع الرسائل عنده، وفي الغالب كان ذلك الدرس مصاحباً مع دروس الفقه من المكاسب وغيرها. إلا أن هدفي الأساسي كان الاستماع إلى دروس الرسائل، والظاهر أنه أيضاً كان يهتم أكثر بتدريسها ويبدل سعيًا أكثر فيها.

وأخيراً قام بإمامة الصلاة في مسجد الحاج الميرزا زكي الواقع في سوق (سنگلیج) في طهران، وانتقل إلى رحمة الله في عصر يوم السبت السادس عشر من شهر ربيع الأول سنة ألف وثلاثمائة وخمس وخمسين هجري قمري (١٣٥٥هـ. ق)، ودفن في حضرة عبدالعظيم الحسيني في يوم الأحد السابع عشر من الشهر المذكور.

ثم حضرت مجلس درس المرحوم الشيخ علي النوري لدراسة المعقول، فتعرضت للإهانة من سفلة طلاب تلك الحوزة، لكن شوق الدرس دفعني للاستمرار

ولم أعبأ بهذه الإهانات ، وقد ساعدني أيضاً على ذلك المشاعر الحكيمة والرحيمة للأستاذ ، فأكملت معه دورتين في الأمور العامة للشوارق ، وقد كان الأستاذ متخصصاً في تدريسها ، وله تعليقات عليها مطبوعة .

وبعد إكمال ذلك الدرس ذهبت إلى درس تحقيق المرحوم الميرزا حسن الكرمانشاهي مدرّس مدرسة سبهاالار القديمة ، حيث كان أستاذاً كاملاً في حكمة المسائين ، وقد كنت أذهب إلى تلك الحوزة بأنس كامل وفي أمان من أذى السفلة ، فدرست كتاب شرح الإشارات من البداية إلى النهاية ، ويسفر نفس الأسفار وقسم من إلهيات الشفاء ، وبعض من طبيعياتها ومعظم شرح الفصوص للقيصري .

شروع القحط وعودة والدي من التباعد ووفاته:

ما أن انتهت هذه الفترة من الزمان حتى بدأت سنوات من القحط العظيم ، فحدثت مجاعة شديدة في سنة ألف وثلاثمائة وست وثلاثين هجري قمري (١٣٣٦ هـ. ق) ، ولم يأت الأستاذ إلى المدرسة بسبب ظروف القحط الشديدة والشيخوخة ، لكنني كنت سمجاً في هذا الأمر فلم أترك الدرس برغم بعد المسافة بين منزلنا ومنزل الأستاذ ، فقد كنت أذهب إلى منزله كل يوم بعد الظهر للاستفادة من محضره الشريف .

وأخيراً انتقل الأستاذ إلى رحمة الله في نفس تلك السنة ، فانتقل إلى منزله الحقيقي واتخذ مرافقة الملاء الأعلى .

وفي هذه الأثناء توفي والدي الذي عاد منذ فترة قصيرة من مازندران ، وانتقل إلى عالم الآخرة وحُشِر مع سميه خاتم النبيين وفي اليوم الأول من شهر شعبان سنة ألف وثلاثمائة وست وثلاثين (١٣٣٦ هـ. ق) فانتقل إلى رحمة الله .

وبعد انتهاء مراسم التعزية للمرحوم توليتُ إمامة مسجد الحاج مجد الدولة ، فانصرفت إلى الوعظ والبحوث الأخلاقية وتربية الناس ، وفي الصباح كنت أحضر

أيضاً درس الحاج الشيخ عبدالنبيّ النوري الذي كان جامعاً في المعقول والمنقول وقدوة من أدركته فيهما .

الهجرة إلى النجف لإكمال المراتب العلميّة :

وفي سنة ألف وثلاثمائة وأربعين هجرية (١٣٤٠هـ . ق) ، ازداد عندي الشوق للسفر إلى العتبات المقدّسة في النجف الأشرف ، فتوجّهت لتهيئة مقدّماته برغم العوز والدّين الكثير وكثرة العيال ، وقد تهيأت أسباب السفر بعد توّسّلي بحضرة مولى الموالى مع يسير وجه . وإضافة إلى أنّي كنت منزعجاً من حسد الحاسدين بسبب الذهاب إلى مسجد مجد الدولة . كنت أفكر أيضاً بهذا الأمر الخطير .

وأخيراً ، وبعد حصولي على إجازة الاجتهاد من المرحوم الحاج الشيخ عبدالنبيّ النوري وتفويض المسجد بيد سيّد جليل من أصدقائي ، عزمّت السفر مع عائلتي إلى النجف الأشرف في يوم السبت الثلاثين من شعبان سنة ألف وثلاثمائة وأربعين للهجرة (١٣٤٠هـ . ق) ، فوصلت إلى النجف في شهر رمضان المبارك من نفس السنة ، وسكنت في منزل قريب من مقبرة المرحوم الشيخ خضر شلال . وقد أنست في هذا الشهر المبارك مع رؤوساء ذلك البلد الشريف وأهل العلم فيه .

برغم أنّ الخلاف والشقاق الذي حدث نتيجة المشروطة قد مرّ عليه سنوات طويلة وأصبح قديماً بين أهل طهران في وقت سفري منها ، بل يمكن القول إنّه اضمحلّ بشكل كامل ، فلم يكن هناك خلاف بين أهل العلم ، بل كانوا يعيشون جميعاً بسلام مع بعضهم ، إلّا أنّ بقايا هذا الشقاق كان واضحاً من طريقة سكنة النجف الأشرف ، لهذا كنت أعيش حالة صراع واضطراب من هذه الناحية ، وأيضاً كنت موضع لطف وعناية بعض الرؤوساء بسبب الانتساب إلى والدي ، فأتخذت طريق السلامة وابتعدت عن كلا الطرفين .

واخترت مجلس درس الشيخ ضياء الدين العراقي ، فدرست معه دورة

في الأصول من البداية إلى النهاية ، وكذلك قسم من الفقه ، فكنت أكتب كل ما أسمع ، وأناقش كل ما كتبه ، وأقوم بالتحقيق فيه .

حتى شعرت بشوق لسماع أبحاث المرحوم النائيني ، فبعد إكمال دورة بحث الشيخ العراقي ، حضرت في درس المرحوم النائيني من آخر مباحث الاستصحاب إلى آخر التعادل والتراجيح ، ومن أول مباحث الألفاظ إلى رسالة البراءة ، ثم حضرت درس وبحت السيد الإصفهاني (السيد أبو الحسن الإصفهاني) الذي كان يدرّس في ذلك الوقت أصول مُنقح الخارج ، وقد دوّنت كل ما استفدته من درسه .

البحث عن عارف كامل لأجل الكمال النفساني :

حتى سنوات ألف وثلاثمائة وثمان وأربعين (١٣٤٨ هـ . ق) ، وتسع وأربعين (١٣٤٩ هـ . ق) ، وخمسين (١٣٥٠ هـ . ق) . شعرت بتعب وملل شديد ، لا أنني كنت مستغنياً عن الدرس والبحث ، بل سأمت من الممارسة الكثيرة للدرس والتدريس ومجالس البحث والتقرير التي كنا نعتدها قرب الحرم في الصحن المطهر ، إضافة إلى أنني لم أجد في نفسي الكمال النفسي ، بل لم أكن أعلم سوى بعض الملفقات القابلة لآلاف الاعتراضات ، فكنت دائماً أقضي وقتي متعباً وأفكر بالتعرف على إنسان كامل أجد ضالتي عنده ، وكلما جلست مع أحد أحاول التجسس بأدب وخضوع لعلي أستطيع الوصول إلى هدفي الحقيقي .

وفي هذه الأثناء التقيت بسالك ربّ الهيئة . كنت أقضي الليالي معه في الحرم المطهر لحضرة مولى الموالى (أرواحنا فداء عتبته) ، وبرغم أنه لم يكن كاملاً إلا أنني استفدت من الحديث معه .

حتى وقّعت لإدراك إنسان كامل ، والتقيت بشمس بين الظل ، فاستفدت من أنفاسه القدسيّة ، وكانت لي مشاهدات عندما كنت وحيداً في الليل في مسجد الكوفة والسهلة ، فأغلقت تدريجياً باب المراودة مع الناس ، وتوقّفت عن حضور

مجالس البحث ، وتركت الدروس التي كنت أدرّسها .

وبقيت عدّة سنوات على هذه الحال ، حتّى هزّني الشوق للعودة إلى طهران ، وبعد استخارة المعبود تحرّكت من النجف الأشرف في شهر ربيع الأول سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وخمسين (١٣٥٣ هـ . ق) . ووصلت إلى طهران في أواخر الشهر المذكور . وبقيت دائماً أنجز الغصص والأحزان وأتحرق وأنصهر من وقائع الدهر ، لا حال مستقرّ عندي ، ولا باب فرار ، ولا رغبة في عمل ولا دنيا ولا آخرة ﴿ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذَوْقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتَبُونَ ﴾ ^(١) . اللَّهُمَّ اجعل عواقب أمورنا خيراً .

أخذ الإجازات في الرواية من الأساتذة العظام :

وأختم الكلام بعرض هذه الأوراق ، وهي بعض من الإجازات التي تفضّل بها عليّ الأساتذة العظام بعد أن رأوني أهلاً لذلك ، واقتداءً بطريقة السلف الصالح ، وجعلوني أنظّم إلى سلك رواة أخبار أهل البيت الأطهار عليهم السلام ، والحمد لله على إنعامه وإفضاله ، وله الشكر على آلائه :

١ - صورة كتابة السيّد الأجلّ الأمجد ، السيّد الجليل ، والسند النبيل ، صاحب المقامات العاليات ، والكرامات الباهرة السيّد أبي تراب الخوانساري النجفي عليه السلام ، ابن عمّ السيّد الجليل السيّد محمّد باقر صاحب روضات الجنّات ، والسيّد محمّد هاشم الجهارسوقي الإصفهاني (قدّس سرّهما) ، وهي هذه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على نواله ، وصلى الله على عباده الذين اصطفى محمّد وآله .
ويعد .. فإنّ جناب العالم الزكي . والحبر اللودعي . والفاضل الكامل الأملعي .
والعدل التقيّ النقيّ الشيخ محمّد التقيّ الطهراني (دام ظلّه) ابن المرحوم المبرور

قدوة العلماء الراسخين ، وحجة الإسلام والمسلمين الملام محمد الأملي (طيب الله رمسه وقدس الله روحه) قد استجاز مني تأسيساً بالسلف الصالحين ، وتيمناً بالدخول في سلسلة الرواة عن النبي والأئمة المعصومين ، فأجزت أن يروي عنّي ما صححت لي روايته من كتب أصحابنا الحديثية والدعائية . لا سيما الأربعة التي عليها المدار : الكافي والفتيه والتهذيب والاستبصار للمحمّدين الثلاثة (قدس الله أرواحهم) ؛ والثلاثة المتأخرة المشتهرة اشتهار الشمس في رابعة النهار : الوسائل والوافي والبحار للمحمّدين الثلاثة أيضاً ؛ والصحيفة السجّادية والمصباحين للطوسي والكفعمي ، وكتب ابن طاوس وغيرها وسائر تصانيف علمائنا الأبرار ؛ وتصانيفي ، لا سيما كتابي الكبير المسمّى بسبيل الرشاد في شرح نجاة العباد المشتمل على جلّ الأخبار واستيفاء تمام الأدلّة والأقوال ، وكتاب قصد السبيل وتحرير الأحكام بالدليل ، وغير ذلك وتصانيف سائر العلماء من العامة والخاصة في سائر العلوم التي يحتاج إلى النقل عنهما بطريقي المتصلة إلى مصنفيهما .

ومن أعلى طرفي إليها ما أرويه عن مشايخي . وهم يزيدون عن عشرة ، من تلامذة الشيخين العلامتين المنتهى إليهما رئاسة الإمامية خاتم الفقهاء والمجتهدين الشيخ محمد حسن ابن الشيخ باقر صاحب الجواهر ، وخاتم المحققين الشيخ مرتضى الأنصاري (قدس الله روحهما) .

ومنهم سيّد المحققين السيّد حسين التبريزي ؛ وفقه أهل العراق ، بل كافة الآفاق ، الشيخ محمد حسين الكاظمي ؛ والمحقّق المدقّق الزاهد الأواه المولى لطف الله المازندراني ، وابن عمّي وزوج أختي السيّد المحقق المحدث العدل البدل صاحب الكرامات والمقامات السيّد محمد الخوانساري ؛ والمحقّق المدقّق السيّد هاشم الجارسوقي الإصبهاني صاحب أصول آل الرسول ومباني الأصول وغيرهما ؛ وأخوه الأكبر المحقق المدقّق المحدث الماهر السيّد محمدباقر صاحب روضات الجنّات ، وغيرها من التصانيف الفاخرة ؛ وعلاوة المجتهدين الشيخ محمدباقر ابن

الشيخ محمد تقي صاحب الحاشية على أصول المعالم ؛ والعالم الرباني ، والفاضل الصمداني الشيخ عبدعلي الإصفهاني (قدس الله أرواحهم) ؛ وغيرهم ممن لا حاجة إلى ذكره ، فأنا أروي عنهم جميعاً بحق الإجازة عن الشيخين المذكورين .

والشيخ محمد حسن رحمته الله يروي عن السيد الجليل العلامة السيد جواد العاملي صاحب مفتاح الكرامة ، عن شيخه الأجل الأكبر الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء ، عن السيد مهدي بحر العلوم ، وهو تارة يروي عن جدي الثالث السيد محمد المحقق ابن العلامة السيد حسين ابن المحدث العلامة السيد أبي القاسم جعفر الخوانساري ، عن والده ، عن المحدث المجلسي صاحب البحار .

والشيخ مرتضى الأنصاري رحمته الله يروي تارة : عن المحقق النراقي المولى أحمد ابن المولى مهدي بن أبي ذر النراقي ، عن والده ، عن الوحيد البهبهاني ، وأخرى : عن المولى أحمد ، عن السيد مهدي بحر العلوم بطريقه إلى صاحب البحار . يروي الوسائل عن الشيخ محمد الحر العاملي ، وهو آخر من أجاز واستجاز منه . ويروي الوافي عن المولى محمد محسن الفيض الكاشاني . ويروي سائر الكتب بطرقه المذكورة في إجازات البحار . وأعلها سنداً أنه يروي عن والده الملا محمد تقي المجلسي ، عن شيخه الشيخ بهاء الدين العاملي ، عن والده الشيخ حسن بن عبدالصمد ، عن الشهيد الثاني ، عن الشيخ شمس الدين محمد بن داود المؤذن الجزيني ، عن الشيخ ضياء الدين علي بن الشهيد الأول محمد بن مكّي ، عن فخر المحققين أبي طالب محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر الحلّي ، عن والده الإمام العلامة ، عن المحقق أبي القاسم جعفر بن سعيد ، عن السيد السعيد شمس الدين أبي علي السيد فخار بن معد المولوي ، عن الشيخ الإمام أبي الفضل شاذان بن جبرئيل القمي ، نزيل مهبط وحي الله ودار هجرة رسول الله ، عن الشيخ الفقيه عماد الدين جعفر بن القاسم الطبري ، عن الشيخ أبي علي الحسن بن محمد الطوسي ، عن والده الشيخ الطوسي مصنف التهذيب والاستبصار ، عن الشيخ المفيد ، عن ابن

قولويه ، عن محمد بن يعقوب الكليني مصنف الكافي . ويروي الشيخ المفيد بلا واسطة عن الصدوق محمد بن علي بن بابويه مؤلف الفقيه .

وأما كتب أبناء طاووس فنرويها عن العلامة عنهم . وأما الصحيفة السجادية الكاملة فنرويها عن الشهيد الأول . عن السيد تاج الدين محمد بن القاسم بن معية ، عن والده السيد جلال الدين القاسم بن معية ، عن عميد الرؤساء هبة الله بن حامد والشيخ علي بن سكون معاً ، عن السيد الأجل بهاء الشرف إلى آخر ما في سند الصحيفة المذكور في أولها .

ونرويها أيضاً عن السيد فخار ، عن محمد بن إدريس ، عن بهاء الشرف ... الخ . وعن العلامة ، عن والده ، عن ابن نما ، عن محمد بن إدريس ، عن بهاء الشرف ... الخ . ونرويها أيضاً عن الشيخ الطوسي ، عن الشيباني إلى آخر السند .

وأما أسانيدنا إلى باقي الكتب وسائر الطرق إليها فمعلومة من كتب الإجازات ، لا سيما إجازات البحار ولؤلؤة البحرين ومنافق وإجازة الشهيد الثاني وغيرها فلا حاجة إلى ذكرها .

وأرجو من جنابه الدعاء في مواطن الإجابة ، وحزره بيميناه الدائرة أبو تراب الخوانساري في ثالث شهر ذي الحجة الحرام من شهر سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة في الغري .

٢- صورة كتابة الشيخ الجليل ، والفاضل النبيل ، أفضل المتأخرين علماً وعملاً ، وشيخ المجتهدين زهداً وتقوى الشيخ أسد الله الزنجاني (قدس الله سرّه ، وطيب رسمه) المتوفى في أيام البيض من شهر رجب من شهر سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة في أرض الغري ، والمدفون في الصحن الشريف ، رزقنا الله مجاورته حياً وميتاً ، وقد ناولها إيتاي في شهر شوال من شهر سنة ١٣٤٨ من الهجرة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين ما دامت الربوبية ثابتة للذات المقدسة .

أما بعد .. فقد استجاز مني جناب العالم الفاضل الكامل التقي النقي المجتهد الشيخ محمدتقي الطهراني (دام عزه) ابن العالم قدوة العلماء الصالحين العاملين حجة الإسلام والمسلمين المولى محمد الأملي .

توضيح بعض النقاط من العلامة حسن زاده الأملي :

كان هذا ما كتبه المرحوم الأستاذ آية الله الحاج الشيخ محمدتقي الأملي (قدس سره الشريف) في شرح ترجمة حياته الشخصية ، وأشير هنا أيضاً إلى بعض النقاط ، وحسب ترتيب الأعداد بين الأقواس في النص السابق :

١- كان ذلك العالم حقاً من أعاضم العلماء المعاصرين ، وجامع المعقول والمنقول ، ومجتهد في الفروع والأصول ، وحائز على المنقبين : العلم والعمل ، وله الحظ الأوفر في المراقبة ، حيث كان لديه رتبة العندية ، وأيضاً النصيب الأوفى في السلوك إلى الله ، حيث كان واجداً العزم والهمة ، وكذلك له التوفيق الأعلى في التدريس ، واليد الطولى في التصنيف ، وكان له أيضاً حق عظيم على مؤلف هذا الكتاب ، رفع الله درجاته ، وجزاءه خير جزاء العالمين .

بعد ارتحال آية الله الحاج السيد حسين البروجردي رحمته الله ، كان الكثير من الإمامية يرجعون إلى آية الله السيد محسن الحكيم رحمته الله ، فكانت شهرة المرجعية معه ، وفي أوائل هذا الأمر ، وعندما كنت حاضراً عند الأستاذ آية الله الحاج الميرزا أبو الحسن الشعراني في طهران ، حضر عنده عدد من طلاب المدارس وسألوه إلى أي عالم نرجع في أمورنا ؟ فأجابهم : « إلى الحاج الشيخ محمدتقي الأملي ، فإن لم يكن ما عنده أكثر من السيد الحكيم فليس أقل منه » .

٢- إنَّ النسخة الشريفة (شواهد الآيات) تصنيف المرحوم الملا محمد المعروف بسبويه الهزارجربي بخطه المبارك، موجودة عندي (المؤلف)، وما كتبه المرحوم الأستاذ الآملي بخطه المبارك في ظهر تلك الرسالة في ترجمة حياته الشخصية كان بهذا الشكل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين، هذه كراديس في شواهد الآيات مسطورات بيدي لمؤلفها وجامعها الغريق في بحار رحمة ربه الودود المولى محمد الهزارجربي محتدأ، والطهراني مسكناً، وفي جوار السيد الكريم عبدالعظيم الحسيني عليه السلام مدفناً، ولم يخرج منه عليه السلام إلا هذه المجموعة التي وقعت فيما بين هاتين الدفتين، وكان -رحمة الله عليه- لمهارته في النحو يدعي بسبويه. وكان جدِّي من طرف الأم، ولم تكشف لي أوقات كتابته لهذه الأوراق، إلا أنه عليه السلام كان في القرن الثالث عشر الهجري، وكان تاريخ وفاته على ما نقله الخالي الأعز... بالوباء العام، ودفن في رواق سيدنا المكرم عبدالعظيم عليه السلام بحذاء باب المسجد الذي خصص في هذا الأوان بالنسوان، وله عند وفاته خمسة أولاد، ثلاث بنون:

أحدهم: الشيخ الأمجد الزكي المتخصص في الهندسة والحساب من العلوم الرياضية، الشيخ عبدالحسين (قدس الله نفسه الزكية، وحشره مع مولاه الحسين عليه السلام)، كان عالماً جليلاً، وارتحل آخر عمره بمشهد مولانا الرضا (أرواحنا فداء عتبته)، وتوفي به ودفن في صحنه الشريف.

وثانيهم: الشيخ الجليل الشيخ أحمد، وهو موجود في هذه الغاية (حفظه الله من كل عافة وعاهة).

وثالثهم: الشيخ الفقيه الشيخ علي، ولم أدركه (رحمة الله عليه).

وبنتان: إحداهما والدتي التي من أجل النساء زهداً وعبادة وتموى، ولم أذكر منها

ترك زيارة العاشوراء في أيام حياتها يوماً قط ، توقّت في ليلة الشعرين من ذي القعدة من سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة ، ودفنت بجوار الشيخ الصدوق ابن بابويه (رحمة الله عليها) .

وثانيتها : خالتي المرحومة المغفورة أمّ كلثوم ، ولم أدركها (رحمة الله عليها) . وأنا الحقير الفقير ، كثير الزلل ، قليل العمل ، طويل الأمل ، المبتلى بسوء الخاتمة ، والواقع في زمان لم تر عين مثله ، ولم تذهب إلى خاطر محنه وشدائده ، زمان المحن والأحزان ، زمان الغصص وسوء الأقران ، زمان قهر الله على عباده بظهور مقته وقهرمانه [كذا] ، زمان ذهب عن الإسلام رسمه ، ولم يبق منه حتّى اسمه ، زمان ابتلاء الناس بسوء صنائعهم بدولة رضاخان البهلوي الذي أخذهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، وذبح أبنائهم ، واستحى نساءهم ، وأمر برفع الحجاب في البلاد ، وجعل نساء المسلمين بعد الستر مكشوفات ، وبعد العزّ مذلّلات ، وغير ألبسة الرجال المسلمين بألبسة الأفرنج والأوربيين ، وغير أخلاقهم ومسالكتهم وشعائرهم ، وكلّ ذلك لما كفروا بنعمة الله ، وغيروا ما بأنفسهم ، فإنّ الله سبحانه لا يغيّر ما بقوم (من نعمة) حتّى يغيّروا ما بأنفسهم ، ونسأل الله العافية من البلاء ، وأن لا يأخذنا بسوء صنائعتنا ، ورحم على ضعفنا وعجزنا وضرنا وفقرنا ، فإنّا فقراء إلى رحمته ، وهو الغني الودود . وكان تاريخ كتابة هذه الصحيفة في صبيحة يوم الخميس الحادي عشر من شهر ذي الحجّة الحرام من سنة ١٣٥٤ من الهجرة ، وأنا الحقير الفقير محمّد تقى بن محمّد الأملي غفر الله لهما في بلدة طهران في محلّة (سنگلج) .

كان هذا ما كتبه آية الله الحاج الشيخ محمّد تقى الأملي رحمته في ظهر نسخة شواهد الآيات للملّا محمّد الهزار جريبي في شرح ترجمة حياته ، وكان مكان وفاته فارغاً ، ونحن أيضاً تركناه فارغاً تأسياً به .

أمّا ما ذكره في وصفه لخاله المرحوم عبدالحسين بأنّه كان متخصصاً في الحساب والهندسة من علوم الرياضيات ، فعندي خاطرة لطيفة عن هذا الموضوع ، وهي :

بعد دراسة هيئة القوشجي الفارسي وشرح الجغميني في الهيئة عند الأستاذ العلامة الشعراني (شرف الله نفسه الزكية)، قال: يجب أن تدرسوا الآن أصول اقليدس في الحساب والهندسة بتحرير الخواجة نصير الدين الطوسي، ولم يكن عندي ذلك الكتاب إلى أن وجدت نسخة مطبوعة منه في إحدى مكتبات طهران، كانت عليها تعليقات المرحوم عبدالحسين من البداية إلى النهاية بخطه المبارك وتوقيعه، وكان حضرة الأستاذ الشعراني يعرفه، فدهش لرؤية نسخته من تحرير أصول اقليدس. قال إمامنا أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسبابها...»^(١).

٢- سألت حضرة الأستاذ الآملي عليه السلام من كان هؤلاء الثلاثة من رجال الدين في النجف الأشرف الذين قالوا يجب إبعاد النوري والآملي بأي شكل؟ فأجاب أن هؤلاء الثلاثة هم، وذكرهم بأسمائهم فلان وفلان وفلان.

٤- يعني إلى (كرات) في مدينة نور في مازندران، كما وضحت ذلك في رقم (١٦) في شرح ترجمة حياة والده.

٥- يعني عدت إلى طهران بعد خمس سنوات من التبعيد في (كرات) مدينة نور في مازندران.

٦- وقد أشير إلى القليل من مقامه العلمي في الرقم (١٤) من الرسالة الأولى.

٧- كان من بركات إدراك ذلك المجلس طبع جلدتين من تقارير النائب علي مكاسب الشيخ الأنصاري بهذا العنوان: «التعليقة على مكاسب المرحوم العلامة الأنصاري عليه السلام من تقارير بحث المرحوم الأستاذ الأعظم الميرزا محمدحسين الغروي النائبني (طاب مضجعه) للحاج الشيخ محمدتقي الآملي (عفى الله عنه). وكذلك طبع ثلاثة مجلّدات من كتاب الصلاة بهذا العنوان: «كتاب الصلاة من تقارير بحث العلامة الفدّ الميرزا محمدحسين النائبني الغروي عليه السلام للحاج الشيخ

(١) الكافي - كتاب الحجّة ١: ١٤٠، الباب ٧، الحديث ٧، النسخة المعرّبة.

محمدتقي الآملي (عفى الله عنه) .

٨- ومن بركات إدراك ذلك المجلس أيضاً طبع كتابه الآخر بهذا العنوان : « كتاب منتهى الأصول إلى غوامض كفاية الأصول من إفادات سيدنا العلامة الرباني السيد أبو الحسن الإصفهاني (قدس سره العالي) لمؤلفه العلامة التقي الحاج الشيخ محمدتقي الآملي الطهراني (دام ظلّه العالي) .

وقد طبع حضرته بالإضافة إلى عدة كراريس في التوحيد والمسائل الأخلاقية . دورة تعليقه على شرح حكمة المنظومة للمتأله السبزواري رحمته ، وطبع أيضاً دورة شرح على (العروة الوثقى) لآية الله السيد محمد كاظم اليزدي (رضوان الله عليه) في اثني عشر مجلداً ، وعنده آثار أخرى كالمفتوحات في الفقه : الرهن ، والوقف ، والوصية ، وله رسائل في الرضاع ، وقاعدة (لا ضرر) ، وأصالة الصحة في اليد ، وصحيحة (لا تعاد) ، وغيرها .

٩- سألت حضرته : من كان هذا السالك ربّ الهيئة ؟ فلم يذكر اسمه ، بل أجاب بهذا المقدار فقط : « إنّه كان إنساناً جيّداً لكنّه لم يلبي حاجتنا » .

١٠- سألت حضرته من كان هذا الإنسان الكامل . وأي عالم جليل بحيث خضعتم وتواضعتم وسلّمتم له ، وما كلّ هذا الإجلال الذي تذكرونه به ؟

فقال : « هو حضرة الحاج السيد عليّ القاضي الطباطبائي التبريزي رحمته .

١١- إن تاريخ وفاة حضرته يوم السبت ٢٩ شوال سنة ١٣٩١ هـ . ق ، وحُملت جنازته من طهران إلى أرض مشهد المقدّسة ، ودفن إلى جوار حضرة ثامن الأئمة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في حديقة الرضوان في مقبرة الفقيه السبزواري الحاج الميرزا حسين رحمته .

وبعد عودته من النجف الأشرف إلى طهران ، كان بيته الشريف دائماً إلى زمان وفاته يعني ما يقارب ٣٨ سنة ، بيتاً معموراً في التدريس والتصنيف وتكميل النفوس المستعدة ، وقد كان الإنسان يرى من خلال سيرته الحسنة ، المعنى الحقيقي

الفصل الخامس: آية الله الحاج الشيخ محمد تقي الأملي ١٩٧

لحب العلم والمعارف ، وهذا من المصاديق البارزة للحديث الشريف : « قالت الحواريون لعيسى : يا روح الله ، من نجالس ؟ قال : من يدكركم الله رؤيته ، ويزيد في علمكم منطقه ، ويرغبكم في الآخرة عمله » . وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

ومقولة حضرة عيسى روح الله ﷺ هي الحديث الثامن عشر من أربعين العلامة الشيخ البهائي التي رواها بإسناده عن حضرة الرسول الأكرم ﷺ .

١٢- إن صورة الإجازة كانت مكتوبة بهذا الشكل غير كامله في النسخة الأصلية .

الفصل السادس

العلامة الميرزا مهدي إلهي قمشه

العلامة الميرزا مهدي إلهي قمشه

هو المرحوم الأستاذ العلامة الحكيم الصمداني ، العارف الرباني ، مفسر القرآن الكريم حضرة آية الله الحاج الميرزا محمد مهدي محيي الدين إلهي قمشه (قدس الله سره العزيز). ولد في سنة ١٣١٨ هجري قمري في مدينة قمشه من توابع مدينة إصفهان ، ولقب بـ (إلهي قمشه) لأنه كان يتخلص في شعره بـ (إلهي).

الأجداد وشجرة العائلة :

كان أجداده من سادات البحرين ، وجميعهم كانوا يعدون من الفضلاء وحافظي القرآن ، وقد اضطرتهم ظروف الزمان في عهد نادر شاه أفشار إلى النزوح إلى مدينة قمشه ، وكان والده المرحوم الملا أبو الحسن واحداً من رجال الدين الواعين ويقضي القلب ، ومعروفاً بزهده وتقواه .

وقد نظم المرحوم إلهي قمشه أبياتاً من الشعر في ديوانه في شرح حاله ، كما يلي :

إلهي طبع و مهدي نام و در عشق لقب گسرديد محيي الدين مقرر
پدر دانشوری بد بوالحسن نام چو شيخ خارقان جانش منور^(١)

(١) المعنى : يذكر في هذه الأبيات اسمه ونسبه ، فيقول : إنه إلهي الطباع ، واسمه مهدي ، ولقب بهذا اللقب لعشقه الإلهي ، وبأنه محيي الدين ، ووالده عالم باسم أبو الحسن ، كان من الشيوخ العرفاء أنار الله روحه .

ولا توجد عندنا شجرة العائلة لأجداد الفضلاء ، وإنما توجد فقط مخطوطة بسيطة بخط المرحوم آية الله محيي الدين إلهي قمشه ، والتي حرّر فيها سلسلة عائلته الشريفة من جهة أخيه ، وجاء فيها : « ... الحاج الملا أبو الحسن ابن الحاج عبدالمجيد ابن الحاج محمدرضا ابن الحاج عبدالملك ابن الحاج الشيخ جعفر السيد البحريني رحمهم الله تعالى .

رؤيا جدّه حول ولادته :

كان جدّه المرحوم الحاج عبدالحميد من أغنياء قمشه ، وأكثر الناس شهرة في أمور الخير ، حيث قدّم خدمات كثيرة لأهل المدينة ما زالت آثارها مشهورة إلى الآن ، من قبيل جسر الحاج عبدالحميد ، ومخزن ماء الحاج عبدالحميد ، والكثير من الخيرات والمبزات الأخرى ، وقد رأى في منامه في إحدى الليالي ، وقبل ولادة الأستاذ إلهي قمشه ، أنّ الملا محمدمهدي ، وهو من العلماء الكبار ، وكان قد توفي قبل عدّة سنوات ، جالس على هودج ونزل من السماء إلى الأرض ودخل غرفته .

بعد ذلك كان الحاج عبدالحميد يذهب باستمرار إلى بيت الملا أبو الحسن ويسأل عن أحوال زوجته التي كانت تنتظر مولوداً جديداً ، فكان ينتظر بفارغ الصبر ولادة هذا المولود الجديد ، ويقول : « إنّ اسم هذا المولود (محمّد مهدي) ، وسيصبح من العلماء الكبار » .

وأخيراً انتهى الانتظار وولد المرحوم الأستاذ إلهي قمشه ، ووضعوا له اسم (محمّد مهدي) كما أراد جدّه .

أيام طفولته :

قضى الأستاذ إلهي قمشه أيام طفولته في بيت أبيه ، بيت الزهد والتقوى ، وذهب إلى المكتب في سنّ الخامسة ، وتعلّم المقدمات حتّى سنّ السابعة ،

ثمّ درس العلوم والأدب عند والده وأساتذة المدينة الآخرين ، وبرغم صغر سنّه فقد تعلّم الكتب المهمّة والصعبة العربيّة والفارسيّة ، ولأنّه بلغ العاشرة من عمره تعلّم النظامي عند والده ، ووصل في الخامسة عشر من عمره إلى مقام جيّد في الأدب العربي ، فكان يُدّرس (شرح النظام) للنيشابوري ، و(مغني اللبيب) لابن هشام ، و(المطوّل) للفتازاني .

والمرحوم إلهي قمشه بالإضافة إلى انشغاله بطلب العلم ، كان مشغولاً أيضاً بالعمل والكسب ، فقد عمل في البداية في محلّ لبيع الحلويات للحاج محمّد حسين قنّاد ، ونظراً لزحمته وجِدّه المنقطع النظر فقد أصبح أستاذاً فيه ، وبعد مدّة اشتغل في عمل الحلويات شريكاً مع ابن عمّه ، لكن اندلاع الحرب العالمية الأولى أدّى إلى استفلاسهم ، فترك العمل بتوصيّة من والده ، وصبّ كلّ همّه في تعلّم العلوم الإسلاميّة .

الهجرة إلى إصفهان وخراسان :

وفي سنّ الرابعة عشر من عمره فقد أباه العالم وأمه ، فصمّم بعد ذلك على الهجرة حتّى ينصرف إلى التحصيل وكسب العلم ، وبرغم وجود أساتذة كبار في مدينة قمشه وأيضاً ممانعة أخيه الأكبر من سفره ، إلّا أنّه جمع وسائله ومتاعه في صباح أحد الأيام وسلك طريق إصفهان مشياً على الأقدام ، وفي إصفهان دخل إلى مدرسة صدرا ، وآخذ من غرفة طلاب قمشه مسكناً له ، وقد عاش في تلك المدينة لفترة قصيرة حوالي سنة واحدة ، استفاد من أساتذتها بشكل كافي ، ثمّ عزم على السفر إلى خراسان حتّى يجتهد في إكمال علوم الفلسفة والحكمة إلى جوار المرفد المطهر لثامن الحجج الإمام عليّ بن موسى الرضا (صلوات الله عليهما) ، وهو يقول :

از آن شهر آمدم باری سپاهان نگو شهری است لیک ای خامه بگذر

وز آنجا خوش مرا بخت نکو خواند به طوس آن شهر قدیس مطهر^(١)

أيام الطلبة الشاقة:

وفي مشهد دخل إلى مدرسة نواب ، واتخذ غرفة للسكن ، وانصرف إلى الدرس والتحصيل ، وكان أخوه الأكبر المرحوم (حسين علي) يَأْمَن نفقات معيشته البسيطة طيلة فترة دراسته ، فكان يقضي هذه الأيام بصعوبة . ويُنقل أنه كان يقضي هذه الأيام بقناعة كبيرة حتى أنه كانت تمرُّ عليه أشهر دون أن يأكل غذاءً مطبوخاً ، ولأنه كان أهل رياضة فكان يذهب أحياناً إلى الصحراء ويتغذى طيلة الاسبوع على ثمر شجرة التوت .

ومن ذكريات أيام الطلبة وصعوباتها . يقول : « احتجت يوماً لكتاب لكتبي لم أكن قادراً على شرائه ، وكان هذا الكتاب عند أحد الطلبة الذين أتباحث معهم . ولم يعيرني إياه أيضاً ، فكنت متأثراً ومنزعجاً . فرأيت أبي في المنام تلك الليلة . فقال لي : مهدي ، لقد أرسلت لك هذا الكتاب وقتل لحسين (أخوه الأكبر) .

واستيقظت صباحاً فصليت الصبح ، وفتح باب المدرسة ، فقال الخادم : لقد جلب ساعي البريد لك بعض المال ، وفرحت كثيراً ، وأول عمل قمت به أن ذهبت إلى محل بيع الكتب وطلبت ذلك الكتاب . وعندما جلب الكتاب رأيت أنه نفس كتاب صديقي ، فسألته أليس هذا كتاب فلان . قال : نعم ، لكنه أعاد الكتاب .»

وعلى كل حال فقد درس في مشهد على يد أساتذة كبار ، واقتطف من ثمار علمهم الشيء الكثير .

(١) يصف في هذين البيتين مسيرته وهجرته ، فيقول : إنه جاء من مدينته إلى مدينة إصفهان ، المدينة الطيبة ، إلا أنها لم تكن كافية لعلمه ، فابتنم له الحظ بأن وُقِّع في السفر إلى مدينة مشهد المقدسة .

دل تاریک من رخشنده گوهر	گهی از مخزن سر رضا یافت
از آن دانشوران عرش محضر	گهی ز نوار درس فقه و حکمت
بحکمت نکته سنج و ذوق پرور	حکیم آقا بزرگ نغزگفتار
هم از برسی و استادان دیگر ^(١)	فقیه آقا حسین و شیخ عارف

رؤیا رؤیته للشهید المدرّس، والهجرة إلى طهران:

وفي أيام الدراسة في مشهد المقدّسة رأى في منامه في أيام شبابه، أنّه يذهب من مشهد إلى طهران، وقد اعتقلوا الشهيد السيّد حسن المدرّس، وكان من أهل قمشه أيضاً فيجلبوه إلى مشهد. فيلتقيه في الطريق فيعطيه المرحوم المدرّس كتاباً ويقول له: «أنهم نفوه إلى مشهد، فخذ أنت هذا الكتاب واذهب بدلاً عني للتدريس هناك».

وعندما استيقظ من المنام كان يقول: «إذا يوجد حلم خيالي فهو هذا الحلم، فأين أنا وشخصيّة مجاهدة وعالم مثل المدرّس، حتّى أرسله الزمان يوماً إلى طهران».

وبعد تلك السنوات من الدراسة إلى جوار مرقد الإمام الرضا عليه السلام كان عند المرحوم آية الله قمشه أمنية لقاء أساتذة قم والعراق والنجف، والهجرة إلى هذه البلاد، لهذا ذهب في البداية إلى طهران.

زمانه وانگهی زد خیمه گاهم	بظهران پایتخت و تاج کشور
از آن جنت پس از دوران تحصیل	مرا مسکن بظهران شد مقرر

(١) يصف فترة حياته في مشهد فيقول: كنت أستفيض أحياناً من القرب من مرقد الإمام الرضا عليه السلام، فكان ذلك ينير ظلمة قلبي، وأحياناً أستفيد من محضر العلماء الكبار في الفقه والحكمة، حيث كان الحكيم آقا بزرگ يغنيننا بالنقاط المهمة التي تنمي الذوق، وكذلك الأساتذة الآخرون كالشيخ حسين والشيخ عارف.

بظهران آمدم تاكزرى و قم شتابم زى عراق و كوفه يكسر
 عرفت الله من فسح العزائم يملك رى مرا انداخت لنگر^(١)

وفي طهران دخل مدرسة سبهسالار (مدرسة الشهيد مطهري العالية حالياً) ، وانصرف هناك إلى التعليم والتعلم ، في أحد الأيام عندما كان مشتركاً في محفل في مسجد سبهسالار ، عرّفوه إلى الشهيد السيد حسن المدرّس ، فقال الشهيد المدرّس : « لا يحتاج أن تعرّفوه لي ؛ لأنّ جدّ هذا الشخص المرحوم الحاج ملك هو الذي جعلني أصبح المدرّس اليوم ، فقد كنت أعمل في دكان فجاء جدّه إلى هناك وقال : من المؤسف أن يعمل هذا الطفل هنا ، فإنّ آثار الذكاء والعلم واضحة على سيمائه ، فاسمحوا له بالدراسة ، فقال والدي : ليس لدينا القدرة المادية لإرساله للدراسة ، فهياً جدّه الإمكانيات المادية وقام بتأمين نفقات معيشتي وأرسلني من قمشه إلى إصفهان للتعليم والتعلم » .

وعلى كلّ حال فقد وجد المرحوم قمشه أنساً بالقرب من الشهيد المدرّس ، فأبقاه ذلك في طهران ، وبذلك لم تيسّر له إمكانية الهجرة إلى قم والعراق .

الاعتقال من قبل رضاخان :

بعد بقاءه في طهران وصداقته الحميمة مع الشهيد المدرّس قامت حكومة رضاخان الغاصبة يوماً باعتقال الشهيد المدرّس ونفيه ، وإثر اعتقاله تمّ اعتقال مجموعة من المقرّبين وأصدقاء الشهيد المدرّس ووضعهم في السجن ، وكان من جملتهم المرحوم إلهي قمشه ، ففضى حوالي شهر في السجن ؛ ولأنّه لم يكن

(١) المعنى : يصف حال سفره وهجرته فيقول : إنّ الزمان أرسلني بعد الدراسة في مشهد إلى طهران فاستقرّ رحلي فيها ، فتركت مشهد تلك الجنة المقدّسة واتخذت من طهران عاصمة البلاد مسكناً لي ، وكان قدومي لها لأجل الهجرة إلى ربي وقم ، ومنها إلى العراق والكوفة ، لكن الآن استقرّ رحلي في مدينة الري .

يتدخل في الأمور السياسيّة أطلق سراحه بتوصية من ذكاء الملك الفروغي رئيس الوزراء في ذلك الوقت .

وبعد إطلاق سراحه تجمّع حوله طلاب مدرسة سبهسالار وأعطوه كتاباً وقالوا له : « لقد كان المدرّس حتّى هذا الوقت يدرّسنا هذا الكتاب ، والآن أتم الشخص الوحيد الذي يمكن أن نستفيد من محضر درسه » .

بعد هذه الحادثة تذكّر المرحوم إلهي قمشه رؤياه التي رآها في المنام قبل عدّة سنوات ، وفسّر تعبيرها بهذه الحادثة .

أستاذ جامعة وأخذ درجة الدكتوراه :

اشتغل آية الله إلهي قمشه بعد هجرته إلى طهران بتدريس الأدب والفقه والحكمة وغيرها من المعارف الإلهية في مدرسة سبهسالار .

وبعد تأسيس الجامعة في البلاد قاموا بتدبير مدرسة سبهسالار التي كانت محفل الأدباء ومجلس الحكماء ، إلى كلية المعقول والمنقول ، فكان الأستاذ إلهي قمشه بالإضافة إلى تدريسه المنطق والحكمة والأدبيات في هذه الكلية ، يُعدّ من أبرز الأساتذة المعروفين في الجامعة ، وحصل على درجة الدكتوراه من هذه الكلية بتأليفه كتاب (توحيد الأذكياء) .

واعتزل التدريس بعد خمس وثلاثين سنة من تدريس الفلسفة والحكمة في كلية الإلهيات ودروس المعقول والمنقول ، وبعد ذلك أصبح بيته الشريف محفلاً للأدباء والحكماء .

تأليفاته وآثاره العلميّة :

قدّم المرحوم الأستاذ إلهي قمشه خدمات كثيرة في الفقه والأدب ، وصرف عمره في إحياء المعارف الحقّة ، بحيث كان مشغولاً بالتدريس والتأليف حتّى

آخر دقائق حياته .

وقد ترك آثاراً قيّمة من قبيل : كتاب الحكمة الإلهية (مجلدان) في شرح فصوص الحكم للفارابي ، وتوحيد الأذكياء ، وترجمة القرآن ، وتصحيح وتحشية تفسير أبو الفتوح الرازي ، وترجمة الصحيفة السجادية ، وترجمة مفاتيح الجنان ، وكلها كانت تحكي سعيه الكبير في إحياء المعارف الإلهية .

ويعتبر المرحوم إلهي قمشه شخصية بارزة وممتازة في تفسير وترجمة القرآن الكريم في عصرنا ، ولا بدّ من القول إنّه كان في ترجمة القرآن الشخص الأول - بخلاف عادة القدماء في الترجمة اللفظية للقرآن - الذي استفاد من طريقة جديدة في ترجمة وتفسير القرآن ، فقام - ولأوّل مرّة - بترجمة القرآن إلى الفارسية بأسلوب لطيف وسهل ، فكان يشرح ويوضّح المعنى بأسلوب بسيط وبيان مفهوم دون التدخّل أو التصرّف في أصل المعنى .

حتّى كان يُنقل أنّ المرحوم آية الله العظمى البروجردي الذي كان متبحراً جداً في تفسير القرآن ، قد أعجب كثيراً بترجمة وتفسير القرآن للمرحوم إلهي قمشه ويكّن احتراماً كثيراً لها ، وفي المقايسة مع تفاسير القرآن الأخرى قال : « أصلاً لا يمكن مقايسة أي ترجمة مع ترجمة السيّد إلهي قمشه ، فما عمله شيئاً لا نظير له » .

ولا زال هناك كتاب قيّم للمرحوم إلهي قمشه لم يطبع لحدّ الآن ، وهذا الكتاب مكتوب بخطّ يده ، ومختوم بختمه وتوقيعه ، واسمه : (مشاهدات العارفين في أحوال السالكين إلى الله) .

وقد تمّ جمع أشعار المرحوم إلهي قمشه التي نظّمها من سنّ الخامسة عشر إلى آخر حياته في ديوان باسم (ديوان الحكيم إلهي) ، يشمل الكثير من القصائد والغزل العرفاني والفلسفي ، وكذلك يشتمل على (نغمة إلهي) ، و (شرح خطبة المتّقين في نهج البلاغة) ، و (النغمة الحسينية) ، و (نغمة العشاق) .

القناعة في حياته :

على الرغم من أن المرحوم الأستاذ آية الله إلهي قمشه كان من الأفراد البارزين في العلم والثقافة والأدب ، إلا أنه كان يعيش حياة بسيطة خالية من العادات السيئة . فالمرحوم الأستاذ إلهي قمشه برغم أنه كان قادراً على العيش المرفّه إلا أنه كان يسعى دائماً إلى الابتعاد عن الظواهر الدينية .

ويقول أحد تلامذته حول هذا الموضوع : « لم يكن عنده أي تعلق بالمظاهر الدنيوية ، فمثلاً لم يكن يرغب بوجود تلفزيون أو مذياع في منزله ، حتى لا يذهب وقت أبنائه هدرًا ، وبشكل عام كان عنده روحية عدم الحاجة والاستغناء والابتعاد عن الرغبات المادية ، بحيث كان أي إنسان يدخل منزله ينسى كل هذه الرغبات الدنيوية » .

الكرامات :

لا بدّ من القبول أنّ المقرّبين من مقام الأحديّة وأولياء الدين هم فقط الذين عندهم اللياقة على القرب ومناجاة المحبوب والربّ العظيم ، وكان الأستاذ إلهي قمشه هكذا ، فقد نُقل عنه كرامات كثيرة ، منها :

قال في أحد الأيام : « كنت متعباً فقلت : إلهي . أرسل لي بواسطة جبرئيل عدد من الليمون ، ولم تمض لحظات حتى دقّ الباب رجل مُسنّ وجلب عشر ليمونات كبيرة طيبة الرائحة ، وقال : خذْ وكل » .

وكان يوماً في مكّة وقد غلبه العطش في الصحراء إلى حدّ الإنهاك ، فقال : « إلهي ، أرسل لي الماء » ، فظهر فجأة سيّد وجلب له ظرف فيه ماء للشرب ، وقال : لم أذق أبداً ماءً عذباً وبارداً كهذا الماء . وعندما ارتويت سكب ذلك السيّد بقيّة الماء على رأسي وقدمي ، وعندما رفعت رأسي رأيت أنه اختفى » .

وتوقف يوماً في الطريق إلى مكة لأداء الصلاة ، فذهب جانباً وأقام صلاته في الصحراء ، فتحرّكت السيارة وتخلّف عن القافلة ، فتوجّه إلى الله بعد إكمال الصلاة ، وقال : «إلهي ، ماذا أفعل» ، وهو في هذه الحال إذا بسيارة فاخرة تتوقّف أمامه ، وقال له سائقها : يا سيّد إلهي ، أذهبت سيّارتكم ؟ أجاب : نعم ، قال : تفضّل اركب ، وما أن ركب حتّى وصل إلى سيّارته بطرفة عين ، فنزل على الفور وذهب إلى سيّارته ، وعندما رجع لم يرَ السيّارة الصغيرة ، فسأل المسافرين أين ذهبت السيّارة الصغيرة التي أوصلتني ؟ أجاب المسافرون : يا سيّد إلهي ، أي سيّارة صغيرة ، فإنّه لا يمكن العثور على سيّارة صغيرة في هذه الصحراء .

عدم الاهتمام بالمقامات والمناصب الدنيويّة :

لم يكن للمرحوم إلهي قمشه أي اهتمام بالمقامات والمناصب الدنيويّة . ويقول أخوه حول هذا الأمر : « لقد طلبوا منه في الجامعة عدّة مرّات أن يذكر اسم رضا خان ويمدحه أثناء التدريس لكنّه أجابهم :

جهان كشور من خدا شاه من نداند جزاين قلب آگاه من ^(١)

وقد ترجّى منه في أحد الأيام الدكتور إقبال وزير نظام الشاه في ذلك الوقت أن يزوره في أحد الأعياد ، لكنّ المرحوم إلهي قمشه قال : « إنّ بيتنا في جنوب المدينة ، وليس مناسباً لكم ، ولا توجد وسائل كافية لاستقبال حضرتكم ، فكان يعتذر منه بهذا الشكل فيقبل عذره .»

فلم يكن المرحوم إلهي قمشه يتدخّل في السياسة ومسائلتها ؛ لأنّ نظام رضاخان كان يضيّق على العلماء ورجال الدين ، فلم يدخّل السياسة بسبب رسالته في إحياء

(١) المعنى : أنّ العالم كلّه بلدي ، والله ملكي ، ولا يعلم ذلك سوى هذا القلب اليقظ ، فأنا لست تابعاً لأيّ أحد غير الله .

المعارف الحقة ، لكنّه كان يظهر عقائده في أشعاره .

وفاته :

لقد لبّى المرحوم إلهي قمشه نداء ربّه مشتاقاً في الثاني عشر من ربيع الثاني سنة ١٢٩٣هـ . ق ، وكان مشغولاً في التدريس والتأليف حتّى آخر لحظات عمره ، وبعد أن جدّد نظره في ترجمته وتفسيره للقرآن كان يعلم أنّه سيلبّي نداء ربّه ؛ لأنّ أخاه كان قد رأى في منامه أنّه كان جالساً في الصحراء مشغولاً بالكتابة ، وكان عدد من التّاس مشغولين ببناء قصر . فسأل لمن هذا القصر ؟ قالوا : لهذا الشخص المشغول بالكتابة ، قال : ومتى يكتمل ؟ قالوا : متى ما اكتمل هذا الكتاب .

هو الله :

بعد ارتحال أستاذي المتألّه الصمداني حضرة الميرزا مهدي إلهي قمشه (روحي له الفداء) وصلت لي عدّة رسائل تعزية من بعض الأصدقاء ، أنقل هنا رسالتين كتبتهما جواباً على رسالتين من رسائل التعزية ، أذكر فيها بعض سيرته الشخصية :

الرسالة الأولى

باسم الله خير الأسماء

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارجعي إلى ربِّكِ راضيةً مرضيةً * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾ .

من مرغ باغ عالم قدسم إلهيا زان آشيان بگلش رضوانم آرزوست^(١)
والله هو الذي يسلي خاطرنا ويهدئ قلوبنا ، نعم :

(١) المعنى : يصف في هذه الأبيات أنّه كالطائر في حديقة عالمه القدسي ، ويتمنى أن يخرج من عشّه إلى حديقة الرضوان في عالم الآخرة والرحمة الإلهية .

لطف از تو و بوز مشك و نور از خورشيد

رسمی است قدیم و عاداتی معهود است^(١)

كان هذا من نفحات أنس شقائق كلماته التي تعطر مشام روحه ، وأنوار أزهار حدائقه التي تبهر أبصار الناظرين ، فكانت هذه الكلمات تشمل أنواع التفضل والإكرام وحاكية عن عمق الإيمان وخلوص الاعتقاد ، (كتب الله عليكم الرحمة ، وجزاكم خيراً) ، فנסأل الله استجابة دعاء ذوي القلوب المنهكة .

لقد كانت صداقتي مع أستاذي الكريم إلهي قمشه (أعلى الله تعالى درجاته) ألفة في الغيب ، وإخلاص بلا ريب ، وأيضاً أن تذكراً أولياء الله كانت سبب جلاء مرآة القلب ونزول البركات ، فأقول عن المرحوم الإلهي :

كان هذا العالم الجليل يسمي مهدي ، ويلقب محبي الدين ويتخلص في أشعاره بـ «إلهي» ، وترعى تحت مراقبة ورعاية أب عالم واعى باسم الملائة أبو الحسن .

وكان في الأصل من سادات البحرين ومن بيت علم و عرفان وزهد وتقوى ، وهاجر أجداده في زمان نادر شاه من البحرين إلى قمشه (مدينة ضاي حالياً) ، فأقاموا هناك ، لهذا اشتهر بإلهي قمشه . وقال عدة مرات أنه من سادات البحرين في الأصل ، لكن ولأني عرفت باللباس المتعارف حالياً والمختص بالشيخ لذلك لم أبدل العمامة البيضاء إلى سوداء . لقد كانت هذه عدة نقاط لطيفة ذكرت في شرح ترجمته الشخصية في مقدمة ترجمة فصوص الحكم في (نغمة العشاق) الصفحة ٣٦٧ :

من آن رخشنده شمعم كه آتش عشق مرادل سوزد و پروانه را پر
إلهي طبع و مهدي نام و در عشق لقب گرديد محبي الدين مقرر

(١) المعنى : إن هذا تقليد قديم وعادة معروفة أن اللطف من الله والرائحة من المسك والنور من الشمس .

پدر دانشوری بد بوالحسن نام
نبردی گر سَبَق در شهرت عشق
سرشتی بود او را نیک خوئی
تو گوئی در از دل بگرفته تعلیم
نیاکان بودم از سادات بحرین
زمانه خواندشان در شهر قمشه
چو شیخ خارقان جانش منور
کجا زان بوالحسن بوده است کمتر
إلهی بود ویرا پاک گوهر
صفا و زهد و تقوای اباذر
ز حفاظ قرآن قراء دفتر
بـدور نادر آن مرد لاور^(١)
إلی آخر

إدراك مجلس درس كبار الأساتذة:

بعد أن أكمل مراحل المقدمات وفق في إدراك مجالس درس وبحث كبار
الأساتذة، كالمرحوم الحكيم الخراساني، والمرحوم العارف الشيخ أسدالله اليزدي،
والمرحوم البرسي، والمرحوم حسين فقيه الخراساني، والمرحوم الملا محمد علي
المعروف بالحاج فاضل، والمرحوم محمد هادي فرزانه قمشه، وغيرهم (قدس الله
تعالى أَسرارهم)، واقتطف من ثمار تلك الفيوض الإلهية، وجمع لنفسه حصيلة
علمية كبيرة.

واستطاع بسبب استعداد الفطري أن يكسب من حصيلته العلمية الكثير، ويقدم

(١) المعنى: يصف حاله في هذه الآيات فيقول: إنه تلك الشمعة المضيئة التي أحرقتها نار
عشق قلبه، وأنه إلهي الطبع، اسمه مهدي، ويلقب بمحيي الدين نتيجة عشقه لدينه،
وأن اسم أبيه أبو الحسن وهو شيخ عارف أنار الله روحه، ويصف أباه أنه كان إلهياً عظيماً ذو
صفات حميدة طاهراً وطيب الأصل، وقد تعلم من الطفولة وتطبع على الصفاء والزهد
والتقوى، وكأنه أبا ذر زمانه.

ثم يقول: إن أجداده من سادات البحرين من حفاظ القرآن والعلماء، وقد هاجروا إلى
مدينة قمشه في زمن نادر شاه.

الخدمات الكبيرة منها ، تفسير وترجمة القرآن الكريم ، وأيضاً ترجمة وتفسير الصحيفة السجادية ، وترجمة مفاتيح الجنان ، وترجمة وتفسير العديد من الخطب والكلمات القصار لسيد الوصيين وبرهان الموحدين وإمام العارفين علي أمير المؤمنين عليه السلام بالنثر والشعر ، وأيضاً تصحيح تفسير أبو الفتوح الرازي وتعليقات عليها ، وترجمة وشرح فصوص المعلم الثاني الفارابي ، وأيضاً الحكمة الإلهية العامة والخاصة ، وآثار شعرية مثل (نغمة إلهي) ، و(النغمة الحسينية) ، و(نغمة العشاق) ، وقد طبعت كل واحدة من مؤلفاته العشرة عدّة مرّات ، وقد كان من بركاته أيضاً تربية العديد من التلامذة .

وكان عنده في ليالي الجمعة جلسة تفسير يحضرها عدد قليل من الخاصة والمقرّين ، وكان لي افتخار الاشتراك فيها .

وكان يسعى بجِدِّ في إحياء المعارف الحقّة ، أحياناً بالتفسير ، وأحياناً بالتحريير ، وأحياناً بالتدريس .

وسبحان الله ! لا تجد أي كلمة لغو من أوّل إلى آخر ديوانه ، وجميع آثاره الأخرى ، وكان ديوانه من البداية إلى النهاية مملوءاً بالغرابة والحرقمة والانصهار ، ويشهد الله أنّه محضره كان بهذا الشكل أيضاً ، وقد رافقته لأكثر من عشر سنوات فلم أسمع منه كلمة كذب ، أو كلاماً بذيئاً ، أو جملة بلا معنى ، فأبي بكاء وألم وتأوّه رأيت منه ، وأي مواعظ أتذكّرها منه ، وأي ذكريات ، وأي ، وأي ، و... ؟ !

وكان شتيمته الوحيدة (أخت عديم الرجولة) ، فكان يقول : ماذا فعل أخت عديم الرجولة ، أو ماذا قال أخت عديم الرجولة ، وكان يقول مبتسماً أنّ شتيمتي هي أخت عديم الرجولة ، ولم أسمع منه أي شتيمة سواء تلفّظ هذه الجملة ، وقال : « إنّ مؤلفاتنا وأشعارنا ستجد مكاناً مرموقاً ، وقيّمة كبيرة بعد موتي ، وكان له تأثير في قانون الشيخ الرئيس وقام بتدريسه في طهران » .

الطبع اللطيف للمرحوم قمشه وطلاقة بيانه :

كان طبعه لطيف جداً ، ويتّضح من مطلع ديوانه قول إن من الشعر لحكمة ، ويظهر من طلاقة بيانه شروق أن من البيان لسحراً ، فكانت طراوة أشعاره برهاناً ناطقاً ، وتقرّظ المرحوم ملك الشعراء الذي كُتِبَ في بداية نغمة العشاق شاهداً وصادقاً ، ولا أعرف أحداً من المعاصرين استطاع نظم هذه الأشعار بكل هذه المضامين العالية من الحكمة والمعاني العرفانية القويّة بهذا السبك الجميل ، لذا لم أجد هذه الحقائق الإلهية في أي من دواوين المعاصرين سوى ديوان دُرُج الدُرر .

دقيقه های معانی در سواد حروف

جو در سیاهی شب روشنی پروین بود^(١)

وكان يتلذذ من طراوة قوله ، فيقول :

سخن مدعیان نغز و لطیف است ولی

غير شعر تو إلهی دل ما نگشاید^(٢)

وهذا بيت شعري من أحد قصائده التي قالها في مدح أستاذه الحكيم آقا بزرگ ،

فيقول :

گفتم إلهی در غزل مدحی ز سلطان ازل

كان شه به چشم مرحمت بنوازد و بخشد صله^(٣)

وكان يأنس كثيراً بالخلوة في الليل واليقظة في السحر ، والتحدّث مع القمر والنجوم ، فكان معظم غزله في هذا الموضوع .

(١) المعنى : أنّ دقائق معانيه التي تظهر في كتاباته كضياء الثريا في ظلام الليل .

(٢) المعنى : أنّ كلام المدّعين حسن ولطيف لكنّه لا يوجد كلام يدخل القلب سوى كلام إلهي (يعني نفسه) .

(٣) المعنى : يمدح أستاذه ويصفه بسلطان الأزل ، وأنّه كان عطوفاً رحيماً .

بيا تا ساعتی در شام تاریک ز اشک دینده پیمایم ساغر
 بیا تا در دل شب با دل خویش سخن گویم از آن پر ناز دلبر^(١)

ويذكر في قصيدة (نغمة إلهي) أربع وأربعين بيتاً حول الليل ، فلتقرّ عين الذين
 يأنسون بسهر الليالي لزيادة الوصال مع المعشوق ، ومطلعها :

شب آمد شب رفیق دردمندان شب آمد شب حریف مستمندان
 شب آمد شب که نالد عاشق زار گهی از دست دل گاهی ز دلدار^(٢)

وقد زار قم في الأيام الأخيرة وتفضل عليّ بخدمته . ومن باب القضاء كان أحد
 الأصدقاء أيضاً ضيفاً عندي ، وما أن طلع الصبح حتى كان ذلك الصديق يتكلم كثيراً
 عن سحر إلهي وكلامه اللطيف .

وكان يسافر كثيراً في الصيف لزيارة الإمام الرضا عليه السلام في مشهد ، وكان يقول :
 كلما دعاني الإمام أذهب له ، وإلى الآن لم أذهب بدون دعوة ، ودعوته أن أرى في
 المنام - مثلاً - أنني في رواق أو قرب مرقد حضرة الإمام عليه السلام ، فكانت هذه الرؤى
 والعبارات هي كارت دعوتي .

وقال مرة : في السنة التي تشرفت فيها إلى مكة المكرمة ، وطبق الصفات الإنسانية
 كثر حنيني بسبب البعد عن الأهل والعيال لفترة طويلة ، واضطرب فكري ، فرأيت
 في المنام أن أحداً يقرأ عليّ هذا البيت للشاعر بابا طاهر :

خوشا آنان که الله یارشان بی تو کُلت علی الله کارشان بی^(٣)

(١) المعنى : تعال لنجلس ساعة في الليل المظلم ، ونجعل الدموع تجري حتى الأقدام ، وتعال
 لناجي في وسط الليل قلب ذلك الحبيب الجميل .

(٢) المعنى : جاء الليل ، وهو رفيق المتألمين والمستضعفين ، جاء الليل لتسمع آهات العشاق
 والمحرومين ، وهذه الآهات أحياناً بسبب القلب وأحياناً بسبب الحبيب .

(٣) المعنى : هنيئاً لأولئك الذين ناصرهم وحامهم الله ، وعملهم وقولهم توكلت على الله .

وكان المصراع الثاني في ديوان باباطاهر: « بحمد وقل هو الله كارشان بي ». لكن -وحسب اقتضاء المقام- أبدل « بحمد وقل هو الله » بـ « توكلت على الله ». وكان يقول لي: بارك الله فيك . وجزيت خيراً لأنك تتواضع للأساتذتك وتعظمهم .

وكان يدرّسنا بعد صلاة المغرب والعشاء ، وكان يُعبّر عن ذلك بأنّ درسنا بدلاً من تعقيبات الصلاة ، وكنا نصلّي في منزله ونفتدي بذلك الأستاذ الكبير ، وكان يصلّي ويبكي كثيراً في فنوته ، وكأني أسمع نغمته الإلهية في فنوته بريقة خاضعة ، وصوت حزين ، ولحن يخطف القلب مع تساقط درر دموعه ، ويقول: « إلهي وُرّبي مَنْ لِي غَيْرُكَ أَشْأَلُهُ كَشَفَ صُرِّي ، وَالنَّظَرَ فِي أَمْرِي »^(١) .

التألم من أجل حسود:

يا سبحان الله لهذه الروح الملائكية ، وهذا العالم الربّاني ، والعارف الصمداني ، ومفسّر القرآن ، وصاحب كلّ هذه البيانات العرشية ، وكلّ ما يحمله من الدموع والآهات والحرقه والانصهار ، الذي ترك كلّ زخارف الدنيا ، والمنتظر للقاء الله ، فقد كان موضع حسد أحد الشيوخ الذي أخذ يتكلّم بكلام جارح بين عدد من أشباه الرجال ولا رجال ، ضدّ المرحوم إلهي . لأجل متاع الدنيا وتهيج الأفكار .

وكان المرحوم الأستاذ قمشه ينقل لي طعن ذلك الحسود ، لكن يعلم الله ويشهد أنّه كان يحكي ذلك بابتهاج وتبسّم وارتياح ، بل كان يتألم ويتحرّق لذلك الحسود ويقول: بأي أمر يتشفون ويُسَلون أنفسهم هؤلاء (أخوات عديمي الرجولة) ؟

وحقاً تجلّى لي كلام حضرة الشيخ الرئيس تغمّده الله تعالى برحمته ، بشكل كامل في المرحوم الأستاذ إلهي قمشه ، فيقول الشيخ في مقامات العارفين: « العارف

(١) مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمي: ٦٤ ، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت .

هشّ بشّ بسامّ، وكيف لا يهشّ وهو فرحان بالحقّ» .

وما عمله المرحوم إلهي مقابل ظغينة ذلك الشيخ الحسود، يصفه في إحدى قصائده الغزليّة:

اي شيخ مسزون طعنه به گفتار إلهي
ذوقى طلب از جذبه اشعار إلهي
هر نکته كه در نظم إلهي است حديثي است
از دفتر معشوق و ز انوار إلهي
افروخته جان ز آتش عشق است و عجب نيست
روشن دلي از شمع شرر بار إلهي^(١)

وبالطبع لا يكون الشخص محسوداً إلا إذا كان شخصيّة بارزة . وهذا دليل على علوّ مقام المحسودين .

وفي كتاب الكافي الشريف لثقة الإسلام الكليني أعلى الله مقامه ، يوجد باب عن الأئمة الأطهار عليهم السلام ، بعنوان : (باب أنهم المحسودون الذين ذكرهم الله تعالى) .

وفي هذا الباب يروي الكليني بإسناده عن الكتاني ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ أَمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾^(٢) ، فقال : « يا أبا الصباح ، نحن والله الناس المحسودون »^(٣) .

(١) المعنى : يقول : أيها الشيخ الحاسد والطاعن لي استمع لقولي (إلهي) ، وتدوّق أشعاري فستجد الكلام الجميل اللطيف ، فكّل حديث وكلام في شعري هو من دفتر المعشوق ، ومن الأنوار الإلهيّة ، وكلّه نابع من قلب محترق بحبّ المعبود ، فليس عجيباً أن يكون قلباً تيّراً بالمعنوية والرحمة الإلهيّة ... ثمّ يتحدث في بقية القصيدة أنّ هذا الطعن لا يؤثّر فيه ؛ لأنه قد ترك زخارف الدنيا ونظره إلى لقاء الله ...

(٢) النساء : ٥٤ .

(٣) الكافي / الشيخ الكليني ١ : ٢٦٣ ، ب (١٦) ، طبع دار الأضواء - بيروت .

لم يكن يدخن السجائر ، وكان يقول : « إن كتابتي وخطي بمثابة التدخين عندي ، وكلما أريد التدخين أكتب وأتعلّم الخط » ، لهذا السبب أصبح خطه جميلاً ، ويكتب بشكل جميل ، وكان يتعلّم الخط من الأستاذ ميرخاني .

وأن أحد آثار المرحوم إلهي قمشه هو تصحيح بيتين لبابا طاهر عريان رحمته الله ، وقد طبع على شكل كتيب صغير ، وكان يقول : « كل دواويني فداء لقول سنائي ومولوي ونظامي وسعدي وحافظ وجامي وجميعها فداء لهذين البيتين لبابا طاهر عريان » :

خوشا آنان كه الله يارشان بي به حمد وقل هو الله كارشان بي
خوشا آنان كه دائم در نمازند بهشت جاودان بازارشان بي ^(١)

وكان المرحوم (أقا بزرگ) رحمته الله أكثر من تحدّث عنه المرحوم إلهي قمشه من بين أساتذته ، وكان يصفه بالعالم الكبير ، وبمجده ، وينقل عنه عدد من الكرامات والكشف ، وقد دوّنت بعض أقواله حول ذلك العالم الكبير ، ونظم قصيدة غزليّة في مدحه في ديوانه بعنوان : (غزل شمس العشق) .

وقد أنشدت هذه القصيدة الغزليّة في مدح حضرة الأستاذ السيّد الأجلّ معلّم الحكمة البرهانيّة والإشراقية العلميّة والعملية ، آقا بزرگ الخراساني (قدّس سرّه العالي) .

اي جمال دانش و دين پرتو روى شما

آفتاب عشق و ايمان تا بد از كوى شما ^(٢)

(١) المعنى : هنيئاً لأولئك الذين يكون الله ناصرهم وعملهم وقولهم ، لا يخلو من الحمد وذكر

الله ، وهنيئاً لأولئك الذين يصلون ويذكرون الله دائماً ، الجتة محلّ ترددهم واستقرارهم .

(٢) المعنى : يصف أستاذه بأنّ في وجهه جمال العلم والدين ، وله إشراقة الحكمة ، وأنّه منار

وشمس الإيمان تشرق من جبهته .

وقد ذكر عدد من أسماء أساتذته الآخرين في قصيدته الغزلية في شرح ترجمة حياته الشخصية في الصفحة ٣٦٩ من ديوانه حيث قال :

گهی ز انوار درس فقه و حکمه از آن دانشوران عرش محضر
حکیم آقا بزرگ نغزگفتار بحکمت نکته سنج و ذوق پرور
فقیه آقا حسین و شیخ عارف هم از برسی و استادان دیگر^(١)

وقد ذكر المرحوم فرزانه في هذا البيت أيضاً :

همان نصر الله و فرزانه استاد بخلقان هادی شرع پیمبر^(٢)

فكان الأستاذ المرحوم إلهي قمشه يقول : « إن الأنفاس القدسيّة للأستاذ الكبير آقا بزرگ رضوان الله تعالى عليه قد أثرت فينا بحيث كنا إذا رأينا حديقة أزهار ، نريد السجود عندها لما نراه من تجليات الحقّ جلّ وعلا بوضوح فيها » .

زاهد ومعرض حقيقي عن متاع الدنيا :

لم يكن للمرحوم كتاب ولا مكتبة . وكان يبيع الكثير من كتبه في زمان حياته ، فهو بنفسه كتاب ومكتبة متنقلة ، والكلام يغلي من أعماق نفسه ، وكان عنده نسخة من حكمة ابن كمونة ، وقد اشتراها منه المرحوم الميرزا طاهر التنكابني ، وهي الآن موجودة في مكتبة مجلس طهران ، وعندني نسخة مصورة عنها .

كان قنوعاً جداً ، لباسه بسيط ، ومسكنه أبط ، فقد كان سقف بيته من الحصير والخشب ، ولم يكن فيه كهرباء ، وكان يقول : « لقد أوصلت الكهرباء في سطح البيت » ، وقصده المصاييح المختلفة المعلقة في السماء يعني النجوم ، وكان المرحوم شوكت قال حوله :

(١) تمّ شرح هذه الأبيات سابقاً .

(٢) يذكر بعض أساتذته نصر الله وفرزانه ، وأنهم الهادون لشرية النبي ﷺ .

بسكه شد شهد قناعت فرش در كاشانهام

نیشکر گردد اگر پیچی حصیر خانهام^(١)

وعندما دعوته على الغداء في مدرسة مروى طهران ، قَبِلَ ذلك بطلاقة وكمال احترام ، وقد أعددت الغداء في غرفتي ، كما هو الحال عند الطلاب ، فتناول الطعام بامتنان وتقدير كبير ، ودعا لي بالخير بحيث كلما تذكّرت ذلك أتأثّر بشدّة .

وكان ابنه الصديق الفاضل ثقة الإسلام نظام الدين إلهي مصاباً بضعف شديد ، وما زال مبتلى بهذا المرض إلى الآن ، حتّى أصبح وكأنّه أكبر سنّاً من والده ، فكان المرحوم إلهي يُسَلِّيه : « أن يا بني . إن خرق هذه السفينة كان لمصلحة » ، ثمّ يقصّ عليه ويذكّره بقصّة الخضر وموسى عليه السلام في سورة الكهف في القرآن الكريم .

وعندما قال لي أحد الأساتذة الكبار متّع الله المسلمين بطول بقائه أن لا تذهب إلى مدينة (أمل) ؛ لأنك تفقد الكثير هناك . فقال لي المرحوم إلهي : « اذهب ، فإذا لا يؤخذ أمثالك على عاتقهم حماية الدين . لعل ... » .

فالمقامات والمناصب الدنيويّة الفارغة حتّى لو افترضنا بقائها واستمرارها ، فإنّ ذلك لا يكون أكثر من حافة القبر ، فلم يكن لها قيمة في عينه التوحيدية ، وكان يقول :

جهان كشور من خدا شاه من نداند جز این قلب آگاه من^(٢)

وطيلة الفترة التي كنت معه لم أسمع منه سوى مرّة واحدة كلاماً مرّاً قاسياً حسب ظاهره ، لكنّه كان عذباً جداً في معناه . وقال ذلك بهدوء ، والحادثة هي :

قال لي أحد الجالسین في مجلس درس ذلك العالم الجليل بهدوء : عندي إشكال في هذا الموضوع ، فأدرت وجهي لحضرة المرحوم إلهي وقلت له : أن هذا الأخ عنده إشكال ، فأجابني : « وهل أنتم لسان هذا الأخ ؟ » ، وقد أذبتني هذه

(١) المعنى : جعلت فراش منزلي من الحصير والقصب لما تذوّقته من حلاوة القناعة والزهد .

(٢) تمّ شرح البيت سابقاً .

الجملة كثيراً، ولا زلت كالحلقة في أذني رحمة الله تعالى عليه .

قُبلة على قدم الأستاذ:

لقد وُقِّمْتُ يوماً في تقبيل قدمه في جلسة الدرس ، فلم يكن ملتفتاً في البداية لذلك ، فقد كنت جالساً أمامه على قدمي وهو متربع ، فوَقِّمْتُ في تقبيل ظاهر قدمه ، وبعد تقبيلها تأثر كثيراً وقال :

« لماذا فعلت هذا؟ » ، قلت : إنَّ لكم عليَّ حقَّ عظيم ، ولا أعرف ماذا أفعل سوى تقبيل قدمكم ليتشقى قلبي ويهدأ ، فأنا لأجد نفسي لائقاً لتقبيل يديكم المباركة .

وعندما أردنا دفن جسده الطاهر كنت ماسكاً قدميه ، فتذكرت تلك الليلة التي قَبَلْتُ فيها قدميه ، وأردت تجديد العهد إلى جوار قبره ، لكنَّ وجود النَّاسِ منعني من ذلك .

وبعد دفن جسد المرحوم إلهي ، وقبل بناء القبر ، حضر حضرة الأستاذ العلامة الطباطبائي وجلس إلى جوار قبره ، وكان بيده منديل ، فبكى بكاءً شديداً .

وفي ليلة الخميس - يعني بعد ليلتين من وفاة ذلك العالم الجليل - ، كنَّا حاضرين في المجلس المبارك للأستاذ العلامة الطباطبائي لإكمال دورة درس معه ، فقال العلامة : « لقد فقدت إيران في هذه السنة رجالاً دين وعلمان كبيران ، عندي إيمان عظيم بتدينتهم ، أحدهم المرحوم الأملي (آية الله الشيخ محمدتقي الأملي رضوان الله عليه) ، والآخر المرحوم إلهي قمشه » .

ندرس نهج البلاغة في الجنة عند أمير المؤمنين عليه السلام :

لقد كان المرحوم إلهي قمشه كثيراً ما يقول في بيان عظمة نهج البلاغة : « لنذهب إلى الجنة ندرس نهج البلاغة عند أمير المؤمنين عليه السلام ، حتَّى نفهم ماذا قال

مولانا عليه السلام ، وقد كرّر قوله هذا ابنه نظام الدين السابق ذكره ، فعندما ذهبنا إلى قبره في اليوم السابع من وفاته في وادي السلام قم ، قال ابنه عندما كنّا نودّعه : لقد ذهب والذي إلى حضرة أمير المؤمنين عليه السلام ليدرس نهج البلاغة .

وقد كان حضرة العلامة الطباطبائي حاضراً أيضاً في مراسم اليوم السابع ، واشترك في هذه المراسم أيضاً عدد كبير من رجال الدين ، وبعض من أهالي قمشه الذين يحترمون العلماء ، فقد تمّ تجليل هذا العالم الكبير بشكل عظيم في قمشه ، وعقد مجلس عزاء مهيب جداً وجليل في طهران من قبل أستاذه الكبير حضرة العلامة الميرزا أحمد الآشتياني .

ونقلوا جنازته من طهران إلى قم بشكل بسيط دون مظاهر ولا تشريفات كبيرة ، وقد سحب آية الله الأراكي المعروف كمامة ثوبي وسألني : « لمن هذه الجنازة ؟ » ، قلت : للمرحوم إلهي قمشه ، فقال : « الأستاذ قمشه المعروف الذي كتب تفسير القرآن ؟ » ، قلت : نعم ، فقال : « إذن فلماذا هذا التشيع البسيط الخالي من التشريفات للجنازة » .

وكان المرحوم إلهي مستمراً في درسه حتّى آخر أيام عمره ، ولم يترك الدرس إلى اللحظات الأخيرة ، ولم يكن واضحاً أي آثار للمرض ، وما أنّ جنّ الليل ، ولأنّه كان كثير الأنس بالليل والسحر لبّي نداء ربّه في ذلك الوقت ، يعني ليلة الثلاثاء الثاني عشر من ربيع الثاني سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وتسعين ١٣٩٣ هـ . ق . وخطوب بخطاب : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ازْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَأَدْخِلِي فِي عِبَادِي * وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴾ ^(١) ، ونقلت جنازته في صباح اليوم التالي من طهران إلى قم ، ودفن في وادي السلام : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ ﴾ ^(٢) و : ﴿ لَهُمْ دَارُ

(١) الفجر: ٢٧ - ٣٠ .

(٢) يونس: ٢٥ .

السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾ ، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿٢﴾ ، هذه عبارات بسيطة حرّرها قلم هذا الفقير ، والحقيقة إن رسالتكم هي التي دفعتني للحديث وكتابة هذه الجمل .

روى تو ديدم سخنم روى داد ز آينه طوطى به سخن در فتاد^(٣)
الجمعة ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٩٣ هـ . ق
قم - حسن حسن زاده الأملي

عرض الاحترام لحضرة الأستاذ إلهي قمشه :

لقد أنشدت قصيدة غزليّة احتراماً وإجلالاً لحضرة أستاذي الكبير حضرة آية الله
الحاج الميرزا مهدي قمشه إلهي (روحي فداء) . ومطلعها:
اي النهى اى دل باک تو خورشيد کمال
اي فروغ رهروان خطّه حسن و جمال
اي يگانه مظهر عشق و خداوند کرم
اي امير سالکان اندر طريق ذو الجلال^(٤)

الرسالة الثانية

باسم الله خير الأسماء

-
- (١) الأنعام: ١٢٧ .
(٢) البقرة: ١٥٦ .
(٣) المعنى: رؤيتي لوجهك هي التي دفعتني للكلام ، كالبيغاء الذي يتحدث مع نفسه عندما يرى صورته في المرأة .
(٤) المعنى: يصف المرحوم إلهي بأنه صاحب القلب الطاهر وشمس الكمال ، وهو دليل للسائرين على طريق الحسن والجمال ، وهو مظهر العشق الوحيد وإله الكرم وأمير السالكين في طريق المعارف الإلهية .

﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾^(۱)

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾^(۲)

ز دام طبیعت پریدن خوش است

گل از باغ لاهوت چیدن خوش است

بکاخ تجرد نشستن نکو است

در آنجا رخ یار دیدن خوش است

من عشق نوشیدن از دست یار

از آن باده جان پروریدن خوش است

نسیمی وزد تا ز باغ وصال

چو گل جامه تن دریدن خوش است^(۳)

ثم یختم الأبیات:

همه شب بامید صبح وصال

چونی ناله از دل کشیدن خوش است

الهی ز شوق غزالان عشق

بصحرای وحدت چریدن خوش است^(۴)

(۱) البقرة: ۲۶۹.

(۲) المجادلة: ۱۱.

(۳) المعنى: إنَّ ترك قيود الدنيا جميل، وقطف الورد من حديقة اللاهوت حسن وجميل، والجلوس في قصر التجرد حسن، فما أجمل رؤية وجه الرفيق الأعلى هناك وما أجمل الشرب من يد الرفيق والانتعاش من العشق، وما أجمل تربية الروح في ذلك الجمال، ويهب التسيب حتى يتمرّق حجاب الجسد من حديقة الوصال كما تنفلق الأزهار، ...

(۴) المعنى: وكلّ ليلة أبقى أتأوه وأتألم من القلب على أمل ظهور صبح الوصال، ويخاطب أستاذة: الهی، أن غزلان العشق تسلي نفسها بالرعي في صحراء الوحدة من شدّة الشوق.

لا أدري هل كانت هذه كلمات من بعض الأعمام أم روح وريحان من حديقة الرضوان التي تبعت علي تسليية خاطري ، فماذا فعل الحزن علي هذا الأستاذ الكبير بأصدقائي فلان وفلان وفلان ، حتى بدأوا يتخذون الحجج لكي يبعثوا رسائل التعزية إلى هذا الطائر مكسور الجناح ، مقيد الأقدام والمسجون في القفص .

إلهي وربّي ، أسألك أن تتفضل علي أصدقائي ببقائه في الجنة منتعمين مخلدين فيها ، أمين ويرحم الله عبداً قال : أمين .

ولقد كان بين أساتذتي اثنان باسم إلهي : أحدهم آية الحقّ العارف بالله الحكيم المتأله ، الكامل المكمّل ، والفقير المتبحر السالك ، ومجذوب الفناء في التوحيد حضرة محمد حسين إلهي الطباطبائي التبريزي ، والآخر محيي الدين العارف الكبير ، والعالم الرباني ، الحكيم العظيم ، صاحب التصانيف الكثيرة ، حافظ العصر ، والشاعر الكبير ، السالك حضرة الحاج الميرزا مهدي إلهي قمشه أعلى الله تعالى مقامهما ورفع درجاتهما ، وأقول في عزاء هذين الأستاذين :

هي گويم إلهي يا إلهي تو از سوز دل زارم گواهی^(١)

لقد كان فراق إلهي الطباطبائي صعباً وثقيلاً عليّ ، ولم يمض كثيراً حتى فُجعت بفراق إلهي قمشه أيضاً .

گفتم که سوز آتش دل کم شود به اشک

آن سوز کم نگشت و از آنم بتر سوخت^(٢)

(١) المعنى : إني أردد من شدة الحزن اسم الأستاذ إلهي دائماً ، وأناجي الله أنك عالم بحرقه وألم القلب من فراقه .

(٢) المعنى : قلت : لعل حرقه القلب تقلّ بالبكاء والدموع ، لكن هذه الحرقه لم تقل ، بل أصبحت أكثر سوءاً وأشدّ (يعني بوفاة إلهي الثاني) .

قصّة تعرفني على الأستاذ قمشه:

قدمت من أمل إلى طهران في سنة ١٣٧٠هـ. ق، وكنت قد اشتريت في أمل في عدّة حلقات درس ومجالس بحث، فلم أجد أحداً في التدريس أفضل من الآيتين محمّد الغروي وعزيز الله الطبرسي (رضوان الله تعالى عليهما)، حتّى أنّ بعضهم كان عاجزاً عن فهم الكتاب وإدراك مواضعه إلى أن أتيت إلى العالم الرئاني والحكيم الصمداني الفقيه الماهر أستاذي المرحوم الحاج الشيخ محمّد تقي الآملی وشرحت لحضرتة ذلك، فعرف لي شخصين: أحدهما العلامة الكبير فخر الإسلام آية الله الحاج الميرزا أبو الحسن الشعراني متّع الله المسلمين بطول بقائه، والآخر المرحوم إلهي قمشه رحمة الله تعالى عليه، وبعد ذلك ذهبت لحضراتهم، ونقلت لهم قول المرحوم آية الله العظمى الآملی، لكن لم يقبلني أحد منهم، وكان لهم الحق في ذلك، وأخيراً وبعد الإصرار والإبرام والتوسّل والذهاب والمجيء المتكرّر، غير الله مقلّب القلوب قلب هذين العالمين الجليلين نحوي، فقبلوني في كنف تربيتهم، وكانوا يبنون بذور المعارف في مزرعة قلبي لسنوات طويلة، وما زلت أتنعم من بساط أسفارهم العلميّة، وقراءة مؤلّفاتهم المباركة، وكما يقول المرحوم إلهي:

چه رفتیم از جهان دیگر نیابند ز ما نام و نشان الّا بدفتر^(١)

وقال لي حضرة المرحوم إلهي قمشه بعد أن ظهر الأئس والأئمة بيننا: «لأني رأيت فيكم الحبّ والشوق والذوق في طريق كسب العلم، فقد ذهبت يوماً بدون علمك إلى المدرسة» وكان لي في ذلك الوقت غرفة في مدرسة المرحوم الحاج أبو الفتح في طهران» وسألت عنكم من طلبة المدرسة، فقال الجميع متفقين أنّ

(١) المعنى: ما أن نرحل من هذا العالم، فلن نجد أحد لنا أثر أو اسم أو أي شيء سوى الكتاب والمؤلّفات.

حسن زاده طالب وليس له أي اهتمام غير الدرس والعلم ، ولا رفيق له سوى الكتاب ، مع ذلك وليطمئن قلبي لقبول درسكم ، ما أن رجعت إلى المنزل استخرت بالقرآن الكريم وفتحت المصحف الشريف ، فكانت أول جملة في رأس الصفحة : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾^(١) ، وبذلك اطمئن قلبي فدعوتكم للدرس .

وحتماً ما أن قبلني هذين العالمين الكبيرين في درسهم . وخاصة العلامة الشعراني ، فكأنّ لسان حالي يترنم بهذا الشعر :

نوری از روزن اقبال در افتاد مرا كه از آن خانه دل شد طرب آباد مرا
ظلمت آباد دلم گشت چنان نورانی كآفتاب فلکی خود بشد از یاد مرا^(٢)

بعد ذلك كان الأصدقاء - ويقصد الوفاء والصفاء - يسألوني : لماذا أعرضت عن الاشتراك في مجالس درسنا ؟ وهم لا يعلمون ما أنا فيه من نعمة الشرب من ماء الكوثر ممّا أغناني عن كل ماء ...

وقد أعلننا وأخبرنا الجميع عندما بدأ حضرة إلهي بتدريس حكمة المنظومة ، أنّ أي شخص يريد الاقتطاف من ثمر هذا العالم . ويستفيد من مجلس درسه ، فيمكنه الاشتراك ، ولا مانع من ذلك ، وبعد فترة قصيرة اشتراك الكثير (حوالي خمسين أو ستين نفرًا) ، لكن لم يمض اسبوع أو اسبوعين وإذا بي (حسن زاده) وحيداً فريداً في مجلس الدرس . فصلينا المغرب والعشاء مقتدياً بالمرحوم إلهي ، وبعد إكمال الفريضة أدار وجهه لي وقال : « هل جلبت المنظومة ؟ » ، قلت : نعم ، ولكن لم يأت أحد ، فقال : « كان الأمر هكذا دائماً ، فأين الطالب ، ألم يكن درسنا مع الأستاذ آقا بزرگ بهذا الشكل » ، فأخذ المنظومة وفتحها وبدأ التدريس ، وبعد فترة طويلة

(١) البقرة : ٣ .

(٢) المعنى : أنّ ذلك النور الضئيل الذي دخل من ثقب الباب قد ملأ وأضاء وأشرق بيت قلبه وبعث فيه الأمل ، فأزاح ظلمة ذلك القلب ، وكان إشراف الشمس قد ملأته .

التحق بنا بعض الأنصار الأوفياء وأصبحوا رفاق الدرب ، وهكذا أيضاً كان درسنا مع الأستاذ الشعرائي وأساتذتنا الآخرين ، والآن وقد دخلنا نحن مجال التدريس ، فإنَّ كلَّ طالب لا يبقى سوى خمسة أيام ، وهكذا ففي البداية ﴿ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً ﴾^(١) ، وبعد عدَّة أيام ﴿ لَوَلَّيْتُمْ مِنْهُمْ فِرَاراً ﴾^(٢) . نعم ، فلا يوفِّق أي شخص في أن يُقلب كتاب العلم من طلوع الفجر حتَّى انتهاء غروب الشفق ، بل إلى ما وراء العسق ، فإنَّ ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾^(٣) .

آقا بزرگ حكيم الأستاذ الأكبر للمرحوم إلهي قمشه :

كان الأستاذ آقا بزرگ هو الأستاذ الأكبر للمرحوم إلهي ، وقد كتب المرحوم قصيدة غزليَّة في مدح أستاذه في حياته باسم (غزل شمس العشق) ، وبعد وفاته كتب قصيدة غزليَّة أيضاً في رثائه باسم (غزل أمير دولة العشق) ، ومطلعها : « غزل اميركشور^(٤) عشق .

وقد أنشدتُ هذه القصيدة الغزليَّة عند وفاة أستاذه السيّد الأجلَّ الحكيم المتألّه المرحوم آقا بزرگ الخراساني .

برفت اهل دلي رادمرد هوشياري بلند همّت و دانشور وفاداري
برفت از فلک دانش آفتاب کمال بشد زکشور فرازنگی جهان داری^(٥)
إلى آخرها

(١) النصر : ٢ .

(٢) الكهف : ١٨ .

(٣) المائدة : ٥٤ .

(٤) كشور : دولة .

(٥) المعنى : ذهب العالم صاحب القلم ، والرجل الذكي عالي الهمة ، والعالم الوفي ، وبذلك غابت شمس الكمال من بين نجوم وأفلاك العلم ، وارتحل عن البلاد .

فقد لقبه في قصيدته الغزلية الأولى بـ (شمس العشق) ، وفي القصيدة الثانية بـ (أمير دولة العشق) ، وفي هذا حديث مفصل نذكره هنا بإجمال :

يقول مؤلف تاريخ خراسان المرحوم الميرزا عبدالرحمن في (ص ٢٤٦):

« الآقا الميرزا العسكري المعروف بأقا بزرگ حكيم من الحكماء والمتألهين في العصر الحاضر الهجري ، ومن الرجال الورعين المتخلصين في خراسان ، ومن الأفراد الذين لا يضاهيهم أحد في التخلص والعبادة والجلال . وكانت قصص تخلصه وعدم اعتنائه بالمال وزخارف الدنيا حديث العام والخاص . وحتى الآن أيضاً ما أن يأتي في مجلس حديث العارفين من العلماء والحكماء إلا وذكروا المرحوم آقا بزرگ كنموذجاً ممتازاً لذلك ، والمعظم له هو ابن الحاج الميرزا ذبيح الله ، وحفيد الميرزا مهدي الشهيد ، وقد درس في مشهد عند محضر الشيخ موسى المنطقي ، والحاج الميرزا محمدباقر الشفتي ، والميرزا محمد خادم الباشي ، وفي طهران استفاد من درس الحكيم المعروف أبو الحسن جلوه . والميرزا إبراهيم الكيلاني ، وفي النجف استفاد لسنوات طويلة من محضر الأخوند الخراساني . وبعد ذلك عاد إلى مشهد وبدأ يُدرّس خارج شرح اللمعة وشرح القوشجي والاشارات والشوارق وشرح المنظومة والأسفار وغيرها . ويوجد إلى الآن العديد من تلامذته العلماء على قيد الحياة الذين يمثلون نموذجاً بارزاً عنه . وقد توفي في ليلة ٢٩ جمادى الثانية سنة ١٣٥٥ هجري ، ودفن حسب وصيته في السفح الشرقي للجبل الصخري ، وهو الآن مزار لأهل الصفاء (قدس الله سرّه) .

وقد نقل لي المرحوم إلهي في إحدى الليالي قصصاً وبعض الكرامات لهذا العالم الجليل الحكيم آقا بزرگ ، وكان مولهاً به ويذكره باحترام وإجلال ، وحكى لي المرحوم إلهي في إحدى الليالي أنّ عدداً من مريدي المرحوم الأستاذ آقا بزرگ أرادوا أن يقدموا له خدمة في المشهد الرضوي . ففوضوا له أحد المناصب المهمة في أمور ثامن الأئمة عليه السلام ، فقال ذلك العالم الكبير - وبكل حرية : « إني لا أرى

التدخل في أمور الإمام الرضا عليه السلام وبالشرائط الحالية أمراً مشروعاً؛ لأنهم قد خلطوا جميع موقوفاته وأبطلوا أوراق الوقف من جعل الواقفين».

الأساتذة الآخرون للمرحوم إلهي قمشه:

وكان من أساتذة المرحوم إلهي الآخرين هو العارف الكبير، والحكيم الجليل الشيخ أسد الله البيزدي المشهور بهراتي، وهو الذي قام بتصحيح منطوق وحكمة شيخ الإشراق بشرح قطب الدين الشيرازي في الحاشية، وهي في الحقيقة تقريرات درس الأستاذ الخواجه نصر الدين الطوسي مع تعليقات حضرة صدر أعظم الفلاسفة المولى صدر الشيرازي ومع رسالة الجمع بين الرأيين لأكبر فلاسفة الإسلام المعلم الثاني أبو النصر الفارابي، وهي مطبوعة، وقال في صفحتها الأولى:

«هو الموفق. اعلم أن أفضل العلوم والمعارف هو معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله؛ لأن الإنسان خلق لأجلها كما جاء في التنزيل ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١)، أي ليعرفون. وتحصيلها منحصر في طريقين: الأول: الكشف والعيان كما هو طريق الأنبياء والمرسلين والعرفاء الشامخين، والثاني: النظر والبرهان كما هو طريق العلماء الراسخين والحكماء المتألهين، وأفضل طرقهم طريق الإشراق؛ لأنه موافق للذوق والوجدان، وأحسن الكتب المدونة في هذا الطريق هو شرح حكمة الإشراق كما لا يخفى على من نظر فيه حق النظر».

إلى أن يقول: «جمعت نسخاً منه مع تعليقات العالم المحقق الرباني والحكيم المتأله السبحاني صدر الدين الشيرازي نور الله مرقده، وبذلت الجهد في التصحيح والطبع خدمة للمحصلين من الطلاب، وأنا الأقل أسد الله بن محمد حسن البيزدي المشهور بهراتي) غفر الله لهما بالنبي وآله الظاهرين في شهر ذي القعدة ١٣١٣هـ».

ويذكر في كتاب تاريخ خراسان حول الشيخ العارف اليزدي: «كان الشيخ أسد الله اليزدي من عرفاء العصر الحاضر، ومن علماء مدينة مشهد المقدّسة، فكان يكتفي من اللباس بالقليل، وكلّما غسل قميصه وعمامته يجب عليه الصبر حتّى تجفّ، ثمّ يلبسها ليقوم بإداء وظائفه، وأحياناً كان يدرس بدونها حتّى لا يتوقّف الدرس، ويقضي حاجاته وأمور بمبلغ خمسة توامين شهرياً. ولم يكن عنده علاقة مع أحد، ويحضر عنده فقط القليل من الخواص لكسب الكمال، وتوفّي حوالي سنة ١٣٤٥هـ. ق، وكان أوّل شخص يدفن في الساحل الشرقي للجبل الصخري وبعده الحكيم الشهيد (يعني المرحوم آقا بزرگ السابق ذكره)». انتهى ملخصاً.

وكان المرحوم إلهي قمشه يقول: «عندما كنّا ندرّس شرح فصوص القيصري عند محضر حضرة العارف الكبير الشيخ أسد الله اليزدي، كان يوصينا بعدم حضور الدرس بلا وضوء.

ومن أساتذته الآخرين المرحوم الحاج فاضل، وكان اسمه الشريف المآلاً محمّد علي المشهور بالحاج فاضل، وتاريخ وفاته (يا غفران) يعني سنة ١٣٤٢هـ. ق، وفي تاريخ خراسان يقول: «كان واحداً من العلماء المحقّقين، والحكماء المعاصرين، وما زالت كمالات هذا العالم الرباني حديث العامّ والخاصّ في المحافل والمجالس العلميّة، وكان عارفاً طبّ الملتقى، وكان معروفاً أنّ الفيض محمّد خان السنّي يدعو أحياناً الحاجي لتناول الحليب معه في المنزل، فيمدحه الحاجي بعد تناول الحليب ويقول:

رحمت حقّ بر تو وبر شير تو در قيامت حشر تو با پير تو^(١)

وكان من أساتذته الآخرين، محمّد هادي فرزانه قمشه، وهو جامع العلوم العقليّة والنقليّة، وكان مثلاً يشار له بالبنان في الزهد والتقوى ونهذ الدنيا وزخارفها،

(١) المعنى: رحمة الله عليك وعلى حليبك ويحشرك الله يوم القيامة مع أجدادك.

وهو الشخص الذي عندما جاءه ممثلين عن بعض المسؤولين ، وطلبوا من قبول كرسي الدرس ، قال لهم : « عندما أتيتم لي فإن ذلك ينقل الضعف إلى قوة ، والقوة إلى ضعف » .

وكان من أساتذته أيضاً المرحوم البرسي ، يقول في تاريخ خراسان : « كان الحاج الشيخ حسن البرسي من المدرسين الكبار المعاصرين والمتنفذين في المشهد الرضوي ، وكان مجلس درسه هو الأهم والأفضل من بين سائر المجالس الأخرى ، وكان يحضره الكثير من أفاضل الطلاب المشهورين حتى الآن بأنهم من تلامذته ومعروفون بالفضل والعلم .

وكان من أساتذته المرحوم حسين الفقيه الخراساني ، وكان مشهوراً جداً في فقهه ، رحمة الله تعالى عليهم أجمعين .

فكان المرحوم إلهي قمشه من ثمار تربية هؤلاء العلماء العظام ، ونموذجاً بارزاً عن كل واحد منهم خاصة عن الحكيم آقا بزرگ والعارف اليزدي والحاج فاضل .

شرب الكأس الصبوح المنفوخ فيه في صبح السعادة :

تشرّفت في أحد الأيام بالحضور عند المرحوم إلهي ، وبعد تبادل السلام . نهض ودخل إلى المنزل وجلب فنجاناً .

« ألا أيها الساقى أدركأساً وناولها »

فنهضت احتراماً له وجلس هو ، فقدم لي الفنجان بيده المباركة ، فشكرته تعظيماً له ، ثم قال : « هذا شربت خاص صنعته بيدي . وهو خاص للخواص ، فقد قرأت عليه الآيات والأدعية والأوراد ونفخت فيه ، وانتخب هذا القدح لكم » . فقلت : هذا لي ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً ﴾^(١) . إذن فقد شربت في صبح السعادة ذلك

الكأس الصبوح المنفوخ فيه ، وتدوّقت لذّة ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾^(۱) .

در حلقه گل و مل می خواند دوش بلبیل

هات الصبوح هبوا أيها السكاري^(۲)

بعد ذلك طلبت منه أن يسمح لي بأن أنشد عليه قصيدة غزلية ، فسمح لي مبهتجاً ، فقلت :

شب عید آمد آن عیدی که باشد عید سلطانی

گروهی در سرورند و گروهی در پریشانی

گروهی فارغ از هر دونه دارند و نی آنرا

به دل دارند با سلطاننشان صد عید سلطانی^(۳)

فأعجبه كثيراً واستحسن ذلك ، وشجّعني إلى أن قلت :

پریشان نیستم از بی گلستانی چه ور پیش است

گلستانی ز سعدی و پریشانی رقا آنی^(۴)

فأعجبه كثيراً ، ومدح الشعر كثيراً ، وكان ينظر لي بشوق وشغف ويستمع للشعر ،

حتى قلت :

چه غم ما را ز بی گلدانی و گلهای رنگارنگ

بود زهر الربیع سیّد و انوار نعمانی

(۱) الإنسان : ۵ .

(۲) المعنى : في حلقة الورد والنبیذ يترنم بصوت البلبیل : هات الصبوح هبوا أيها السكاري .

(۳) المعنى : حلت ليلة العید وهو عید السلطان ، فجماعة في سرور ، وأخرى حیری ، وجماعة لا هذه ولا تلك ، ففي قلبهم أن قریبهم من الحبيب وسلطان قلوبهم يعادل مائة عید .

(۴) المعنى : لست حیراناً لعدم وجود حديقة الأزهار ، فما ينتظرنی فی المستقبل حديقة أزهار سعدی أم حیرة قانی .

چه غم ما را که دوریم از دیار و دوستان خویش

الهی اوستادی باشد و آقای شعرانی^(١)

فابتهج كثيراً وضحك وقال: «لقد وضعت اسم الشعراني متناسباً مع القافية بشكل جيد...»، إلى أن قرأت البيت الأخير:

حسن خواهد ز لطف بی شمار ایزد بی چون

دل پاکی منزّه باشد از اوهام شیطانی^(٢)

فأعجبه كثيراً، وقال: «أحسنت»، وقد أعجبه الشعر كثيراً، بحيث عندما زاره جمع من الأصدقاء أمرني أن أنشد هذه القصيدة الغزليّة عليهم، فقرأتها عليهم من الأول إلى الأخير.

وقد كان يقرأ عليّ أشعاره باهتمام كبير، وفي بعض الأحيان ومن لطفه وعظّمته يطلب رأيي بذلك.

تقريب الأستاذ إلهي قمشه على ديوان شعري:

لقد جاء الأستاذ إلى قم في السنوات الأخيرة عدّة مرّات، وكنت في خدمته لبعض الليالي، وكان يقول لي في كلّ ليلة اقرأ شعرك، فكنت أعتذر منه وأقول: ماذا أقول وأقرأ أمامكم وأمام شعركم الإلهي الذي هو من مصاديق «إنّ من الشعر لحكمة»، وأنّ من البيان لسحراً»، وكما يقول الشيخ الأجلّ سعدي:

(١) المعنى: يمدح ويذكر أساتذته فيقول: أي غم وحزن لعدم وجود الأزهار الملونة، وعندني أساتذة السيّد وهو كزهر الربيع وأنوار النعماني، وأي غمّ وحزن من الغربة والابتعاد عن الوطن والأصدقاء، وأستاذي إلهي والشعراني (يعني لا يصيبني الغم والحزن ما دام هؤلاء أساتذتي).

(٢) المعنى: يخاطب نفسه قائلاً: اطلب من الألفاظ غير المتناهية لله أن يمنحك قلباً طاهراً منزّهاً من الأوهام الشيطانيّة.

« إذا أظهر شجاعتي في سياقة الحديث فإنما أكون مازحاً ، وجلبت بضاعة مزجاة لحضرة العزيز هي لا تساوي شيئاً في الليل في سوق الباحثين عن الأشياء القيّمة ، فلا تضع المصباح في رابعة النهار أمام الشمس الشديدة ، ولا تضع منارة عالية في سفح جبال الوند » .

فلم يقبل عذري ، وأمرني بالقراءة . فامتثلت لأمره . وقد لاحظت تقريباً دورة كاملة من ديوان شعري واستحسن ذلك كثيراً . لكنّه قال فقط : « كما أنك تجد بين حَبّات الرز بعض القشر ، فلا بدّ من إصلاح بعض الكلمات » . ثمّ دوّن على الصفحة الأولى من ديواني ما يقارب الصفحة الكاملة على كلماتي غير المناسبة . وكتب تقريباً ما أزال أفتخر بوجوده عندي بخطّ يده المبارك .

كان يرحمه الله مخالفاً لوضع الأسنان الصناعيّة ، وكان يقول : « ماذا أفعل بالأسنان الصناعيّة وعندي جهاز هضمي ضعيف . فإذا طحنت الأسنان الصناعية غذاء الشباب وحولته إلى المعدة . فهل تستطيع المعدة هضمه وتستفيد منه ؟ » . فلم يكن يأكل مطبوخاً في وجبتين متواليتين ، وكان غالباً ما يأكل اللبن الخاثر مع الماء ويشرد الخبز فيه ، ويأكله بلذّة وذاتقة كبيرة . وكان يقول : « لم تكن توجد الأسنان في الطفولة والغذاء هو الحليب ، والآن غذائي كذلك » .

وكان يقول : « عندما رأى بعض الأصدقاء أحد أطباء الأسنان جلبوه معهم في إحدى الزيارات ، فعلمت قصدهم ؛ لأنّ الطبيب سألتني كيف حال أسنانك ؟ فوضعت يدي على أحد الأسنان الضعيفة وقلت : يا دكتور . إنّ سني هذا ضعيف . فهل تستطيع تثبيته جيّداً ، قال : هذا لا يمكن . ولا يستطيع أحد فعل ذلك ، فقلت : إذن ليس لي طلب آخر » .

وقال أيضاً : « أنّ حضرة الشيخ الرئيس أعلى الله مقاماته قد كتب مقامات العارفين في الإشارات في أحد أربعيناته » .

وقال : « أنّ شيخ الإشراق لم يكتب موضوعاً جديداً بعد الشيخ الرئيس سوى أنّه

غَيَّرَ فِي بَعْضِ الْأَصْطِلَاحَاتِ .»

وكان يقول : « كما أنَّ الإنسانَ عندما يكبر في السنَّ يغيَّرُ ملبسه ، فلا بدَّ أن يغيَّرَ غذائه أيضاً .»

صورة وسيرة وسريرة الأستاذ قمشه :

كان الأستاذ عندما يمشي فإنَّه يمشي مستقيم القامة ، مرفوع الرأس إلى الأعلى ، وكان هكذا حتَّى أواخر حياته ، ولم يظهر عليه أي تحدُّب أو انحناء ، وكان عمره يتجاوز السبعين ، والعجب أنَّ شعره أبيض لكنَّ وجناته ووجهه كالشباب ، يعني محاسنه بيضاء ووجناته حمراء .

وكان حقّاً يتبرَّأ من الاسم والشهرة ، وكما يقول :

دریغاکه در دام نامم هنوز اسیر خیالات خامم هنوز^(١)

إلى إلى آخر الأبيات^(٢)

فكان لطيف المجلس جداً ، ومع ذلك لا أنذکر منه أي جملة ملاطفة طيلة مرافقتي له ، وكان عفيفاً جداً في كلامه ، ويُعرض عن اللغو ، وقويّاً في المراقبة والحضور ، فكان تلميذاً بحقّ آفا بزرگ الحكيم والشيخ أسد الله عارف اليزدي .

وكثيراً ما كان في مجلسِ الدرس يجزُّ الحديث إلى موضوع بحيث يجعلنا نجهدش بالبكاء ، فكان ذلك من خصائصه فقط .

وفي الشتاء لم يكن في غرفة درسه لا كرسي ولا مدفئة ، وإنما فانوس وبساط عتيق فقط ، وفي بعض الليالي الباردة جداً كان يجلب الموقد الموجودة في غرفة عائلته إلى غرفة الدرس ، فيمسح الغبار الموجود عليها ويتركها على هذه الحالة .

(١) المعنى : يا للأسف ما زلت إلى الآن في فتح اسمي وأسير خيالاتي الواهية .

(٢) صفحة ٣٨٥ كَلَيَات ديوانه .

كان شديد التعلق بأبنائه ، وكان ذلك واضحاً في شرح ترجمته الشخصية التي كتبها في الصفحة ٢٦٧ من ديوان نغمة العشاق . إضافة إلى أنني كنت أرى ذلك أيضاً ، وقد أنشد القصيدة الحسامية في فراق ومصيبته بفقدان ولده ، وقد سميت هذه القصيدة تيمناً باسمه ، فأبي حزن وماتم ذكر في هذه القصيدة ، ومطلعها :

ای مرغ من از چه ز آشیان رفتی استاره شدی بر آسمان رفتی^(١)

وخاتمها :

تا چند الهی از غمت نالد زان شهرکه آمدی بدان رفتی^(٢)

وفي هذه القصيدة أيضاً ٤٥ بيتاً جميلاً جداً .

وأيضاً كتب القصيدة النظامية في نصيحة ابنه وصديقي الفاضل ثقة الإسلام نظام الدين إلهي ، ومطلعها :

نظام من ای سرو باغ معانی نظام من ای طایر آسمانی^(٣)

والحق أنها قصيدة غراء وبرنامج عمل يشمل ٦٩ بيتاً . كل واحد منها كالماء الزلال ، أو السحر الحلال ، كل من يسمعها يقول لله در قائله .

وكان يقول : « إن بيتنا موجود في كل مكان » ، وهو عبارة عن المدرسة ، فأعلى الله درجاته ، كان يأنس ويرتاح مع المدرسة والطلاب ، وعندما يدخل إلى المدرسة كان جميع الطلاب يعرفونه ، فيمسك عنان الكلام منذ البداية وينصح الحاضرين ، فلم يكن عنده أي تقيد .

(١) المعنى : أيها الطائر ، لأي سبب تركت عشك وذهبت ، فهل أصبحت نجماً وذهبت إلى السماء .

(٢) المعنى : إلى متى يبقى الهوى يتأوه ويتألم لفراقك ، فإنك ما أن أتيت إلى هذه المدينة (الدنيا) حتى رحلت عنها سريعاً .

(٣) المعنى : يا نظام (يا بني) ، يا طائر حديقة المعاني ، يا نظام (يا بني) ، أيها الطائر السماوي .

وفي أحد الأيام كنت في خدمة حضرة الأستاذ الكبير حضرة آية الله العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان أبقاه الله لأهل الإيقان ، فقال :
« كان المرحوم قمشه طليقاً بلا قيد ، فعندما كان في المشهد الرضوي عليه السلام ، كان يأتي إلى جلسة المذاكرة والبحث بملاسر النوم ، حتى كان يظن الناس أنه إنسان عادي » .

ولم يذم المرحوم قمشه أي شخص . كما لم يمدح أي شخص سوى النبي وآل النبي عليهم السلام ، وأساتذته ، وكان يذكر أحياناً بعض العلماء .
وقال حضرة العلامة الطباطبائي : « أن فلاناً - وذكر اسم أحد فضلاء طهران - قد طلب مني أستاذاً ، فقلت : الأستاذ إلهي قمشه ، فهو غير هذا الظاهر » .
وكان سلامه وسؤاله عن حال المقابل : « حال السيد جيدة » ، وأحياناً : « حالكم الشريف جيدة » .

وعندما قال في طهران : « هل عندكم استعداد للذهاب إلى عيادة الشيخ الأملي وقد كان المرحوم آية الله الحاج الشيخ محمد تقي الأملي قدس سره الشريف مريضاً في ذلك الوقت ، وقد أصيب بتعب قلبي بحيث منع من القيام والجلوس ؟ » ، فقلت : إنه افتخار لي أن أكون بخدمتكم ، فذهبت إليه في الموعد المحدد والساعة المعينة ، فذهبنا معاً لعيادة المرحوم آية الله الأملي . فسبقته وطرفت الباب ، فقال أحد : من ؟ فقلت - وحسب المتعارف - : هل الحاج غير موجود ؟ فقال المرحوم قمشه : « لماذا قلت بصيغة النفي ؟ » ، ولما جلسنا في خدمة الشيخ الأملي ، أخذ المرحوم إلهي قمشه يُمجّد ويستحسن تعليقات وحواشي الشيخ الأملي على حكمة منظومة الحكيم المتأله السبزواري ، وكذلك آثاره العلمية والقلمية الأخرى . فأدرت وجهي أنا البسيط إلى الشيخ الأملي وقلت : حفظكم الله ، فأجابني : « حفظني الله ، وحفظ الله الأستاذ قمشه ، ويحفظكم الله ، ويحفظ كل علماء الشيعة ، وجميع الشيعة ،

وكلّ المسلمين ، وأسأل الله أن يشملنا والجميع برحمته ، وما أحسن قول الشيخ الرئيس : استوسع رحمة الله .»

فكم كان لكلام الشيخ الأملي قيمة عندي ، وقد أدبني كثيراً ، وعندما نهضنا وخرجنا من المنزل أردت الذهاب بنفس الطريق الذي أتينا منه ، لكنّ المرحوم قمشه قال : «لنذهب من طريق آخر حتّى لا يحدث تكرار في التجلي» .

وقال المرحوم قمشه : « عندما أقيمت أحد المجالس المهمّة في طهران وكان مجلساً سياسياً ، مع حفل زواج كبير ، ودُعي فيه الكثير من شعراء الشيعة والسنة ، وطلبوا منّي أيضاً الحضور فاعتذرت . لكن أخيراً أصبحت ملزماً بالحضور ، وفي ذلك المجلس أنشد كل شخص قصيدته بمناسبة حفل الزواج ، وطلبوا منّي قراءة قصيدتي ، ولأني لاحظت أنّ أكثر الحاضرين كانوا من السنة لذلك قرأت القصيدة الطغرائيّة الغزاة المتكوّنة من ٧٦ بيتاً . من البداية إلى النهاية ، بمدد غيبي ، ودون توقّف ، ولا أي سكتة أو لكنة ، وما أن وصلت إلى هذه الأبيات :

آئينه حُسن اعظم ايزد الأشه دين عليّ اعلى نيست
مولي است بر اهل دل پس از احمد هرکس نه غلام او است مولی نيست
فرمان ولايتش خرد داند اي مردم با خرد به شوري نيست^(١)

فقال جميع أهل المجلس من الشيعة والسنة طوعاً أو كرهاً أحسنت ، أحسنت . وعندما جرى الحديث في مجلس الدرس عن معنى ما الشارحة ، قال المرحوم قمشه : « ما معنى ذلك ؟ » .

(١) المعنى : يصف في هذه الأبيات أمير المؤمنين عليه السلام ، ويقول : إنّه مرآة حسن الإله الأعظم ، وهو ورد الدين ، وهو عليّ ، وليس أعلى ، وأنّه مولی أهل القلوب الواعية ، بعد النبي أحمد عليه السلام ، وكلّ شخص ليس غلامه فليس له بمولى ، وأنّ أمر ولايته من العقل فيا أيها التّاس ، اعملوا بما يقوله العقل لا بما تقوله الشورى .

فأجبت:

معنى ماء شارحه ابن است پاسخ پرسش نخستین است^(١)
فضحك قائلاً: «لقد عملت الجواب شعراً بشكل جيد»، ثم قرأ بنفسه هذا الشعر
مرة أخرى مبتسماً.

قصيدة عرفانية من الأستاذ إلهي قمشه:

وقد أنشد الأستاذ قمشه قصيدة عرفانية طويلة، مطلعها:

حسن زاده معرف إلهي نمی شود إلهي را باید إلهي معرفی کند^(٢)

بعض من إفادات الأستاذ إلهي قمشه:

في كتاب الحكمة الإلهية، وعندما تحدّث الأستاذ عن العشق (كإحدى
الكيفيات النفسانية)، فكأنني غريب قد عاد إلى وطنه، أو عطشان وجد عين ماء،
فهو يقول في خاتمة هذا البحث: «نختم بحث الكيف والكيف النفساني بالعشق
الذي هو خاتمة كل بحث ونهاية كل درس».

وفي المجلد الثاني صفحة ٣٤١ يتحدّث حول الليل والنهار تحت عنوان: (منظر
ليل ونهار السماء الممثلة بالتجليات)، فقد أبدع فيه بشكل منقطع النظير.

ويقول في معنى التصوّف في الصفحة ٢٧٦ من المجلد الأول: «بشكل عام إذا
كان معنى التصوّف والصوفي هو العلماء الربانيين الذين عندهم مقام معرفة الله،
والتخلّق بأخلاق الله، وتهذيب النفس بالعبادة والرياضة والمجاهدة، ومخالفة هوى

(١) إنّ معنى ما الشارحة هو إجابة السؤال أولاً.

(٢) المعنى: أنّ حسن زاده لا يستطيع وصف وبيان شخصية إلهي، وإنما فقط إلهي بنفسه هو
القادر على وصف نفسه.

النفس ، وتزكية الروح ، وتطهير القلب من عشق ومحبة ما سوى الله وهداية وتربية الخلق بالمعرفة ومعرفة الله والأخلاق الحسنة والعلم والعمل الخالص والذكر والفكر في الأسماء والأوصاف الإلهية وترك الشهوات الحيوانية ، والفضلات الدنيوية ، والإحسان وخدمة الخلق بدون رياء ، والأخذ بأيدي الضعفاء ، وإعانة المظلومين ، وإرشاد الذين أضاعوا طريق التوحيد ومعرفة الله . فهم إذن بحق التلامذة الممتازين لمدرسة الأنبياء ، وطريقة القرآن ، ومدرسة القرآن الذي وعى الخلق للعمل بها ، وهم من الأنصار الحقيقيين ؛ لأنهم أصحاب صفة من الرسول الأكرم وأوصيائه صلوات الله عليهم أجمعين .

لكن يجب العلم أن مصداق التصوف والصوفي والعارف بالله بهذا المعنى النادر ، يمكن أن نجده في مثل زيد وأويس القرني وكميل وميثم والخواجه ربيع وأبو بصير وهشام بن الحكم وابن أدهم وأمثالهم ، وكذلك وجد في زمان أبو النصر وأبو علي وأبو الحسن وأبو سعيد الخير أبو الخير والخواجه الطوسي ومحبي الدين والعارف الرومي وسنائي وحافظ وسعدي وشيخ الإشراق وصدرا وفيض والحكيم السبزواري ، بل أنهم أكثر صفاءً من أولئك العرفاء والمتصوفة .

أمّا اليوم ، وحيث من الصعب أن تجد أثراً لهكذا علماء عرفاء وأصحاب سرّ الإمام سوى القليل ، فتسأل الله تعالى أن يرشدنا ويهدينا إلى أولئك العارفين والعباد الحقيقيين ، وأن يوصلنا إلى مقامهم الشامخ ، فبأنهم أناس حقيقيون ، كالخضر وموسى أحياء بماء حياة معرفة الله .

وأما إذا كان معنى الصوفي والتصوف عبارة عن الادعاء الكاذب لمقام الولاية والنيابة الخاصة بهوى النفس وحب الرياسة واللعب بالخرقة والمكر والرياء وخداع الناس البسطاء (المتشوقون في نفس الوقت للمعارف الحقّة) والتشكيلات والأمور المصطنعة الوهمية ، وإلقاء الأوهام والخيال عند الناس ، الذين يصدّقون بسرعة بادعاء الكرامات الكاذبة ، حيث يقول عارف عن ذلك بحق :

صوفى نهاد دام و سر حقه باز كرد بنياد مكر با فلک حقه باز كرد^(١) فيصبحوا نتيجة لذلك يتمتعون بشكل كامل بالذات الحيوانية ، والشهوات الدنيوية ، ويجمعون حولهم فريقاً من الناس بالسحر والخداع وباسم الفقر والدروشة ، ويفتحون دكاناً من الآيات والأخبار العرفانية ، ويشرحون شعر ونثر كبار الحكماء والعلماء الربانيين ، ويسرقون كلام الرجال الإلهيين لملاً دكانهم ، وكما يقول الملا الرومي :

چند دزدی حرف مردان خدا تا فروشی و ستانی مرحبا^(٢)

والتأوه بالأهات الشيطانية ، والتنفس بالأنفاس الباردة الخالية من الحقيقة ، ورعشة الرياء والتباهي والعجب لكي يدخلوا قلوب الناس ويستفيدوا من دنياهم ، ويوحون لهم بالسحر والمكر أن ذلك من الأذكار القلبية والكلام العرفاني ، ويتكلمون عن الآخرة ومقامات الأولياء ومراتب السعادة الروحية ، وهم لا يعتقدون إلا بالسعادة المادية والذات الجسدية الدنيوية الفانية .

وهم يفكرون دائماً بإيقاع برجل غني في فخهم حتى يستفيدوا من ماله أو إمكانياته أو متعته الدنيوية ، وليس لهم أي تأثير على مرديهم من ناحية كمال النفس أو صفاء الروح ومعرفة الله والعبادة والتقوى ، بل يزيدون عندهم فقط الرعونة والعجب والرياء والكبر والتكبر ، ويخرجون الناس من الاستعداد الفطري للتوحيد والشوق الذاتي لمعرفة الله ، إلى وادي الضلالة وطريق الرياء والتكبر ، فهكذا صوفي كان موجوداً بكثرة في جميع الفترات ، وهم الآن موجودون أيضاً ، ضعف الطالب

(١) المعنى : يوضح أن الصوفي يستخدم المكر والحيلة وخداع الآخرين ، فهو أساس المكر والحيلة .

(٢) المعنى : هم مجموعة من اللصوص الذين يسرقون كلام الرجال الإلهيين وينشروه ويتكلمون به على أساس أنهم من العرفاء .

والمطلوب ، فإذا كان هذا معنى الصوفي فمئة لعنة ، حقّ على هؤلاء الذين يسيئون إلى اسم العلماء ، ويمكن أن نجد هذين المعنيين للتصوّف بوضوح من حديث حضرة الإمام عليّ عليه السلام المذكور في أصول الكافي في بيان تقسيم العلماء إلى علماء حقيقيّين متّقين ، وعبّاد مخالّفين لهوى النفس ، فهم هداة ومحبيّ الخير ويقدمون الخدمات المعنوية للنّاس ، والعلماء الآخرون ، هم العلماء الظاهريّون المدّعون ، والمراؤون ، والمجادلون ومحبّوا الرئاسة والجاه والجلال الدنيوي ، فهم الذين يضلّون ويحرفون النّاس عن طريق الحقّ ، فجعلنا الله من العلماء الربانيّين العاملين ، وأعادنا الله من شرّ شياطين الجنّ والإنس أجمعين بجاه محمّد صلى الله عليه وآله وآله الطاهرين .
ويقول حول المعاد في الصفحة ٣١٥ من المجلد الأوّل : « الأقوال في مسألة المعاد ثلاثة أقوال كليّة :

١- المعاد الجسماني فقط .

٢- المعاد الروحي فقط .

٣- كلا المعادين الجسماني والروحي .

فالقول الأوّل هو عقيدة الأديان الأخرى غير الإسلام والعوام ، إلّا ما شدّد وندر ، حيث يعتقد العوام أنّ ذلك العالم هو داء اللذات الجسمانيّة من الأكل والشرب والنكاح وسائر اللذات الجسديّة .

والقول الثاني هو قول الحكماء غير المسلمين ، وما قبل الإسلام ، حيث أنّهم يعتقدون أنّ ذلك العالم دار اللذات العقليّة ، ونشأة الكمال والسعادة والابتهاج والنشاط الروحي ، وأنّ الروح في عالم التجردّ أسمى وأفضل من التعلّق بالأجسام والاهتمام باللذات الجسمانيّة .

أمّا القول الثالث فهو قول حكماء الإسلام والعلماء الربانيّين وجميع المحقّقين من المتكلّمين والمحدّثين والفقهاء رضوان الله عليهم أجمعين . ويمكن القول إنّ

المعادين الجسماني والروحي هو عقيدة الإسلام وجميع المسلمين إلا ما شدّ وندر حيث يعتقدون بالمعاد الجسماني فقط ، وعقيدة المؤلف أيضاً هي كلا المعادين الجسماني والروحي ، وأن أدلتنا أيضاً تثبت هذه العقيدة ، يعني توجد في عالم الآخرة والجنة الأبدية اللذات الجسمانية من الطعام والشراب والنكاح والمناظر الجميلة والصور الحسنة والابتهاج والنشاط اللامتناهي ، وأي نوع من اللذة في ذلك العالم تكون أتمّ وأكمل وأشدّ وأقوى من هذا العالم ، إلا أن اللذات في هذا العالم تكون منقطعة وفانية ومصاحبة بالآلام ، في حين تكون لذات ذلك العالم دائمة وأكلها دائم ، وظلّها دائم ، بلا مزاحم ، وبلا ملل وحزن ، وأنها لذات خالصة صرفة ، ﴿ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾^(١) ، وتوجد في ذلك العالم أيضاً اللذات الروحية في جنة المعرفة بقاء الحسن الإلهي المطلق ، وشهود ذلك الجمال الأعظم اللامتناهي ، والشراب ، وسكر الحيرة في مشاهدته ، وهي لذة الملائكة والعرفاء ، وفوق كلّ لذة حسية وخيالية تحصل للنفوس القدسية ، وللنفوس درجات مختلفة في تلك الجنتين « جنة لقاء المنعم . وجنة النعمة الدائمة » حسب درجات المعرفة والأعمال الصالحة ، « درجات بعضها فوق بعض » . انتهى كلامه الشريف .

لا بدّ أن تمرّ قرون حتّى يولد طفل ويصبح مثل إلهي قمشه :

كان المرحوم الأستاذ إلهي قمشه أحد نوادر الزمان . وبوفاته وارتحاله أدخل الحزن في قلوب أهل الله .

وحنّاً لا بدّ من القول في فراق هكذا علماء : وأسفاه على هذا العالم .

ولو أنّه وبنصّ التنزيل السمائي الذي لا ريب فيه ، والحكم المحكم للفرقان المحمدي ﷺ : ﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾^(٢) ، لكن

(١) الزخرف : ٧١ .

(٢) البقرة : ١٠٦ .

ويقول العارف المعروف محدود بن آدم سنائي غزنوي (رحمة الله تعالى عليه):

هر خسی از رنگ گفتاری بدین ره کی رسد

درد باید مرد سوزد و مرد باید گامزن

قرنها باید که تا یک کودکی از لطف طبع

عالمی گویا شود یا فاضلی صاحب سخن

سالها باید که تا یک سنگ اصلی ز آفتاب

لعل گردد در بدخشان یا عقیق اندر یمن

صدق و اخلاق و درستی باید و عمر دراز

تا قرین حق شود صاحب قوانی در قرن^(١)

إلهي كان سحراً .

إلهي كان يتحدث في الليل مع النجوم .

إلهي هو مناجاة مؤلمة محرقة .

إلهي كان يبكي .

إلهي كان عالماً ربانياً .

إلهي كان من أهل الإيقان .

إلهي كان مفسراً للقرآن .

إلهي كان يحترق وينصهر .

(١) المعنى: كلٌ حقير لا يمكنه الوصول في هذا الطريق بكلامه المعسول ، بل لا بدّ على الإنسان أن يتقدّم بخطى ثابتة متحملاً الأثم والمصاعب ، ولا بدّ من الصبر قرون حتى يولد طفل له طبع عالم فاضل حكيم متكلم ، ولا بدّ من الصبر سنوات حتى يسقط حجر لعله يصبح جواهر في (بدخشان) أو عقيقاً في اليمن ، ولا بدّ على الإنسان أن يتمتّع بالأخلاق والصدق ويقضي عمراً طويلاً في ذلك حتى يصبح قريناً للحقّ ورجلاً عظيماً في هذا القرن .

إلهي كان أهل دعاء وحاجة .

إلهي كان مراقباً .

إلهي كان عارفاً .

إلهي كان عاشقاً .

إلهي كان رحيماً ، وكان حسن زاده هادي الروح .

إلهي كان مؤلفاً .

إلهي ينشد النغمة الحسينية .

إلهي كان تربية آقا بزرگ الحكيم و عارف اليزدي .

إلهي كان إلهياً .

إلهي كان يعيش غريباً في هذه النشأة لأكثر من سبعين سنة .

موت الغريب شهادة ، الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء .

سلطان ملك عشقم وجانانم آرزو است

نالان درد هجرم و درمانم آرزو است

تا دل کند نظاره آن حسن دل فريب

از ديده محو جلوه خوبانم آرزو است

من مرغ باغ عالم قدسم الهيا

زان آشيان به گلشن رضوانم آرزو است^(١)

الثلاثاء ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٩٢ هـ .

قم - حسن حسن زاده الأملي

(١) المعنى : يتمنى القرب من الحبيب والذي تسلط على روحه ، وأنه يتألم ويتأوه من الفراق ويتمنى الشفاء وعلاج ذلك الألم ، ويتمنى أن يبقى يُمتع نظره من ذلك الوجه الحسن الذي يخطف القلب ، وأن يمحي من هذا العالم لفقدانه ، وأنه طائر في حديقة عالم قدسه (إلهي) ، ويتمنى ترك هذا العشق ليلتحق بروضة أزهاره .

الفصل السابع

آية الله الحاج

الميرزا أبو الحسن الرفيعة القزويني

آية الله الحاج الميرزا أبو الحسن الرفيعة القزويني

آية الله العلامة حضرة الحاج الميرزا سيد أبو الحسن الرفيعة القزويني (رفع الله تعالى درجاته) هو نابغة في العلوم العقلية والنقلية، ومن مفاخر الإمامية، ومن أعظم الشيعة، وكان يُعدّ من أفضل أساتذة الحكمة المتعالية في الحوزات العلمية الإسلامية في هذا العصر، وكان حضرته حديث العام والخاص في حدة الذكاء، وقوة الحافظة، وحسن ولطافة التقرير، وجودة وفصاحة القول، وحلاوة وسلاسة البيان، وكان عنده تبحراً ومهارة منقطعة النظر، خاصة في تعبير وتفسير آراء وأفكار الملاء صدرا، وحلّ معضلات الأسفار.

ولد العلامة في سنة ١٣١٥هـ. ق في مدينة قزوين من بيت علم وتقوى، وبدأ بدراسة كتب المقدمات المتعارفة بين طلبة العلوم الإسلامية تحت رعاية وتربية والده في قزوين، وبعد ذلك ترك قزوين قاصداً السفر إلى طهران وقم، ودرس في محضر آيات العلم وأعلام الدين: الميرزا حسن الكرمانشاهي، والميرزا هاشم الأشكوري، والحاج فاضل الطهراني، والميرزا محمود رضوان القمي، والسيد محمد التنكابني، والشيخ محمدرضا النوري، والشيخ علي الرشتي، والميرزا إبراهيم الزنجاني، والحاج الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي (قدس الله أسرارهم)، ونال عندهم المقامات الشامخة والمعارج والدرجات العالية.

وكان حضرته يكتب باختصار، كالفارابي والشيخ المفيد، وله عدّة مؤلفات

في المعقول والمنقول ، طبع بعضها ، ومن جملتها : الرسالة المختصرة العزيزة في اتحاد العاقل والمنقول ، والتي كتبها بمناسبة (الاحتفال بمرور أربعمئة سنة على ولادة صدر المتألهين في كلكتا) ، وقد أهديت إلى أهل العلم وأرباب الكمال مع تعليقاتي عليها .

وقد لبى الفيلسوف الكبير الإلهي والفقير الإسلامي المعروف آية الله العلامة الرفيعي (قدس سره العزيز) نداء ربه في طهران ، في غرة المحرم سنة ألف وثلاثمئة وست وتسعين هجري قمري - على مهاجرها آلاف التحية والسلام - ، وخوطف بخاطب : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي * وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴾ ^(١) ، ونقل جسده الطاهر إلى مدينة قم المقدسة حيث هنالك الولاية لله الحق ، ودفن في المسجد أمام الحرم المطهر لحضرة فاطمة المعصومة بنت باب الحوائج إلى الله موسى بن جعفر عليه السلام أعلى الله تعالى مقاماته القدسيّة ، وأفاض علينا من بركات أنفاسه النفيسة .

أساتذة العلامة الرفيعي :

بعد أن أكمل الحكيم العلامة الرفيعي التزويبي ، المقدمات العلميّة وكتب السطوح الدرسيّة ، ترك مسقط رأسه قزوین عازماً إلى طهران للتشرف بالمجالس العلميّة للأساتذة الكبار في هذا العصر . وقد كان جميعهم يدرّسون في ذلك الزمان الكتب العقليّة والنقليّة في طهران . حيث كانت حوزة طهران تعدّ واحدة من أكثر الحوزات العلميّة أيضاً ، خاصّة في العلوم العقليّة والعرفانيّة ، وفي سنة ١٣٣٣ هجريّة حضر مجلس درس آية الله الحاج الشيخ عبدالنبيّ النوري (نور الله مرقده) ، وبالإضافة إلى كسبه الفيض والاستفادة من محضره . كان يحضر مجلس درس آية الله

الحاج الميرزا مسيح الطالقاني ، وآية الله السيد محمد التنكابني ، وآية الله الشيخ محمد رضا النوري ، للاستفادة وتحصيل علوم الفقه والأصول .

ولمّا كان ذوقه الفطري وجبلته الإلهية تميل نحو المعارف الحقّة الحقيقية وخبوط وجوده منسوجة بعشق العلوم العقلية - الكلام والحكمة والعرفان والرياضيات - ، كما هو مشهود أيضاً من مؤلفاته ، فتعلّم الحكمة عند الحكيم المتألّه المرحوم الميرزا حسن الكرمانشاهي ، وكان أستاذاً مشهوراً في هذا الفنّ ، إضافة إلى أنّه استفاد كثيراً من محضر درس الحكيم المرحوم الحاج فاضل الطهراني الشميراني ، والحكيم المرحوم الميرزا محمود رضوان القميّ ، والحكيم والرياضي والشاعر الملام محمد هيدحي الزنجاني (رضوان الله تعالى عليه) ، ثمّ درس علوم الرياضيات عند محضر الميرزا إبراهيم الزنجاني الساكن والمقيم في طهران ، أمّا أساتذته في علوم الهيئة والاسطرلاب والهندسة فهم - حسب نقل مؤلّف كتاب (خزائن العلماء) - بالإضافة إلى الميرزا إبراهيم الزنجاني : المرحوم الشيخ عليّ الرشتي أيضاً ، وقد تعلّم من هذين الأستاذين العلوم الرياضية أيضاً .

وفي سنة ١٣٤٠هـجري قمري تأسست الحوزة العلمية في قم ، فهاجر إلى قم وحضّر مجلس درس الفقيه الكبير المرحوم الحاج الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي ، فاستفاد كثيراً من درس فقه وأصول هذا المؤسس الكبير .

وكان من أساتذة العلامة الرفيعة الآخرين أيضاً آية الله الحاج الشيخ أبو القاسم الكبير القميّ ، وأخيراً فإنّ المرحوم الحاج الشيخ محمد رضا مسجدشاهي الإصفهاني ، والميرزا هاشم الأشكوري كانا أساتذته في العرفان .

الآثار والمؤلفات :

بالإضافة إلى ما كتبه العلامة القزويني من تعليقات علمية وحكمية على الكتب الفلسفية والكلامية والعقلية ، فقد كتب ذلك الحكيم ، وفقه أهل البيت ، والعالم

المعروف حوالي عشرين رسالة ومقالة وكتاب حول المسائل الكلامية والحكمية والعقلية والفلسفية ، حيث كان يقوم بالتحقيق والتدقيق في المعارف الإسلامية باهتمام كبير ، ويوضح ويثبت العقائد الحقة وقواعد التشيع المحكمة ومعارف أهل بيت العصمة عليهم السلام وفق طريقة خاصة على أساس العلوم العقلية والنقلية .

وقد طبعت هذه الرسائل في مجلد واحد ، وهي :

- ١- شرح دعاء السحر .
- ٢- رسالة المعراج .
- ٣- رسالة الأسفار الأربعة .
- ٤- رسالة في بيان القوة المولدة .
- ٥- الرجعة .
- ٦- التخلية والتجلية والتحلية .
- ٧- الحركة الجوهرية .
- ٨- اتحاد العاقل والمعقول (بالفارسي) .
- ٩- اتحاد العاقل والمعقول (بالعربية) .
- ١٠- رسالة في وحدة الوجود .
- ١١- رسالة في حقيقة العقل .
- ١٢- رسالة في ليلة القدر .
- ١٣- كلام في المعاد .
- ١٤- مقالة في الوجود .
- ١٥- تفسير آيتين من سورة يونس .
- ١٦- مقالة في تشريح الأجزاء الحملية والأجزاء الحدّية .
- ١٧- رسالة في الحدوث الدهري .

- ١٨ - تعلية على القضايا الضرورية الأزلية .
 - ١٩ - مقالة في الإرادة والمشية .
 - ٢٠ - مقالة في مسح الرأس والوضوء .
 - ٢١ - مقالة في ترجمة حياة المألا صدرا .
 - ٢٢ - وأيضاً بحث المعاد (مجموعة بحوث ليالي الجمعة في مسجد طهران الكبير)، الذي طبع مستقلاً .
- أما تعليقات ذلك الحكيم الكبير على الكتب العقلية والفلسفية والكلامية ، فهي :
- ١ - حواشي على شرح منظومة الحكيم المألا هادي السيزواري .
 - ٢ - حواشي على أسرار الحكم للسيزواري .
 - ٣ - حواشي على شرح الأسماء الحسنی أو الجوشن الكبير للسيزواري .
 - ٤ - حواشي على كتاب الأسفار الأربعة للمرحوم صدر المتألهين الشيرازي .
 - ٥ - حواشي على كتاب مشاعر ذلك الحكيم .
 - ٦ - حواشي على كتاب العرشية للمألا صدرا .
 - ٧ - حواشي على تعليقات المألا صدرا على كتاب الشفاء لأبي علي ابن سينا .
 - ٨ - حواشي على شرح أصول الكافي للمألا صدرا .
 - ٩ - حواشي على كتاب مفاتيح الغيب لذلك الحكيم .
 - ١٠ - حواشي على كتاب الشفاء لأبي علي ابن سينا .
 - ١١ - حواشي على كتاب شرح الإشارات والتنبيهات .
 - ١٢ - حواشي على كتاب شوارق الإلهام للمألا عبد الرزاق اللاهيجي .
 - ١٣ - حواشي على كتاب جوهر المراد للمألا عبد الرزاق (بالفارسية) .
 - ١٤ - حواشي على كتاب القبسات للمير داماد .
 - ١٥ - حواشي على كتاب شرح حكمة الإشراق لقطب الدين الشيرازي .

- ١٦- حواشي على مقدّمة كتاب شرح فصوص الحكم للقيصري .
- ١٧- حواشي على كتاب الشواهد الربوبية للملا صدرا .
- ١٨- حواشي على كتاب أسرار الآيات للملا صدرا .
- ١٩- حواشي على شرح المطالع في المنطق .
- ٢٠- حواشي على شرح تجريد القوشجي في الكلام .
- ٢١- حواشي على مصباح الأنس لابن فناري وللعلامة والفقير الجامع للشرائط ،
والمجتهد البارع القزويني .

بالإضافة إلى الآثار والحواشي والرسائل الحكمية والكلامية والفلسفية ، آثار في مجالات الفقه الاستدلالي ، وقد ذكرها شخصياً في أحد خطبه ، وهي عبارة عن :

- ١- كتاب الصلاة من الأول إلى الآخر
- ٢- كتاب الخمس الاستدلالي من الأول إلى الآخر
- ٣- كتاب الحج من الأول إلى الآخر بشكل مفصل .
- ٤- كتاب الإرث .
- ٥- كتاب النكاح .
- ٦- كتاب الطلاق .
- ٧- في قاعدة لا ضرر .
- ٨- كتاب المكاسب والبيع والتجارة ، ولم يطبع أو يُنشر أيّ منهما .
- ٩- كتاب حول عقائد الإمامية في الردّ على كتاب سني كويتي باسم (الجبائي) ،
والذي كُتب في الردّ على الشيعة ، وهو مطبوع .
- ١٠- توضيح المسائل ، أو حواشي على الرسالة العملية لآية الله العظمى المرحوم
البروجردي .
- ١١- كتاب هداية الأنام في الرسالة العملية ، وقد طبع كلا الكتابين الأخيرين .

١٢- حواشي على كتاب العروة الوثقى للمرحوم السيد كاظم اليزدي من الأول إلى كتاب الخمس .

١٣- رسالة مناسك الحجّ ، طبع مكتبة الإسلام ، وهي حواشي على فتاوي الشيخ الأنصاري (رضوان الله عليه) ، وكتب في مقدّمها: « العمل بهذه الرسالة الشريفة مناسك الحجّ ، مع ملاحظة الفتاوى والحواشي جائزة ومجزية » .

١٤- تقريرات درس أصول العقائد .

١٥- أسرار الحجّ (تقريرات درس ذلك الفقيه السعيد في ليالي الجمعة) .

١٦- حواشي على مجلدي كفاية الأصول للعلامة الآخوند الخراساني .

١٧- تعليقات على رسائل الشيخ الأنصاري .

١٨- حاشية على وسيلة النجاة للمرحوم السيد أبو الحسن الإصفهاني ... وغيره .

وقد كتب ذلك العلامة أيضاً حواشي وتعليقات على الكثير من الكتب والرسائل في الرياضيات والهيئة ، من جملتها: تعليقات على تضاريس الأرض للشيخ البهائي ، وأيضاً تعليقات على المعطيات لأقليدس . وحواشي مختصرة ومفيدة على مقالات كتاب الأكر ، وحواشي على السطوح الدائرية والأقطاب والدوائر المتداخلة والمتساوية والمتقاطعة والمماس في الكرة والمثلثات المندرجة فيها ، وأيضاً حواشي على كتاب المناظر لأقليدس في كيفية الإبصار ، وحواشي على الكثير من مباحث كتب المساكن لثاوذوسوس ، وأيضاً حواشي على شرح الجغميني^(١) .

خطاب في مؤتمر تجليل العلامة الرفيعة القزويني :

ننقل النص الكامل لخطاب الفقير لله حسن حسن زاده الأملي في مؤتمر تجليل

(١) مأخوذ من مقدّمة كتاب مجموعة رسائل ومقالات فلسفية للعلامة آية الله الرفيعة القزويني .

العلامة الرفيعي القزويني في يوم المعلم سنة ١٤١٤هـ جريّة في قزوين :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد والثناء لعين الوجود ، والصلاة والسلام على واقف الشهود ، وسيدنا أبي القاسم محمّد وآله أمناء المعبود .

لي الافتخار الشديد أن أتشرّف في ذكرى يوم المعلم ، بالوقوف أمام المحضر المبارك لرجال الدين الأعلام ، وأساتذة الجامعة المحترمين ، والمثقفين الأعزّاء ، والناس الموحّدين الواعين في هذه المنطقة ، منطقة العلم والكمال والتقوى والأدب ، والبلد الطيّب قزوين .

وقد مُنِعَ وحرم هذا الداعي من الكلام والسفر بسبب التعب المزاجي المتنوّع خاصّة في القلب والعين ، حتّى أنّني توقّفت في هذه السنة عن الدرس والبحث بعد ثلاثين سنة من الدرس والبحث في حوزة قم المقدّسة ، وهذه هي الممرّة الأولى التي أخرج فيها من قم بعد حوالي ستّ سنوات ، لأنّال افتخار خدمة هذا التجمّع الثقافي العظيم المحترم ، وفي الواقع أصبحت مجذوب الحقّ والحقيقي ، فأتيتكم بكلّ فخر وابتهاج وسرور من كلّ قلبي لأكون بين جمعكم الشريف . وعندما أتصل بي تلفونياً حضرة السيّد شهاب زاده (حفظه الله تعالى) وأخبرني أنّه سوف يُعقد مؤتمر في قزوين لتجليل وتكريم ذكرى أستاذه العزيز حضرة آية الله العظمى العلامة الرفيعي القزويني (روحي فداء) ، ولأجل اسم قزوين والذكريات القديمة للمحضر الشريف للأستاذ القزويني لم يبق لنا مجالاً للتبرير والامتناع عن الحضور .

لقد كانت مدينة قزوين المقدّسة منذ القدم ذات أهميّة كبيرة جداً بسبب السوابق التاريخية ، ومحلّ دفن أربعة من أنبياء الله ﷺ ، وقد نهض منها علماء كبار مشهورون في العلوم والفنون المختلفة ، فقد كان لقزوين حوزة علميّة كبيرة قبل تأسيس حوزة قم ، ولها الآن أيضاً - والله الشكر - حوزة علميّة وجامعة دوليّة معروفة ومشهورة على مستوى البلاد .

معرفتي بالعلامة الرفيعة القزويني:

إنّ لقزوين حقّ عظيم على هذا الطالب ، وأنقل لكم حادثة ما زالت عالقة في ذهني منذ حوالي سبع وثلاثين سنة . فقد كنت في أيام الخميس والجمعة ومطلق العطل الدراسية المتعارفة ، أدرس الرياضيات في المحاضر المبارك لأستاذي الكبير حضرة العلامة الشعراني (رضوان الله تعالى عليه) ، فتشرّفت بالحضور في صباح يوم الخميس في بيته المعمور ، قادماً من مدرسة مروفي في طهران ، وبعد أن سلّمت عليه بتحية الصباح ، قال لي : « لقد حضر الميرزا أبو الحسن القزويني إلى طهران ، وسمعت أنّه بدأ مجلس درسه وبحثه ، فحاول أن تنظّموا دروسكم معي ومع بقية الأساتذة بحيث تستطيع إدراك مجلس درسه » .

فانظروا أيها الأساتذة الأعزاء المثقفون المحترمون إلى رجال الدين الواقعيين ، ماذا يطلب هذا الأستاذ الكبير حضرة العلامة الشعراني من تلميذه ، وبأيّ إجلال وتواضع ، وكيف يُمجّد ويمدح عالماً آخر معاصراً له كالعلامة الرفيعة ، ويوصي تلميذه بإدراك مجلس درسه .

وهذا الداعي لم يكن عنده أي اطلاع أو معرفة سابقة عن آية الله الرفيعة القزويني ، وما استفدته من بركات مجلس درسه الشريف إنّما كان بإرشاد وتوصية حضرة الأستاذ العلامة الشعراني . نعم « متحدي الأرواح أسود الله » .

وآية الله الرفيعة ليس موجوداً بيننا الآن ، فقد رحل إلى روضة الرضوان الإلهية ، وأقول في محضره :

گردست نمی دهد وصالش دست من و دامن مثالش

لذا فإني لا أداهن ولا أجامل في وصف ومدح ذلك العالم الكبير ، بل أنّ تعريف وتمجيد المقام العلمي والمنزلة الروحية لحضرة من مثلي فهو كما قال الملائ الرومي في المثنوي :

مادح خورشيد مدّاح خود است كه دو چشم روشن و نامرمد است
 نعم ، فالشخص الذي يمدح الشمس إنما يمدح نفسه بأن عينيه سالمين وليس
 فيها رمد أو عيب ، بل مبصرة وترى الشمس ، وإلا فإن الشمس واضحة لا تحتاج إلى
 مدح وتعريف .

والغرض من ذلك أنني اشتركت في درسين عند العلامة أحدهما كان في
 المعقول ، وهو كتاب الأسفار ، والآخر درس خارج الفقه ، وما أن بدأ بالدرس حتى
 كأّن بحراً متلطماً قد تكلم ، وقد استفدنا من بياناته وإشارات أثناء تقرير درسه ،
 الكثير من الرموز والمفاتيح العلميّة المهمّة التي هي أمّهات وأصول المعارف
 الإنسانيّة والقرآنيّة الأصيلّة ، وكذلك استفدنا من دقّة ومُعد نظره وبصيرته في
 المسائل الفقهية .

وبقيت أفكّر وأتساءل : لماذا بقي هذا الرجل العظيم في قزوين قبل هذا ،
 فالحوت لا يعيش إلا في البحر ، فلا بدّ أن يكون هناك تلامذة وطلاب فضلاء ،
 وآته قام بتربية أفراد عظام قد استفادوا من محضر هذه الشخصية العالميّة .

وبعد انتهاء جلسة درس ذلك اليوم رجعت إلى مدرسة مروى وكتبت الدروس
 ودوّنتها ، وعندما ذهبت في اليوم التالي إلى درس الأستاذ العلامة الشعراني سألتني :
 « هل اشتركت في درس الأستاذ القزويني ؟ » ، فقلت : لقد جلست بجوار بحر آخر ،
 فقال : « اغتنم فرصة درسه » .

ولم يمضي اسبوع على درسه ، فأشار لي بعد الدرس : « ابقوا أنتم » ، فذهب
 الطلبة الآخرون ، ونهضت من مكاني وجئت بقربه . فانحنيت وقبّلت رجله ،
 وقلت : أتأمرون بشيء سيّدي ؟ قال : « أردت السؤال عن أحوالكم فيكون عندي
 اطلاع بدروسكم وأساتذتكم » ، فقلت : إنني فعلاً أحضر في مجالس درس الأعزاء :
 الميرزا أبو الحسن الشعراني ، والشيخ محمد تقّي الآملي ، والميرزا أحمد الآشتياني ،
 والشيخ محمد حسن فاضل التوني ، والميرزا مهدي إلهي قمشه ، فاستفيد منهم في

المعقول والمنقول والتفسير والهيئة والرياضيات والطب .

ثمّ كان يستفسر باستمرار عن كلّ واحد منهم وعن دروسهم إلى أن وصل الكلام إلى أنّي أدرس الآن طبّ شرح الأسباب والهيئة الاستدلالية بالترتيب الكلاسيكي ، ومجسّطي بطليموس بتحرير الخواجه الطوسي ، عند الأستاذ الشعرائي ، فأعجب كثيراً بالعلامة الشعرائي ، وقال : « بارك الله ، أن يكون بهذا المستوى ؟ ! » ، ويعد ذلك سألتني عن دروسي الأخرى فأجبت ، ثمّ قال : « أردت أن أعرف أخباركم فقط » ، فاستأذنت منه ونهضت .

نموذج عن سلوك العلامة الرفيعة مع تلامذته :

وجاء الاسبوع الثاني ، ومضى يوم أو يومان ، فأشار لي مرّة أخرى أن أبقى ، فجلست وذهب التلامذة الآخرون ، فقال : « لقد قلتكم أنكم درستم شرح القيصري على فصوص الحكم عند الأستاذ فاضل التونسي » ، قلت : نعم ، فقال : « هل درستم مصباح الأنس ؟ » ، قلت : لا ، قال : « هل عندكم استعداد أن ندرس مصباح الأنس معاً ، بشرط أن نتناقش فيه أنا وأنت لوحدهنا ؟ » ، فقبّلت ركبتيه وجرت دموع الشوق في عيني ، وقلت :

من که باشم که بر آن خاطر عاطر گذرم

لطفها می کنی ای خاک درت تاج سرم^(١)

وقد كان حضرته قد تتلمذ في مصباح الأنس عند الميرزا هاشم الأشكوري كاتب الحواشي على مصباح الأنس ، وتتلّمذ كذلك عند محضر أساتذة مشهورين ، كالشيخ عبدالنبيّ النوري ، والميرزا حسن الكرمانشاهي ، والسيد محمد كاظم اليزدي ،

(١) المعنى : من أكون حتى أجلس مقابلكم للمناقشة ، بل أنكم تطلقون عليّ بذلكم ، فإنّ تراب بابكم هو تاج رأسي .

٢٦٢ مذكرات فريدة عن بعض العلماء الريائيين

وعلماء كبار آخرين ، وكان عالماً حقاً ، جامعاً للعلوم العقلية والنقلية ، ودرس أيضاً الرياضيات والهيئة ، وقد تشرفت في محضره الشريف لمدة خمس سنوات واقتطفت من ثمار شجرة معارفه اليافعة .

واليوم ، هو يوم المعلم ؛ فانظروا أنتم أيها الأساتذة والمعلمين المحترمين ، أيها الإخوة والأخوات أصحاب الفضل والكمال ، إلى الأستاذ آية الله الرفيعي (رفع الله درجاته) ، وما عنده حول التعليم والتعلم ومقام المعلم ، وإلى سلوكه مع طالب من أمل جاء إلى طهران لكسب وتحصيل العلم ، وليس له أي قرابة أو معرفة سابقة معه ، فماذا رأى هؤلاء العلماء وماذا تذوقوا؟!!

إن المرقد الطاهر للعلامة -رحمة الله على ترابه الطاهرة- في قم ، ومع إتي أذهب دائماً لزيارته وأجلس بالقرب من مرقده ، وأقبل تربته ، وأقرأ عنده القرآن لتهدئة قلبي ، لكن الشيء الذي يبعث الهدوء في نفسي حقاً هو قول إمام الملك والملكوت حضرة صادق آل محمد (صلوات الله عليهم) الذي ذكره ثقة الإسلام في أصول الكافي ، الحديث السادس من الباب الرابع في كتاب فضل العلم ، والذي رواه بسنده عن حفص ، عن غياث :

قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : « مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ ، وَعَمِلَ بِهِ ، وَعَلَّمَ لِلَّهِ دُعِيَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ عَظِيماً ، فَقِيلَ : تَعَلَّمَ لِلَّهِ ، وَعَمِلَ لِلَّهِ ، وَعَلَّمَ لِلَّهِ ^(١) .

فإذن هنيئاً لعلماء الدين المحترمين ، وأساتذة الجامعة ، والمعلمين ، ومربي المجتمع ، وطالاب الجامعات ، والتلاميذ والمثقفين المحترمين الذين يدعون في ملكوت العالم بالعظماء والمحترمون والكبار ، وهنيئاً لأولئك الذين يندرون لسانهم وقلمهم وسلوكهم لتعليم المجتمع وبناء المدينة الإنسانية الفاضلة ، ويتأسون بسيرة

(١) إرشاد الأذهان / العلامة الحلي ١ : ١٧ ، طبع مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين - قم ، الكافي / الشيخ الكليني ١ : ٣٥ ، طبع دار الكتب الإسلامية - طهران .

وسنة الأنبياء الإلهيين .

نعم ، فقد بُعثَ الأنبياء لتربية الإنسان وبناء المدينة الفاضلة ، فالآخرون يتمكنون من صناعة العربة والدراجة الهوائية والسيارة والطائرة وغيرها من الوسائل المادية ، لكن حرفة تربية الإنسان لا يقدر عليها أي شخص عادي ، وإنما النفوس القدسية المؤيدة بروح القدس ، والأفراد الذين ساروا في مسيرهم وتعلموا منهم ، هم القادرون على تربية الإنسان ؛ لذا فإنّ هذه النشأة هي شهادة مطلقة بأنها ظلّ وآية ملكوته ، فمقام المعلم ومرتبّي الناس يكون رفيعاً وشامخاً بحيث يُدعى عظيم في ملكوت السماوات .

وقد أتيت مرّة إلى قزوين في حياة الأستاذ الأعظم آية الله الرفيعة (قدّس سرّه القدوسي) ، فحينما حلّ الصيف وتوقفت الدروس وعاد حضرته إلى قزوين ، أتيت بعد عدّة أيام بمعيّة صديقي الفاضل المرحوم جراغي من طهران إلى قزوين بقصد زيارته ، وتشرفنا بالحضور في بيته المعمور ، وبعد مضي بعض الوقت استأذنا منه بالذهاب ، فقال : « لا بدّ أن تتناولوا الغداء هنا » .

فقلت : أستاذي الجليل ، إنّ أيدينا لا تصل إلى الغذاء بحضوركم ، فقد أتينا لتقبيل أيديكم وزيارتكم فاسمحوا لنا بالذهاب ، فلم يقبل ذلك ؛ وقد أتيت الآن للمرّة الثانية ، وبعد حوالي ستّ وثلاثين سنة إلى مدينة العلم والتقوى وأرض الأنبياء بسبب قوّة جاذبيّة وروحانيّة ذلك الأستاذ العظيم (رضوان الله عليه) .

وعندي عدّة رسائل منه احتفظ بها جميعاً كذكرى عزيزة ، ومن اللائق أن أتمسك بقول الحكيم أنوري :

هست در دیده من خوبتر از روی سفید

روی حرفی که نوک قلمت گشت سیاه

عزم من بنده چنانست كه تا آخر عمر

دارد از بهر شرف خط شريف تو نگاه^(١)

فالإنسان عندما يرى مكارم أخلاق علماء الأمة الكبار وسيرتهم الحسنة ، يقول :
إلهي ، إذن ما هو قدر ومرتبة ومنزلة ذلك النبي العظيم الذي تخاطبه بخطاب
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٢) !؟

وحضرة آية الله الرفيعي هو الشخص الذي جلس أمامه قبلنا حضرة المرحوم
الإمام الخميني (قدس سره القدوسي) ، وتعلم واستفاد الكثير من المعارف في
محضره الشريف ؛ وقد جرى يوماً الحديث عن حضرة الإمام في درس مصباح
الأنس ، فقال : « كان السيد الخميني ذكياً جداً » .

لقد كان حضرة آية الله الرفيعي نابغة وجامعاً للمعقول والمنقول والحقيقة ،
إن وصف وتعريف العلامة هو كما قال العارف الرومي :

در نيابد حال پخته هيچ خام پس سخن کوتاه بايد والسلام^(٣)

أخلاق التلميذ تتأثر بأخلاق الأستاذ:

إن كل أثر هو علامة لمحتوى مؤثره ، وبتعبير منطق الوحي القرآن الكريم :
﴿ كُلُّ يَعْْمَلُ عَلَيَّ شَاكِلَتِهِ ﴾^(٤) ، يعني أن فعل وعمل ، وقول وسلوك ، وقلم ودرس ،
وبحث وسيرة كل شخص تكون علامة ودليلاً عليه ، فالتلميذ مثال أستاذه ،

(١) المعنى : أن الكلام المكتوب بخط قلمك مع أنه بلون أسود إلا أنه عندي أفضل من الوجه
الأبيض ، وقد عزمتم أمري أن أبقى إلى آخر العمر أنظر إلى ما هو مكتوب بخطك الشريف .

(٢) القلم : ٤ .

(٣) المعنى : لا يمكن لأي شخص خام أن يعرف عالماً أو شخص قد سار في طريق العلم
والمعرفة ، لذا يجب عليه أن يختصر أو يكف عن الكلام .

(٤) الإسراء : ٨٤ .

وأن أعمال وسلوك وكلام التلميذ بيان لحالات وأخلاق وآداب أستاذه ، لأنّ التلميذ يتأثر بأستاذه ، ويقول الخواجه عبدالله الأنصاري : «إلهي ، لا تظهر الدخان من النار ، والغبار من الريح ، كالظاهر من الباطن ، والتلميذ من الأستاذ» .

وقد تمّ التعبير في القرآن الكريم على أثر كل شخص بشاكلته أو آية عليه ، فالكلمات الوجودية لنظام الوجود ووحدة صنعها هي آيات إلهية بشكل مطلق ، وهناك حوالي ثلاثمائة وثمانون آية قرآنية تحتوي على كلمات آية أو آيتين أو آيات ، فدققوا فيها جيداً ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (١) .

فالمعلم مظهرٌ للاسم الشريف المحيي ؛ لأنه يحيي النفوس المستعدة بماء حياة العلم ، وقد تمّ تفسير العلم على لسان مفسري أسرار القرآن بماء الحياة ، غير أنّ الماء هو أصل حياة الأشباح ، والعلم أساس حياة الأرواح ، ويمكنكم الرجوع إلى النكتة رقم ٢١١ من كتابنا ألف وواحد نكتة . حيث أنها تحتوي على نقاط جميلة ولطيفة في بيان مقام المعلم .

ومن المناسب الإشارة إلى تسامي النفس الناطقة بنور العلم ، حتى يُعلم أنّ العلم والعمل جوهر ويصنعان الإنسان ، لذا لا بدّ من البحث والسير وراء العلم والمعلم والتعليم ، وأنّ النفس الناطقة ، سواء الرجل أو المرأة ، لا تتوقّف عند حدّ معين .

ويروي السيّد ابن طاووس في (فلاح السائل) في تعقيبات صلاة الظهر دعاءً عن حضرة سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وحججه تقريباً يعادل صفحة كاملة وبدايته : «سُبْحَانَ ذِي الْعَرْشِ الشَّامِخِ الْمُتَيْفِ ...» إلى أن تقول : «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُجْعَلْنِي جاحِدَةً لِّشَيْءٍ مِنْ كِتَابِهِ ، وَلَا مُتَحَيِّرَةً فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ ...» (٢) .

نعم ، فالإنسان يريد أستاذاً ، ويحتاج إلى معلم ومرّبي ، لأنّ الكتاب فقط لا يحلّ

(١) محمّد ﷺ : ٢٤ .

(٢) فلاح السائل / السيّد ابن طاووس : ١٧٣ ، طبعة قديمة .

المشكلة ، كما في القول البليغ للعارف الرومي :

هرکه گیرد پیشه ای بی اوستا ریشخندی شد به شهر و روستا
هیچکس بی اوستا چیزی نشد هیچ آهن خنجر تیزی نشد^(١)

فالحديد لا بد أن يوضع في فرن النار ويعمل عليه الأستاذ والمطرقة والسندان حتى يصبح سيفاً حاداً .

وليعلم الناس في مجتمعنا ، سواء قبلوا ذلك أو لم يقبلوه - وفي النهاية سيقبلوه - أن كل ما كتب بقلم الحكماء الإلهيين قرناً بعد آخر في صحف نورية ، وكتب قيمة هي تفسير ذاتي للآيات والروايات ، وقد قال العلماء العظام : كل ما جاء به الشرع المقدس إنما هو أسرار ورموز ، ولا يمكن لأي شخص عادي أن يستخرج كنوزها .

فقد وضح السفراء الإلهيون هذه الحقائق الإلهية بشكل بحيث لا يقوم أي شخص من مائدة طعامهم بدون لقمة أو طعام ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾^(٢) ، فالتاس استفادوا من القرآن ، وكذلك العلماء ، لكن الناس استفادوا من ظاهر الأمثال ، أما العلماء فقد استفادوا بالتفكير العقلي من لب وباطن الأمثال ، ومن القول البليغ لها . يقول الملا الرومي :

ای برادر قصه چون پیمانہ است معنی اندروی بسان دانه است
دانه معنی بگيرد مرد عقل ننگرد پیمانہ را گرگشت نقل^(٣)

ويقول الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا في آخر النمط التاسع من الإشارات

(١) تم شرحه سابقاً .

(٢) العنكبوت : ٤٣ .

(٣) المعنى : أن القصة كالوعاء معناها في داخلها ، وعلى ما تحويه من الخب ، فالمعنى فيما هو داخل الوعاء ، أي في الخب فلا تهتم بما يُنقل عن الوعاء .

في مقامات العارفين: «جَلَّ جناب الحق عن أن يكون شريعة لكلّ وارد، أو يطلع عليه إلا واحد بعد واحد...».

وكما قال العارف سنائي في الحديقة:

بار تسو حيد هر كس نكشد طعم توحيد هر خسي نچشد^(١)

إله غير متناهي، قرآن غير متناهي:

روى حضرة الشيخ الصدوق في من لا يحضره الفقيه عن حضرة الوصي الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، أنه قال لابنه محمد بن الحنفية: «اعلم أن درجات الجنة على عدد آيات القرآن، فإذا كان يوم القيامة يقال لِقَارِي الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْزُقْ»^(٢)، فكما أن الله سبحانه غير متناهي، فإن كتابه أيضاً غير متناهي، وكذلك كلماته الوجودية غير متناهية حيث: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(٣)، وكما يتضح أكثر في الآية الكريمة: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَيَّ شَاكِلَتِهِ﴾^(٤).

فالقرآن هو المائة الممتلئة ببركة الرحمة الرحيمية الإلهية، وهذه المائة واسعة للنفوس المستعدة، ولا يوجد حاجب أو حارس عليها، وكما يقول كمال الإصفهاني:

بر ضيافتخانه فيض نوالت منع نيست

در گشاده است وصلای در داده خوان اندخته^(٥)

(١) المعنى: لا يستطيع أي شخص أن يتحمل ثقل التوحيد، ولا يستطيع أي حقيّر أن يتذوق طعمه.

(٢) الوافي ٤: ٦٥، ط. رحلي.

(٣) المدثر: ٣١.

(٤) الإسراء: ٨٤.

(٥) المعنى: لا يوجد مانع أو حاجب على باب مضيف فيضك والوصول إلى معارفك، فالباب مفتوح واسع لكلّ ضيف.

وقال حضرة الرسول الأكرم ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدِبَةُ اللَّهِ، فَتَعَلَّمُوا مَأْدِبَتَهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِنَّ أَصْغَرَ الْبُيُوتِ لَبَيْتٌ أَصْغَرَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ»^(١).

فقد قلنا إن مائدة نعم الله اللامتناهية - القرآن الكريم - فرشت للإنسان، وأن النفس الإنسانية الناطقة، سواء الرجل أو المرأة، لها قابلية الوصول إلى الحقائق القرآنية، فبسم الله، منك الحركة ومن الله البركة، ولا فرق بين رجل وامرأة، كما جاء في القول البليغ الفصيح لعمان الساماني:

صاحب آنخواه مرد و خواه زن	همتی بساید قدم در راه زن
خانه پرداز جهان چه زن چه مرد	غیرتی باید به مقصد ره نورد
بر سر دهر و چه معجزه چه کلاه ^(٢)	شرط راه آمد نمودن قطع راه

وأنقل هنا في هذا المقام نقطتين مهمتين، واحدة عن أستاذي العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان، والأخرى عن المعلم الثاني أبو النصر الفارابي (رضوان الله عليهما).

فهم حقائق القرآن ودرك مقامات الإنسان الكامل:

قال الأستاذ الطباطبائي: «لو لم تكن لدينا القابلية لفهم حقائق القرآن وإدراك مقامات الناس الكاملين، لما حُوطبنا أن تعالوا».

وفي الأدب العربي الفصيح، إذا كان شخص في سفح الجبل - مثلاً - وأراد أن يأمر

(١) المصنّف / الحافظ الكبير أبي بكر عبدالرزاق بن همام الصناني ٣: ٣٦٨، طبع منشورات المجلس العلمي، مجمع البيان في تفسير القرآن / الشيخ أبي علي الفضل الطبرسي ١: ٤٤، طبع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، باختلاف يسير.

(٢) المعنى: لا بد من وجود الهمة، سواء عند الرجل أو المرأة؛ للسير في الطريق، ولا بد من وجود الغيرة لكي يصل المسافر إلى مقصده، سواء كان رجلاً أو امرأة؛ لأن شرط المسير هو السير المستقيم وإبعاد كل ما يقطع طريقه ويحاول خرقه عن الطريق.

شخصاً آخر أن يصعد إلى قمة الجبل . يقول له : « اطلع » .

فالقرآن يقول : « تعال » ، وهو مشتق من « العلو » ، ولها صيغ مختلفة حسب التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع .

والحق سبحانه ، قال لنا بلسان سفيره العظيم خاتم الأنبياء وآله : « تعالوا ، فلو لم تكن لدينا القابلية واللباقة ؛ لأن نقول لبيك لندائهم ، لحاشا له أن يدعونا لذلك جزافاً ، وحاشا لقم العصمة أن يتكلم لغرض السخرية » .

لكن هذا الموضوع ليس بمعنى أصبح الشخص - مثلاً - مولعاً بنيل مقام الخاتمية ؛ لأن مقام الخاتمية من الأسماء الخاصة بحضرته ، ويجب أن نقول لهؤلاء الناس : « لا تتعب نفسك » ، ولا تتأثر بهذا الولوج . وكن عاقلاً ، ويسر على الطريق كما سار الصالحون قبلك .

فطلب مقام الخاتمية هو تجاوز في الدعاء والطلب . والله سبحانه وتعالى قد قال : ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ^(١) .

والموضوع المهم في هذا الأمر هو الانتباه للنسبة التشريعية والنسبة الإنبائية ، حيث حُتمت الأولى بحضرة رسول الله . وبقية الثانية وفقاً عاماً ، وقد وضحنا ذلك بشكل مفصل في كتاب (الإنسان الكامل من وجهة نظر نهج البلاغة) .

النفس الإنسانية الناطقة لا تقف عند حد :

أما النقطة الثانية ، وهي عن المعلم الثاني الفارابي ، وقد ذكرها في رسالة إطلاقات العقل ، ومفاد كلامه : « أيها الإنسان . لا توجد أي كلمة من الكلمات الوجودية لنظام الوجود ممتنعة ولا يمكنكم الوصول لها أو معرفتها ، فهي مطبوعة لكم تُقلَّبها على أي وجه وتغيروها إلى أي جهة تشاؤون . وتدققوا فيها حتى تصلوا إلى أعماقها ،

وتكتشفوا مكوّناتها وخبوطها الأصليّة .

فهذا التمكين والتسليم من ناحية الموجودات ومن حضرتكم (الإنسان) أيضاً ، لا يتوقّف عند حدّ معيّن - يعني أنّ النفس الإنسانيّة الناطقة ، سواء الرجل أو المرأة ، كلّما أصبحت أكثر علماً تصبح شهيتها أكثر وطلبها للعلوم والمعارف أعلى وأكثر ، فالعلوم والمعارف هي غذاء النفس الناطقة ، لأنّ الغذاء والمتغذّي من سنخ واحد ، وكلّما تعطي هذه النفس الناطقة غذاءً أكثر ، فإنّها بدلاً من أن تشبع وتكتفي تصبح جائعة وعطشى أكثر .»

ومفاد ما نستنتجه من كلام الفارابي هو : لا تنسى ماذا كنت ، وماذا أصبحت الآن ، فقد كنت نطفة في حدّ الاستعداد والقوّة ، فأصبحت منها إنساناً ، ثمّ أصبحت إنساناً بالفعل في هذا الحدّ ، والآن وقد ظهر لك الجناح والريش فلماذا لا تُحلّق نحو عزّتك وسعادتك؟!

بال بگشا و صفير از شجر طویى زن

حيف باشد چو تو مرغى كه اسير قفسى^(١)

فإذا وصل الإنسان إلى مرحلة ما وقال هذا يكفيني ، لأنه لا يوجد شخص تعلّم كلّ شيء حتّى أتعلّم أنا ذلك أيضاً ، أو مثل هذا الكلام ؛ فلا شك أنّ هذا الشخص قد أصيب بمرض نفسي ، ولا بدّ أن يفكّر بعلاج لنفسه ويعرض نفسه على طبيب نفسي .

ويذكر الفارابي مرّة أخرى في فصوص الحكم كلاماً بهذا المضمون : « كما أنّ الجهاز الهضمي للإنسان يصاب بمرض بوليموس ، ويفقد الإحساس بالجوع وتحلّل الأعضاء والجوارح أيضاً ، وأنه يجب على الشخص المصاب بهذا المرض أن يعرض

(١) المعنى : انشر جناحك وحلّق في الأعلى ، وأطلق صفيرك فوق أشجار طويى ؛ لأنه من المؤسف أن تكون طائر وتبقى أسير القفص .

نفسه على طبيب للعلاج حتى يشفى من المرض ، وعندئذ يحتاج الجهاز الهضمي إلى الغذاء وتتغذى الأعضاء والجوارح ؛ فهكذا أمراض نفسية تجلب للإنسان التنفّر من الحياة بحيث يقول : قد تعلّمت بما فيه الكفاية ؛ ولا بدّ لهذا المريض أن يعرض نفسه على طبيب روعي لعلاجه حتى لا يصبح متنقراً من العلم .

ويذكر في الاستبصار أيضاً لتوضيح الموضوع أكثر: « أن الحقيقة التي ذكرها الفارابي بأن النفس الناطقة لا تقف عند حدّ ، قد قالها قبله بعدة قرون إمام الموحّدين حضرة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : « كُلُّ وَعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وَعَاءُ الْعِلْمِ ، فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ بِهِ » (١) .

ووعاء العلم هو النفس الناطقة . فهذه النفس الناطقة روح إنسانية تصبح سعتها أكثر بماء الحياة العلم ، فتحتاج إلى العلوم والمعارف بشكل أفضل وأسمى ، وكلّما وصل القابل في قابليته إلى درجات الكمال يفيض عليه الفيض الفيّاض على الإطلاق لعدم وجود ممانعة أو حاجز أو تأخير من جانبه ، وكلّما كانت سعة القابل أكبر وشهيته أكثر ستفيض عليه الحقائق والمعارف بشكل أسمى وأكثر « وَلَا تَزِيدُهُ كَثْرَةُ الْعَطَاءِ إِلَّا جُوداً وَكَرَمًا » (٢) ، وهكذا « أَقْرَأُ وَأَزُقُّ » (٣) .

ويقول حضرة الوصي أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : « مغبون من ساوى يوماء » (٤) ، فالمغبون مشتقّ من غَبِنَ - بفتح الغين والباء - وهي بمعنى الضرر المعنوي ، أي الضرر في العقل والعلم والفكر والرأي ، وليس من غَبِنَ - بفتح الغين وسكون الباء - أي بمعنى الضرر المادي من المال والحجر والطين ، وقد قرأنا في نصاب الصبيان :

(١) نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ٢٨١ ، طبع دار الأضواء - بيروت .

(٢) مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمي : ١٧٩ ، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت .

(٣) الكافي / الشيخ الكليني ٢ : ٥٧٧ ، طبع دار الأضواء - بيروت .

(٤) شرح أصول الكافي / المولى محمد صالح المازندراني ١٢ : ٨٦ .

«العَبْنُ ضرر في الأموال ، والعَبْنُ ضرر في الأداء» . واليوم ليس بمعناه المتعارف عندنا ، فالיום بمعنى ظهور وبروز الأشياء ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾^(١) . نعم ، فإذا تساوى وقت الإنسان فقد تضرّر في مسير التكامل الإنساني وتأخّر عنه ، ويحتاج ذلك إلى العزم والهمة .

مرا تا جان بود در تن بکوشم مگر از جام او یک جرعه نوشم^(٢)

يجب الوصول إلى وحدة الصانع من وحدة الصنع :

من المناسب أن نذكر هنا كلاماً عن السيد ابن طاووس حيث يذكر بعض مشايخنا أنه كان من الأفراد الكاملين ، فقد قال حضرته في كتابه الشريف الإقبال : «إني كنت أعلم أول الشهر وهلاله بدون استهلال . ودون الرجوع إلى التقويم ، وعندني أيضاً علم بليلة القدر» ، وهذا الكلام ينتقله ويخطّ يده . ثم يقول : «إن معرفة أول الشهر وليلة القدر ليس مهمّاً ، إنّما المهمّ هو أنّ مقداراً من الماء باسم النطفة كبرت ونمت فأصبحت شخصاً بهذه الصورة يتكلّم ويرى ويكتب ويقرأ و...» .

نعم ، انظروا إلى وحدة الصنع الإلهية في صورة العالم والإنسان . فالإمام الصادق عليه السلام في توحيد المفضل ، يُمجّد ويذكر أرسطو باحترام كبير ، لأنه قد دفع الناس من وحدة الصنع إلى وحدة الصانع . فالمشكلة لا تحلّ بالكلمات الدقيقة المنمّقة ، وإنّما الكلام في مصوّرها ومكتملها ومخرجها من القوّة إلى الفعل .

به بسم الله الرحمن الرحيم است

که بینی نطفه ای دُرّ یتیم است

(١) الأعراف : ٥٤ .

(٢) المعنى : سألني أسعى ما دامت الروح في بدني ولا أتوقّف عن السعي إلا إذا تجرّعت شربة الموت .

بـبـين از قـطره ماء مهينى
 فرشته آفریده دل نشينى
 ز سـير حـبـى ماء حـياتى
 بـرويد ز ابتدا شاخ نباتى
 همى در تحت تدبير خداوند
 درآيد صورتى بى مثل و مانند
 نگر در صنع صورت آفرينت
 به حسن طلعت و نقش جبينت
 ازین صورت که یکسر آفرين است
 چه خواهد آن که صورت آفرين است^(١)

فالمادي والإلهي كلاهما يقول إنَّ أصل وأساس الكلمات الوجودية الطبيعية في الحركة والسعي والتواصل ، فافتضاء الحركة هو الانحلال والتلاشي والانسراح ، فمن هو حافظ وحدة الصنع هذه وصورة كل واحد من الموجودات الطبيعية ؟!

فالإلهيون يقولون : نحن نرى الله من خلال الطبيعة ، وهذا صحيح ؛ لأنه ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾^(٢) ، وإلا فمن يصدق أنه يوجد ماء دافق في ذلك المصنع الإلهي باسم الرحم ، يُصَوِّرُ وَيُرْتَّبُ وَيُنظِّمُ حَتَّى يَظْهَرَ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ ؟!

(١) المعنى : بسم الله الرحمن الرحيم انظروا إلى كيف يخلق الله الإنسان من النطفة التي تُخلق من ماء مهين ، وكيف يصوره على شكل مخلوق حسن جميل ، وانظروا في آيات الله ، وكيف يخلق من النبتة الصغيرة بعد أن يرويه بماء الحياة فيصبح نباتاً كبيراً ، فكُل ذلك إنما يصبح بهذه الصورة الجميلة بتدبير الله وحكمته ، فتأمل جيداً في صورتك وخلقك وحسن مظهرك ، فإن وراء ذلك صانع وخالق ، وتأمل في هدف الخالق من صنع هذا المخلوق .

(٢) آل عمران : ٦ .

بیا اندر طبیعت بین خدا را پدید آرنده ارض و سما را
 دراین باغ طبیعت ای دل آگاه زهر شاخی شنو ایّی أنا الله
 دراین باغ دل آرایک ورق نیست که نار و بودش از آیات حقّ نیست^(۱)

ذکری عن الشہید آیة الله المطہری :

من اللائق جداً في يوم تجليل المعلم ، وفي هذا التجمع الثقافي أن نذكر أيضاً
 الشهيد السعيد المرحوم آية الله المطهري العزيز (رضوان الله عليه) ، ولقد نقلنا عن
 تفسير الفخر الرازي إن بني أمية تأمروا وأتفقوا مع بعضهم على محو آثار الإمام
 عليّ عليه السلام ، وبلغت الدعاية السيئة لبني أمية حداً بحيث عندما انتشر خبر ضربه
 بالسيف في صباح التاسع عشر من رمضان في مسجد الكوفة ، كانوا يقولون : وهل
 كان عليّ يذهب إلى المسجد ؟ هل كان عليّ يصلي ؟ الغرض من هذا ، أنني شاهدت
 وسمعت بنفسني محاكمة رأس شياطين تلك المجموعة المناقفة التي قامت باغتيال
 عدد من رجال الدين ، فقد سُئل : ماذا فعل الشيخ المطهري لكي تغتاله ؟ أجاب : إنه
 لم يكن يطبق الإسلام الحقيقي . فانظروا كيف يتجاسر على ذلك العالم الإلهي
 الكبير ويتهمه بتلك التهمة المزيفة ؟ ! فهم يريدون أن يطنثوا منطق الحقّ بعمليات
 الاغتيال :

شب پرہ گر وصف آفتاب نخواهد رونق بازار آفتاب نکاهد^(۲)
 فالدار دار الحقيقة ، ودار الواقعية ، وأن الحقّ هو اسم حقيقة الموجودات .

(١) المعنى : تعال وانظر إلى الله خالق السموات والأرض من خلال هذه الطبيعة ، فإنك تسمع صوت « إني أنا الله » في كلّ جزء من حديقة الطبيعة هذه ، وأنه لا يوجد أي شيء في هذه الحديقة لا يكون أصله وأساسه آية من آيات الله .

(٢) المعنى : أنّ الخفّاش لا يمكنه وصف الشمس ، كما أنّ أي شيء لا يمكنه أن يقلّل من الشمس ووضوحها .

ولا يمكن إطفاء نور الله بمثل هذه الأعمال ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (١).

کي شود دریا پوز سگ نجس کی شود خورشید از برف منظمس (٢)
فلا يمكن للباطل أن ينمو وتظهر له جذور، أو يبقى ثابتاً إلى الأبد ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ (٣).

فردا که بر من و تو وزد باد مهرگان آنکه شود پدید که نامرد و مرد کیست
طلبنا الأعراء، إن الخلق مبني على أساس العلم والعقل والمنطق والعدل والحق والحساب، كما قال إمامنا الثامن حجة الخلق علي بن موسى الرضا عليه السلام: «قامت السماوات والأرض بالحجة»، فلا يمكن لأي عالم من العوالم، أو لأي قول وتصرف، أن يتحقق بدون حجة ودليل، وكما قال حضرة رسول الله صلى الله عليه وآله: «بالعدل قامت السماوات والأرض».

فالكل يقوم بالعدل والحجة، بحيث: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُتُورٍ﴾ (٤).

وعندما كنت في طهران قبل أكثر من ثلاثين سنة، جاء أحد المستشرقين الفرنسيين إلى طهران، فقال أصدقائي: إن هذا الشخص ملفت للنظر، والناس يذهبون لرؤيته فلنذهب نحن أيضاً، فقلت: ما هي الخاصية الملفتة للنظر عنده؟ قالوا: إنه يلبس ملابساً تشبه ملابس رجال الدين عندنا، فهو يلبس قباء طویل،

(١) الصف: ٨.

(٢) المعنى: أن مخطم الكلب لا يمكنه تنجيس البحر، كما أن الشمس لا تنطفئ بنفخها، أي لا يمكن للشيء الحقير أن يطمس معالم الشيء العظيم.

(٣) الإسراء: ٨١.

(٤) الملك: ٣.

ويضع شيئاً على رأسه يشبه العمامة ، وإته في هيئة ما بين زي رجل الدين والزي المتعارف عند الناس ، ولما سُئل لماذا تلبس هذا الزي؟ أجاب : لقد جمعت في مكتبي الكثير من الكتب القديمة والحديثة التي تبحث في العلوم والمعارف المختلفة ، فرأيت أن أغلبها كانت من تأليف أهل هذا الزي ، ومن قلم هؤلاء العلماء ، لهذا فإني أحب أن أظهر بمثل مظهرهم .

وقد حكى لنا الأستاذ العلامة الطباطبائي ما يشبه هذه الحادثة ، فقال : « لقد أقيمت جلسة محاوراة علمية في طهران بين كرين الفرنسي وعدد من العلماء الآخرين^(١) .

فقد وصل هذا العالم الفرنسي إلى الدين الإسلامي الحقيقي بنور العقل والمنطق والبرهان ، فالإسلام دين فطري ودين منطوق وبرهان ، وأن القرآن والعرفان والبرهان لا يفترون عن بعضهم ، لهذا لا بد من السعي والهمة للحصول على أسرار الآيات والروايات ، فهذه الأسرار تفتح على يد أشخاص معدودين من العرفاء والعلماء ، حيث يصرح القرآن نفسه بذلك ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُظْرِيهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾^(٢) ، وكما ذكر العارف الرومي :

اي برادر قسه چون پيمانه است معنى اندر روى بسان دانه
دانه معنى بگيرد مرد عقل ننگرد پيمانه را گر گشت نقل^(٣)

والحمد لله أن محفلنا هذا محفل علم وعقل ، فأسأل الله أن يشرح صدوركم ، وقد انعقد هذا التجمع الثقافي العرشي بصدق نيتكم وروحكم المتعالية لتجليل وتكريم المقام الشامخ للمعلم ، فالمعلم الأول هو الحق المتعال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي

(١) تفصيل هذه الحادثة في ص ٣١١ .

(٢) العنكبوت : ٤٣ .

(٣) تم شرح هذه الآيات سابقاً .

خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿١﴾ ، ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ﴿٢﴾ ، وقد جعل الله الإنسان بين كلمتي تعليم ، فأول الإنسان وآخره تعليم ، وهذه الدار دار علم وتحصيل المعارف والحقائق ، وكما يقول الشيخ الأجل أبو علي بن سينا (رضوان الله عليه) في التعليقات : « النفس الإنسانية مطبوعة على أن تشعر بالموجودات ... » ، فالسفراء الإلهيون معلّمون ، والعلماء الأعزّاء وأساتذة الجامعات العظام هم معلّمون في حلقات الدرس ، والخطباء أيضاً معلّمون على منابر الوعظ ، والسيدات المحترمات والسادة الأعزّاء هم معلّمون في صفوف الدرس ، وجميعهم يصنعون الإنسان ، ويرتّبون أهل العلم والطلاب ، وهم أعضاء هيئة الرئاسة في إدارة المدينة الإنسانية الفاضلة .

سألمكم الله جميعاً من الأحداث والوقائع المؤلمة ، ويوفّقكم في طريق نشر بذور المعارف ، ويوفّق ويؤيّد أعلام العلم والدين .

إلهي احفظ حماة القرآن والمذهب والدين وحياض الجمهورية الإسلامية في كنف عنايتكم الخاصّة .

وإني أدعو لكم دائماً أيّها الأعزّاء ، وأشكركم من صميم قلبي على كلّ هذا اللّطف والرعاية ، واسمحوا لي أن أختم حديثي .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) العلق: ١ - ٥ .

(٢) الرحمن: ١ - ٤ .

الفصل الثامن

العلامة المولى محمد مهدي النراقي

العلامة المولى محمد مهدي النراقي

طود العلم والتحقيق ، وأستاذ الكل في الكل . العلامة المولى مهدي - أو محمد مهدي - بن أبي ذر ابن الحاج محمد النراقي رحمته الله . كان أحد نوابغ الدهر ، وجامع كل فنون العلم ، ودائرة المعارف الناطقة ، ومكتبة عظيمة حيّة متحركة .

وبلا شك أن حضرته يُعدُّ في تبخره ومهارته في جميع العلوم العقلية والنقلية حتى في الآداب والرياضيات المتقدمة ، من الطراز الأول لكبار علماء الإسلام ، ومن نواذر الزمان في إتصافه بالفضائل الأخلاقية والملكات الملكوتية .

وإن حضرته صاحب تصانيف فائقة وتأليفات لا تفتقر في العلوم المختلفة ، فقد درس في كاشان وإصفهان والعبات المقدسة في العراق عند علماء كبار ، كالملا إسماعيل الخواجوي ، والملا محمد جعفر البیدگلي ، والأستاذ محمد باقر وحيد البهبهاني ، وغيرهم ، وكسب منهم المعارف الكثيرة ، وكذلك من أفراد آخرين تشبى إليهم الخناصر في ذكر فضائلهم .

ولاحظنا أنه قد ذكر اسمه في بداية عدد من كتبه باسم مهدي بن أبي ذر النراقي ، لكن نجله الجليل المرحوم المولى أحمد النراقي صاحب مستند الشيعة قد ذكر اسمه محمد مهدي ، كما يقول في أول الخزائن :

« وبعد .. يقول المحتاج إلى عفورته الباقي أحمد بن محمد مهدي النراقي » .

وكذلك ذكر ذلك في أول كتاب العوائد وسيف الأمة ومعراج السعادة وغيرها ،

لكن جاء في بداية مستند الشيعة الطبعة الحجرية ، وهي النسخة الوحيدة المطبوعة :
« وبعد .. يقول المحتاج إلى عفوربه الباقي أحمد بن محمد بن مهدي بن أبي ذرّ
الرافقي » ، وبقينا أن ابن الثانية هي من سهو قلم الناسخ .

عالمان كبيران غير معروفين :

وهما العلامة المحقق الملام مهدي الرافقي ، أو الرافقي الأول ، وخلفه الصالح
الملك أحمد فاضل الرافقي ، أو الرافقي الثاني . ويعبر عن كليهما بالرافضيين ، فمثلاً
يعبر صاحب الجواهر عن المولى مهدي الرافقي بفاضل الرافقي .
عندما تشرفت بالحضور في المجلس المبارك لحضرة الأستاذ العلامة الطباطبائي
صاحب تفسير الميزان ، جرى الحديث عن الرافضيين ، فقال : الرافضيان كلاهما من
علماء الإسلام الكبار غير المعروفين .

وينقل الملك أحمد الرافقي في المستند الكثير من الآراء الفقهية عن والده ،
ويستند ويعتمد على ذلك ، فمثلاً يقول في آخر القبله :

« لو اختلف المجتهدون في القبلة ، فالمشهور عدم جواز ايتام بعضهم بعضاً مع
توجه كل منهم إلى ما اجتهده لاعتقاد كل بطلان صلاة الآخر ، وقيل : بالصحة .
واختاره والذي ﷺ في مد ، وهو الأصح لمنع اعتقاد كل بطلان صلاة الآخر ، بل
يعتقد صحتها له ، وإن اعتقد خطائه في القبلة ، وهو غير مؤثر في البطلان لعمومات
جواز الاقتداء بمن يصحّ صلاته » .

وكلمة « مد » في عبارة المستند إشارة إلى كتاب المعتمد للرافقي الأول ، وكانت
معظم دراسة فاضل الرافقي ، يعني الملك أحمد عند أبيه الملك مهدي الرافقي ، وبعض
مؤلفات الملك أحمد هي بمضمون : « الولد على سوابه » . فهو يقتفي أثر والده الملك
مهدي الرافقي ، فمثلاً الأب يكتب المعتمد والابن المستند ، والأب يكتب تجريد
الأصول في علم الأصول والابن يكتب شرحاً مبسوطاً عليه في سبع مجلدات ،

والأب يكتب جامع السعادات بالعربي والابن يترجمه باسم معراج السعادة مع بعض الإضافات، الأب عنده ديوان شعر باسم الطائر القدسي والابن له ديوان باسم طاقديس، الأب يكتب مشاكل العلوم والابن الخزائن، وجعله تابعاً له (المشاكل)، كما ذكر ذلك في بداية (الخزائن)، وهذان الكتابان (المشاكل) و(الخزائن) كلاهما مثل كشكول العلامة الشيخ البهائي، سفينة تحمل الأحمال من المواضيع المتنوعة والأمتعة الممتعة في كل باب، وأن كتاب (المشاكل) أمتن من (الخزائن)، و(الخزائن) أملح.

وقد صحّحت أنا حسن حسن زاده الأملي دورة من كتاب الخزائن، ودوّنت عليها مقدّمة وتعليقات، وطبعت في طهران سنة ألف وثلاثمائة وثمانين هجري قمري، يعني قبل ثلاث وعشرين سنة. وقد عملت أيضاً إلى حدّ ما على كتاب (مشاكل العلوم)، وأمل أن يطبع التصحيح الكامل والتعليقات حولها. فتحلّ بعض هذه المشاكل.

آراء أصحاب التراجم حول العلامة النراقي:

أنقل هنا كلمات بعض أصحاب التراجم في تعريف حضرته، بشكل مجمل ومختصر:

يقول صاحب الروضات (ص ٦٤٧):

«العالم البارِع، والفاضل الجامع، قدوة خيل أهل العلم بفهمه، الإشرافي مولانا مهدي بن أبي ذرّ الكاشاني النراقي، من أركان علمائنا المتأخّرين، ومن أعياننا الفضلاء المتبحّرين، وكان صاحب تصنيف في أكثر فنون العلم والكمال: في الفقه والحكمة والأصول والأعداد والأشكال».

ثمّ عدّ بعض مصنّفاته، وبعد ذلك قال: «وقد أشارَ ولده الأجلّ الأفضّل الأُمجد المولى أحمد النراقي إلى تُبذ من مراتب كماله في الإجازة التي كتبها إلى بعض من

أعظم معاصريه ، وهذه الإجازة موجودة عندنا بخطه المبارك ، حيث يذكر فيها سلسلة مشايخه في الإجازة الروائية بألقاب حاكية عن المقامات العلميّة والعملية الذين يعتبرون أيضاً مشايخ الإجازة الروائية لوالده النراقي الأول ، وهي بهذا الشكل : « فمنها ما أخبرني به قراءة وسماعاً وإجازةً والدي وأستاذي ، ومن إليه في جميع العلوم العقلية والتقليية استنادي ، كشاف قواعد الإسلام . وحلال معاهد الأحكام ، ترجمان الحكماء والمتألهين ، ولسان الفقهاء والمتكلمين ، الإمام الهمام ، والبحر القمقام ، اليمّ الزاخر ، والسحاب الماطر . الراقى في نفائس الفنون إلى أعلى المرقي مولانا محمد مهدي بن أبي ذرّ النراقي مولداً ، والكاشاني مسكناً ، والنجفي التجاءً ومدفنًا قدّس الله سبحانه فسيح تربته ، وأسكنه بحبوحه جنّته ، عن مشايخه الفضلاء النبلاء العظام :

أولهم : العلامة الثاني : مولانا محمد باقر البهبهاني ، **وثانيهم :** المحدث الفاضل والفقير الكامل الشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم البحراني ، **وثالثهم :** التحرير المحقق ، والفقير الجامع المدقق محمد بن محمد زمان الكاشاني ، **ورابعهم :** الفقير الورع الأوحدي الشيخ محمد مهدي ابن الشيخ بهاء الدين الفتوني العاملي ، **وخامسهم :** أعجوبة الزمان العالم الريّاني مولانا محمد إسماعيل بن محمد حسين المازندراني ، **وسادسهم :** العالم المؤيد . جامع المعقول والمنقول مولانا محمد مهدي الهرندي .»

بعد ذلك يقول صاحب الروضات : « أنّ المراد من محمد إسماعيل المازندراني هو مولانا إسماعيل الخواجوثي » ، ونذكر هنا أيضاً أقوال بعض الأشخاص الذين درسوا عند المولى محمد مهدي النراقي بعض مراتب المعقول ، ومنهم :

صاحب مطالع الأنوار وتحفة الأبرار ، والآخر صاحب الإشارات والمنهاج .

يقول المرحوم محمد معصوم الشيرازي في طرائق الحقائق :

«العلامة النراقي مولانا محمد مهدي طاب ثراه من أفاضل الحكماء المجتهدين المتأخرين ، وترجمته الشخصية وكتبه المصنفة مشروحة في رجال العلماء .»

ويقول المرحوم الحاج زين العابدين الشيرواني في بستان السياحة :

«نراق على وزن عراق ، قرية أو قسبة ومكان لطيف من توابع كاشان واقعة على سفح جبل ، وهي محصورة من جهاتها الثلاثة ، وجهة المغرب مفتوحة ، وأهلها من الشيعة ، وكان منها مولانا مهدي صاحب المصنفات المفيدة .»

ويقول المرحوم الملا حبيب الله الكاشاني في لباب الألقاب في ألقاب الأطباء :

«العارج إلى أعلى المراقي الحاج الملا مهدي بن أبي ذرّ ابن الحاج محمد النراقي ، كان عالماً عيولوماً ، ومحققاً مدققاً ، وأستاذ الكلّ في الكلّ ، وجامع جميع العلوم العقلية ، وماهر حاذق في العلوم الشرعية .»

فقد كان كاشفاً لأسرار الأمور الدقيقة التي لم يطلع عليها أحد قبله ، وكان مبيناً لقواعد بعض الحقائق التي لم يذكرها أحد سواه ، وإذا يُطلق شخص عليه لقب بحر العلوم الحقيقي فلم يقل جزفاً ، بل قال الحقيقة ، وإذا دعاه شخص بالعلامة ، فلن يلومه أحد ، حتّى أنّ بعض الفضلاء لقبوه بخاتم الحكماء والمجتهدين ، وهو لقبٌ وُضِعَ في مكانه الصحيح .»

أساتذة العلامة النراقي :

لقد تتلمذ العلامة في الرياضيات والحكمة عند الملا إسماعيل الخواجوي في إصفهان لمدة ثلاثين سنة ، وتتلّمذ في الشرائع لمدة طويلة عند وحيد البهبهاني ، وأنّ قصص المشاق والمصاعب التي تحملها في الدراسة ، وتحمل الفقر والفاقة ، والصبر على الحوادث والنوائب ، ورياضته وعبادته ، مشهورة .

وقد قرأت بخطّ ابنه المولى أحمد النراقي : «كانت معظم دراسة والده

الملا محمد مهدي النراقي في إصفهان عند المشايخ العظام الملا إسماعيل الخواجوي والحاج الشيخ محمد ومولانا مهدي الهندي والميرزا نصر، ودرس قسم من الحديث عند الشيخ الأجل الشيخ يوسف صاحب الحدائق، وأنّ صاحب الحدائق ومحمد باقر البهبهاني من مشايخ إجازته.

ثم ذكر مصنفاته بخطّ ولده المذكور فاضل النراقي، وبعد ذلك قال: «كانت وفاته في سنة ألف ومائتين وتسعة هجرية، وقد رأيت بخطّ ولده فاضل النراقي أنه قال: كان عمره الشريف ستون سنة تقريباً، وقبره في النجف الأشرف».

ويقول المرحوم المدرّس التبريزي في ربحانه:

«الحاج الملا مهدي أو محمد مهدي بن أبي ذرّ، نراقي الولادة، كاشاني المسكن، نجفي المدفن، من فحول فقهاء الإمامية، ومتبحري علماء الاثني عشرية، كان فقيهاً، أصولياً، حكيماً، متكلماً، أعدادياً، أخلاقياً، جامعاً للعلوم العقلية والنقلية، ويوصف في كلمات بعض الفضلاء بخاتم المجتهدين، ولسان الفقهاء والمتكلمين، وترجمان الحكماء والمتألهين. ونظائرها. وكان له اليد الطولى في الحساب والهندسة والرياضيات والهيئة والعلوم الأدبية، خاصة المعاني والبيان، ودرس وتلمذ على يد الملا إسماعيل الخواجوي لمدة ثلاثين سنة، وبعد إكمال دراسته عاد إلى إيران وتوقّف في كاشان، فأصبحت تلك المدينة ببركة وجوده الشريف دار العلم ودار التحصيل ومجمع العلماء. فظهر عدد من العلماء فيها».

ويقول فاضل النراقي الملا أحمد في الخزان (ص ٢٤٣):

«تشرّفت مع والدي الماجد العلامة طود العلم والتحقيق (رحمة الله عليه) لزيارة العتبات المقدّسة في سنة ألف ومائتين من الهجرة النبوية، وعندما رجعنا من المشهدين الشريفين في النجف وكربلاء، مكثنا عدّة أيام في مقابر قريش، فأرسل قاضي بغداد لغزيرين - وكان ذلك من نتائج طبعه - إلى والدي وطلب منه حلّها، ثمّ ينقل للغزيرين وجواب والده».

الملا مهدي التراقي الثاني :

تنبيه: كان لحضرة العلامة المولى مهدي التراقي ابناً يحمل نفس اسمه ، وكان أيضاً من أعظم علماء الإمامية ، ويقول صاحب اللباب المذكور:

«الحاج الملا مهدي ابن الحاج الملا مهدي بن أبي ذر التراقي أخو فاضل التراقي (الملا أحمد) ، سمي باسم والده ؛ لأنه وُلِدَ بعد وفاته في سنة ١٢٠٩هـ. ق. وكان حضرته عيلوماً مفضلاً وقيماً نبياً ومجتهداً جواداً بدألاً ، وجامع شرائط الفتوى والاجتهاد ، وحاوياً لمراتب حسن الأخلاق . فلو يُذكر علم الأصول فحضرته أصل أصيل ، ولو يذكر علم الفقه فهو فقيه جليل . وعنده مصنفات من جملتها: كتاب تنقيح الأصول في مجلدين ، وشرح على إرشاد العلامة الحلبي باسم المقاصد عليه ، وتوفي في سنة ١٢٦٨هـ. ق. ، ونقلت جنازته من كاشان إلى قم ، ومقبرته معروفة بالقرب من بقعة ابن بابويه ، وكان عنده إجازة من أخيه فاضل التراقي ومن وحيد البهبهاني والشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء والسيد جواد العاملي ، وهذا قسم من إجازة السيد جواد العاملي :

وكان ممن جدّ في الطلب ، وبذل الجهد في هذا المطلب ، وفاز بسعادتي العلم والعمل ، وحاز منهما الحظّ الأوفر العالم الفاضل ، والفقير الدقيق الكامل ، ذو الفطنة الوفاة والقريحة النقاة ، صاحب الصناعات القدسيّة ، والأخلاق الملكوتيّة جناب الأجل الأكرم الملا مهدي المكرّم ابن أعلم العلماء . وأفضل الفضلاء ، وحيد زمانه وفريده ، إنه الملا مهدي التراقي وفقه الله للعروج إلى معارج العلماء ، والوصول إلى أقصى مدارج العرفاء»

وكذلك ذكر صاحب اللباب المذكور عدداً من أولاد وأحفاد العلامة المحقق التراقي ، وكان جميعهم من أكابر الدين ، والفائزين بالمنقبين العلم والعمل ، ومن المراجع الكبار . وجاء في حاشية الروضات أنّ وفاة العلامة المحقق المولى مهدي

النراقي الأول كانت في ليلة الثامن من شعبان سنة ألف ومائتين وتسعة هجرية قمرية (رضوان الله تعالى عليه).

المصنّفات القيّمة للعلامة النراقي :

في الحقيقة إن أفضل معرّف لكآ شخص هو آثاره وآياته الوجودية ، حيث أن كلّ أثر هو معرّف لمحتوى مؤثّره ، فيجب أولاً معرفة التراث العلمي لحضرة المولى مهدي النراقي ، وللأسف أنّ هذا العالم الإسلامي الكبير قد عُرف من خلال كتابي مشاكل العلوم وجامع السعادات ، على الرغم من أنّ جميع مصنّفاتهِ كانت قيّمة ومهمة وتحكي عن عظمة ومجد تحقيقاته العلمية والفكرية . وقد طُبِعَ بعضها ، ونأمل أن تُطبع آثاره القلمية الأخرى أيضاً ، بهمة وسعي العلماء والفضلاء ليستفيد منها أهل العلم .

والآثار القلمية لحضرته هي :

- ١- معتمد الشيعة في أحكام الشريعة .
- ٢- لوامع الأحكام في فقه شريعة الإسلام ، وقد نقل فاضل النراقي المرحوم المآل أحمد في مستند الشيعة وعوائد الأيّام الكثير من هذين الكتابين .
- ٣- التحفة الرضوية في المسائل الدينية .
- ٤- التجريد في أصول الفقه ، طُبِعَ في إيران بنقل عن ريحانة المدرّس .
- ٥- كتاب فارسي في أصول الدين باسم أنيس الموحّدين ، وهو مطبوع .
- ٦- أنيس التاجرين ، وهو نفس أنيس التجار المعروف . وهو مطبوع .
- ٧- مشاكل العلوم ، مطبوع .
- ٨- جامع السعادات ، وقد تكرر طبعه .
- ٩- رسالة في العبادات .

- ١٠- رسالة في مناسك الحج باسم أنيس الحجاج .
 - ١١- رسالة في علم الحساب .
 - ١٢- محروق القلوب في مصائب أهل البيت عليهم السلام ، وقد ذكر صاحب الروضات هذه المجموعة من الكتب :
 - ١٣- كتاب اللوامع (لوامع الأحكام في فقه شريعة الإسلام) .
 - ١٤- أنيس المجتهدين .
 - ١٥- جامع الأفكار في الحكمة .
 - ١٦- رسالة فارسيّة في علم عقود الأنامل .
 - ١٧- الشهاب الثاقب ، في الردّ على بعض معاصريه من العامّة .
 - ١٨- معراج السماء ، في الهيئة .
 - ١٩- جامعة الأصول ، في الأصول .
 - ٢٠- أنيس الحكماء ، في المعتول .
 - ٢١- اللمعة ، مختصر (اللمعات العرشية في الحكمة الإلهية) ، وهو باسم اللمعة الإلهية ، مطبوع .
 - ٢٢- اللمعات العرشية في الحكمة الإلهية ، وهو (اللمعات العرشية في حكمة الإشراف) .
 - ٢٣- المستنصى في علم الهيئة .
 - ٢٤- المحضّل في علم الهيئة أيضاً .
 - ٢٥- توضيح الأشكال ، تحرير أصول اقليدس .
 - ٢٦- شرح الشفاء ، وهو شرح إلهيات (الشفاء) .
 - ٢٧- الكلمات الوجيزة ، وهي مختصر اللمعة الإلهية ، وقد طُبِعَ معها .
- ولقد نقلنا هذه الكتب المذكورة من لياق الألقاب للمرحوم الآخوند المآل

٢٩٠ مذكرات فريدة عن بعض العلماء الربانيين

حبيب الله الكاشاني ، والتي نقلها مع بعض المصنّفات المذكورة من الروضات بخطّ خليفه الصالح الفاضل النراقي الملاً أحمد .

وجامع الأفكار هو الكتاب الذي ذكره المرحوم المدرّس في ريحانه باسم (جامع الأفكار وناقد الأنظار في إثبات الواجب وصفاته الثبوتية والسلبية) ، وقيل : إنّه من أكبر الكتب التي بحثت هذا الموضوع .

وقد رأى المؤلف (حسن زاده) قبل حوالي خمس وعشرين سنة في إحدى محلّات بيع الكتب في طهران ، نسخة من كتاب (تحرير أصول اقليدس) حوالي نصفه ، ولم تكن عندي القدرة على شرائه . وكان بقلم النراقي ، لكنّي لا أتذكّر هل كان بتحرير العلامة المحقّق المرحوم المولى مهدي النراقي ، أم بتحرير نجله الجليل المرحوم الفاضل الملاً أحمد النراقي ، لكن جاء في الصفحة السادسة عشر من مقدّمة اللمعة الإلهية والكلمات الوجيزة أن : «كتاب توضيح الأشكال في شرح تحرير اقليدس الصوري في الهندسة ، وقد شرحه إلى المقالة السابعة بالفارسية بما يقرب من ستّة عشر ألف بيت » .

٢٨ - المناسك المكيّة في مسائل الحجّ ، وهو غير أنيس الحجّاج .

٢٩ - رسالة في صلاة الجمعة .

٣٠ - رسالة في الإجماع .

٣١ - شرح تحرير اكرثاوذوسوس .

٣٢ - جامع المواعظ .

٣٣ - رسالة نخبة البيان في علم المعاني والبيان .

ولقد نقلنا هذه المجموعة من الرسائل من مقدّمة جامع السعادات طبع النجف . ونخبة البيان رسالة في وجوه التشبيه والاستعارة والمحسّنات البدعيّة ، وهي مطبوعة .

تحرير اكرثاوذوسيوس :

لقد طبعت مقالة بقلم السيد حسن النراقي الحفيد المحترم للعلامة النراقي في مقدمة كتاب قرّة العيون (ص ٤٣)، واللمعة الإلهية (ص ٤٣)، وتكرّر طبعتها في هذين الكتابين، وكذلك جاء في مقدمة نخبة البيان بقلم المشار إليه أحد مؤلفات العلامة المولى مهدي النراقي الأول باسم تحرير اكرثاوذوسيوس، وكما نقلنا سابقاً فإنّ شرح تحرير اكرثاوذوسيوس قد جاء اسمه في كتاب معراج السعادة.

وتحرير اكرثاوذوسيوس المعروف يُدرّس في الحوزات العلميّة بقلم المحقّق الخواجه نصيرالدين الطوسي، وهو كأكثر كتب الرياضيات للخواجه من تحرير أصول اقليدس إلى تحرير مجسطي بطليموس. جاء بشكل تحرير، ويقع في المرتبة الثانية في ترتيب دروس الرياضيات في الحوزة، يعني يُدرّس بعد (تحرير أصول اقليدس). وقد وُفِّت بتدريس دورة كاملة منه في حوزة قم العلميّة، وعندني نسخة منه مع التصحيح الكامل والتعليق عليها أثناء التدريس.

والغرض من هذا أنّ (شرح تحرير اكرثاوذوسيوس) غير (تحرير اكرثاوذوسيوس)، فالعبارة الأولى تعني أنّه شرح تحرير الخواجه على اكرثاوذوسيوس، أمّا العبارة الثانية فتعني أنّه قام بتحريره مرّة ثانية مثل تحرير أصول اقليدس، يعني تحريراً آخر غير تحرير الخواجه، ومن الممكن أنّه قام بالعملين أو أنّ تحريره بمنزلة شرح تحرير الخواجه؛ لكنّ تحرير اكرثاوذوسيوس قد صُبط بقلم حضرة المآل أحمد فاضل النراقي، وهذا أصحّ وأضبط؛ لأنّ حضرته كان من أهل الفنّ، وكذلك أنّ أهل البيت أدري بما فيه (ص ١٢، مقدمة قرّة العيون).

٣٤- قرّة العيون، وهو كتاب بالعربيّة في الحكمة المتعالية، وهو مطبوع.

٣٥- حاشية شرح المجسطي.

٣٦- حواشي على اكرثاوذوسيوس.

٣٧- ديوان شعر.

وقد نقلنا هذه الرسائل من مقدّمة نخبة البيان وقرّة العيون واللمعة الإلهية ، وهي مكتوبة بقلم حفيده السابق ذكره .

ويتبادر في الذهن كلام حول عبارة (حاشية شرح المجسطي) : هل أنّ المراد من شرح المجسطي هو (تحرير المجسطي) بقلم الخواجه نصيرالدين الطوسي ؟ والظاهر لا بدّ أن يكون كذلك ، أم أنّه حاشية على أحد شروح المجسطي ؟ مثل شرح عبدالعليّ البيرجندي ، وشرح نظام الدين النيشابوري باللغة العربيّة ، وهو بشكل تعليقات عليه ، وشرح الراصدين لشاه جهان آباد على تحرير المجسطي وهو بالفارسيّة ، وغيرها ؟

تعلّم اللغة والخطّ العبري :

وقد كتب أرباب التراجم أنّ حضرة النراقي الأول قد تعلّم اللغة والخطّ العبري في إصفهان ، وكان يذكر ذلك أحياناً في كتاب مشاكل العلوم ، فمثلاً يقول في الصفحة الثانية والعشرين :

روي أنّه في غزوة من الغزوات الواقعة بين المسلمين والكفار لما تقارب الفئتان وطلع أمير المؤمنين عليه السلام ، ورآه بعض رؤساء جيش الكفار وكأنّه كان من اليهود قال مخاطباً لقومه : بورا سكفت قد جاءكم ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام لما سمعه : « ويلك أعلاه العلم ، وأسفله الطعام » .

أقول : بورا سكفت لغة سريانيّة يعني البطين ، ولما كان له عليه السلام عظم بطن أراد اليهودي أن يعلمه قومه ذلك حتّى يحتاطوا ، ومع ذلك يزري بشأنه الأقدس ، وكان يظنّ أنّه عليه السلام لا يفهم هذه اللغة ، فلما سمعه وعلم أنّ غرضه من ذلك الإزراء بشأنه ، فقال عليه السلام ردّاً لتوهمه : « إنّ عظم البطن ليس ممّا يذم ، بل ممّا يمدح به ؛ لأنّ أعلاه هو الصدر محلّ العلم الذي هو قوّة الروح ، وأسفله هو المعدة محلّ الطعام الذي هو قوّة

الجسم ، وكل من القوتين كمال للإنسان .»

وكان هذا دأب علمائنا السابقين في تعلّم اللغات الأجنبية ؛ لأنّ اللغة هي الوسيلة للوصول إلى المعارف والحجّم التي كتبت بتلك اللغة ، والمرحوم السيّد صالح الخلخالي ، وهو التلميذ الأرشد للحكيم الإلهي الميرزا أبو الحسن جلوه ﷺ وترجمته الشخصية موجودة في المآثر والآثار لاعتماد السلطنة (ص ١٨٦) ، يقول في شرح مناقب الشيخ الأكبر محيي الدين العربي (ص ٦٧ ، الطبعة الحجرية):

« ترجم أبو علي مسكويه كتاب طهارة الأعراق للإلهي افلاطون من اللغة اليونانية إلى العربية ، وترجمه سلطان الحكماء محمد بن حسن نصير الدين الطوسي من اللغة العربية إلى الفارسية وسماه بأخلاق الناصري .»

وتعلّم أستاذنا المرحوم العلامة الحاج الميرزا أبو الحسن الشعراني اللغة العبرية عند عالم يهودي في طهران ، وكان أستاذاً في اللغة الفرنسية ، وكان يعرف اللغة الإنجليزية أيضاً ، ولدينا الكثير من الشواهد على ذلك من صدر الإسلام إلى الآن .
ويقول ابن الأثير في كتاب (أسد الغابة في معرفة الصحابة) في شرح حياة زيد بن ثابت :

« وكان زيد يكتب لرسول الله ﷺ الوحي وغيره ، وكانت ترد على رسول الله كتب بالسرانية ، فأمر زيداً فتعلّمها »^(١) .

العلامة النراقي عالم ذو الفنون:

لمعرفة قيمة مؤلفات ومصنّفات العلامة النراقي الأول ، لا بدّ من الحديث عن الشخصية العلميّة والعملية العليا لحضرته من عدّة أبعاد . فهو عالم ذوالفنون حيث أنّه في الرياضيات قام بعد الخواجه نصير الدين الطوسي بتحرير (اكرثاوذوسيوس)

(١) أسد الغابة ٢: ٢٧٨ .

(«أصول اقليدس») مرة أخرى ، وكان لديه حواشي على تحرير مجسطي الخواجه بقلم المحقق الطوسي ، وقد صنّف عدّة كتب ورسالة في علوم الرياضيات ذات أهميّة كبيرة جداً.

وأما في مقام الكمال الإنساني ، فقد كان له مقاماً عظيماً إلى حدّ أنّ مثل السيّد بحر العلوم يخاطبه بالخطاب الآتي ذكره ، وقد كان المرحوم أستاذنا العلامة الحاج السيّد محمّد حسين الطباطبائي يُعدّ المرحوم السيّد بحر العلوم وابن فهد صاحب عدّة الداعي والسيّد ابن طاووس صاحب الإقبال ، من الكمّل ، ويقول : «إنهم كانوا كاملين» .

فقد أرسل العلامة النراقي أحد مؤلفاته إلى السيّد مهدي الطباطبائي بحر العلوم في النجف ، فيخاطبه هكذا :

ألا قل لسكان ذاك الحمى	هنيئاً لكم في الجنان الخلود
أفيضوا علينا من الماء فيضاً	فنحن عطاش وأنتم ورود
فيجيبه المرحوم السيّد بحر العلوم :	
ألا قل لمولى يرى من بعيد	جمال الحبيب بعين الشهود
لك الفضل من غائب شاهد	على شاهد غائب بالصدود
فنحن على الماء نشكو الظماء	وأنتم على بعدكم بالورود

فالمرحوم السيّد يعتبر العلامة النراقي غائباً شاهداً بسبب الحضور والتوجّه والمراقبة عنده ، في حين يصف نفسه شاهداً غائباً بسبب الإعراض وعدم الحضور .

ذكر بعض إفادات العلامة النراقي :

يرى مؤلف الكتاب أنّ من الصواب والصلاح أن نذكر هنا بعض إفادات حضرة العلامة المحقق النراقي التي نفعها أهمّ وأعمّ مع بعض التوضيح المختصر ، على أمل أن يكون ذلك مُعدّاً تاماً ، ومكمّلاً للنفوس المستعدّة في التعالي في فهم الخطاب

المحمّدي ﷺ ، والله وليّ التوفيق .

١- ينقل المعاني في بعض أشعاره بصورة الساقى :

فداى تو وعهد وبيمان تو	بیا ساقیا من بقربان تو
فتد در دلم عكس روحانیان	مئی ده كه افزایدم عقل و جان
فلاطون مه ملك يونان زمین	شنیدم ز قول حکیم مهین
همه دردها را شفا و دواست	که من بهجت افزاونده فزاست
شمرده خبیث و نموده حرام	نه زان می که شرع رسول انام
نموده است نامش شراب طهور	از آن می که پروردگار غفور
بده یک قدح زان می غم گذار ^(١)	بیا ساقی ای مشفق چاره ساز

وقد كان نظره في هذه الأبيات إلى الآية الكريمة: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾^(٢). وفي تفسير ذلك كلام قيّم لصادق آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) ، وهو مسحة من العلم ، وقبس من نور مشكاة الرسالة ، ونفحة من شميم رياض الإمامة ، وقد رواه أمين الإسلام الطبرسي في التفسير الشريف (مجمع البيان) في بيان هذه الآية: « أي يطهرهم عن كلّ شيء سوى الله ؛ إذ لا طاهر من تدنّس بشيء من الأكوان إلّا الله ، روه عن جعفر بن محمد عليه السلام » .

(١) المعنى: يحاول في هذه الأبيات إيصال معنى آية ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ ... ﴾ ، فيقول: تعال أيها الساقى فإني جعلت فداك وقداءاً لعهدك ، وكلّما ازداد عقلي وعلمي كلّما أتقرب وأحبّ الرجال الإلهيين ، فإني سمعت قول الإنهي الحكيم افلاطون عظيم اليونان أنّ شراب السعادة والحياة يشفي جميع الآلام ، فهو دواء لكلّ داء ، فاسقيني شربة من هذا الشراب ، ليس ذلك الشراب الذي حرّمه شرع رسول الله (الخمر) ، بل اسقني من الشراب الذي وصفه الله أنّه شراب طهور ، فتعال أيها الساقى الرحيم واسقني قدحاً من ذلك الشراب مزيل الغمّ والهّم .

(٢) الإنسان: ٢١ .

ولم أر أو أسمع من أحد في هذه الأمة من العرب والعجم ، وحتى العرفاء ، كلاماً بهذه الغاية القصوى للطهارة الإنسانية ، كالكلام الذي روي عن صادق آل محمد عليه السلام .

آن كس كه زكوى آشنایى است داند كه متاع ما كجایى است ^(١) والحديث لم يرو بهيئة المفرد ، أعني « روى » ، بل بصيغة الجمع يعني « روه » ، فإذن له جذور قوية جداً بحيث رواه عدد كبير من الرواة . وفي هذه الآية الكريمة ربّ الأبرار هو ساقى الأبرار ، وفي كلمة ربّ والإضافة « هم » مواضع خفية ومعاني لطيفة جداً .

وكلمة « طهور » صيغة مبالغة تعني مُطَهَّر ، والماء المضاف يمكن أن يكون طاهراً لكن من المسلم أنه ليس طهوراً ، أمّا الماء المطلق فهو طاهر وطهور أيضاً . فالماء الذي يشربه الأبرار من ساقبهم يكون طاهراً وطهوراً أيضاً .

وشراب الأبرار هذا ، من أي شيء يُطَهَّرهم ؟ قال الإمام : عن كل شيء سوى الله ؛ إذ لا طاهر من تدنّس بشيء من الأكوان إلا الله ، فالدنس وساخة والأكوان موجودات ، والمراد من الدنس نقص الإمكان حيث أنّ الله طاهر من نواقص الممكنات لأنه صمد حقّ ، فهذا الشراب يطهّر الإنسان من كل شيء سوى الله ، فتبصر .

تجرّد النفس الناطقة :

٢- ذكر في بداية كتاب جامع السعادات عدّة أدلّة على تجرّد النفس الناطقة ، ونتيجة جميع أدلّة تجرّد النفس الناطقة أعمّ من التجرّد البرزخي الخيالي والتجرّد

(١) المعنى : أنّ هذا الشخص القادم من مكان العلم والمعرفة (يقصد الإمام الصادق عليه السلام) يعرف أين متاعنا وما يفيدنا .

العقلي ، وفوق تجرّدها العقلي ، هي أنّ النفس بعد مفارقتها لهذه الحياة لا تفنى ،
يعني أنّ الإنسان من حيث هو إنسان لا يفنى .

وتقديم هذا الأمر المهمّ - أعني : تجرّد النفس الناطقة - في الكتب الأخلاقية
موضوع لازم واجب ، لأنّ البحث عن الأخلاق ، وهي برنامج تكامل النفس وتعالها
نحو سعادتها الأبدية ، تقوم على أساس معرفة النفس . وقد استخدم الحكيم الإلهي
الإسلامي المعروف ابن مسكويه هذه الطريقة الحسنة في كتابه طهارة الأعراق ، بل
أنّ كتاب الأخلاق مطلقاً متفرّع عن هذا الأصل ، وأيضاً لا يوجد في كتاب أخلاق
أرسطو سوى هذه الطريقة .

وقد جمع المؤلف حتّى الآن أكثر من سبعين دليلاً عقلياً من أعظم الحكماء
الإلهيين في تجرّد النفس الناطقة ، وكذلك جمعت الكثير من الأدلّة النقلية ، ودوّنت
جميع ذلك في رسالة ، وآمل أن أتمكّن من تنظيمها وتقديمها إلى طلاب الحقيقة .

وأنّ اهتمامنا بهذا الموضوع لأنّه لا يوجد في العلوم العقلية والحكمة المتعالية
موضوعاً بدرجة أهميته ، وفي الحقيقة أنّ هذا الموضوع هو أجلّ المواضيع العقلية
وأساس الدين ، وقد بحث فيه من قديم الدهر سلسلة جلييلة من الحكماء الإلهيين ،
الذين يعتبرون رجال الشرع والدين العظام بسبب المعارف الباطنة للقوة العاقلة
للإنسان ، وكتبوا حوله رسائل منفصلة وعدّوا معرفة النفس مرقاة معرفة الربّ ،
واعتبروا معرفتها باب معرفة جميع المعارف ، ووجدوا أنّ جميع ما في الكون هو من
مظاهر صفات النفس ، وحينئذٍ عدّوا معرفة النفس عين معرفة الربّ .

ولهذا فالتحقيق والتدقيق في أمر النفس فوق بحث كونها مجردة ، وهذا ما ذكر
أيضاً في الحكمة المتعالية ، مثل الفتوحات المكية والأسفار (٤ : ٥٤) :

« من عرف النفس أنّها الجوهر العاقل المتوهم المتخيّل الحساس المتحرّك الشام
الذائق اللامس النامي ، أمكنه أن يرتقي إلى معرفة أن لا مؤثّر في الوجود إلا الله » .

نظر الحكماء حول تجرد النفس الناطقة :

لقد كتب حكماء الهند في كليلة ودمنة حول النفس الناطقة بالإشارة والرمز ،
باباً باسم باب الحمامة المطوقة .

ولأرسطو رسالة في النفس ، ترجمها إلى الفارسية باباً أفضل الكاشاني ، وهو من
أجل علماء الإسلام وأفاحم الحكماء والعرفاء .

ولأبي النصر الفارابي المعلم الثاني أيضاً رسالة في حقيقة الروح وإثبات تجردها
وبيان أن الروح بدون المادة بدن جوهرية مستقل وقادر على كل نوع من الإدراك
واللغة في عالم الأبدية وعالم ما فوق الطبيعة .

وكذلك كتب الفيلسوف العربي أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي رسالة
في النفس .

والشيخ الرئيس أيضاً ، علاوة على بحثه بشكل مفصل حول النفس الناطقة
في النجاة والإشارات والشفاء ، قد كتب عدّة رسائل مستقلة في معرفة النفس
وتجردها وبقائها .

وصنّف الحكيم الفاضل أبو الحسن سعد بن هبة الله بن كمونة رسالة في
أبدية النفس .

وللفخر الرازي كتاب في تجرد وبقاء النفس باسم المطالب العالية ، حيث يذكره
الشيخ البهائي في شرح الحديث الأربعين من كتابه الأربعين ، ويمجّده بهذا الشكل :
« قد تضمّن كتاب المطالب العالية منها ما لا يوجد في غيره » .

وكتب الشيخ الأكبر محيي الدين العربي ، كتاب الفتوحات المكيّة وفصوص
الحكم في معرفة النفس وأطوارها ونشأتها الوجودية والشهودية ، بحيث لا بدّ من
القول كلّ الصيد في جوف الفراء .

ويبحث صدر المتألهين في القسم الرابع من الأسفار في النفس وبقائها وشؤونها

ومعناها بشكل مبسوط ومفصل .

وكتب الشيخ الفاضل الرضي علي بن يونس العاملي رسالة في هذا الموضوع باسم الباب المفتوح إلى ما قيل في النفس والروح ، حيث نُقلت جميعها في السماء وعالم البحار .

وكتب الشيخ علي مدرّس الزنوزي صاحب بدائع الحكم أيضاً رسالة في بيان أنّ النفس كلّ القوى ، وقد طبعت في حاشية شرح هداية الأخوند .

وكتب طنطاوي الجوهري صاحب التفسير كتاباً باسم الأرواح في تجرّد روح الإنسان وبقائها بعد تلف الجسد .

فهناك الكثير من الكتب والرسائل التي كُتبت من القديم وحتى اليوم في معرفة النفس وبقائها ، وهذا التأكيد والاهتمام من قِبَل الرجال الإلهيين في هذا الباب هو لأجل دفع شبهات الغارقين في المادّة ، وهداية عقول الناس نحو كمالهم ، وهولقاء الله . فالتّاس العاديّون مادّيّون بطبيعتهم . فهم يظنّون أنّ الموت مساوق للعدم ، ويقولون: كلّ شخص يموت يصبح عدم صرف . وكلّ ما عمله ليس له ثواب أو عقاب أخروي ؛ لأنّه لا يبقى أي شخص حتّى يثاب أو يعاقب على عمله ، وما دام الأمر كذلك فلا معنى ولا مفهوم لإرسال الرسل وإنزال الكتب ، فهم يعرضون عن أصول وفروع الدين بإنكارهم لبقاء الإنسان .

أمّا علماء العلوم والمعارف ، فقد أقاموا كلّ هذه الأدلّة العقليّة على تجرّد النفس الناطقة وبقائها بعد فناء الجسد ، وأنّ الإنسان لا يفنى بموت الجسد وتلاشيه ، بل يكون باقياً وحيّاً سوى أنّه ينتقل من مكان إلى آخر ، ويأخذ معه كلّ ما عمله . وكلّ شخص يذهب نحو عمله ، بل عين عمله . حيث أنّ العلم والعمل يضعان الإنسان ، ويصبح باطنه في ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾^(١) عين ظاهره .

إن العمل نفس الجزاء :

٢- أن إحدى المسائل القيّمة في معرفة النفس هي أنّ العمل نفس الجزاء ، وقد بحث العلامة المحقق التراقي رحمته هذا الموضوع المهمّ في كتابه الشريف جامع السعادات ، وذكره بنفس العنوان : (أنّ العمل نفس الجزاء) .

فالعلم والعمل ليسا من العرض ، بل هما يصنعان الجوهر والإنسان ، فالإنسان يصنع نفسه بالعلم والعمل ، ولا يوجد أهمّ من هذه الصناعة ، فالعلم يقوّي الروح والعمل يقوّي الجسد ، والجسد يكون دائماً - وفي كلّ العوالم - مرتبة نازلة للنفس . والأجساد الدنيويّة والأخرويّة يكون كلّ منهما في طول الآخر ، والتفاوت إنّما يكون في النقص والكمال .

فجزاء النفس هو العلم والعمل ؛ لأنّ الجزاء في طول العلم والعمل ، وأنّ ملكات النفس للموادّ صور برزخيّة ، يعني لكلّ صورة . ويظهر ذلك العمل في عالم البرزخ على عامله بتلك الصورة ، فصورة الإنسان في الآخرة تكون نتيجة وغاية عمله في الدنيا ، وأنّ جميع الأفراد الذين معه من القبح والجميل تكون صورهم غايات أفعالهم وصور أعمالهم وأثار ملكاتهم التي تخرج من صنع ذاتهم وتظهر عليهم .

وفي النتيجة يكون الإنسان في هذه النشأة نوع وتحت أولئك الأفراد ، وفي النشأة الآخرة جنس وتحت تلك الأنواع . وقد عبّروا عن هذا الأمر بتجسّم الأعمال ، أو تجسّد الأعمال ، أو يعبرون عنه بتجسيم الأعراض وأمثال هذه التعبيرات ، والقصد منذ لك هو تحقّق وتقرّر نتيجة الأعمال في صنع جوهر النفس .

نكتفي بهذا المقدار ، ونختم الكلام بهذه الآية الكريمة :

﴿ دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ

وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

الفصل التاسع

الحكيم المتأله السيد أبوالحسن جلوه

الحكيم المتآله السيد أبو الحسن جلوه

كانت عائلة جلوه من أقوام (نائين) ، وظهر منها علماء معروفون ، كجدّه الأكبر المرحوم الميرزا رفيع الدين الطباطبائي النائيني (المتوفى سنة ١٠٩٩هـ. ق) ، وهو من جملة العلماء الكبار الذين ذكرهم الشيخ الحرّ العاملي - صاحب وسائل الشيعة - ضمن سلسلة مشايخ إجازته ، وكان أبو جلوه أيضاً يعني السيد محمّد الطباطبائي زواره المعروف بـ (مظهر) من أهل التحقيق والشعر ، ومن مؤلفاته كتاب (أحوال السلاطين الصفوية) ، وله هذا الشعر أيضاً :

آن سرو بلند می خرامید به ناز سر در قدمش نهادم از روی نیاز
گفتم : هوس قد تو دارم ، گفتم : کوتاهی عمر بین و امید دراز^(١)

وذهب مظهر في أوّل شبابه إلى مدينة (حيدرآباد) الهندية ، وكان (الميرزا إبراهيم شاه) أمير تلك المنطقة ، وهو وزير (مير غلام علي خان) ، فيرسل مظهر للقيام بعمل في كلكتا فيؤدّي مأموريته بنحو أحسن ، واحتمالاً يلتقي هناك بـ (ملكّم خان) ، وأنّ (سرجان ملكّم) يذكر اسم مظهر في تاريخه ، لكنّه لا يذكر لقاءه به .

(١) المعنى : أنّ شجرة السرو الطويلة هذه كانت تنمي بلطف ، فوضعت رأسي عندها من الحاجة ، وقلت : إني أتمنى أن يكون عندي طولك ، فقالت : انظر إلى قصر العمر وتمنى طولك .

وعند عودته من الأمورية يصبح موضع حسد الأفراد المحيطين بمير غلام علي خان ، فيصبح الأمير لا يرغب بوجود مظهر ، فيضطرّ للسفر إلى (أحمد آباد كجرات) ، ويولد له الحكيم أبو الحسن جلوه في هذه المدينة سنة ١٢٣٨هـ . ق .
وبعد فترة يتّضح لمير غلام علي خان سوء حاشيته ويظهر له صدق (مُظهر) ، فيرسل له رسالة يعتذر منه ويطلب منه العودة إلى (حيدرآباد) ، لكن أبو جلوه يرفض ذلك وينتقل بعد فترة إلى مدينة (بومبي) ، فيطلب عمّ جلوه من أخيه العودة إلى إصفهان ، ويلبّي هو أيضاً الطلب ، فيسافر إلى إيران ويسكن زواره ، وبعد ٦ أو ٧ سنوات يتوفّى ويرحل عن هذه الدار الفانيّة بعد إصابته بمرض عضال .

الهجرة للدراسة :

بقي الميرزا أبو الحسن جلوه بعد وفاة والده في (زواره) لفترة قصيرة ، ثمّ انتقل إلى إصفهان لتعلّم العلوم الدينيّة ، وسكن في مدرسة (كاسه گران) ، فاستفاد من محضر علماء كبار ، كالميرزا حسن النوري ، والميرزا حسن الحكيم وغيرهما ، حتّى أصبح في الحكمة المتعالية في غنى عن الأستاذ ، فتوجّه إلى طهران ، وكما يقول :

به شهر جم چو دلم ناامید گشت از یار

نمود و سوسه دیو که سرکشتم ز نگار

سفر گزینم و بدرود دوستان گویم

که در حضر نه مرا قدر ماند و نه مقدار^(١)

ويوضح الأستاذ الشهيد المطهري رحمته سبب هجرة جلوه إلى طهران ، بهذا

الشكل :

(١) المعنى : لأنّي بأست من الحصول والعثور على من يساعدني ويزيدني علماً ، وسوس لي لي فاخترت السفر وودعت أصدقائي قائلاً : إنّ بقائي هنا لن يزيدني قدراً ولا مقداراً ، أي لا يزيدني علماً .

« يقولون : إنّ جلوه كان في البداية عازماً السفر إلى سبزوار للاستفادة من محضر الحاج السبزواري الذي كان متقدماً عليه بنصف طبقة ، لكنّه انصرف عن ذلك وأقام في طهران »^(١) .

جلوة علي كرسي الدرّس :

عندما قدّم جلوة إلى طهران في سنة ١٢٧٣هـ . اتخذ حجراً في مدرسة (دار الشفاء) بسبب ضعف حالته المادّية الشديّد ، وبقي في هذه المدينة إلى آخر عمره واحتمالاً أنّه سافر مرّة واحدة فقط إلى آذربيجان مع الأمير نظام گروسي .

لقد صبّ الحكيم جلوه كلّ همّه نحو تدريس المعقول ، فقام بتدريس علوم الحكمة والفلسفة خاصّة كتب ابن سينا والملا صدرا لمدّة ٤١ سنة .

وفي أوج شهرة جلوة والشيخ علي الحكيم الزنوزي قدّم الفيلسوف المعروف الحكيم محمّد رضا قمشه إلى طهران . وبدأ بتدريس كتب ابن سينا فأثر كثيراً ، وإلى حدّ ما ، علي درس الحكيم جلوه (وللتوضيح نقول : إنّ الحكيم قمشه قدم إلى طهران سنة ١٢٩٦هـ ، يعني بعد ثلاث وعشرين سنة من قدوم جلوه إليها) .

سيماء ومشرب جلوه :

كان رجلاً طويل القامة ، له سيماء حسن ، وله لحية قليلة . كان يخفيها بالحناء في بعض الأوقات ، وبقي لسنوات عديدة بدون أهله وعياله في مدرسة دار الشفاء ، فقضّى عمره فيها كبتية الطّلاب العاديين . وكان حسن الكلام ، طيب المعاشرة ، ماهراً في الشعر ، حيث كان له ديوان شعر . وهو يتقني في شعره أثر ناصر خسرو قبادياني ، ونذكر هنا نموذجاً من شعره :

(١) كتاب الخدمات المتقابلة بين الإسلام وايران : ٦٠٩ .

زان مى تلخ اگرسال و مهى ما زدهايم
 همه دانند كه با مردم دانا زدهايم
 ما گدايم و نياريم فرو سر به جهان
 اين سخن ، ما به همه بوم و به هر جا زدهايم
 عقل كالاي نفيس است به بازار جهان
 ما ز عشق آتش سوزنده به كالا زدهايم
 ما ز كشتى بگذشتيم پى شوق وصال
 خویش از جان بگذشتيم و به دريا زدهايم
 چونكه دانيم به وصاليم از آن حيطه دوست
 مدتی رفت كه ما راه نمنا زدهايم
 جلوه دى گفت به دل : اين همه رسوائى چيست ؟
 گفت : ما شيشه ناموس به خارا زدهايم^(۱)

ويذكر الشيخ يحيى دولة آبادي في حياة يحيى (۲ : ۱۱۳) حول الحكيم جلوه :
 « كان يتبع في الفلسفة مسلك المشائين . ويُعدّ كتب ابن سينا من الكتب القيمة ،
 ويفتخر بتدريسها ، ويدرس كتب المتأخرين خاصة كتب المألا صدرها . لكنّه لم يكن

(۱) المعنى : إذا كنا قد تناولنا ذلك التبيذ المرّ لمدة طويلة ، فالكلّ يعلم أننا شربناه مع رجال العلم والعلماء ، ونحن نستجدي لكن لا نقول ذلك الكلام بخنوع إلى الملك ، بل قد قلناه لجميع الناس وفي كلّ مكان ، والعقل سلعة ثمينة في سوق العالم ، ونحن حرقنا كلّ هذه السلع من حرقه عشق الله ، يعني تركنا العقل لأجل هذا العشق ، وتركنا السفينة وبذلنا أرواحنا فولجنا البحر لأجل هذا العشق والوصال مع الحبيب ، لأننا نعلم أنه قد مضت مدة طويلة على سلوكنا طريق الوصال إلى الحبيب ، ثمّ يخاطب نفسه قائلاً : أيها القلب ، ما كلّ هذه الفضيحة؟ فأجاب القلب : لقد حططنا زجاج الشرف بالحجارة (يعني لم أصل لحد الآن بعد كلّ هذا السعي إلى شيء) .

الفصل التاسع : الحكيم المتأله السيد أبو الحسن جلوه ٣٠٧

يهتمّ بها ، وخاصّة الأسفار ؛ لأنه يعتقد أنّها جُمِعَت من كتب الآخرين ، وينسب تأليف هذا الكتاب بهذه الصورة التي عليها إلى تلامذة صدر المتألهين ، حيث جمعه بعد وفاته .»

الحكيم جلوه وناصر الدين شاه :

كان البعض ينتقد المرحوم جلوه لأنّ هذا الفيلسوف العظيم كانت له روابط وعلاقة حسنة مع ناصر الدين شاه .

ومن النظرة الأولى ، ومن خلال الشواهد والقرآن الموجودة هناك ما يؤيد النظرية السابقة ، كما جاء مدح ناصر الدين شاه في أشعار كثيرة من ديوانه كهذين البيتين :

ناصر الدين شه در شريان شخص اين جهان

فيض او جارى بود مانند خون اندر بدن

همچنانكه خون بود اندر بدن مايه حيات

زندگى ما كيهان بود از فيض اين شاه زمن^(١)

والظاهر أنّ هذا التأييد من الحكيم جلوه كان يرتبط بأوائل حكومة ناصر الدين شاه ، لكن بعد أن يطّلع الحكيم جلوه بعد ذلك على الأوضاع السياسيّة ، يحدث تحوّل في حياته ، فلا يهتمّ بعدها ببلاط الملك .

لقاء الحكيم جلوه مع السيّد جمال الدين أسدآبادي :

ويدين الحكيم جلوه بهذا التحوّل للسيّد جمال الدين أسدآبادي ، وكما جاء في كتاب موقظي أقاليم القبلة (ص ٤٧) :

(١) المعنى : كان فيض وجود ناصر الدين شاه يجري في شريان هذا العالم كما يجري الدم في الجسد ، فكما أنّ وجود الدم في الجسد يكون سبباً لاستمرار الحياة ، فإنّ فيض هذا الشاه كان سبباً لاستمرار الحياة في هذا العالم .

«الميرزا أبو الحسن جلوه من كبار العلماء المعاصرين ... يذهب للقاء [جمال الدين أسدآبادي] ويتحدث معه ، وكان الجميع يعتقد أن السيد سيتأثر بعلم جلوه ، لكن عندما خرج جلوه سألوه عن علم وفلسفة ومعلومات السيد وتأثير كلامه عليه . فأجاب : « لأذهب وأهياً كفنأ لي للجهاد » .

ويعد هذا اللقاء الذي حدث في أواخر عمر الحكيم جلوه ، أصبح لا يهتم ولا يعتني بالشاه كما نقل ذلك الحكيم المتأله الميرزا إبراهيم الزنجاني في شرح ترجمة حياة الميرزا جلوه :

« كان يستيقظ باستمرار في منتصف الليل ويقف لعبادة الواحد الأحد حتى طلوع الفجر ، ثم يدخل إلى حجرة ويمارس الرياضة البدنية ، ثم يصلي الصبح وبعدها النوافل والتعقيبات ، ثم يجلس للدرس لساعتين قبل الظهر ، وكان يحدث أحياناً أن يأتي ناصر الدين شاه لرؤيته فيقول : إن حالي ليست جيدة فيعود الشاه » .
وله بعض الأشعار مثل :

زراحت دو جهان گر تمتعی خواهی

نه شكوه كن زگدائی نه فخر از شاهي^(١)

ويمكن أن يكون ذلك ناظراً لفترة التحول هذه ، والله العالم .

تلامذته :

لقد ربى الحكيم جلوه تلامذة كثيرين ، حيث أن ذكرهم جميعاً يطيل الموضوع ، لهذا نكتفي بذكر بعض المعروفين منهم كنموذج لذلك :

١ - الميرزا هاشم الأشكوري (صاحب حاشية على مصباح الأنس لابن فناري

(١) المعنى : إذا تريد التمتع من راحة كلا العالمين الدنيا والآخرة ، فلا تطلب المقام من الاستجداء ولا الفخر والعزة من الارتباط بالملوك .

الفصل التاسع: الحكيم المتأله السيد أبو الحسن جلوه ٣٠٩
المتوفى سنة ١٣٣٢).

- ٢- الميرزا شهاب الدين التبريزي الشيرازي (صاحب رسالة حقيقة الوجود).
- ٣- الميرزا محمد باقر الاصطهباناتي (قُتل في أحداث المشروطة سنة ١٣٢٦).
- ٤- الميرزا علي أكبر الحكمي اليزدي القمي (أستاذ حضرة الإمام الخميني مدّ ظلّه) (١).
- ٥- الحاج السيد عباس الشاهرودي.
- ٦- الحكيم محمد الهيدجي (صاحب ديوان شعر وشرح منظومة السبزواري المتوفى ١٣١٤).
- ٧- السيد حسين بادكوبه (أستاذ العلامة الطباطبائي).
- ٨- الميرزا محمد علي شاه آبادي (أستاذ حضرة الإمام الخميني).
- ٩- الشيخ يحيى دولة آبادي (صاحب عدة كتب منها حياة يحيى في أربع مجلدات وكتاب علي).
- ١٠- السيد محمد رضا مساواة.

غروب شمس جلوه:

ودّع هذا الفيلسوف الكبير الدار الفانية في ليلة الجمعة السادس من ذي القعدة سنة ١٣١٤هـ في منزل الحاج كاظم ملك التجار، ودفن إلى جوار ابن بابويه الصدوق عليه السلام، وبعد ذلك بنى (نيرالدولة) بناءً أعلى مزاره.

آثار الحكيم جلوه:

لقد ترك لنا المرحوم جلوه طيلة فترة حياته آثاراً قيّمة كثيرة، وهي عبارة عن:

(١) الخدمات المتقابلة بين الإسلام وايران: ٦١٢.

- ١- إثبات الحركة الجوهرية .
- ٢- ربط الحادث بالقديم ، وطُبع هذان الكتابان في حاشية شرح الهداية الأثرية للملا صدرا في سنة ١٣١٣هـ . ق .
- ٣- ديوان شعر .
- ٤- حواشي على أسفار الملا صدرا .
- ٥ - تصحيح مثنوي مولوي . ويُنسب هذا الكتاب إلى جلوه في مقدّمة ديوان أشعار جلوه ويقول : طُبع في طهران^(١) .

خطاب في مؤتمر تجليل الحكيم المتأله جلوه :

أنقل هنا نصّ خطاب هذا الفقيه حسن حسن زاده الأملي الذي ألقته في صباح السعادة يوم الجمعة التاسع من ذي الحجة (يوم عرفة) سنة ١٤١٤هـ . ق ، في مؤتمر تجليل وذكرى الحكيم المتأله حضرة الميرزا السيد أبو الحسن جلوه (قدّس سرّه الشريف) في زواره :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه ، والظاهر لقلوبهم بحجّته ، والصلاة والسلام على من أرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وعلى آله الذين هم عيش العلم ، وموت الجهل . ثمّ الصلاة والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

إنّ تجلّي روحانيّة الحكيم المتأله ، العالم الصمداني ، والعارف الرناني ، أستاذ الأساتيد ، حضرة آية الله الميرزا أبو الحسن جلوه (رضوان الله عليه) ، جعلني

(١) مأخوذ عن مقالة الحكيم جلوه كتابه السيّد أحمد بانپور المندرجة في (كيهان انديشه) العدد رقم ١٠ .

أتشرف بالحضور عند أرباب العلم والفكر، وأصحاب اللوح والقلم من رجال الدين العظام وأساتذة جامعات الجمهورية الإسلامية الإيرانية المحترمين، في البلد الطيب دار المؤمنين ومدينة السادة زواره، التي كان ماؤها وترباها وحدودها وأرضها محبة للعلم والعلماء دائماً، وستبقى كذلك ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾^(١).

والكثير من الأصدقاء الأفاضل الحاضرين في الجلسة يعلمون أنه ليس لي حظاً وافر من السير الآفاقي، مع أن الطبايع والأذواق مختلفة، وهذا الطبع والذوق بهذا القضاء أن تجلي روحانية الحكيم جلوه هو الذي جعل هذا الافتخار من نصيبي بالتشرف في محضركم الشريف أيتها الأخوات والأخوة المؤمنين في هذه المدينة المقدسة، مدينة العلم والمعرفة زواره.

وقد كان بعض أساتذتي يذكرون في كلامهم في مجالس الدرس والبحث المرحوم جلوه كثيراً، وعندما سألتهم أين قبر ذلك الحكيم حتى أتبرك بزيارته؟ أجابوا: أن مزار حضرته في مقبرة ابن بابويه في طهران، وقد دفن إلى جواره بعض تلامذته - حسب وصيتهم -.

نعم، فقد تشكلت في تلك المقبرة منظومة شمسية لسماء المعرفة، شمسها الحكيم جلوه ونجومها تلامذته بجواره، فسلام الله عليه وعلى الأرواح التي حلت بفنائها.

وللحكيم جلوه الكثير من الآثار العلمية والقلمية القيمة، وقد طبع البعض منها. وقبل عدة أيام جاء جمع من أرباب الفضل بمعية الدكتور أعواني - أيدهم الله إلى مرضاته - من طهران إلى قم لزيارتي وبشروني أن حضرة القائد المعظم آية الله السيد الخامنئي - مدّ ظله العالی - قد أصدر أمراً بوجوب إقامة مؤتمر لتجليل حضرة

صدر المتألهين صاحب الأسفار (رضوان الله عليه) ، ثم قالوا بماذا تستطيعون المساهمة في هذا الهدف الإلهي؟ فرحبت بذلك من كل قلبي ودعوت لقائدنا المعظم ولأولئك الأعزاء بإخلاص ، وقدمت لهم كل ما عندي من آثار حضرة الملاء صدرنا على طبق من الإخلاص ، ومنها دورة كاملة للأسفار متعلقة بأحد تلامذة الحكيم الكبير جلوه ، وقد كتب في حاشيتها تعليقات الأستاذ - أعني حضرة جلوه - على الأسفار وهذه التعليقات لم تطبع لحد الآن .

وبحمد الله أنتم أيضاً تسيرون في طريق إعلاء المعارف وإحياء الحقائق الإلهية ، وهذا الحفل القيم المحترم الكبير ، حافل بالكثير من العظماء المؤمنين والعلماء المحبّي للعلم والعالم في جميع الأبعاد . وكما قلت في بداية حديثي أن زواره أيضاً كانت دائماً مهتماً للعلم ، فمثلاً المنسّر الكبير حضرة علي بن الحسين الزواري كان أستاذاً المرحوم الملاء فتح الله الكاشي صاحب تفسير منهج الصالحين ، وليس عندي اطلاع هل أن تفسير علي بن الحسن الزواري مطبوع أم لا ؟ وهذا التفسير بالفارسية ، وتوجد نسخة منه في مكتبتي المحفّرة في قم . وكذلك الكثير من العلماء قد ظهروا من هذه المدينة .

بعض تلامذة الحكيم جلوه :

ينتهي عدد من أساتذتي العظام بواسطة واحدة إلى الحكيم جلوه :

منهم : الميرزا أبو الحسن الشعراني . حيث أن من أساتذته : الشيخ عبد النبي النوري ، والميرزا محمد طاهر التنگابني . والميرزا محمود رضوان القمي الكهكي ، والملاء محمد بن معصوم علي الهيدجي المعروف بالحكيم الهيدجي ، والميرزا مهدي الأشثاني ، وكانوا جميعاً من تلامذة الحكيم جلوه .

ومنهم : الميرزا مهدي إلهي قمشه عن الحكيم السيد آقا بزرك الخراساني (الميرزا عسكري الشهيدي) ، وكان من تلامذة جلوه .

الفصل التاسع : الحكيم المتأله السيد أبو الحسن جلوه ٣١٣

ومنهم : الميرزا أبو الحسن الرفيعة القزويني ، عن الشيخ عبدالنبي النوري السابق ذكره ، وهو من تلامذة الحكيم جلوه .

ومنهم : الشيخ محمد تقي الأملي ، عن والده الشيخ الملا محمد الأملي ، وعن الحكيم الهيدجي المذكور . وكانوا من تلامذة الحكيم جلوه .

ومنهم : السيد محمد حسين الطباطبائي التبريزي وأخوه السيد محمد حسن إلهي ، وكلاهما عن السيد حسين بادكوبه الذي كان من تلامذة الحكيم جلوه (رضوان الله عليهم أجمعين) .

تحرّر وعدم اهتمام الحكيم جلوه بالدنيا :

حكى لنا يوماً الأستاذ الشعراني عن تحرّر وعدم اهتمام المرحوم جلوه بالأمور الدنيويّة ، فقال : « كان للحكيم حجرة في مدرسة دار الشفاء ، فعندما مريض ذهب ناصر الدين شاه وعدد من أعضاء الدولة لزيارته . وفي البداية حصل سؤال وجواب بين الملك والحكيم جلوه حول اسم جلوه ، وأنا أخجل من ذكرها في هذا الحفل . وبعد سماع الملك هذا الجواب ، فكّر في الردّ على ذلك ، ولأنّ الحكيم جلوه كان مريضاً ، كانت توجد بالقرب منه - وللضرورة - زجاجة دواء ، فقال له الملك للملاطفة : من المعلوم أنّ الحكيم أهل مشروب أيضاً ، فأجابه الحكيم : الناس على دين ملوكهم .

بعد ذلك قال حضرة الحكيم جلوه للملك : خرجت يوماً وللضرورة من المدرسة ورأيت الجنود في الشارع يصدّون الناس ويأمرونهم باستمرار أن : اذهبوا ، ابتعدوا . فقلت لأحدهم : هذا وطن وأرض هؤلاء الناس فإلى أين يذهبون ، ولماذا يبتعدون ؟ فأجابني : سيأتي الملك ، فقلت لذلك الجندي : قل للملك نيابة عنّي أنّ الملك هو الذي يجب أن يقول للناس : تعالوا واقربوا . فماذا فعل الملك لكي يبتعد عنه الناس ؟ » .

الغرض أن الناس الإلهيين لا يهتموا بالأمر الدنيوية الاعتبارية ، وحضرة جلوه كان إنساناً إلهياً ، والإنسان الإلهي إنسان قرآني الذي لا يمسّه إلا المطهرون . فالإنسان القرآني يعلم كل ما يفكر به وما يراه وما يسمعه ، والخلاصة أن كل عمل ونية يقوم بها فإنه يحسها ويلمسها . فنيات وأفكار وأفعال الإنسان هي التي تصنع الإنسان ، والإنسان لا يمس القرآن إلا إذا كان طاهراً .

الحكيم جلوه مصداق بارز للعارف والزاهد والعايد :

إنّ المرحوم جلوه غني عن المدح والتعريف . كالشمس غنية عن التعريف والمدح ، كما قال المألا الرومي هذه الحقيقة :

مادح خورشيد مدّاح خود است كه دو چشم روشن و نا مرمد است (١)
والشيخ الرئيس ابن سينا (شرف الله نفسه الزكية) في الفصل الثاني من النمط التاسع في الإشارات في مقامات العارفين يصف ويعرّف كلّ من الزاهد والعايد والعارف حسب الآيات والروايات وصفاً جميلاً جداً .

يقول في تعريف الزاهد : « المعرض عن متاع الدنيا وطيباتها يخصّ باسم الزاهد » .

ويقول في تعريف العايد : « والمواظب على نفل العبادات من القيام والصيام ونحوهما ، يخصّ باسم العايد » .

ويقول في تعريف العارف : « والمتصرف بفكره إلى قدس الجبروت مستديماً لشروق نور الحقّ في سرّه يخصّ باسم العارف » .

ثمّ يقول الشيخ : « وقد يتركّب بعض هذا مع بعض ، يعني من الممكن أن يكون الشخص عارفاً وزاهداً وعايداً .

(١) تمّ شرح البيت سابقاً .

وبدون أي مجاملة أو شائبة مداهنة ، أو تفوّه بالمجاز والمسامحة ، كان المرحوم جلوه مصداقاً بارزاً لكل واحد من هذه التعاريف ، فكان عارفاً وزاهداً وعبداً .
فالعرفان بالله هو رأس المال الحقيقي للإنسان الذي يأخذه معه ، وكما يقول حافظ :

گوهر معرفت آموز که با خود ببری که نصیب دگرانست نصاب زروسیم^(١)
يعني ليس عندنا عمل أهم من تحصيل ومعرفة هذه الحقيقة ، وجميع الأمور الأخرى يجب أن تكون مُعدّة كلّها للحصول على هذه الحقيقة .
وقال حضرة الشيخ (رضوان الله عليه) : « والمنصرف بفكره إلى قدس الجبروت » ، فهكذا شخص له مقام العندية ، يعني مقام عند الله ، وكما قال الشيخ الأجل سعدي :

هرگز میان حاضر و غایب شنیده ای

من در میان جمع و دلم جای دیگر است^(٢)

وفي (الرسالة الإلهية) ، قلت : « إلهي ، أنّ الجليس يتأثر بمن يجلس معه ، فهنيئاً لي أن أكون جليسك ، ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾^(٣) . »

ويقول الشيخ أيضاً : « مستديماً لشروق نور الحقّ في سرّه » . نعم ، يحتاج إلى استمرار وممارسة ، فيحصل على الاستقامة ، ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا

(١) المعنى : أنّ المعرفة هي الشيء الثمين الذي يأخذه الإنسان معه إلى عالم الآخرة ، حيث نصيبه الآخر هو نصاب الذهب والفضة الذي لا بدّ أن يكون في خدمة تحصيل المعرفة .

(٢) المعنى : هل سمعت يوماً عن شخص حاضر وغائب؟ فأنا حاضر بين هذا الجمع لكن قلبي في مكان آخر . (يعني : أنا حاضر وغائب) .

(٣) البقرة : ١٢٨ .

رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴿١﴾ . فمثلاً لو كان عندهم حطباً رطباً أو قطعة من الفحم ويضعوه مكرراً قرب النار ويرفعوه ، لا يشتعل ذلك الحطب أو الفحم ، فإنها تحتاج إلى الاستقامة إلى جوار النار حتى تصبح مشتعلة ، فالمراقبة التي هي محاسبة حتى التنفّس تنمو بالاستقامة . فتصبح ملكة واقتدار ، فالفائدة التي تحصل من الأعمال بدون الاستقامة هي (حال) وليس (ملكة) ، فالمكاشفات والإلقاءات السبحيّة ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ هي إشارة إلى أنّ هذا يحصل من الملكة وليس من (الحال) .

وقال : « في سرّه » ، يقول القيصري في شرح فصوص الحكم : « طريق السرّ هو طريق الوجه الخاصّ الذي هو لكلّ قلب به يتوجّه إلى ربّه من حيث عينه الثابتة » (٢) .
ويقول في شرح فضّ الإسماعيلي : « سرّ الشيء لطيفته وحقيقته المخفيّة » (٣) .
ويقول ابن فناري في مصباح الأنس : « السرّ هو حصّة من مطلق التجلّي الجمعي الذي إنّما يستند إلى الحقّ المطلق ، ويرتبط به من حيثيّة تلك الحصّة هي باتّصاله بالحقّ المطلق الجامع » (٤) .

وكلّ التعابير الثلاثة تعرف أمراً واحداً ، والتعريف الثالث في حكم البيان والتفسير . ويقول برهان الموحدّين حضرة الوصيّ الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : « اللّهمّ نور ظاهري بطاعتك ، وباطني بمحبّتك ، وقلبي بمعرفتك ، وروحي بمشاهدتك ، وسرّي باستقلال حضرتك يا ذا الجلال والإكرام » (٥) .

(١) فصلت : ٣٠ .

(٢) شرح فصوص القيصري : ٥٠ ، ط . ١ .

(٣) المصدر المتقدّم : ٢٠٢ .

(٤) مصباح الأنس : ١١ ، ط . ١ .

(٥) بحر المعارف / الملاء عبدالصمد الهمداني : ٣٠٩ ، ط . ١ .

الغرض أن الإمام يقول: «وسرّي باستقلال اتصال حضرتك يا ذا الجلال والإكرام».

وليس هناك طريقاً للهداية سوى صراط الله، وهو القرآن الكريم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُخَيِّبُكُمْ﴾^(٢).

لقد رأينا أوستا وتلمود، ودققنا وبحثنا في كل واحد منهما، وكذلك أيضاً شرحنا صحف العهد القديم والحديث، لكن وكما قال حافظ:

هزار نقد به بازار كائنات آزند یکی به سکه کامل عیار ما نرسد^(٣)

القرآن «مأدبة الله»:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدِبَةٌ اللَّهُ فَتَعَلَّمُوا مَأْدِبَتَهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِنَّ أَصْفَرَ الْبَيُوتِ لَيْتَ أَصْفَرَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ»^(٤).

مأدبة بفتح الدال وضمها: بساط الطعام للضيوف، يعني القرآن مائدة إنهيّة، فلا يقوم منها شخص إلا وقد استفاد منها.

وأيضاً مأدبة بفتح الدال: بمعنى التأديب، فالقرآن جاء لتأديب وتقويم الخلق، فالأدب هو حفظ حدود كل شيء، والقرآن أدب ودستور إنهي، فتعلموا من

(١) الإسراء: ٩.

(٢) الأنفال: ٢٤.

(٣) المعنى: ضربت آلاف السكك النقدية في السوق لكن كل واحد منها لا يصل إلى مقدار عيار سكتنا، يعني أن جميع العلوم والمعارف القديمة لا تصل إلى قيمة ما عندنا.

(٤) المصنّف / عبدالرزاق الصنعاني ٣: ٣٦٨، طبع منشورات المجلس العلمي، باختلاف يسير. مجمع البيان / الشيخ الطبرسي ١: ٤٤، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، باختلاف يسير.

مأدبة الله هذه واحفظوا حدكم الإنساني ، وتعلموا العمل الصحيح والقبول من دستوركم هذا حتى تصلوا إلى مقام الفعلية ، فقد قال رسول الله ﷺ : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » ، وقال أيضاً : « أدبني ربي بمكارم الأخلاق » ، وقد روى الحديث الأول السيوطي في الجامع الصغير ، والثاني رواه الديلمي في الباب التاسع والأربعين من إرشاد القلوب .

فعندما تشتروا - مثلاً - ماكنة خياطة من محل البيع ، سترون أن صاحب المحل سيعطيكم معها دفترًا صغيراً مكتوب فيه آداب المحافظة على هذه الماكنة ، وهذا الدفتر يحذر المشتري أن هذه ماكنة خياطة وليست آلة أخرى ، فلا تضع فيها أشياء صلبة ، وأن طريقة فتحها وغلقها بهذا الشكل . ولا بد أن يكون خيطها وقماشها بهذا الشكل ، فهذا الدفتر دين الماكنة ، ولا بد أن تطبق هذه الأوامر على الماكنة حتى تحفظها سالمة ولا تتلف .

وكذلك أن الله سبحانه وتعالى قد خلق بيده المباركة وتبارك الله أحسن المخلقين ، هذه الصناعة العجيبة (الإنسان) ، وللمحافظة على هذه الصناعة وضع إلى جانبه كتاباً باسم القرآن . فلا بد من تطبيق أوامر هذا الكتاب في متن أحوال الإنسان والمجتمع حتى تحقق الحياة الإنسانية ويكون صاحب المدينة الفاضلة .

وقد ذكرت في بعض كتاباتي حول تدبيري وبعنوان ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾^(١) ، أن الحمد لله إن تدبيري لم يكن تقليداً عن أبي وأمي وأجدادي والعشيرة والمجتمع ، بل أصبحت متديناً بنور العرفان والبرهان ، وقلت حول هذا في (دفتر القلب) ، وهو أحد آثار منظومتي الشعرية :

امامی مذهبم از لطف سبحان	به قرآن و به عرفان و به برهان
من و دینداری از تقلید هیبات	برون آ از دعایات و خیالات

خداوندم یکی گنجینه صدر ببخشوده است رخشنده تر از بدر
چو تقلید است یک نوع گدایی نزیید با چنین لطف خدایی^(١)

وتشرّفت في إحدى الليالي عند محضر الأستاذ العلامة الطباطبائي (قدّس سرّه الشريف) في قم ، وقد كان عنده في اليوم السابق جلسة علميّة في طهران مع بعض العلماء ، ومنهم العالم هانري كرين الفرنسي ، وحكى لنا أنّ ضيفاً محترماً كان حاضراً في جلسة طهران ، وكان هذا الضيف فرنسي ومسلم وإمامي ، وقال بلسان مترجمه : « أنّه مسلم وشيعي اثنا عشري ، ومعتقد بسرّ الإماميّة » .

وقال الأستاذ الطباطبائي : « سألت المترجم : هل أنّ هذا العالم كان من الأصل في باريس من الإماميّة ؟ » .

أجاب : « لا ، لقد اعتنقت دين الإسلام بمطالعتي لكتب الأديان والمذاهب والملل والتحلل ، وتحقيقاتي الشخصيّة . فأصبحت مسلماً . وثمّ من الإسلام إلى الإماميّة والمذهب الجعنري ، وحتىّ أنّي أعترف وأعتقد أيضاً بسرّ الإماميّة » .

وقال الأستاذ الطباطبائي : « سألته : ما هو قصدك بسرّ الإماميّة ؟ » .

أجاب : « وجود إمام الزمان . المهدي الموعود ﷺ » .

نعم ، بقرينة الله وتتمّة النبوة ، وواسطة الفيض الإلهي . الإمام المهدي المنتظر ﷺ هو إنسان كامل وحي موجود بجسد عنصري . وقبله الكلّ في نظام الوجود ،

(١) المعنى : أنا بلطف الله إمامي المذهب ، وكان ذلك بالقرآن وبالعرفان وبالبرهان ، ولم يكن تدبّتي بالتقليد عن شخص أو طائفة ، وكان خالياً من الدعابة والخيال ، فيا إلهي ، تلطّف عليّ يخزّنة صدر أنصع من البدر ، مملوءة بالعرفان والبرهان ، وفيها أخبار وقرآن ، لأنّ التقليد كالاستجداء فلا تقايسه بهكذا لطف إلهي ، يعني تلطّف عليّ بالعلم والمعرفة والبرهان .

٣٢٠ مذكرات فريدة عن بعض العلماء الرئاسيين

ومن بطون تفسير الآية الكريمة: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾^(١)، ويسعى الجميع حتى يصلوا إلى هذه القبلة، والحق أن رسالتنا القيمة (نهج الولاية) مهمة جداً في هذا الموضوع.

ونعود إلى موضوع كلامنا:

يُذَكَرُ الْحَكِيمَ جَلْوَهُ بِاحْتِرَامٍ وَتَقْدِيرٍ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ :

لوتمعنوا النظر في هذه الرواية الصادرة عن إمام الملك والملوك، صادق آل محمد ﷺ، والتي ذكرها ثقة الإسلام الكليني في أصول الكافي:

« مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَمِلَ بِهِ، وَعَلَّمَ لِلَّهِ دُعَىٰ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ عَظِيمًا، فَقِيلَ : تَعَلَّمَ لِلَّهِ، وَعَمِلَ لِلَّهِ، وَعَلَّمَ لِلَّهِ »^(٢).

فبرغم أن ملكوت العالم نفسه عظيم، وكما تُشعر صيغة المبالغة (ملكوت) بذلك، وإِنَّه أصل وروح وحافظ هذه النشأة. وهذه النشأة هي ظلّه، وأن مرتبة ودرجة هكذا شخص بقدر بحيث يدعى في هكذا ملكوت بالعظيم.

مقام ومنزلة العارف بالله يوم القيامة :

ينقل المرحوم الملا عبدالصمد الهمداني في كتابه الشريف بحر المعارف، رواية من كتاب فردوس العارفين عن حضرة برهان السالكين، الوصي، الإمام أمير المؤمنين عليّ ﷺ:

قال أمير المؤمنين عليّ ﷺ: « العارف إذا خرج من الدنيا لم يجده السائق والشهيد في القيامة، ولا رضوان الجنة في الجنة، ولا مالك النار في النار ». قيل: وأين يقعد

(١) النجم: ٤٢.

(٢) أصول الكافي ١: ٢٧.

الفصل التاسع : الحكيم المتأله السيد أبو الحسن جلوه ٣٢١

العارف ؟ قال عليه السلام : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (١) ، (٢) .

فالعارف يجب أن يوجد في جنة الذات ﴿ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴾ ، فبرغم أن الجنة جميلة إلا أن جنة السعادة أجمل .

چرا زاهد اندر هوای بهشت است چرا بی خبر از بهشت آفرین است (٣)

وكما في البيان اللطيف والعذب للخواجه الطوسي في الفصل السادس : (التذكرة بداية وحال) : « كمال أهل اليمين الجنة . وكمال الجنة بالسابقون ، إن الجنة أشوق إلى سلمان من سلمان إلى الجنة ... » (٤) .

وأيضاً القول الجميل لابن ميثم البحراني في شرح نهج البلاغة : « إن ألد أثمار الجنة هي المعارف الإلهية ، والنظر إلى وجه الله ذي الجلال والإكرام ... » (٥) .

فمجتمع بلا عرفان ، كالجسد بلا روح ، ولا بد أن يكون الإنسان مثل حضرة الحكيم جلوه موحد بالتوحيد الصمدي حتى يصل إلى هذه الحقيقة أن العارف دائماً ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ . ويدرك مقام عنديّة العبد ، إدراكاً شهودياً لا مفهوماً ، فهذا محتوي حقيقي وذاك محتوي اعتباري .

والبوم هو التاسع من ذي الحجة يوم عرفة ، ولو تأملتم في الكلام الكامل العرشي لحضرة سيّد الشهداء الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام في دعاء عرفة ، في بيان التوحيد الصمدي ، حيث أنه كل الصيد في جوف الفراء :

(١) القمر : ٥٥ .

(٢) بحر المعارف : ٤ ، الطبعة الحجرية .

(٣) المعنى : لماذا يفكر ويتمنى الزاهد الجنة فقط ، وليس عنده علم بجنة السعادة التي هي أجمل وأفضل .

(٤) بحر المعارف : ٤ ، الطبعة الحجرية .

(٥) صفحة ٢٨ بتصحيح وتعليق المؤلف .

« كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ ، أَيْ كَوْنُ لِعَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهَرُ لَكَ ، مَتَى غَبَّتْ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ ، وَمَتَى بَعُدَتْ حَتَّى تَكُونَ الْأَثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْكَ ، عَمِيَتْ عَيْنٌ لَا تَرَاكَ عَلَيْهَا رَقِيباً ، وَخَسِرَتْ صَفْقَةٌ عَيْدٍ لَمْ تَجْمَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيباً... »^(١).

ويقول فروغي بسطامي في هذا المعنى كلاماً جميلاً:

كى رفته اى ز دل كه تمنا كنم ترا	كى بوده اى نهفته كه پيدا كنم ترا
غيبت نكرده اى كه شوم طالب حضور	پنهان نگشته اى كه هويدا كنم ترا
با صد هزار جلوه برون آمدى كه من	با صد هزار ديده تماشا كنم ترا ^(٢)

عارف موحد بالتوحيد الصمدي:

وفي دعاء عرفة بعد العبارة السابقة يقول: « مَاذَا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ ، وَمَا الَّذِي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ ، ... »^(٣) وذلك الشخص الذي لا يستفيد من محبتك فأى لذة له في هذه الحياة ، وذلك الذي لم يصل إلى التوحيد الصمدي ، فيأى قيمة وئمن ؟

وفي نبيل التوحيد الصمدي ، دققوا بهذا الحديث : روى حضرة الصدوق في كتاب التوحيد عن ثامن الحجج علي بن موسى الرضا عليه السلام : يقول في سجوده : « يَا مَنْ عَلَا شَيْءٌ فَوْقَهُ ، يَا مَنْ ذُنِيَ فَلَ شَيْءٌ دُونَهُ ، اغْفِرْ لِي وَلِأَصْحَابِي »^(٤).

إنه ي سبحانك وفقنا جميعاً لنيل أسرار الآثار الصادرة عن بيت العصمة والوحي .

(١) مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمي : ٢٧٢ و ٢٧٣ ، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت .

(٢) المعنى : متى ذهب من القلب حتى أتمناك ، ومتى كنت مخفياً حتى أجدك ، ولم تكن غائباً حتى أطلب حضورك ، ولم تكن مخفياً حتى أظهرك ، فقد ظهرت بمئات الآلاف من الصور والمظاهر حتى أراك بمئات الآلاف من الصور والمظاهر .

(٣) مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمي : ٢٧٢ و ٢٧٣ ، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت .

(٤) التوحيد / الشيخ الصدوق : ٦٧ ، ح ٢١ ، طبع جماعة المدرسين - قم .

وفي قيام السلطان التوحيد الصمدي وبيان الغاية القصوى للطهارة الإنسانية عن ما سوى الله ، توجهوا إلى لسان الصدق كشاف الحقائق الإمام جعفر الصادق عليه السلام :
 أمين الإسلام الطبرسي في تفسيره العظيم مجمع البيان ، وفي تفسير الآية الكريمة ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً ﴾^(١) من سورة الإنسان ، روى الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام وذكره بتعبير « روه » بصيغة الجمع وليس بصيغة المفرد المجهول « روى » ، وهو بهذا الشكل : « أي يطهرهم عن كل شيء سوى الله ؛ إذ لا طاهر من تدنس بشيء من الأكوان إلا الله^(٢) . روه عن جعفر بن محمد عليه السلام . »

فالإمام عليه السلام يقول : « شراب ظهور ، يطهرهم من كل شيء سوى الله ، حيث لا يبقى شيء سوى الله ، وحينئذ يظهر له سلطان ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾^(٣) ، ويقول عياناً :

نور او در يمن و يسر و تحت و فوق بر سر و بر گردنم مانند طوق^(٤)
 ويصل إلى حقيقة : « كَيْفَ يُشَدُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ »^(٥) .

ونأمل أن يكون من بركات هذا المؤتمر النموذجي نشر الآثار القلمية لحضرة الحكيم جلوه (رضوان الله عليه) . وآثار هذا العالم الجليل القلمية هي كما ذكر ذلك بقلمه في رسالة العلماء :

« ولأني كنت أعلم أن التصنيف الجديد صعب ، بل غير ممكن ، فلم أكتب شيئاً

(١) الإنسان : ٢١ .

(٢) مجمع البيان / الشيخ الطبرسي ١٠ : ٢٢٣ ، طبع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت .
 بحار الأنوار / الشيخ المجلسي ٨ : ١١٣ ، طبع مؤسسة الوفاء - بيروت .

(٣) البقرة : ١١٥ .

(٤) المعنى : أن نور الله موجود في كل مكان في اليمين واليسار وتحت وفوق وعلى رأسه وحول رقبتيه كالطوق .

(٥) مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمي ، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٣٢٤ مذكّرات فريدة عن بعض العلماء الربّانيين

مستقلاً، لكنني قد كتبت حواشي كثيرة على الحكمة المتعالية المعروفة بالأسفار...» .
أسأل الله تعالى أن يجعل عاقبة الجميع إلى خير، ويؤيد الجميع في إعلاء
المعارف وإحياء اسم وأثار العلماء ورقبي وتعالى المجتمع والنفوس المستعدّة
أكثر فأكثر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الفصل العاشر

العلامة محمد حسين فاضل التوني

العلامة محمد حسين فاضل التونسي

الأديب الأوحد . والحكيم الأكمل حضرة العلامة المرحوم الشيخ محمد حسين فاضل التونسي (رضوان الله عليه) . قد ولد في ليلة الخامس والعشرين من محرم سنة ١٢٩٨هـ . وكانت سنة مجاعة . في مدينة تون من عائلة أهل فضل وتقوى . كان والده المرحوم الملا عبدالعظيم واعظاً ومحبوباً في مدينة تون وأطرافها . وقبل أن يصل ابنه إلى سنّ التعليم أرسله إلى المكاتب المذهبية . فكان ذلك الطفل صاحب القريحة يتعلم بشوق كبير . فتعلم القراءة في أقلّ فترة ممكنة . وأخذ أيضاً يتمرن على الكتابة لعدة أشهر . وبلا فاصلة بدأ بدراسة مقدمات العربية . وحفظ كل القرآن .

ولم تمض ثلاث أو أربع سنوات عن دراسة ذلك المرحوم حتى التحق والده بالملكوت الأعلى وترك طفله يتيماً وبدون معيل . ولأنه كان زاهداً في الدنيا ومتحرراً من علائقها . ولم يكن يهتم بجمع المال . لذلك لم يترك له إرثاً يذكر .

فقدان الأب وعدم وجود مصدر ثابت لتمير معيشته لم يؤدي بأي وجه إلى وهن وفتور في العزم الراسخ والشوق الوافر للمرحوم فاضل . وبعد مدة بدأ بدراسة الآداب العربي .

وأكمل في مسقط رأسه السيوطي عند الملا محمد باقر التونسي . والمغني

عند الميرزا حسين ، وتعلّم مقداراً من المطوّل أيضاً .
وقد ظهرت منه منذ عهد الطفولة آثار كبيرة ، وكانت قدرة حفظه ، وحدة ذهنه ،
وسرعة تعلّمه بحدّ بحيث كان مثار إعجاب الجميع ، ولم تمض فترة حتّى تفوّق في
مستط رأسه على جميع أقرانه ، وأصبح يشار له بالبنان ، حتّى أنّ الأفراد المتمكّنين
كانوا يرسلون أبناءهم للدراسة عنده أو المباحثة معه .

الهجرة لتعلّم العلوم :

عندما وصل إلى السابعة عشرة من عمره ، وجد أنّ محيط تون المحدود أصبح
صغيراً عليه ، فكان مضطراً للاستفاضة من محضر الأساتذة الكبار ، أن يترك وطنه
وقومه ويهاجر إلى مشهد ويقيم فيها للاستمرار بالدراسة هناك .

نهنگ آن به که در دریا سیتزد کز آب ماهی خرد خیزد

وفي مشهد ، كان يحضر في مدرسة النوّاب ، درس المطوّل عند المرحوم الأديب
النیشابوري .

كذلك تعلّم قسماً من المطوّل أيضاً عند العالم جامع الأطراف والمنقطع النظر
الميرزا عبدالرحمن المدرّس الشيرازي .

وبرغم أنّ علوم الرياضيات لم تكن محل استقبال الطلاب ، إلّا أنّه كان يحضر
بشوق كبير درس المرحوم الميرزا عبدالرحمن لتعلّم خلاصة الحساب للشيخ
البهائي وهيئة ونجوم وتحرير اقليدس ، فأصبح متبحراً في جميعها .

وكان يحضر درس حجة الإسلام البجنوردي لتعلّم الفقه والأصول ، وأيضاً كان
يستفيد من درس معالم المرحوم الشيخ إسماعيل قايني .

بقي مدّة ستّ سنوات في مشهد المقدّسة . استفاد فيها من محضر الأساتذة
الكبار بجدّه وقدرة حفظه الكبيرة ، عندئذٍ انتقل إلى إصفهان بمعيّة المرحوم

الشيخ محمد (حيث بعدها كان يعرف في إصفهان بالشيخ محمد الحكيم ، وقد استفاد من محضره المبارك طلاب الحكمة القديمة) ، حتى يستمر بدراسة الفلسفة والحكمة وإكمال دراسة الفقه والأصول .

وكانت إصفهان في تلك الأثناء مهد العلم والفكر ، وكان لسوق العلوم الدينية رونقاً كبيراً ، فكان فيها ما يقرب من ألفين وخمسمائة طالب يدرسون بشوق كبير في حوزاتها العلميّة المختلفة ، وقد نال بعضهم بعد ذلك أعلى الدرجات العلميّة مثل المرحوم حضرة آية الله البروجردي .

وقد أخذ مع الشيخ محمد في إصفهان غرفة محقّرة وبقياً فترة يدرسون ويتباحثون معاً .

تحمل أيام المحنة في إصفهان :

في الأشهر الأولى من وصوله إلى إصفهان ، ولأنه كان غريباً ولم تكن عنده المرتبة الكافية ، كان يعيش في ضيق وعوز شديد . وكثيراً ما يتفق أن لا يجد أستاذنا غذاءً كافياً لسدّ جوعه ، وإذا وجد شيئاً لم يكن يتجاوز الخبز واللبن ، أو الخبز والبصل والجبين « إذن تبقى جائعاً ولم يكن يعلم أحد من أنت » .

وكان قد قال لي مكرراً أنه قضى أوّل شهر رمضان في إصفهان بصعوبة شديدة ، وكان يكتفي بالخبز والبصل ، وأحياناً الخبز واللبن في الإفطار والسحور ، وبسبب العنة ومناعة الطبع لم يكن يُخبر أحداً بحاله .

وحتى عندما كان التجار الخيرون يدعون الطلاب على الإفطار ، وحتى لا يتأخر عن الدرس والمباحثة ، كان لا يجيب دعوتهم ويكتفي بما موجود عنده من الغذاء ، وكان يقول مع نفسه :

از خواب و خورش ثمر نیابی کاین در همه گاو و خر بیابی
تازان روی که مایه ها سرشتند مارا و رقی دگر نوشتند

تأدر نكريم وراز جوئيم سر رشته كار باز جوئيم^(١)

فكان يحضر ومن الأيام الأولى درس الحكمة للمرحوم جهانگیر خان قشقائي . وكان متعلقاً ومولهاً بذلك الأستاذ الحكيم . وكان المرحوم جهانگیر خان يدرّس دورة منظومة الحكيم السبزواري في ستة سنوات ، وطبعاً كان يوضح فيها أيضاً القسم الأعظم من مواضيع الشفاء والأسفار .

دراسة العلامة فاضل التوني للحكمة والفقہ :

انضمّ المرحوم فاضل إلى درس المرحوم جهانگیر خان في المرّة الثالثة لتدريسه للمنظومة ، فكان يحضر جميع دروسه لمدة ست سنوات (عدا الوقت الذي ابتلي فيه بمرض الحصبة) ، ولم يغفل حتى يوم واحد عن درس ذلك العالم الكبير ، وكان يحضر في الدرس ما يقرب من مئة وعشرين طالباً لكن يقلّ عددهم بالتدرّج مع تقديم الدرس وتعقيد المواضيع . فقد انصرف بعضهم في مبحث الوجود الذهني والبعض الآخر في مبحث العاقل والمعتول . وهكذا... وبحكم :

خليلي قطاع الفيافي إلى الحمى كثير وأما الواصلون قليل

فلم يكمل تلك الدورة إلا العدد القليل من الطلاب . وبالإضافة إلى دراسته الحكمة ، كان يستفيد بموازة ذلك من درس علماء إصفهان الكبار ، مثل المرحوم السيّد محمّد صادق خاتون آبادي . والمرحوم الآخوند فشاركي . والمرحوم السيّد علي نجف آبادي .

ومع حسن القضاء والقدر في تلك الأثناء ، انتخب المرحوم الحاج الشيخ عبدالله

(١) المعنى : أنه لا ثمر في النوم والأكل ؛ لأنّ هذه الصفة تجدها في كلّ الحيوانات مثل البقر والحمير ، وكتب لنا ورقاً آخر لحياتنا غير تلك الحياة ، وهذه الأمور هي أصل هذه الخلقة ، حتى نبحت وتعلّم ونبحث في أسرار الكون .

الكلّيايگاني ، وهو من علماء النجف الكبار . السكن في إصفهان لتغيّر الهواء وحسب نصيحة الأطباء ، واعتبر المرحوم فاضل قدوم ذلك العالم الكبير فيضاً كبيراً ، وهبة عظيمة ، فاستفاد كثيراً من مجلس درس الأصول .

وكان المرحوم فاضل يقول : « كان مجلس درس الحاج الشيخ عبدالله الكلّيايگاني من ناحية الاستفادة منقطع النظر . حيث كان عنده بياناً بسيطاً ولبليغاً ودقيقاً وي طرح أمثلة بسيطة من الحياة اليومية لتفهيم المواضيع للطلبة . ومن جهة أخرى كان مجلس درسه بخلاف التقليد المرسوم في ذلك العهد . هادئاً وبدون ضوضاء وناقش وجدال . وطريقة استدلاله حول قاعدة الترتب لم أسمعها من أي أستاذ من الأساتذة الآخرين » .

وبقي العلامة فاضل التوني إحدى عشرة سنة في إصفهان ولم يتم فيها بأي عمل سوى الدرس والمباحثة والتدريس والعبادة والرياضة وتهذيب النفس ، وكان يقول دائماً أنّ أفضل أيام عمري كانت الأيام التي قضيتها في إصفهان .

السفر إلى طهران وملازمة الحكيم الميرزا هاشم الأشكوري :

وأخيراً دفع الحنين إلى هواء الوطن ، المرحوم فاضل بعد سنوات طويلة للعودة مرة أخرى إلى خراسان ، وبعد أن توقّف فيها مدّة ، ذهب مجدداً إلى إصفهان . وما أن وصل طهران سمع أنّ المرحوم الحكيم الميرزا هاشم الأشكوري مدرّس المعقول الجديد في مدرسة سپسهاالار . قد بدأ بتدريس شرح مفتاح الغيب .

فحضر في مجلس درسه عدّة أيام لكسب الفيض من ذلك العالم المتبحّر .

وقد كان تسلّط وإحاطة ذلك الأستاذ الكبير في الحكمة والتعرفات ولطف ومحضر وصفاء باطنة بحدّ بحيث ما أن وقعت عين مسافرنا على جماله ، تبدّل عزمه من السفر إلى الإقامة هناك وبقي مدّة ملازماً لذلك الأستاذ الكبير .

وما أنّ أكمل المرحوم الأشكوري تدريس مفتاح الغيب . بدء بتدريس الأسفار ،

والمرحوم فاضل ، وبرغم دراسته القسم الأعظم منه عند المرحوم جهانگیرخان ، إلا أنه بدأ مجدداً في درس دورة الأسفار . وكذلك كان يحضر أيضاً درسه لفصوص الحكم وبعد الظهر كان يدرس عنده بشكل خاص تمهيد القواعد .

إنّ الذكاء والذاكرة العجيبة ، والحماس والاشتياق الكامل بالنسبة إلى العلم والمعرفة ، وملازمة الأساتذة من الطراز الأول ، والرياضة الشاقة ، أدت جميعها بعضها مع البعض إلى أن يصبح أستاذاً كاملاً متبحراً ، وعالمياً متمكناً ومفيداً ، حيث « إذا أراد الله شيئاً هيأ أسبابه » .

الأستاذ فاضل التوني على كرسي التدريس في الحوزة والجامعة :

بعد وفاة المرحوم الميرزا هاشم الأشكوري ، ذهب المرحوم فاضل إلى مدرسة دار الشفاء ، وأقام هناك مجلس درسه واستفاد منه ومن معلوماته الواسعة الكثير من الطلاب الفضلاء والمستعدين .

فبدأ سنة ١٣٣٢هـ . في بتدريس اللغة العربية في المدرسة السياسية ، وبعد فترة جعلوا تدريس الفقه والمنطق بعهدته أيضاً ، ودرّس بعد فترة في دار الفنون ومؤسسة الوعظ والخطابة أيضاً .

وفي سنة ١٣٥٤هـ . ق بدأ بتدريس اللغة العربية في دار المعلمين العالية التي كانت قد افتتحت حديثاً ، وثم أضيف لذلك تدريس المنطق والفلسفة له أيضاً . وكذلك بالتدريس في كلية المعقول والمنقول منذ بداية تأسيسها . وبهذا فقد كان يستفيد من مجلس درسه الآلاف من طلاب العلم والمعرفة .

وفي السنوات الأخيرة كان تدريسه منحصرأ في كلية الآداب وكلية المعقول والمنقول ، وكان أصحاب المؤسسة والأساتذة والعاملون والطلبة في الكليتين يقومون بتبجيل وتكريم ذلك الأستاذ الكبير وكانوا ينظرون له دائماً باحترام وتقدير . وكان الأستاذ الكبير من الأفراد الذين كانوا يعتقدون أنّ العلم والمعرفة هما غاية

وحاجة بالذات ، وليس وسيلة وأداة . وبهذا المعنى كان ومنذ عهد الطفولة متعطشاً بحق لمعرفة الحقيقة وكسب العلم والفضيلة ، وكان يتلذذ من التعلم والتعليم . ومن الأفضل أن نقول أنه كان عاشقاً للحقيقة ومولعاً بها . وكان يعتقد أن العلم والمعرفة هما أهم وأفضل الأمور . وعلى الرغم من أنه أحياناً كان عندما يتكلم عن أمور الحياة العادية لا يؤدي الكلمات والجمل بشكل صحيح ، وحتى أن بعض الكلمات كان يقولها بشكل غير مفهوم ، لكنّه وفي أثناء الدرس يتغير لحن كلامه بشكل كامل . فكان يذكر المواضيع ويشرحها بطمأنينة كاملة ، وكان يوضح أصعب وأعقد المواضيع بقوة بيان منقطعة النظير . وكان يُزيّن درسه بالآيات القرآنية وشعر مولانا وحافظ والشيخ محمود الشبستري .

وضمن التدريس ولفرع المثل عن الطلاب كان يذكر بعض المواضيع اللطيفة والمسلية ، وكان نادراً ما ينتهي مجلس درسه بدون ضحكة ولطيفة . وحتى أنه نفسه كان يضحك بشكل بحيث يقطع كلامه لفترة . وكان مجلس درسه وبيانه السلس واللطيف ، جميلاً يقدر بحيث أن أغلب الطلبة في الفروع الأخرى يغتمون فرصة أوقات فراغهم للحضور في مجلس درسه ، فيجذبون إلى إحاطته العلمية وحضور ذهنه وذاكرته العجيبة وحسن بيانه وذوقه وظرافته والقوة الإيمانية والصفاء والبساطة التي كانت من خصائصه ، حتى كانوا يتناقلون كلامه في المحافل والمجالس .

فكل من كان يحضر مجلس درس ذلك المرحوم ، يصبح معجباً ومتحيراً من سعة علمه ومعرفته وإحاطته بمختلف فروع العلوم الإسلامية خاصة في الأدب العربي والحكمة القديمة ، ويُجذب إلى صفاء قلبه وسلامة نيته وعدم التظاهر وصدقه وصفائه وإخلاصه ويصبح من مريدي ذلك الوجود العزيز .

وكان جميع أساتذتي والعلماء الذين كان لي افتخار التلمذ عندهم ومصاحبتهم ، لهم نفس التجربة والقصة معه ، وكان المرحوم فاضل من ذخائر ونوادر عصرنا وحقاً بقیة الماضين وخير الموجودين ، وحتى لم يكن له نظير أو بديل في بعض الفروع .

وقد منحه مراجع التقليد العظام إجازة الاجتهاد .

ومنهم المرحوم حضرة آية الله البروجردي ، حيث خاطبه في الرسالة التي بعثها له قبل عدّة سنوات من وفاته ، بعنوان (عماد العلماء المتألّهين) .

آثار المرحوم فاضل العلميّة :

كان المرحوم فاضل التوحي تقريباً محروماً من نعمة الكتابة ، وكان يكتب بصعوبة كثيرة ، حتّى التوقيع كان لا يخلو من صعوبة عليه . لأنّ المرحوم لم يتعلّم الكتابة إلّا عدّة أشهر في أيام الطفولة . لذا فإنّه كان يعتمد على قدرة حفظة المحيّر فلا يحتاج إلى كتابة أو تدوين المواضيع وعلى هذا كان نادراً ما يتمكّن من كتابة موضوع ما ، ولهذا السبب كانت آثاره القلميّة معدودة ، وحتّى تلك كانت بإملائه وكتابة الآخرين . وهذه الآثار عبارة عن :

١ - كراس الصرف : وهذا الكتاب عبارة عن تجزئة وتركيب ، مقدار من الآيات القرآنيّة التي أملاها في مؤسّسة الوعظ والخطابة . وفي هذا الأثر النفيس لم يكتب الأستاذ فقط بالتجزئة والتركيب . وذكر النكات الصرفيّة والنحويّة ، بل كان يوضّح في كلّ آية ، نكات دقيقة في التفسير ومعاني البيان والكلام والحكمة والعرفان .

٢ - تعليقه على شرح النصوص : وذلك الكتاب صغير الحجم ، وبلغ جداً ، ويتضمّن إشارات ودقائق عرفانيّة . وفي الواقع كان بمنزلة رسالة الدكتوراه للمرحوم ، وقد طبع مع مقدّمة للأستاذ فروزانفر .

٣ - منتخب القرآن ونهج البلاغة : وهي مجموعة من الآيات القرآنيّة والكلمات القصار وعدّة خطب من نهج البلاغة مع شرح الكلمات الصعبة فيها .

٤ - الصرف والنحو والقراءة : (للصفوف الأولى والثانية والثالثة من مرحلة الثانويّة) ، وقد ساهم مع المرحوم في تأليف هذا الكتاب أستاذان من أساتذة الجامعة .

٥ - منتخب كليلة ودمنة ، ووفيات الأعيان لابن خلكان : وهو منتخب من كليلة ودمنة لعبدالله بن المقفّع ووفيات الأعيان لابن خلكان مع شرح الكلمات الصعبة فيها .

٦ - ترجمة فنون السماع الطبيعي للشفاء : وقد نظّمه أحد تلامذته .

٧ - كراس المنطق : ويشمل عدّة مواضيع كان الأستاذ قد أملاها في قسم الفلسفة في كلية الآداب ، ودوّنها الطّالاب .

٨ - الحكمة القديمة (في الطبيعيات) : وهي أيضاً المواضيع التي أملاها الأستاذ في هذا الفرع ، وقد طبع المرحوم فاضل هذين الكتابين على نفقته الخاصّة ، ولأنّه قد عهدَ تصحيح الأخطاء الطباعيّة لأحد الطلبة . فقد كان وللأسف حاوياً على أخطاء طباعيّة كثيرة جداً .

٩ - الإلهيات : وكان قد أملاها منذ عدّة سنوات ولكنّه لم يطبع .

ولأنّ رئيس كلية الآداب في ذلك الوقت قد اطّلع على وجود ذلك الكتاب ، فطلب بإصرار شديد من المرحوم فاضل أن يوافق على طباعته^(١) .

دراسة الحكمة عند العلامة فاضل التوني :

لقد درس هذا النقيير حسن حسن زاده الأملي ، شرح القيصري على فصوص الحكم وقسم من أوّل الطبيعيات في الشفاء للشيخ الرئيس ، في مجلس درس العلامة فاضل ، وكان محلّ درسنا في دار العلم ذلك الأستاذ ، أي منزله في طهران ، فقد كنّا نذهب وبأمر الأستاذ صباح كلّ يوم من أوّل طلوع الشمس ، من مدرسة مروي إلى منزله لحضور درسه .

وبعد شرح القيصري وإكمال درس الشفاء تشرفت في محضره في الساعة

(١) مأخوذ من مقدّمة كتاب تعليق العلامة فاضل التوني على الفصوص .

٣٣٦ مذكرات فريدة عن بعض العلماء الربانيين

الرابعة بعد الظهر من يوم الاثنين سنة ١٣٧٦هـ. ق ، وفي البداية أهدى لي نسخة من كتاب (الإلهيات) ، وهو من آثاره القلمية ، ثم جرى الحديث عن مواضيع مختلفة .

بلسان الأستاذ المبارك :

لقد ولدت في الخامس والعشرين من شهر محرم سنة ألف ومئتين وثمان وتسعين هجري قمري (١٢٩٨هـ. ق) وعمري الآن ثمان وسبعون سنة .

وقال : عندما كنت في الحادية عشر من عمري توفي والدي المرحوم الملا عبد العظيم الذي كان واعظ تون وأطرافها . وكان محبوباً ومشهوراً فيها ، بعد إصابته بمرض عضال ، في ليلة كنت وحدي معه ، ولم أكن ملتفتاً أنه قد مات .

وقال : في تون ، درست الصرف عند الشيخ محمد حسن . ودرست أيضاً في تون ، جامع المقدمات وشرح القطر وثمانية أبواب من مغني اللبيب وشرح السيوطي على ألفية ابن مالك . ودرست المطول في مشهد عند الأديب النيشابوري إلى المسند إليه في تحقيق ما أنا قلت . حيث لم يشرحه بشكل جيد ، فبأست من ذلك وذهبت إلى شخص باسم الميرزا عبدالرحمن . ولم تكن له شهرة مثل الأديب ، إلا أنه كان أعلم ، وقد وضح بشكل جيد تحقيق ما أنا قلت . ودرست أيضاً الرياضيات عند الميرزا عبدالرحمن .

وقال : كانت عادة المرحوم الأديب أنه يجب أن يقرأ درس كل يوم أحد الطلبة ، وفي اليوم الرابع جاء دوري فقرأت الدرس أفضل من الآخرين ، فقال المرحوم الأديب : « من هذا الرجل الفاضل » ، فدعاني لجنبه وأجلسني قربه . ولهذا السبب ومنذ ذلك اليوم اشتهرت باسم فاضل .

يقول المؤلف : لقد كان المرحوم الأستاذ فاضل التونسي بحق أديباً كاملاً ، وكان قلمه فصيحاً وبلغياً وخاصة بالفارسية ، حيث كان لطيفاً ومريحاً جداً ، وكذلك كان متمكناً في النثر الفارسي ، و فقط لم يكن عنده خطأ جيداً .

وقال: عندما كنت مشغولاً بالدراسة في مشهد المقدّسة، وفي تلك السنة وفي شهر رمضان تمكّنت ثلاث مرّات فقط أن أتناول في السحور الخبز واللبن، أمّا بقية الأيام وبسبب العوز الشديد كنت أتناول الخبز والبصل فقط، لكنّي قد وصلت إلى صفاء الباطن واللذّة الروحيّة والمعنويّة في تلك السنة.

يقول المؤلّف: أنّ المرحوم فاضل التوني قد عانى كثيراً من صعوبة العيش في أيام دراسته ممّا زاد من محنته.

وكان كثيراً ما يذكر أستاذه المرحوم جهانگیرخان قشقاوي في إصفهان، والميرزا هاشم الأشكوري في طهران.

وقال: قد كنت مع المرحوم البروجردي (المرحوم آية الله الحاج حسين البروجردي) نحضر درس الآخوند كاشي (المرحوم الآخوند الملا محمد الكاشاني)، ودرس جهانگیرخان قشقاوي في إصفهان.

وهذا الفقير إلى الله عندما أراد البدء بدراسة شرح الفيضري على فصوص الحكم، طلبت من الأستاذ العلامة الشعراني (رضوان الله عليه) أن يرشدني في ذلك، فقال حضرته إذا يقبل الأستاذ فاضل التوني ذلك فإنّه جيّد جداً لكم. بعد ذلك قال الأستاذ الشعراني عندما كنت في عمركم أدرس في طهران، كان الشيخ فاضل التوني في ذلك الوقت أحد أساتذة إصفهان، ذائع الصيت، ومشهوراً بعلميّته، وبعد شرح الفصوص أردت أن أدرس الشفاء أيضاً، وبرغم أنّي كنت أدرس من كتاب النفس عند حضرة الأستاذ الشعراني، طلبت منه أيضاً أن يرشدني لأن أدرس الشفاء من أوّل الطبيعيات عند فلان (وذكرت اسم أحد رجال الدين المعروفين في ذلك الوقت في طهران)؟ فأجاب: أنّ هذا الشخص يعرف كلام ومواضيع كثيرة من الخارج لكنّه ليس ملاً لتدريس الكتاب، ولا بدّ للطلبة أن يدرس الكتاب عند ملا، فإذا يقبل الأستاذ فاضل التوني أن يُدرّسكم الشفاء يكون جيّداً لكم.

ذكرى مؤلمة جداً:

لقد حصلت لي حادثة مؤلمة في درس الشفاء عند الأستاذ فاضل التوني بعد فترة طويلة دراسي الكثير من الطبيعيات في كتاب الشفاء عنده ، وكانت بهذا الشكل :

في هذا الدرس لم يكن يشترك معي أحد ، وكنت أتشرف وحدي عنده ، وفي يوم الأربعاء كان الدرس الأخير من الاسبوع ، فلاحظت أن حضرته (رضوان الله عليه) لم يكن يلقي ويوضح مواضيع الشفاء بشكل موزون وجيد ، وكان يتحدث بلا وعي ، وقد سألته عدّة مرّات فلم أحصل منه على جواب مقنع ؛ ففكرت في نفسي أنه قد حصل له مانع ما بحيث لم يستطع معه مطالعة الدرس بشكل جيد .

وكنت في أيام الخميس والجمعة وغيرها أدرس الرياضيات عند الأستاذ الشعرائي ، لذا وفي غد تلك الأربعاء حضرت عند الأستاذ الشعرائي لدرس الرياضيات ، وكنت أدرس وحيداً أيضاً عنده ؛ الغرض أنه قد صدر مني موقفاً غير مؤدّب ، فعندما قلت للأستاذ الشعرائي : أن الأستاذ فاضل التوني بالأمس لم يوضح درس الشفاء بشكل جيد . وأني قد سألته عدّة مرّات فلم أحصل منه على جواب موزون ومقنع ، فاضطرت للسكوت ولم أتابع ذلك .

وكان الأستاذ الشعرائي مشغولاً بالكتابة أثناء حديثي ، وبدون أن يرفع رأسه وينظر لي ، قال لي وهو في حالة امتعاض وتغيّر ملامح وجهه ، وبلحن خاص معترضاً : « قلل من دروسك وبحوثك وادرس الشفاء قبل أن تحضر وتابع ذلك بجديّة أكثر » .

فسكت ، ولكن قد أصابني انفعال وتأثر شديد أنه لعل الأستاذ الشعرائي يحتمل أن تصدر مني هذه العسارة في حقّه أيضاً ، وأن أتكلّم عنه بهكذا أسلوب غير مؤدّب عند الأساتذة الآخرين . وعندما حضرت في غد ذلك اليوم وكان الجمعة ، ما زالت حالة الانفعال حاكمة عليّ ، وما أن جلست عنده حتى أدار وجهه لي وقال :

إن اعتراضكم يوم أمس على الأستاذ فاضل التوني ، كان الحقّ معكم ، لأنه قد أصيب يوم أمس بسكتة دماغية وهو الآن راقد في المستشفى ، وكان ذهوله وارتبائه في الكلام من علامات السكتة .

وبعد درس الأستاذ الشعراني ، ذهبت إلى المستشفى ، وما أن وقعت عينه عليّ حتّى أجهش بالبكاء بشدة فأبكاني أيضاً ، فقبّلْتُ يده وقدماه وقلت له : سيّدي ، نحن يجب أن نتعلّم الصبر والسكينة والوقار منكم ، فجزاه الله سبحانه عنّا أحسن جزاء المعلمين .

وفاة العلامة فاضل التوني :

مرفده الشريف في شيخان قم . وكلّ ما كتب على لوح قبره من قول وشعر حضرة الأستاذ جلال الدين همايي المتخلّص بـ (سنا) (رضوان الله عليه) في رثاء حضرته وتاريخ وفاته ، وكان بهذا الشكل :

محلّ دفن العالم الفاضل الكبير الحاج الشيخ محمد حسين فاضل التوني العالم وأستاذ جامعة طهران ، ولد سنة ١٢٩٨ هجري قمري . وتوفّي في الخامس عشر من شهر شعبان سنة ١٣٨٠ هجري قمري .

فاضل تونی آن که داشت بفضل	اشتهاد و بلند آوایی
بود نامش حسین و خلق حسن	شهره در علم و فضل و دانایی
هم به تقوی و دین مسلم بود	هم بدرس و فنون ملایی
چون به هشتاد و دورسیدش سال	رخت بست از جهان غوغایی
رفت در بارگاه قدس و شدند	قد سیانش به بزم آدایی
خواستم سال فوت او ز (سنا)	که دراین فن بودش یکتایی
گفت تاریخ (فاضل تونی) است	چون سه بر جمع آن بیفزایی ^(١)

(١) المعنى: فاضل التوني الذي كان مشهوراً بالفضل والاسم الرفيع ، وكان اسمه حسين

عمر كله تعليم وتدرّيس وتأليف ومطالعة:

يقول في مقدّمة رسالة الإلهيات والتي نذكرها لأول مرّة:

«... إنّي مسرور ومرفوع الرأس جدّاً أن لم أضع قدماً طيلة عمري الطويل إلّا في طريق الدراسة والتعليم، والمطالعة والتأليف، وقد رجّحتُ القناعة والتحرّر من قيود الدنيا وعلى كلّ شيء...».

إلى أن يقول في آخر المقدّمة:

«... الآن وبعد أن أخذت شمس العمر بالأفول، فإنّي شاكر وممتنّ جدّاً لهذا التوفيق الذي حصلت عليه، وقد يكون هذا آخر أثر يطبع عني، وأن يبقى لي مثل الابن المتديّن العزيز كذكرى عني...».

وهذه العبارة الأخيرة التي قالها: «مثل الابن المتديّن...». لأنه لم يكن عنده ابن. والعجب أنه وبرغم كلّ هذا العوز والصعوبات والأحداث المؤلمة التي مرّت عليه في زمان الدراسة في تون ومشهد وإصفهان وطهران، كانت أمينته أن يكون عنده ولد من طلبة العلوم الدينيّة، وعلى نفس طريق والده ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(١).

وكان لحضرة الأستاذ فاضل التوني آثاراً قيّمة من قبيل التعليقات على الأسفار وعلى الشفاء وعلى شرح القيصري على فصوص الحكم. وقد طبعت بعض آثاره

❦ وكان يشتهر بالخلق الحسن والعلم والفضل والمعرفة، وكذلك معروفاً بالتقوى والدين والدرس وفنون التدريس، وعندما بلغ سنّ الثانية والثمانين ودّع هذه الدنيا الفانيّة، فذهب إلى مرقده المقدّس واحتفل به قدسيانه واجتمعوا للاحتفال به، فأردت أن أورد تاريخ وفاته فقد كان في هذا الفرز لا نظير له، فقلت إن تاريخ فاضل التوني مثل أن تجمع معه ثلاثة.

(١) المطفّفين: ٢٦.

مثل رسالة في الإلهيات ، ورسالة في المنطق ، ورسالة في الحكمة القديمة ، وتعليقة على الفصول الاثني عشر للقيصري على شرح فصوص الحكم ، لكن كانت هذه الرسائل نموذجاً من معارف وواقعية ذلك الأستاذ الكبير .

ومن آثار حضرته الأخرى ، ترجمة فرّ السماء الطبيعي من كتاب الشفاء للشيخ الرئيس بهذا الشكل الذي قلته في النكتة ٩٥٠ من كتاب ألف وواحد نكتة :

«المرحوم أستاذي الكبير جامع العلوم العقلية والتقليية ، آية الله العلامة محمد حسين فاضل التوني قدس سرّه الشريف ، قال يوماً في مجلس درس الشفاء للشيخ الرئيس الذي كنت أتشرف بحضوره وفي منزل حضرته : أنّ ترجمة شفاء الشيخ والتي باسم محمد علي فروغي كانت بتقرير وتوضيح إملاء والقاء منّي ، حيث كان الفروغي قبلكم يدرس ويُدوّن ذلك عندي . ونفس الفروغي يقول في الصفحة الثانية من مقدمته : وخاصة الأستاذ المحترم جامع المعقول والمنقول الشيخ محمد حسين المعروف بفاضل التوني ...» .

الصفات الأخلاقية للعلامة فاضل التوني :

أني وطيلة الفترة التي قضيتها مع ذلك العَلم والسيد والأب الروحي ، وكنت أستفيد من محضره ، لم أسمع منه أي كلمة أو كلام خشن ، أو فظ ، ولم أر منه أي جفاء أو استقبال سيئ ، و فقط في أحد الأيام حيث كان يجب أن نحضر إلى الدرس في أوّل طلوع الشمس ، تأخّرت عدّة دقائق ، فقال : «لماذا تأخّرتم ؟» ، فقلت : إنّ الاختلاف في الأفق بين مدرسة مروزي إلى هنا أدّى إلى هذا التفاوت ، فتبسّم وبدأ الدرس .

وكان ذلك الأستاذ الجليل (روحي فداه) لطيف المجلس ، كان يصرّ أن يكون درسنا أوّل طلوع الشمس ، ويقول للملاطفة : «في هذا الوقت الأستاذ يفهم ما يقوله ، والطالب أيضاً يفهم ما يسمعه ، وأما إذا ارتفعت الشمس ، فإنّ الأستاذ يفهم ما يقوله ،

أما الطالب فلا يفهم ما يسمعه ؛ وبعد الظهر فلا الأستاذ يفهم ما يقوله ، ولا الطالب يفهم ما يسمعه .»

فكان حضرة الأستاذ العلامة فاضل التوني جامعاً للمعقول والمنقول ، وكان حقاً من ذخائر ونوادر عصرنا ، وعنده ذاكرة قوية جداً ، وكان أديباً بارعاً ومتضلّعاً في الأدب العربي والفارسي ، وعنده إجازة الاجتهاد من كبار الفقهاء . وقد أكمل الدروس النهائية في الفقه في إصفهان في مجالس درس مثل السيد محمدصادق خاتون آبادي ، والآخوند فشاركي ، والسيد علي نجف آبادي ، والحاج الشيخ عبد الله الكلبيگاني (رضوان الله عليهم) ، والذين كانوا من الفقهاء المعروفين .

يك دهان خواهم به پهنای فلک	تا بگویم وصف آن رشک ملک
وردهان یایم جنین و صد جنین	تسنگ آید در بیان آن امین
اینقدر هم گر گویم ای سند	شیشه دل از ضعیفی بشکند ^(١)

رفع الله المتعالی درجاته السنیة ، وأفاضر علينا من بركات أنفاسه النفیسة .

الفصل الحادي عشر

الحكيم المتأله الحاج

الملا هادي السبزواري

الحكيم المتأله الحاج الملا هادي السبزواري

لقد دون كلام هذا الفقير حول شخصية المتأله السبزواري (رضوان الله عليه) في مؤتمر الحكيم السبزواري في جامعة تربية المعلم في سبزوار بهذا الشكل :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خاتم النبيين محمد المصطفى وآله الطاهرين ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين . وعلينا وعلى عباد الله الصالحين .

في هذا اليوم عيد المبعث النبوي السعيد (٢٧ رجب ١٤١٣ هـ . ق) قد منحتموني الافتخار لأن أنزل بإجلال في بيتكم ، وكان مبعث سروري الشديد أنكم قد أبشرتموني أن مؤتمر مرور عشرين سنة لولادة الحكيم المتأله السبزواري (قدس سره الشريف) ولتجليل وتقدير واحترام ذلك الحكيم الكبير ، سيعقد قريباً في سبزوار في شوال سنة ١٤١٣ هـ . ق ، والأمل أنه وبتأييد الله سبحانه وتعالى وهمتكم العالية أيها الأعزاء ، العلماء والفضلاء ورجال الدين المحترمون ، أن يقام هذا المؤتمر بأحسن وجه وبما يليق بشأن العلم والحكمة وشأن الحكيم الرياني السبزواري .

وقد طلبتم مني أن أتحدث وحسب اطلاعي عن ذلك الحكيم الكبير وعن آثاره العلمية والقلمية ، ونحن قد امتثلنا لأمركم أيضاً ، وقد جلبت بعض الذكريات التي دونتها في السنوات الطويلة في جلسات درس وبحث الأساتذة ، ومن تحقيقي

وتتبعي للآثار القلمية لحضرة الحاج ، وأقدمها إلى محضركم الشريف لتكون نموذجاً لا بأس به .

الآثار التي كتبت حول الحكيم السبزواري :

المتأله السبزواري الذي كان يذكر على لسان العلماء بالحكيم السبزواري والحاج ، والحاج السبزواري والملا هادي السبزواري ؛ وكان يصفه تلامذته بـ (هادي المظللين) . فهو رجل عظيم ، ومن الواجب أن يتم البحث حول الأبعاد المختلفة لشخصيته . وقد بذل الاخوة جهداً كبيراً في شرح ترجمة حياته الشخصية ، وترك كل منهم لنا أثراً قيماً عنه .

ومنها نشرية كلية علوم المعقول والمنقول في مشهد ، في الذكرى المئوية لارتحال ذلك الحكيم الكبير . وكذلك في مجموعة رسائل المتأله السبزواري ، عن السيد جلال الدين الأشتياني (حفظه الله تعالى) . وحيث قد أدى بشكل جيد شرح ترجمة حياته الشخصية والآثار العلمية للحكيم السبزواري .

وأيضاً رسالة باسم تذكرة المدرسي بقلم حضرة المرتضى المدرسي ، حيث بحث بشكل جيد في شرح ترجمة حياة وفلسفة الحكيم السبزواري .

وأيضاً أستاذي الكبير حضرة العلامة الشعراني (رضوان الله عليه) في مقدمة (أسرار الحكم) ، حيث طبع بتصحيح وحاشية حضرته . وقد أشار إلى نكات في شخصية المتأله السبزواري .

وكذلك أشار المرحوم المدرس التبريزي في ربحانة الأدب ، إلى نكات قابلة للذكر عن المتأله السبزواري .

وأكثر من جميع هؤلاء العلماء المرحوم الفاضل محمد حسين مراغه صاحب كتاب (مطلع الشمس) و (مآثر وآثار) ، حيث ذكر في مطلع الشمس نقاطاً مهمة عن الحاج .

وأطلب من حضوركم الشريف أن تسمحو أن أكتفي في هذا الجانب بالجهد الكبير الذي بذله هؤلاء العلماء والآخرين ، وأتكلّم عن جوانب أخرى ، وأذكر بعض النكات العلميّة التي قد دوّنتها .

كان السبزواري ومنذ الطفولة تحت تربية عالم سالك :

من جملة التوفيقات التي كانت عند المتأله السبزواري منذ صغره - حيث كان إنساناً قريب العهد بمبدأ المتعال ، ولوح نفسه نظيفاً من العلائق الدنيويّة - أنّه كان تحت تربية وتكفل عالم مجتهد ، وسالك متعبّد ، ومزينا بالصبغة الإلهيّة ، كما في قوله سبحانه : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾^(١) ، وقد جاء في التذكرة : « قد بدأ حضرة المتأله في سنّ السابعة أو الثامنة بدراسة الصرف والنحو ، وقد ذهب والده في سنّ العاشرة إلى مكّة وتوفّي عند عودته في شيراز ؛ فتكلّمه ابن عمّته الحاج الملا حسين السبزواري ، فكان لهذا الرجل دوراً مهمّاً في حياة الحكيم السبزواري ، فأخذَه الملا حسين إلى الأرض الأقدس ، فأشركه في جميع أخلاقه الفاضلة » .

نعم ، للأستاذ والمربي الكامل أهميّة كبيرة في رقيّ وتكامل الإنسان خاصّة في بداية شبابه وربيع حياته ، فإنّ أهمّ صناعة وفنّ الأنبياء هو بناء الإنسان وتأسيس المدينة الإنسانيّة الفاضلة . والحقيّة أنّ التلميذ هو نموذج من الأستاذ ومُظهر كماله وعلمه وأخلاقه وأدابه . كما في قول الخواجه عبدالله الأنصاري :

« إلهي ، لا يظهر الدخان من النار هكذا ، والغبار من الريح ، كالظاهر من الباطن ، والتلميذ من الأستاذ » . ويقول العارف الرومي في دفتر الثالث من المثنوي :

هرکه در ره بی قلا و وزی رود هر دو روزه راه صدساله شود

هره گیرد پیشه‌ای بی اوستا ریشخندی شد به شهر و روستا
هیچکس بی اوستا چیزی نشد هیچ آهن خنجر تیزی نشد^(١)

طبعاً كان عند الحكيم الإلهي السبزواري أيضاً قابلية فطرية ، لأنه لو لم يكن عنده الاستعداد اللازم ، ولم يكن اقتضاء عينه الثابتة كسب العلوم والمعارف ، لا يستطيع أن يستفيد من محضر أي أستاذ حتى ولو كان ذلك الأستاذ خاتم الأنبياء ﷺ . ويقول أحد العظماء :

آن که را روی به بهبود نداشت دیدن روی نبی سود نداشت^(٢)

وقد كان المتأله السبزواري فاعلاً في فعاليته وأيضاً قابلاً في قابليته . فقد زُرعت وألقيت بذور المعارف في هكذا روح ظاهرة مستعدة قريبة العهد من المبدأ ، من هكذا أستاذ حكيم ، ويقول الحكيم سنائي غزنوي في حديقه الحقائق :

تخمهایی که شهوتی نبود بر او جز قیامتی نبود^(٣)

ويقول حضرة الوصي الإمام علي عليه السلام إلى تلميذه الكامل كميل ، كما جاء في نهج البلاغة : « يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ ، حَتَّى يُودِعُوهَا نُظْرَاءَهُمْ ، وَيَرْزَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ »^(٤) .

ومفاد الكلام الكامل للإمام العبارة المذكورة أن العلماء مزارعون والقلوب المستعدة مزرعة ، والعلوم والمعارف البذور . نعم ، الأستاذ مزارع روحي ، حيث يزرع بذور المعارف في مزرعة القلوب اللاتمة والقابلة ، وكل واحدة من هذه البذور

(١) تم شرحه سابقاً .

(٢) المعنى : أن ذلك الذي ليس فيه أمل في تحسن حالته لا يفيد حتى رؤية النبي ، فالذي ليس عنده استعداد للتعلم لا يفيد حتى لو كان الأستاذ نبياً .

(٣) المعنى : أن البذور التي ليست من الشهوة ، أي البذور الصالحة تبقى إلى يوم القيامة .

(٤) نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ٢٧٦ ، طبع دار التعارف للمطبوعات - بيروت .

تشرله جذوراً وتصبح شجرة طيبة بحيث تعطي الثمار دائماً ، وتستفيد منها النفوس المستعدة إلى الأبد . ويقول سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١) . وكما تلاحظون آثار مثل هذه البذور في المتأله السبزواري - من التلامذة الذين قام بتربيتهم . والكتب التي قام بتأليفها - وسيلاحظها الآخرون أيضاً في القرون الآتية :

سألها ، عشاق خاكم را زيارتگه كنند

چون كه من روزی طواف كوی جانان کرده‌ام (٢)

كلام المتأله السبزواري حول الحس المشترك :

لقد تحدّث حضرته في أسرار الحكم عن قابليته الفطرية حيث قال « عندما كنت في عنفوان الشباب ، ومن ذلك الباب الذي قاله حضرة الرضا (عليه آلاف التحية والثناء) « قد علم ذوو الألباب أنّ ما هنالك لا يعلم إلا بما هاهنا» (٣) . كنت أفكر في آية اسم الحقّ الشريف هذا « مَنْ لَا يَشْعَلُهُ [يَا مَنْ لَا يَشْعَلُهُ] شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ » (٤) . وقال أحد العظام لي في الرؤيا : « الحس المشترك آية » . لأنني لاحظت في اليقظة أنّ الشخص يرى ويسمع أو يحسّ بالحرارة والبرودة والنعمومة والخسونة وأمثالها في

(١) إبراهيم : ٢٤ و ٢٥ .

(٢) المعنى : لسنوات طويلة كان قبوري مزاراً للعشاق ؛ لأنني قد طفت يوماً حول محلّة المحبوب .

(٣) عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام / الشيخ الصدوق : ١٤١ ، طبع منشورات الأعلمي - طهران ، مع اختلاف .

(٤) مصباح المتهجد / الشيخ الطوسي : ٣٠٦ . مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمي : ٧٦ ، طبع دار التعارف للمطبوعات - بيروت .

مواضع من البدن في آن واحد؛ وفي نفس الحال توجد في ذاتته حلاوة، وفي حاسة الشم رائحة طيبة، فعنده حسّ مشترك ويشعر بها جميعاً دفعة واحدة؛ وكلّ واحدة منها من عالم مختلف وبينها اختلاف نوعي: واحدة من الكيفيات المُبصرة، والأخرى من الكيفيات المسموعة، وواحدة من الكيفيات الفعلية والانفعالية وهكذا»^(١).

وقد قال حضرة الوصي الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة: «وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنًا عَلَيَّ مِثَالِهِ...»^(٢).

وكما قال الحق سبحانه في سورة الواقعة: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٣). ولقد روي في الكافي عن الإمام السجاد عليه السلام: «العجب كلّ العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى»^(٤).

الغرض أنّ نفس مستعدّ تفكّر في الاسم الشريف «يا مَنْ لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ» وأين يجب أن نجد مظهره وآيته، وأنّ ما في النشأة الأخرى لا يُعَلِّمُ إِلَّا فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ. وأنّ أحد العلماء قال في عالم الرؤيا جِدْوَةٌ فِي أَنْفُسِكُمْ، وأنّ الحسّ المشترك هو أحد مظاهر ذلك الاسم الشريف. وأمّا مَنْ كَانَ ذَلِكَ الْعَالَمِ فِي عَالَمِ الرُّؤْيَا، فلم يذكره المرحوم الحاج اسمه.

إنّ أقرب طريق، وأكمل مثال للعثور على حقائق الآيات والروايات هو نفس الإنسان، كما أنّ الحكم المحكم لتطابق الكونين - يعني العالم والإنسان - صادق بهذا

(١) أسرار الحكم: الأصل الرابع من الفصل الثاني من الباب السادس، في النبوة: ٢٨٥، بتصحيح وتعليق الأستاذ العلامة الشعراني - رضوان الله عليه -.

(٢) نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: الخطبة ١٥٤: ١٥٣، طبع دار التعارف للمطبوعات - بيروت.

(٣) الواقعة: ٦٢.

(٤) تفسير الصافي / الفيض الكاشاني ٥: ١٢٧، مكتبة الصدر - طهران.

الحاكم واللسان الناطق . وقد جاء في (ينبوع الحياة) :

تَصَفَّحْتُ أَوْراقَ الصَّحَائِفِ كُلِّهَا فلم أَرِ فِيهَا غيرَ ما في صَحِيفَتِي

نعم ، فقد كان يفكّر منذ أيام شبابه في عالم المعرفة والحقّ .

وأعلى الله درجات حضرة الأستاذ العلامة الشعراني أنّه كان يقول : « كلّ شخص تُعرَف هويّته وعمله منذ طفولته » .

وعندما كان رجل قزويني كبير السنّ ، ويعمر أستاذنا الكبير حضرة آية الله الحاج الميرزا أبو الحسن الرفيعي القزويني (رفع الله درجاته) . يحكي لنا أنّه وفي أيام الصغر في قزوين كنّا ندعوا السيّد أبو الحسن الرفيعي ، أن تعال نلعب ، فكان يأتي معنا إلى ساحة اللعب ، لكن لا يلعب معنا . كان يجلس جانباً ، أو يتكئ على الحائط ، ويشاهد اللعب والألعابين ، فإنّه لم يكن من أهل اللعب منذ البداية .

ومن هذا الكلام العذب والمريح للرجل الكبير ، تذكّرت قول حضرة يحيى النبي ﷺ ، والذي يذكره الله تعالى في الآية الثانية عشر من سورة مريم : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾^(١) . الحكم ، أمر حكيم محكم ، ومتين ورسين ، وقد أقيم على أساس الحقّ والحقيقة ، وأصبحت له جذور ، فهو ثابت وصلب ﴿ يَسَّ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾^(٢) .

فسبحان الله ، إلى أي حدّ ودرجة من العقل والمعرفة كان حضرة يحيى النبي ﷺ ، بحيث يقول الله تعالى : ﴿ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ .

وجاء في تفسير منهج الصادقين : « منقول عن الضحّاك أن يحيى عندما كان في الثالثة من عمره ذهب أطفال المحلّة يوماً إلى باب منزل زكريّا ونادوه أن يا يحيى ،

(١) مريم: ١٢ .

(٢) يس: ١ و ٢ .

أخرج من المنزل لكي نلعب ، فنادى من داخل المنزل : ما لَلْعَبِ خُلِقْنَا»^(١) ، وهذه الرواية مأثورة أيضاً عن أبي الحسن عليّ الرضا عليه السلام وفي هذا الكلام قيد عظيم لا يشعرون به بحيث يقضون عمرهم العزيز في اللهو واللعب ، ويقعون في فخ ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾^(٢) .

فأية الله الرفيعي في أيام طفولته كان يذهب إلى ساحة اللعب ولم يلعب ، أما حضرة يحيى النبي لم يذهب حتّى إلى ساحة اللعب ، بل ناداهم من داخل المنزل ، أنّ الدار دار حقيقة ، وليست دار لعب . الغرض أنّ المرحوم الحاج كان معروفاً أي شخص هو منذ طفولته .

نقل إحدى كرامات الحكيم السبزواري :

أحكى لكم هنا كرامة للمتألّه السبزواري بلسان الأستاذ العلامة ذوالفنون الشعراني : وبشكل جملة معترضة أو مقدّمة أقول : إنّ عدداً من أساتذتي الآيات العظام الحاج الميرزا أبو الحسن الشعراني . والحاج الميرزا أبو الحسن الرفيعي ، والحاج الشيخ محمدتقي الأملي كانوا من تلامذة الحاج الشيخ عبدالنبيّ النوري ؛ وقد حكى لي الأستاذ الشعراني والأملي كلاهما أنّ طهران زماننا كانت بلد علم ، وكان يوجد فيها علماء كبار ومعروفون ، ومع ذلك كان حضرة الحاج الشيخ عبدالنبيّ النوري أعلم من في البلد في المعقول والمنقول ...

القصد أنّ حضرة الأستاذ الشعراني قد حكى لي في مجلس الدرس أنّ الحاج الشيخ عبدالنبيّ النوري قد نقل لنا في جلسة الدرس : أتيت في أيام الطلبة من مدينة نور في مازندران إلى طهران للدراسة . وسكنت في غرفة في مدرسة سبهاسالار

(١) بحار الأنوار / الشيخ المجلسي ١٤ : ١٨٥ ، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت .

(٢) محمد صلى الله عليه وآله : ٣٦ .

القديمة ، وكنت مشغولاً بالدرس والبحث ، ف وقعت في يدي ومن باب القضاء رسالة في الكيمياء ، فكنت وبعد نوم طلاب المدرسة ، أذهب بشكل مخفي عنهم إلى فوق سقف المدرسة وأعمل طبق أوامر تلك الرسالة ، لذا لم يكن أي أحد يعلم بما أقوم به ؛ فقد كنت أقوم بذلك في الليل .

حلّ فصل الربيع ، فجاء عدد من أفراد عشيرتنا إلى طهران للتشرف بزيارة مرقد الإمام الرضا عليه السلام ، وجاءوا لزيارتي في مدرسة سبهاالار القديمة ، وقالوا: يا شيخ عبدالنبيّ ، (الاسم الأوّل لحضرته كان (نبيّ) حسب تسمية والده ووالدته ، حتّى أصبح طلبة ودرس وتعلّم وفهم . فغيّر اسمه من نبي إلى عبدالنبيّ) نحن نريد الذهاب لزيارة الإمام الرضا عليه السلام ، فإذا ترغب أن تكون ضيفنا وترافقنا في هذا السفر؛ وأنا أيضاً شكرتهم على ذلك وأجبت دعوتهم .

وكان ذلك الوقت زمان شهرة وذياح صيت المتأله السبزواري ، وكان مجلس درسه في سبزواري ، وكانت سبزواري في ذلك الزمان أيضاً ليلاً ونهاراً منزلاً للزوّار ، حيث كانوا يستريحون فيها ويتزوّدون منها . وبعد توقّف القافلة هناك ، قلت لأصحابي: إني أريد الذهاب إلى المدينة وسأعود بعد ساعة؛ فسألوا ماذا عندك في المدينة ولماذا تذهب؟ قلت: يوجد عالم كبير في سبزواري ، أذهب لزيارته ، فقالوا: إنّ سفرنا سفر زيارة فمن المناسب أن نذهب نحن أيضاً لزيارة هذا العالم الجليل ، فنهض عدد منهم وذهبوا معي للتشرف بمحضر حضرة الحاج ، وبعد فترة طلبنا أن يسمح لنا بالذهاب فنهضنا؛ فأشار الحاج لي وقال: ابقوا أنتم ، فعندي كلام أقوله لكم ، ثمّ أدار وجهه لي وقال: «اهتمّ بالدرس والبحث ، واترك عمك الليلي هذا ، فإنّه لن يوصلك إلى نتيجة سوى تلف الوقت» .

وقد نقل حضرة الأستاذ العلامة الشعراني (قدّس سرّه الشريف) هذه الحادثة في مقدّمة أسرار الحكم بتصحيحه وتعليقه (ص ٢٠، ط ١) باختصار ، وبهذا الشكل :

«المرحوم آية الله الحاج الشيخ عبدالنبيّ النوري ، وكان من كبار العلماء ومراجع

التقليد قد نقل لنا: كنت في أيام الشباب مشغولاً بدراسة العلوم في طهران ، وكان عندي رغبة لتعلم كل فن ، ومنها الكيمياء ، لكن بشكل سرّي ، ولم يكن يعلم أي أحد بذلك إلى أن ذهبت مع مجموعة من أهل نور لزيارة ثامن الأئمة عليه السلام ومررنا بسبزوار ، وطبعاً تشرفنا للتميّن بزيارة ذلك الحكيم عظيم الشأن ، وولنا افتخار تقبيل يدي ذلك الرجل العظيم ، وما أن أردنا منه السماح لنا بالذهاب ، استدعاني بالخصوص ، وانتظر إلى أين خرج رفاقي ، ثمّ نصحتني أن أترك ذلك العمل المخفي الذي لم يطلع عليه أحد ، وكان يُعدّ ذلك من كرامات ذلك الرجل العظيم ، ونقل لنا أيضاً عن حضرته أمثال ذلك ، رحمة الله عليهم أجمعين . كانت هذه عبارة الأستاذ العلامة الشعراني رحمة الله عليه .

آثار السبزواري تحتوي على المعارف القرآنيّة وأمّهات العلوم الإنسانيّة :

إنّ جميع الآثار القلميّة للمتألّه السبزواري تحتوي على حقائق المعارف القرآنيّة ، وحائزّة على أصول وأمّهات دقائق العلوم الإنسانيّة ، والحقّ أنّه من اللائق أن تقرأ عليها الآية الكريمة : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ^(١) .

منها عشر فرائد في علم الأخلاق - يعني الحكمة العمليّة - ، ذكرها في المقصد السابع من غرر الفوائد ، وقد بحث ذلك بأسلوب لطيف وجذاب .

وكذلك في المجلّد الثاني من أسرار الحكم في الحكمة العمليّة ، قد وقى الموضوع حقّه بشكل ممتع . وله توضيحات وكلام في أسرار العبادات تشعر أنّها صادرة من صميم قلب إنسان إلهي مراقب مواظب ، وحقّاً أنّ قلم وكلام كلّ شخص يحكي عن شخصيّة ذلك الشخص هل هو كلام من مُقلّدٍ وبتصنّع وتكلف ، أو من محقّقٍ يحمل بين ثناياه علماً واسعاً ، فيفيض الكلام منه ، بقول العارف الرومي في المثنوي :

از محقق تا مقلد فرقه‌هاست کابن چو داود و آن دیگر صداست^(١) فالکثیر من کلام حضرته في صحفه النورية بمنزلة كلمات قصار إلا أنها تُعدّ أصلاً من أصول المعارف الحقّة، مثلاً قال في أول أسرار الحكم: « ما أن تحدث مشكلة لا تبادروا إلى ردّها أو إنكارها، فإنّ فهم المواضيع العالية فنّ، وليس ردّ وإنكار، فيجب القول للنفس كما قيل:

« وقولي كلما جشأت وجاشت وريدك تحمدي أو تستريحي »

مؤلف هذه الأسطر حسن حسن زاده الأملي، ولأجل الاطلاع يقول أنّ قائل البيت المذكور، كما جاء في الأمالي، وهو من كتب الأدب الأربعة هو عمرو بن اطنابة (١: ٢٥٨، ط. مصر)؛ وقد نقله المرحوم المتأله السبزواري بهذا الشكل:

« أقول لها إذا جشئت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي »

ولكنّ الصحيح ما جاء في أمالي القالي.

وقال في شرح أسرار الدفتر السادس من المثنوي:

« إنّ جميع الوسائط في العشر ذاتية وداخلة لا خارجة من الذات وباطن ذات النفوس مثل عالم الدنيا هذا. »

وقال في شرح الأسماء:

« البدن الأخرى هو الدينوي بعينه وبشخصه، والامتياز بينهما ليس إلا بالكمال والنقص. » (ص ٢٨٠، ط. ناصري).

وقال أيضاً في شرح أسرار الدفتر السادس من المثنوي:

« تعدّد الأفراد في كلّ حقيقة يتخلّل غير تلك الحقيقة » (ص ٤٥٣، ط. ١).

كانت هذه بعض من الكلمات القصار العرشية لحضرته في الأصول وأمّهات

(١) المعنى: هناك فرق كبير بين المحقّق والمقلّد، فهذا مثل داود وذلك كصداه.

المعارف ، قد نقلناها كنموذج لما قاله المرحوم وهي بعض من كل ، وقليل من كثير .
وللاطلاع أقول : إن الكتاب الشريف (أسرار الحكم) كان مجلده الأول فقط في
الحكمة العملية ، وعرف باسمه في سنة ١٢٨٦هـ . ق ، وهو بطبع ناصري ، وبعد ذلك
طُبِعَ كلا مجلديه في الحكمة العلمية والعملية معاً في سنة ١٣٢٣هـ . ق ، وهو
المعروف بطبع مظفري .

وكلاهما من الطبقات الحجرية ، وقد نقلنا عن النسخة الأصلية المكتوبة بخط
المؤلف المتأله السبزواري . ثم طُبِعَ كلا مجلديه في سنة ١٣٨٠هـ . ق ، مع تصحيح
وتعليق ومقدمة حضرة الأستاذ العلامة الشعراني (شرف الله نفسه الزكية) ، حيث
يحتوي على مزايا علمية كثيرة .

اسمحوا لي أن أذكر بعض المواضيع العلمية الأخرى ، والتي تستحق التأمل عن
المتأله السبزواري :

أول من اكتشف قوة الجاذبية هو ثابت بن قرّة :

تعلمون أن أحد آثاره الجليلة القدر هو شرحه لدعاء الجوشن الكبير المعروف
بشرح الأسماء ، في البند السادس منه ، وفي شرح « يا مَنْ اسْتَقَرَّتِ الْأَرْضُونَ
بِإِذْنِهِ »^(١) ، ينقل كلام ثابت بن قرّة حول جاذبية الأرض بهذه العبارة :

« المراد باستقرارها سكونها في الوسط ، قال ثابت بن قرّة : سببه طلب كل جزء
موضعاً يكون فيه قربه من جميع الأجزاء قريباً متساوياً » .

ثم قال بعد ذلك في بيان قول ثابت : « إذ عنده ميل المدرة إلى السفلى ليس لكونها
طالبة للمركز بالذات ، بل لأن الجنسية منشأ الانضمام ، فقال : لو فرض أن الأرض
تقطعت وتفرقت في جوانب العالم ، ثم أطلقت أجزائها لكان يتوجه بعضها إلى

(١) مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمي : ٨٨ ، طبع دار التعارف للمطبوعات - بيروت .

بعض ، ويقف حيث ينتهياً تلاقيها ، ولما كان كل جزء يطلب جميع الأجزاء طلباً واحداً ، ومن المحال أن يلقي الجزء الواحد كل جزء لا جرم طلب أن يكون قربه من جميع الأجزاء قريباً متساوياً ، وهذا هو طلب الوسط .

أبو الحسن ثابت بن قرة بن زهرون الحرّاني من علماء المسلمين القدامى المعروفين في فروع علوم الرياضيات والطب والنجوم . وقد ذكّر في فهرست ابن نديم وصوان الحكم لأبي سليمان السجستاني وعبون الأنباء لابن أبي أصيبعة ووفيات الأعيان لابن خلكان . والكثير من التذكريات الأخرى من قبيل طبقات الأطباء والحكماء للأندلسي المعروف بابن جليل ، ونزهة الأرواح للشهرزوري ، ووصف فيها بالإجلال والعلم ، وكان يذكر كثيراً خاصة في كتب الرياضيات مثل كتاب تحرير الخواجه الطوسي . وقد قالوا إنّ تاريخ ولادته سنة ٢١١هـ ، ووفاته في سنة ٢٨٨هـ .

وكان ثابت قبل نيوتن بعدة قرون . إذن لم يكن نيوتن أوّل شخص قال بقوة الجاذبية ، بل كان هناك علماء قد قالوا بجاذبية الأرض قبل نيوتن .

فإلى أي حدّ كانت مسألة قوة الجاذبية مهمّة في نظر المتأله السبزواري ، وأثرت فيه كثيراً ، بحيث أنّه في شرح الأسماء الإلهية وعندما وصل إلى جملة « يا مَنْ اسْتَقَرَّتِ الْأَرْضُونَ بِأَدْنِيهِ » نقلها وقرّرها عن ثابت ، وأنّه هو أوّل من أثبتّها ؟!

طرح بعض النقل العلمي لآراء السبزواري :

يُطرح هذا السؤال أنّ المتأله السبزواري وبهذه الدقّة والاهتمام بقوة جاذبية الأرض ، لماذا بحث في حكمة المنظومة - يعني غرر الفرائد - بنفس الأسلوب الفلسفي الرائج ، وأنّه يعتقد أنّ تحديد وتعيين الجهات الطبيعية والتبعية يكون من فلك متوازي الثخن محيط بجميع الأجرام العلوية ؟ وقد دونّا تفصيل هذه المباحث

في رسالة ﴿كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(١).

ولدينا قول آخر مع حضرة الحكيم ، وهو أنه قد بحث بشكل متين جداً وراسخ في فلكيات المنظومة ، مطابق الهيئة المجسمة ؛ ولكن تلك النكته التي هي الأصل لم تذكر هناك ؛ لأن البحث عن الأفلاك المجسمة في الهيئة هي فقط فقط عنوان ولها جهة تصحيح الحركات للتعليم والتعلم لا أنه يوجد في الواقع أفلاك مجسمة طبيعية ، كما صرح بذلك الكثير من العلماء هيفي وحتى نفس بطليموس ؛ وبعد توضيح فرض علل الحركات في الهيئة المجسمة ؛ فإن الأفلاك هي فقط مدارات ودوائر . وقد بيّنا هذه المباحث بالتفصيل في الرسالة المذكورة ، وفي الدرس الثامن عشر من (دروس معرفة الوقت والقبلة) ، وفي الدرس السابع والخمسين من كتاب (دروس الهيئة وغيرها من الفروع الرياضية) .

والشيخ الرئيس في النمط الثاني والسادس للإشارات ، وفي الفصل الثالث عشر والرابع عشر من المقالة الثالثة للطبيعيّات في الشفاء ، لإثبات محدّد الجهات ، ومحرك الأجرام العلوية ، وإيجاد الكثرة من الوحدة ، قال بالأفلاك المجسمة ، حيث كأنّ فرضية الأفلاك المجسمة في علم الهيئة ، قد اعتبرها أفلاكاً مجسمة واقعية على نحو الأصول الموضوعية .

ثمّ قد بحثوا في المسائل الفلسفية المذكورة والحال أنه فيه ما فيه ، وقولنا الآخر مع حضرة الحكيم حول مسألة الجعل والتي كانت أصلاً ولم تذكر أيضاً . فإنكم تقولون إنّ الحقّ هو وجود المجمعول لا الماهية ولا الأتصاف ؛ ومن جهة أخرى أنكم متوغلون في الحكمة المتعالية وتعتقدون أنّ الوجود أصل ومساوق مع الحقّ والصمد الحقيقي الذي هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وكما في بيان ثامن الحجج عليّ بن موسى الرضا عليه السلام : « يا مَنْ عَلَا فَلَاشَيْءَ فَوْقَهُ ، يا مَنْ دَنَى فَلَاشَيْءَ

دُونَهُ...»^(١)، حيث يعبر عن هكذا وجود أصيل مساوق للحق الصمد الحقيقي، بالتوحيد الصمدي والتوحيد القرآني، كما أن الحكيم الإلهي يعبر عن ذلك بغير المتناهي، والعارف الإلهي بوحدة الوجود، ويقول العارف الرومي في المثنوي:

هر كسى را اصطلاحى داده ايم هر كسى را سيرتى بنهاده ايم
هنديان را اصطلاح هند مدح سنديان را اصطلاح سند مدح^(٢)

لذا الحق سبحانه بينونة عزليّة وليس له وجود من أي ذرّة، وإلا للزم أن يكون واحداً بالوحدة العددية، حيث تترتب على ذلك مفسدة كثيرة.

الغرض أنّ هناك سؤال يطرح نفسه وهو: أنّه مع التوحيد الصمدي، فأى معنى يبقى لأصالة جعل الوجود، بحيث تقولون إنّ الحق هو إنّ الوجود مجعول؟ وطبعاً وينحو القطع واليقين أنّ معناه ليس أنّه موجود من حيث هو وجود من العدم، يعني عدم ثمّ ظهر الى الوجود، فإنّه غير متناسب مع التوحيد الصمدي، فبناءً على هذا كيف يمكن حلّ هذه المشكلة؟!

يجب القول إنّ حلّ هذا الرمز والمشكلة هو أنّ أصالة جعل الوجود هو في الحقيقة أصالة جعل الإيجاد، والذي هو جعل مجالي ومظاهر موجودة، حيث هو من تلك الجهة إضافة إشراقية، ومن هذه الجهة إمكان نوري فقري، وبالتعبير الكامل للمتأله السبزواري نفسه في شرح أسرار الدفتر السادس للمثنوي (الطبعة الأولى رحلي، ص ٤٥٣، السطر ٢٥): «تعدّد الأقراد في كلّ حقيقة بتخلّل غير تلك الحقيقة، فكما أنّ للماء كثرة للهواء كثرة، فللإنسان الطبيعي، الفرس الطبيعي،

(١) التوحيد / الشيخ الصدوق: ٦٧، طبع مكتبة الصدوق، عنه بحار الأنوار / الشيخ المجلسي ٨٣: ٢٢٨، ح ٥٠، ب (٤٤)، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) المعنى: أنّه أعطينا ووضعنا لكلّ شخص اصطلاحاً واسماً، ووضعنا لكلّ شخص سيرة، فالهنود يعتبرون أنّ اصطلاح الهند مدحاً، وكذلك أهل السنن يعتبرون اصطلاح السنن مدح، فالكلّ يعتقد بحسن قوله واصطلاحه.

البقر الطبيعي وغير ذلك كثيرة ، بسبب تخلل الغير في كل واحد منها ، حيث إذا لم يكن هناك تخلل غير لم تكن هناك كثرة أفراد...» .

والآن اعلم أن تقابل الحق والخلق يعرف بتمييز المحيطي والمحاطي التي هي فوق أقسام التقابل المعروفة ، وهي تقابل السلب والإيجاب وتقابل العدم والملكة ، وتقابل الضدين ، وتقابل التضاييف . هذا الموضوع العالي الأعلى ، أعني مسألة التوحيد الصمدي ، والتمييز المحيطي والمحاطي قد شرحناه وبيّناه بالتفصيل في المصنّفات التوحيدية لهذا الفقير حسن حسن زاده الأملي . مثل رسالة الجعل ، وأنه الحق والوحدة من وجهة نظر العارف والحكيم . وتعليقاتنا على مبحث جعل غرر الفوائد (٢ : ٢٢٩ ، ط . ٢) ، وغيرها ، وقد ذكرت مأخذ بحثها في الكتب القيمة والصحف النورية للحكمة والعرفان . والآن أختتم هذا البحث بنقل بعض الأسطر من تعليقاتي على غرر الفوائد :

قوله : « فعلى القول المرضي ، ما هو الصحيح من هذه الوجوه ، جعل الوجود بالذات جعلاً بسيطاً... » .

أقول : وهذا هو الحق عندنا وعند قاطبة المحققين من أساطين الحكمة ومشايخ العرفان ؛ ولكن ينبغي التدبر في معنى الجعل على مبني التوحيد القرآني ، أعني الوجود الحق الصمدي الذي هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، حتى يتضح التمييز بين الجاعل والمجعول ، وخلق الأشياء من العدم وصدورها عن جاعلها ، والفرق بين الوجود والإيجاد . وبالتدبر التام يتبين لك أن الوجود ليس بمجعول على النحو المرتكز في الأذهان السافلة ، بل الوجود هو الأصل في التحقق وهو ليس إلا الصمد الحق وأسمائه وصفاته وأفعاله وشؤونه وأطواره . والجعل يرجع إلى ظهور الوجود الصمدي في مظهره ، والمظاهر ليس إلا تعينات المطلق بقیود المجعولات القائمة به ، فالوجود الصمدي المساوق للحق هو المتحقق في عظموت جلاله وجبروت كبريائه ، والماهيات أوعية تحققها هي الأذهان لا غير ، وإنما تنتزع وتعتبر من حدود

أطوار الوجود وشؤونه وآياته ، وتلك الحدود تعتبر بما يلينا لا بما يليه لأنها بما يليه لا حدود لها لقيامها به كأموج البحر مثلاً تعتبر حدودها بما يلينا لا بما يلي البحر ، فافهم . (٢ : ٢٢٩ ، ط . ٢)

وقولنا الآخر مع حضرة الحكيم هو في مسألة العلم في غرر الفرائد ، تلك الغرر المنقولة عن أقوال العلماء : « غرر في نقل الأقوال في العلم ووجه الضبط لها » (ص ١٥٩ ، ط . ناصري) . فإنه لم يتكلم بشكل صحيح وصريح في بيان الأعيان الثابتة باصطلاح العرفان ، ولو أنه يقول : « الشيخ العربي وأتباعه جعلوا الأعيان الثابتة اللازمة لأسمائه تعالى في مقام الواحدية علمه تعالى ؛ وهذا أيضاً مزيف من حيث إثباتهم شبيئة للماهيات وإسنادهم الثبوت إليها في مقابل الوجود ... » (ص ١٦٠ ، ط . ناصري) .

وحقيقة الأمر هو أن الأعيان تنقسم إلى قسمين : الأول القسم الأعياني ، والذي هو صور علمية - يعني أنها لم تخرج من العلم ، فهي صور علمية من هذا الحديث ، وهي لا تخرج أبداً إلى الخارج ولو أنها عين الذات - ويطلقون على هذه الصور العلمية في اصطلاح العرفان (الأعيان الثابتة) .

والقسم الآخر أعياني ، وهو الذي هو مظاهر الصور العلمية ، وقد طبقت في الخارج وفق الصور العلمية ، يعني أنهما أصبحا مجعول ومخلوق فهما موجودات خارجية ، حيث يطلق عليها في الاصطلاح العرفاني (الأعيان الخارجية) .

وهذه العبارتان : (الأعيان الثابتة) و (الأعيان الخارجية) هي فقط و فقط عبارات اصطلاحية للتمييز بين الصور العلمية في ذات الواجب ، وبين صور الموجودات القائمة بذات الواجب ، لا أن يكون ثبوت في مقابل الوجود . والحق أنه من العجيب جداً أن يكون للحاج هكذا تعبير غير بليغ وغير صحيح في هذا الأمر العرفاني والحكمي الأصيل والقيم ، حيث يقول : « وهذا أيضاً مزيف من حيث إثباتهم شبيئة للماهيات وإسنادهم الثبوت إليها في مقابل الوجود » .

ونعيد القارئ الكريم إلى تعلقتنا في هذا المقام على غرر الفرائد (٣: ٥٧٤، ط. ٢).

تذكرة: أن الحكمة النظرية لغرر الفرائد في الحقيقة هي خلاصة ومنتخب أسفار حضرة صدر المتألهين؛ والغرر المذكورة « غرر في ذكر الأقوال في العلم ووجه الضبط لها » في علم الباري تعالى ناظرة إلى الفصل الرابع الموقف الثالث من الهيئات الأسفار، والتي هي بهذا العنوان: « فصل في تفصيل مذاهب الناس في علمه تعالى بالأشياء »^(١).

وعبارة الأسفار في الفصل المذكور هي: « وربما قيل في وجه الضبط: إن من أثبت علمه تعالى بالموجودات فهو إما أن يقول بثبوت المعدومات - سواء نسبها إلى الخارج، كالمعتزلة، أو إلى الذهن كبعض مشايخ الصوفية، مثل الشيخ العارف المحقق محيي الدين العربي، والشيخ الكامل صدر الدين القونوي، كما استفاد من كتبهما المشهورة - أم لا... »، ثم أن صاحب الأسفار بعد الفصل المذكور يبدأ بنقض وإبرام الأقوال المذكورة في علم الباري تعالى. ونعيد القارئ المحقق إلى (مفاتيح الأسرار لسالك الأسفار).

وعقيدتي في هذا الرأي الرصين محكم وثابت جداً بأن العرفان الإسلامي الأصيل، هو تفسير أنفسي للقرآن الكريم وللروايات الصادرة من بيت العصمة والطهارة. والقرآن الذي هو الكشف المحمدي ﷺ التام والأتم عين البرهان والعرفان. وقال صاحب الفتوحات المكية: « نحن زدنا مع الإيمان بالأخبار كشافاً »؛ وقال صاحب الأسفار: « نحن زدنا مع الإيمان بالأخبار برهاناً »، وكل واحد لسان صدق لمعاضد أخرى.

وقد كتبنا في هذا المرصد الأسنى والمقصد الأعلى، رسالة وجيزة وعزيزة باسم

(١) الأسفار ٣: ٣٧، ط. ١ (رحلي) و: ٦: ١٨٠، ط. ٢.

(لا يفترق القرآن والعرفان والبرهان) في مقدمة وعشرة فصول. وقد طبعت بحمد الله لعدة مرّات، وكانت مورد قبول طبع الناس أصحاب النظر، وقد اعتبرته جامعة طهران كتاب السنة، وقد تُرجم إلى العربيّة في مجلّة (العلوم الإنسانيّة)، وقد طبعت باسم (لا يفترق القرآن والعرفان والبرهان)، ومنطق حقّ تلك الرسالة هو أنّ دين الله برهان محض، فأى آية هي ليست عرفان وبرهان؟

وكتبنا رسالة أخرى باسم (العرفان والحكمة المتعالية)، والتي هي مأخذ الآراء القويمة والحكيمة للأسفار التي وجدناها ونقلناها من الكتب العرفانيّة القيّمة، وقد وجدنا أنّ الأسفار شرح قيّم ولطيف للمطالب المتينة في الصحف النوريّة من قبيل الفتوحات ومصباح الأنس وشرح القيصري على فصوص الحكم وتمهيد القواعد وكتب عين القضاة ونظائرها، وقد طبعت هذه الرسالة أيضاً. ولدينا في هذا الموضوع المهمّ جداً والله الحمد مواضيع قيّمة ولطيفة جداً، ولكن اسمحو لي أن أكتفي بهذا المقدار.

هل لآثار الحكيم السبزواري مطلب تأسيسي؟

والقول الآخر الذي قد دوّنته حتّى أقدمه هنا هو، هل أنّ الكتب العلميّة للمتأله السبزواري بعد الصحف النوريّة لصدر المتألّهين الشيرازي، لها موضوع تأسيسي جديد، أو أنّها في الحقيقة مثل الآثار القلميّة للعلماء الآخرين، بعد صاحب الأسفار، حيث كانت بياناً للدقائق العلميّة والفكرية لذلك الحكيم الكبير؟ والإنصاف أنّه لا بدّ من القول إنّ القسم الثاني محقّق. وأعلى الله تعالى سبحانه درجات الأستاذ العلامة الطباطبائي صاحب تفسير (الميزان) العظيم، فعندما كان يتحدّث في محلّ إفاضاته عن المعارف الإلهيّة، قال: «لقد علّمنا إيّاها الملا صدرا».

وقال أيضاً: «لقد أعطى محيي الدين في فصوص الحكم قبضة قبضة،

وفي الفتوحات ثوب ثوب»^(١).

فلم يكن عند الحكماء الإلهيين بعد صدر المتألهين من تلامذته إلى أسانذتي مطلباً تأسيسياً مهماً، إلا بعض التقارير التوضيحية، أو بعض الاعترافات التعبيرية، أو بعض من تبديل الاصطلاحات العلمية.

مثلاً حضرة المتأله السبزواري في الفريدة الثالثة من حكمة المنظومة في القدم والحدوث (ص ٧٧، ط. ناصري)، قد وضع اصطلاحاً باسم (الحادث الأسمى) وقال:

والحادث الأسمى الذي مصطلحي أن رسم اسم جا حديث منحي
وكذلك في شرح الأسماء، وضمن بيان اسم (التقديم) من أسماء بندها الأول قال: «وأما الحادث الأسمى فهو مما اصطلحت عليه مستنبطاً من الكلام الإلهي إن هي إلا أسماء سمّتموها أنتم وأباؤكم...» (ص ١٦، ط. ناصري)؛ والآن هذا الحادث الأسمى الذي هو مصطلح حضرته. هو نفس ذلك القول للشيخ الأكبر محيي الدين العربي في فصّ الموسوي (فصوص الحكم) في بيان الحركة الحبيّة، حيث يقول: «وكذلك تكمل مراتب الوجود، فإنّ الوجود منه أزلي، ومنه غير أزلي، وهو الحادث؛ فالأزلي هو وجود الحقّ لنفسه والغير الأزلي وجود الحقّ بصور العالم الثابت، فيسمّى حدوثاً لأنه يظهر بعضه لبعضه، وظهر لنفسه بصور العالم فكمال الوجود فكانت حركة العالم حبيّة للكمال. فافهم»^(٢). راجع تعليقاتنا على غرر الفرائد (٢: ٢٩٣ و ٢٩٤، ط. ٢).

الغرض أنّي الذي وجدته كمطلب تأسيسي من حضرة المتأله السبزواري هو هذا

(١) يعني أنّ الشيخ محيي الدين قد أعطى المعلومات في فصوص الحكم بشكل تدريجي وبمقدار قليل في كلّ مرّة إلاّ أنّه في الفتوحات كان يعطيها بحجم أكبر ممّا في الفصوص.

(٢) شرح القيصري على فصوص الحكم: ٤٥٧، ط. ناصري.

الاصطلاح (الحادث الأسمى) في حين أن الشيخ الأكبر كان قد ذكره في فصّ الموسوي من فصوص الحكم، قبله بعدة قرون.

إنّ الإنسان يشعر بالغبرة والخلأ بفقدان الشفاء وإشارات الشيخ الرئيس، وشرح إشارات الخواجه الطوسي، والفتوحات وفصوص الشيخ الأكبر محيي الدين، وشرح العلامة القيصري على فصوص الحكم، ومصباح الأنس لابن فناري، وأسفار صدر المتألهين في بيان المعارف الإلهية للكتاب والسنة.

والإنصاف أنه ومع غضّ النظر عن الاعتراضات المذكورة وغيرها على المتأله السبزواري والتي هي السيرة المألوفة للمؤلفين؛ أن الصحف النورية للأثار القلمية لحضرته، وكما ذكرنا ذلك في بداية الكلام حائزة على إلقاءات سبوحية وأصول وأمّهات وجيزة وعزيزة، رصينة ومتمينة في المعارف الإلهية الحقّة.

وهذا الفقير يقول ولأداء حقّ هذا العالم الكبير. أنه قد استفاد كثيراً وتناول لُقماً من الموائد الروحانية لهذا العالم الرباني الكبير (رضوان الله تعالى عليه).

الحاج الملا هادي السبزواري فقيه عظيم المرتبة وصاحب آثار فقهية:

من المطالب الأخرى التي دوّنتها لأعرضها هنا هو أنّ المتأله السبزواري علاوة على أنه كان حكيماً صمدانياً، كان فقيهاً ربانياً أيضاً. سوى أنه ولتخصّصه بتدريس وبحوث الحكمة أدّى إلى أن يُعرف فقط في هذا الجانب ويشتهر به.

وبمناسبة الحديث أحكي ذكرى لطيفة حدثت لي، وهي أنه كنت ولمدّة تسع سنوات (من سنة ١٣٧٨ إلى سنة ١٣٨٦ هـ. ق) استخرج دفتر التقويم السنوي المتعارف في أهلة الشهور والخسوف والكسوف والأحكام النجومية عن مواضع السيّارات وأوضاع الكواكب وغيرها، وبعد ذلك تركتها لأسباب معيّنة، منها أنه قد رأيت أنّ العمل كان ضخماً ومُجهداً وبشكل أنه قرين وعجين مع الزمان، بحيث أنّ أمد الإفادة والاستفادة منه لعدّة أشهر من السنة فقط، فعمل الإنسان العلمي يجب

أن يكون محيطاً بالزمان والمكان . الغرض أنه عندما وقع دفتر التقييم المطبوع لأول مرة بيد حضرة الأستاذ الأعظم حضرة آية الله رفيعي القزويني (رفع الله درجاته) ، اضطرب كثيراً وقال لي من باب الخير والعطف : « أن درسكم لفروع الرياضيات عمل جيد جداً ، ولكنكم قد بذلتم جهداً كبيراً في العلوم الأخرى ، وعملكم هذا سيؤدي إلى أن تُعرف في العرف العام كمنجّم وتهمل جميع كمالاتكم الأخرى » .

إنّ هذه الحدة والخشونة من حضرة الأستاذ -روحي له الفداء - كانت بالنسبة لي مريحة جداً ، كما في القول البديع للملأ الرومي في دفتر الرابع للمثنوي :

عقل دشنامم دهد من راضيم	زان كه فيضى دارد از فياضيم
نبود آن دشنام او بي فايده	نبود آن مهماني اش بي مائده
احمق ار حلوا نهدي اندر لبم	من از آن حلوا او اندر تبم ^(١)

وقد حكى نظير هذه الخاطرة المرحوم الميرزا محمّد التنكابني في (قصص العلماء) حول المحقّق الأوّل (جعفر بن حسن بن يحيى بن سعيد) صاحب الشرائع وأبوه ، وهي باختصار : « كان المحقّق شاعراً جيداً وأشعاره في غاية الجودة ، فقال شعراً لوالده وأرسله له ، فكتب الوالد في أعلى الصفحة : « ولو أنكم قد كتبتم شعراً لطيفاً ولكنك قد عملت سيئاً في حق نفسك ، حيث أنّ الشعر قد أذهب فضيلتك . إذن سوف لن تُعرف لك فضيلة سوى الشعر بين هذه الجماعة ، وسيطلقون عليك شاعراً... » .

الغرض أنّ حضرة المتألّه السبزواري كان فقيهاً عظيم المرتبة ، وكان يدرّس الفقه

(١) المعنى : أنّ العقل يقول إنّه حتّى لو يشتمني ذلك العالم الذي يقبض عليّ من علمه فإنّي أكون راضياً ، لأنّ شتمته لا تخلو من الفائدة ، كما لا تخلو ضيافته من مائدة ، فاستفيد من كليهما ، أمّا الأحمق فحتّى لو أعطاني الحلوى والكلام الحسن فإنّي لا أحصل على أي فائدة ، بل العكس (يعني : الكلام الخشن للعالم أكثر فائدة من الكلام الحسن للأحمق) .

الفصل الحادي عشر: الحكيم المتأله الحاج الملا هادي السبزواري ٣٦٧

أيضاً في مشهد وسبزواري، بالإضافة إلى أنه كان متبحراً جداً في الحكمة المتعالية وصاحب كل هذه الصحف الكريمة العقلية، وكان مسلطاً أيضاً على فهم حقائق الآيات ودقائق الروايات ومنطق المؤلفات الفقهية ولا عكس.

وقد طبعت له في الفقه أيضاً منظومة باسم (النبراس)، والتي كانت مثل اللثالي المنتظمة في المنطق، وغرر الفرائد في الحكمة المتعالية العلمية والعملية، بنظم وشرح وتحشية ذلك العالم الكبير.

وفي منظومة النبراس، كما في القسم الثاني من أسرار الحكم في الحكمة العملية، قد قام ببيان أسرار وأحكام العبادات كما في الكثير من الكتب والرسائل التي كتبت في هذا الموضوع من قبيل (أسرار الصلاة) للشيخ الرئيس أبو علي بن سينا، وأيضاً (أسرار الصلاة) للشهيد الثاني زين الدين علي العاملي.

أحكام التشريعات تُستخرج من نفس التكوينات:

من المباحث القيمة التي ذُكرت في (مصباح الأنس) لابن فناري، هي أنّ التشريعات تستخرج من متن وبطن التكوينات - والتي تنسب إلى الإنسان المكلف - مثلاً أنّ الشارع لم يمنع تناول حصرم العنب، وعصير الحصرم ونفس العنب والزبيب والخَلّ، أمّا عصير العنب الذي صارَ خمراً فقد عدّه رجساً ونجساً وحرّم شربه. وقال: يُحرّم أكل لحم الطائر الذي صميفه أكثر من دفيقه؛ ويحرّم لحم الحيوان الذي بيضه ليس مخروطي الشكل؛ ولا تستعملوا الماء - في الوعاء مثلاً - الذي سُخِّنَ بحرارة الشمس؛ لأنّه يوَلد البرص؛ كما قال إنّ الحيوان الذي تكون أذنه مرتفعة يلد، وكلّ حيوان منخفض الأذن يبيض؛ كذلك أنّ كلّ حيوان ذي رجلين يبيض إلاّ الإنسان فإنّه يلد، وكلّ حيوان ذي أربع أرجل يلد إلاّ السلحفاة فإنّها تبيض.

وقال الشارع المقدّس أن حليب الأم أفضل غذاء للطفل الرضيع، وقد جوز ذلك للرضيع لمدة سنتين قمرية، وحرّم ما فوق ذلك ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ

حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴿^(١)﴾، فَإِنَّ حَلِيبَ الْأُمِّ بَعْدَ السَّنَتَيْنِ يُؤَثِّرُ عَلَى مَزَاجِ الطِّفْلِ، كَمَا أَنَّهُ إِذَا حَمَلَتِ الْأُمُّ قَبْلَ نَهَايَةِ السَّنَتَيْنِ فَإِنَّ حَلِيبَهَا يَكُونُ مَهْلِكًا لِلرُّضِيعِ، لِأَنَّ نَفْسَ الْأُمِّ يَتَوَجَّهُ لَتَرْبِيَةِ الطِّفْلِ فِي الرَّحِمِ، وَيَبْقَى الحَلِيبُ فِي نَهْدِهَا مِثْلَ المَائِعِ المِتَخَثِّرِ فِي القِرْبَةِ، وَهُوَ مُضَرٌّ جَدًّا عَلَى مَزَاجِ الطِّفْلِ الرُّضِيعِ، بَلْ مَهْلِكٌ لَهُ.

الغرض أن التشريعات قد أخرجت من قلب التكوينات، وجميع الأحكام الخمسة للشرع تكون بسبب مصالح ومفاسد مخفية في داخل الأشياء والأفعال المتعلقة بالمكلفين. وللكتاب الشريف (علل الشرائع) لحضرة الصدوق محمد بن علي بن بابويه (رضوان الله عليه) أهمية كبيرة جداً في هذا الموضوع؛ ومنظومة النبراس للمتأله السبزواري أيضاً في بيان علل وأسرار الأحكام التشريعية سوى أنه قد استخدم فيها بعض التوضيحات الاستحسانية. كما في أن نفس كتاب (علل الشرائع) المذكور قد احتوى أيضاً على توضيح استحساني، والتفصيل في هذا البحث يتطلب كتاباً مستقلاً.

فأنتم خذوا بنظر الاعتبار قراءة سورة الفاتحة في صلاة الظهر والعصر، فإن آية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، باتفاق الإمامية وفرق العامة جزء من السورة، وفي صلاة الظهرين فإن إخفات الحمد والسورة واجب، لكن الإمامية، واقتداءً بإمامهم الأول حضرة الوصي الإمام علي عليه السلام، كان يجهر بآية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في صلاة الظهرين.

والفخر الرازي في تفسير سورة الفاتحة في تفسيره الكبير، في المسألة الفقهية الجهرية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يقول: «... وذلك يدل على إطباق الكل على أن علياً كان يجهر بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، أن علياً عليه السلام كان يبالي في الجهر بالتسمية، فلمَّا وصلت الدولة إلى بني أمية بالغوا في المنع من الجهر سعيًا في إبطال

آثار علي عليه السلام، أن الدلائل العقلية موافقة لنا، وعمل علي بن أبي طالب عليه السلام معنا، ومن اتخذ علياً إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه...».

الآن في وجه الجهر بـ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ نتمسك - مثلاً - بالآية الكريمة: ﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾^(١)، ونقول: كما أتكم تفتخرون باسم آبائكم والانتساب لهم، وتذكرونهم بملأ أفواهكم، وتتغنون بذلك أن « أولئك آبائي فجتني بمثلهم »، فاذكروا الله سبحانه وتعالى كما تذكروهم أو أشد. فهل يجب اعتبار هكذا تمسك علة برهانية واقعية للحكم الشرعي، أو أنه بيان استحساني وخطابي لها؟ والخوض في هذا الأمر - كما ذكرنا - يستلزم تدوين كتاب مستقل، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

الحكيم السبزواري متضلع في علم الحروف والأوفاق والأعداد:

وفي الختام هناك مطلب آخر عن المتأله السبزواري قد دوتته لأعرضه عليكم في هذا المحفل الجليل، وهو أن هذا العالم أينما دخل في علم الحروف والأوفاق وأسرار الأعداد فإنه يبحث ذلك بشكل موزون جداً وصحيح ودقيق، لكن ليس عندنا اطلاع عن عمق معلوماته في فروع الرياضيات وإلى أي مقدار كانت.

وكنموذج على ذلك يرجع إلى شرح الأسماء (ص ٣٥، ٦٤، ١٠٠، ط. ناصري) وكذلك اللثالي المنتظمة (ص ١٠) وغرر الفرائد (ص ٢٧٠، ط. ناصري). وكذلك أنه أينما يشير إلى المسائل الأدبية، فإن إشارته تكون حاكية عن تضلعه في الأدب، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. نعم، فليأخذ طلاب زماننا من علمائنا السابقين في الحوزات العلمية قدوة لهم، وليتأسوا بهم، فإنهم لم يكونوا قنوعين في تحصيل العلم.

٣٧٠ مذكرات فريدة عن بعض العلماء الربانيين

أيها الأعزّاء ، أنّ معرفة بعض الاصطلاحات في العرف وتصور العلم بمفاهيم الألفاظ ، هو بمثابة تصور الانتفاخ والسمنة .
وأختم قولي هنا ، وأمل أنّ جميع الناس قد استفادوا من نور السراج الإلهي المبعوث في مثل هذا اليوم :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ *

وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿١﴾

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الفصل الثاني عشر

الأستاذ العلامة حسن حسن زاده الآملي

الأستاذ العلامة حسن حسن زاده الأملي

بسمه تعالى وله الحمد

إلى حضرة العالم المحترم ، الأستاذ المفضل ، السيد حسن الأمين (دامت
بركاته) . من عبدالله ، حسن الطبري الأملي ، المشهور بحسن زاده الأملي ، والمُلقَّب
على لسان أستاذه ، العَلم الآية العلامة الشعرائي ، بنجم الدين . في حال أنني أعترف
أنه ليس من اللائق أن يُعدَّ شخص مثلي في عداد كبار العلم والعمل ، وفي زمرة كبار
أرباب اللوح والقلم ، سوى أن الامتثال لأمر حضرتكم العالي قد ألزمني لأن أجد
الجرأة على كتابة ترجمة حياتي الشخصية بخطّ يدي .

تاريخ الولادة والوالدين :

ولهذا ، أقول نجلاً : ولدت في أواخر سنة ١٣٤٨ هـ . ق في بيت الإيمان والتقوى -
والأمل أن يكون في ظلّ عناية ﴿ في بيوتِ أذنَ اللهُ أن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾^(١) ،
من والد مؤمن إلهي موفن ، ووالدة مؤمنة طاهرة صديقة جداً .

فتربيت في حجرها ، حجر الولاية والدراية والطهارة ، وارتضعت من ثدييها ،
ثدي المعرفة والإخلاص والصدقة . وأني على يقين أن كل ما أفيض عليّ من بركات
الله سبحانه وتعالى ، إنما كان ناشئاً من تربيته لي في هكذا حجر عفيف ، وما رزقني

من ذلك الثدي الشريف . فله - سبحانه وتعالى - الشكر على ما أحسن عليّ وأجاد وأكرم .

وفي إشارة إلى هذه الموهبة العظيمة البهية . قلت في قصيدتي التائية :

ولست أرى غير النبيّ وآهله إليه تعالى شأنه من وسيلة
ومن ثدي أمي قدّس الله سرّها شربت حُميا حُبهم بدء رضعتي

نعم ، أنّ الحليب هو عصارة خلق المرضعة وحُلقتها ، ومما لا شكّ فيه أنّ له تأثير كبير على خلق وحلق الطفل ، ومبرهن عليه ببراهين عقلية ، وأدلة طبيّة مؤيدة بالروايات الصادرة من بيت العصمة والوحي .

فقد قال حضرة الوصي أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : « أَنْظَرُوا مَنْ تُرَضِعُ أَوْلَادَكُمْ ، فَإِنَّ الْوَلَدَ يَتَّبِعُ عَلَيْهِ » (١) .

وقال إمامنا باقر علوم النبيين عليه السلام : « اسْتَرَضِعْ لَوْلَدِكَ الْحَسَانَ . وَإِيَّاكَ وَالْقَبَاحَ ، فَإِنَّ اللَّبْنَ قَدْ يُعَدِّي » (٢) .

وقال عليه السلام أيضاً : « عَلَيْكُمْ بِالْوِضَاءِ مِنَ الظُّثُورَةِ . فَإِنَّ اللَّبْنَ يُعَدِّي » (٣) .

وقد نقلت هذه الروايات الثلاثة من الجامع الوافي للفيض الكاشاني عليه السلام .

ومن كلمات الشيخ الرئيس القيمة في تدبير الرضاع ، وإرضاع الطفل ، وشروط المرضعة المواضيع التالية التي ذكرها في الفصل الثاني من النثر الثالث من التعليم الأوّل من القانون في الطب : « كَيْفِيَّةُ إِرْضَاعِ الْمَوْلُودِ وَتَعْدِيَتِهِ : يجب أن يرضع ما أمكن بحليب أمّه ، فإنّه أشبه الأغذية بما سبق من غذائه وهو في الرحم ، أعني دم أمّه ، فإنّه بعينه هو الذي يستحيل إلى الحليب فيكون أرغب إلى الطفل وآلف له ،

(١) وسائل الشيعة / الحرّ العاملي ١٥ : ١٨٨ ب (٧٨) ، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت .

(٢) و (٣) تهذيب الأحكام / الشيخ الطوسي ٨ : ١١٠ ، طبع دار الكتب الإسلامية - طهران .

حتى أنه قد ثبت بالتجربة أن: إقام الطفل حلمة ثدي أمه يكون ذو منفعة عظيمة لدفع ما يوجب أذيته وألمه...».

إلى أن قال: «وأما شرائط المرضع؛ فالأفضل أن تكون ما بين خمس وعشرين سنة إلى خمسة وثلاثين سنة، فإن هذا هو سن الشباب وسن الصحة والكمال. وأما من (ناحية الأخلاق) فإنها تكون حسنة الأخلاق ومحمودة الصفات، بطيئة الانفعالات النفسية السيئة مثل الغضب والغم والجبن وغير ذلك؛ لأن جميع ذلك يفسد المزاج، ولعله يسري إلى الطفل بالرضاع، ولهذا نهى رسول الله ﷺ عن استخدام المرضعة المجنونة.

بالإضافة أن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم: ﴿ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ زَوْجِهِ ﴾^(١)، ومن الواضح أن ذلك النفخ الإلهي هو عن طريق الأم في الرحم والجنين. إذن النفخ يتأثر بالأم ويتصف بصفاتها وأحوالها. فللوالدين تأثير كبير في كيفية ذلك النفخ واتصافه بأوصافهما، فهما دخيلان في ذلك النفخ وكأنتهما شريكان فيه.

الذهاب إلى المكتب للتعلّم، ووفاء الوالدة:

ثم وطبق السنة الحسنة التي أشار لها الشيخ في الفصل الرابع من الفن الثالث من التعليم الأول: «الصبي إذا بلغ سن السادسة فيجب أن يرسل إلى المؤدّب والمعلّم»، فعلى أساس هذه السنة العقلية ذهبت إلى المكتب عند معلّم رجل دين عندما بلغت السادسة من عمري، فتعلّمت القراءة والكتابة، فقرأت عدّة كتيبات مكتبية المتداولة في المكاتب الموجودة في ذلك الزمان، حتى تعلّمت جيّداً جميع القرآن الكريم في صغر سني.

وبعد ذلك دخلت المدرسة الجديدة الابتدائية ، ولم تمض أكثر من سنتين حتى
خوطبت والدتي (عليها الرضوان) في سنّ الشباب بخطاب ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ
الْمُطْمَئِنَّةُ * ازْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً * فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي
جَنَّتِي ﴾^(١) ، فقضت نحبها .

وفي الرابع عشر من عمري قد أصابني - وبفضل الله - بارقة مشرقية إلهية ،
وشهاب قبس كان ملتمساً لي على اقتضاء عيني الثابتة ، فعندئذ ترئم السربما نطق به
لسان الوحي : ﴿ إِنِّي أَنشَأْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدًا عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾^(٢) .
والبارقة كنور يسعى أمامي ، ويهديني إلى كسب المعارف الإلهية ، ويرغبني كرة بعد
كرة إلى التخلق بالأخلاق الربوبية ، ويحرّضني مرّة بعد مرّة إلى التأدّب بالآداب
الإنسانية ، ويحرّضني برهة بعد برهة إلى الفرار والانزجار عن ناس الزمان ورسومه
الرديلة السيئة .

أوضاع ايران الدينية في زمان رضاخان :

كانت ايران في ذلك الزمان تغلب عليها الظلمات . وكان العلماء كأسرى في
أغلال الجور والعدوان ، ولم يبق من الإسلام إلا اسمه ، ومن القرآن إلا رسمه ، وكان
المسلمون كعبيد لا يملكون أنفسهم ، ولا يقدرّون على شيء ، وصارت ايران على
أسوء ما كان يريد أشباه الرجال ولا رجال . وعلى أسوء ما تريده أهواء النساء
اللواتي هنّ جنود الشيطان ، ورأيت مساجد مدينتي أمل بعضها مملوءة بالقتب
والقطن والكتان ؛ وبعضها مريض الأغنام ، بل مكان علف الأنعام .
وكّل ذلك كان من نتائج ما عملته يد جانية طاغية ، وهذه اليد هي يد الطاغوت

(١) الفجر: ٢٧ - ٣٠ .

(٢) طه: ١٠ .

وأبي الطاغوت ، رضا خان البهلوي عميل الإنجليز ، وأقسم بالذي هو عزيز ذوانتقام على أن ما صدر من هذا الكاتب ونطق به في ما جرى على الإسلام والمسلمين في إيران ، من إماتة المعارف الإلهية ، وإبادة أهلها ، ونهب الصحف العلمية والكتب القيمة ، والإغارة على الذخائر النفيسة الرصينة المعنوية ، على يد الطاغوت البهلوي وولده الفاسد ، إنما هو أقل من القليل من كثير .

القصيدة التائية :

وقد أشارت القصيدة التائية المذكورة إلى بعض من تلك البارقة ، وأوضحت القليل مما جرى على المؤلف في عنفوان شبابه في تلك الحال السنية ، وأشارت إلى بعض مساوئ ذلك الزمن المظلم ، وآداب الناس وسلوكهم حسب رسوم سلطان الجور والعدوان ، وهذه بعض أبيات هذه القصيدة :

وقد أضرمت نَارَ الصبَابَةِ فِي الصَّبِي	هَدَايَا الْجُنُونِ بَيْنَ قَوْمِي وَصُبَّتِي
صَبَابَةً مَن قَدْ كَانَ بِيَدِي سَرِيرَةً	فَصَاحَ بِسَرِي صِيحَةً غَبَّ صِيحَةٍ
وَيَا حَبِّذَا نَارُ الْمَحَبَّةِ أَحْرَقَتْ	أَنَا نَيْتِي مَن جَذْبَةٍ بَعْدَ جَذْبَةٍ
فَقَدْ قَادَنِي لَطْفُ الْإِلَهِ إِلَى الْحَمَى	عَلَى صَغْرِي حَمْدًا لَهُ مَن عَطِيَّةٍ
مَطَايَا عَطَايَاهُ نُفُوسٌ تَطَهَّرَتْ	مَن أَدْنَائِسِ الْأَرْجَائِسِ بَوَهْبٍ وَهَمَّةٍ
يَوْسَعُ رِزْقُ الْعَبْدِ مَا كَانَ طَاهِرًا	بَذَا جَاءَ نَصٌّ مَن نَصُوصِ صَحِيحَةٍ
وَلَمَّا بَدَتْ أَنْوَارُ طُوبَاهُ فِي حِمَاهِ	وَقَدْ طَارَتْ النُّفْسُ إِلَيْهِ بِسُرْعَةٍ
تَرَكَتْ سِوَاهُ لُسْقِيَّةً مَن لِقَائِهِ	وَقَدْ أَكْرَمَ الْمَعشُوقُ نُحُجَّ عَزِيمَتِي
هَدَانِي إِلَى وَادِي الْوَلَايَةِ بَعْدَمَا	رَمَانِي عَن أَوْطَانِي وَسُكَّانِ بِلْدَتِي
وَلَمَّا رَأَيْتُ لَيْسَ لِي مَوْئِسٌ سِوَاهِ	تَسَرَّحَمَ بِي جَاءَ أَنَيْسًا لِعُزْبَتِي
تَرَكَتْ سِوَاهُ فِي هَوَاهُ بِلُطْفِهِ	وَفِي الْكَسْرِ جُبْرَانٌ وَفِي الْجَبْرِ لَذَّتِي

وما دُقت في دهري من أنواع لذّة
مضى الليل في النجوى وشكوى غريبه
وفي لجة الليل الذكاء تالأت
وقد نوّر الروح أنين لياليا
ونعم الأنين كان في الدهر مؤنسي
أناس كسنناس وحوش بهائم
ولو كُشّف عنك الغطاء لبصر
على ما هدانا الله جلّ جلاله
فلا تعدل معشار أوقات خلوتي
وكان الصباح لمعة فوق لمعة
وقد جرت الأنهار من قلب صحرة
وقد صهر السرّ دموع كريمة
فصرت من أشباح الأناس بخيفة
أصل من الأنعام دون البهيمة
سباعاً ذئاباً أو ضباعاً بأية
له الحمد ثمّ الحمد من غير فتوة

الدخول إلى المدارس الدينية :

وبشكل عام أنّ تلك البارقة أخرجتني من الظلمات إلى النور، حيث أضرم في القلب محبة تحصيل المعارف القرآنية، فطلبت من الوالد -رضوان الله تعالى عليه- أن يسمح لي بالدخول إلى المدرسة الدينية (الحوزة العلمية)، فسمح لي وبدون مكث مع شغفٍ شديد، وبكاءٍ عاٍ، من شدة الشوق والبهجة والسرور، ثمّ بعد برهةٍ بدأ -برحمه الله تعالى- بنصيحتي وبعظني في أمري، ويوصيني بالصبر والاستقامة والاتكال على الله المتعال، والجِد في تحصيل الكمال.

وما أن أقبل الليل نهضت في السحر بشكل لم يكن أحد في البيت يطّلع على حالي، ثمّ أخذت ديوان الخواجه حافظ الشيرازي وناديته بسري وقلت: التّنال بديوانك قد اشتهر في الأصقاع، وبلغ الأسماع، وإني أهدي إليك قراءة الفاتحة راجياً أن تريني ما أريد في أمري من حسن الخاتمة، وبعد قراءة الفاتحة، فتحت الديوان فإذا جاء هذا المقطع من قصيدة غزلية:

کنون که در کف گل ، جام باده صافست
 به صدهزار زیان بلبش در اوصافست
 بخواه دفتر اشعار و راه صنحرا گیر
 چه وقت مدرسه و بحث کشف کشفست
 به دُرد صاف ، تو را حکم نیست دم درکش
 که هرچه ساقی ما ریخت عین الطافست
 بِسِر ز خلق و ز عنقا قیاس کار بگیر
 که صیت گوشه نشینان ز قاف تا قافست^(١)

وهذه الأبيات قد زادتني شوقاً وافراً . وهيجتني إلى طلب المراد سريعاً .
 ومن الجدير بالذكر أن تلك البارقة قد أشرقت من دوحة شجرة طيبة . ونفس نفس
 زكية ، وإشارة عالم رباني ذي محاسن غزيرة . وهو الميرزا أبو القاسم المشتهر
 بفرسيو ابن الملا باشي إبراهيم -رحمة الله عليهما- كان أعلم من في مدينتنا -أمل-
 وأزكاهم وأتقاهم ؛ وكان حقاً من أعلام علماء الدين . ومن أفاخم المجتهدين . وقد
 أدرك أساتذة طهران وعلماء إصفهان في عصره . ثم ارتحل إلى حوزة النجف
 الأشرف ، فأخذ حظاً وافراً . بل أوفر . من العلم من مشايخ وأعلام تلك الحوزة :
 السيد أبي الحسن الإصفهاني . والآخوند الخراساني ، والميرزا حسين النائيني
 وغيرهم . وبشكل عام فإن فضائل ذلك رجل الدين البطل . وفضائله في العلم
 والعمل ، وسيرته في التقوى ، وكماله في حسن الخط ، وما جرى عليه من صعوبات

(١) المعنى : في هذه الأبيات دعوة نحو الجِدِّ والدرس والبحث ، فيتغزل بذلك ويقول : إنَّه قد
 حان في الزمن الصعب أن تتناول كأس الشراب الذي تتغنى بأوصافه البلايل ، وتأخذ دفتر
 أشعارك وتسلك الصحراء ، يعني الطريق الصعب ، فإنَّه حان وقت الدرس والبحث
 والكشف ، وخذ كلَّ ما تستطيع من العلم ، ثم استنشق عبق النسيم في صبح الشمال ، فإنَّ
 كلَّ ما سفاك الساقى من النبيذ (العلم) فإنَّما هو من الألفاظ الإلهية .

٣٨٠ مذكرات فريدة عن بعض العلماء الربانيين

الزمان والدهر الخائن من يد الطاغوت البهلوي كانت كثيرة جداً. ولكنني لم أتلمذ عنده؛ لأنه قد انتقل إلى جوار ربّه وقضى نحبه في بداية دراستي للعلوم الدينيّة، إلاّ أنّه كان له حقّاً عظيماً عليّ في إيماض تلك البارقة القدسيّة.

ازدياد اشتعال البارقة:

ثمّ قد ازدادت تلك البارقة اشتعالاً وتأثيراً بما قاله رجل الدين النبيل هذا في حقّي في أحد المحافل العلميّة؛ وذلك الموضوع: أنّ علماء مدينتنا كان عندهم مجمع علمي يجتمعون فيه ويتباحثون عن المسائل الفقهيّة، وفي اليوم الثاني من دخولي إلى المدرسة أخبرني أحد الفضلاء في المجمع: اليوم قال الميرزا أبو القاسم في حقك أنّي متيقّن أنّ هذا الشاب سيصل إلى مقام شامخ عالٍ، فحمدت الله سبحانه على هذه البشري.

وكان ما جرى عليّ بهذا الشكل: بعد ما طُرِدَ عفريت الأباليس، البهلوي الشريس إلى جزيرة موريس، كنت في مدينتي أمل. أوّل من اقتحم فافتتح الدخول إلى المدرسة الدينيّة (الحوزة العلميّة)، واشتغل، فبدأت بتحصيل العلوم الأصليّة الإنسانيّة واقتنائها للاعتلاء إلى فهم الخطاب الأحمدي، والارتقاء إلى الكشف التام المحمّدي ﷺ. كان تاريخ دخولي إلى المدرسة الدينيّة (الحوزة العلميّة) في سؤال المكرّم سنة ١٣٦٣هـ. ق.

وكانت مدينتنا أمل في ذلك الوقت حافلاً بعدّة من العلماء كانوا من نماذج الفضل والتقوى، كما كانت منذ قديم الزمان منتدى العلم على ما يشهد به التاريخ، وكذلك وجود الكثير من الأمليين في التراجم ومصنّفاتهم العلميّة ومدارسهم الدينيّة.

أوّل الأساتذة، وأوّل الكتب الدراسيّة:

وقد بذل هؤلاء الحجج الباهرة جهدهم في تأديبنا وتعليمنا لئلا تتدرس أعلام

الهدى في اللجج الغامرة. ومن اللائق أن نتبرك بذكر أسمائهم، وهم الآيات والحجج: محمد الغروي، وعزيز الله الطبرسي، وأبو القاسم الرجائي، والحاج الشيخ أحمد الاعتمادي، وعبدالله الإشراقي (رضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه). وكان الغروي فقيهاً أصولياً مجتهداً في الفقه والأصول، وقد أدرك مشايخ علماء عصره في أمل وطهران والنجف، وكان من تلامذة الأعلام محمد كاظم الخراساني صاحب (الكفاية في الأصول)، والسيد أبي الحسن الإصفهاني، والنائيني.

والطبرسي أيضاً قد أدرك علم ومعارف المدن الثلاث المذكورة، وكان من البارزين في منقبتي العلم والتقوى، وكان مدرّساً حسن التدريس والتفهم على الجدّ والجدوى. وكان أديباً بارعاً، وكان حسن الخطّ وتعلّمت الخطّ وآدابه منه.

وأول الكتب التي بدأوا بتعليمنا إياها:

١- رسالة اللغة المنظومة، وهي باسم (نصاب الصبيان) تصنيف أبو نصر الفراهي.

٢- الرسالة العلميّة الفارسيّة لآية الله السيّد أبي الحسن الإصفهاني؛ لأنه كان مرجعاً على الإطلاق في ذلك الزمان.

٣- رسالة الأمثلة من كتاب (جامع المقدمات)، فتعلّمنا النصاب وحفظناه كاملاً في عدّة أسابيع، ووصل درس جامع المقدمات إلى (عوامل الملامح).

كان الدرس يومئذٍ حول (كأنّ) من الحروف المشبهة بالأفعال وإغائها عن العمل، وكان الشاهد عليها قول الشاعر: «كأنّ ثدياه حُتّان». ولما تمّ الدرس جاء الناعي إلى المدرسة وجلب خبر وفاة والدي (رحمة الله عليه)، فتكلّمتني بعد ذلك خالتي (رحمة الله عليها)، وكانت أبرّ بي من والدتي.

مدّة الدراسة والكتب التي تعلّمتها في أمل:

لقد وقّفتني الله سبحانه أن استمرّ بالدراسة في مدينتي أمل لمدّة ستّ سنوات.

فدرست عند الأساتذة الذين سبق ذكرهم . دراسة فهم ودراية ، الكتب الثالوية : نصاب الصبيان ، جامع المقدمات ، وشرح السيوطي على الألفية في النحو والصرف ، وشرح الجامي على الكفاية في النحو ، وحاشية الملا عبد الله اليزدي على تهذيب الفتازاني في المنطق . وكذلك شرح القطب الرازي على شمسية الكاتبي القزويني في المنطق ، وشرح النظام على الشافية في الصرف ، ومعالم الأصول للشيخ حسن بن زين الدين الشهيد الثاني ، والتبصرة للعلامة الحلبي في الفقه ، والمعني في النحو ، والشرائع للمحقق في الفقه ، والمطول في المعاني والبيان والبديع ، ونبذة من شرح القوشجي على التجريد في الكلام ، وعدة كتب من شرح اللمعة للشهيد الثاني في الفقه ، والقوانين للمحقق القمي في الأصول من الأول إلى مباحث العام والخاص .

وكان الرسم المعمود في الحوزة أن يحفظ الطلاب نصاب الصبيان وتهذيب المنطق والألفية ابن مالك ، فاقتنينا أثرهم . فحفظنا الأولين بتمامهما ، وأكثر أبيات الألفية . وكنت - بحمد الله تعالى وحسن عنايته - موفقاً بتدريس الكتب الأدنى مع اشتغالي بتعلم الكتب الأعلى والأدنى .

الهجرة إلى طهران :

بعد ستّ سنين من انشغالي بتحصيل المعارف في مدينتي أمل ، هاجرت إلى طهران في يوم الأربعاء التاسع من ذي القعدة الحرام سنة ١٣٦٩ من الهجرة النبوية (على مهاجرها آلاف التحية والصلاة والسلام) ، وبعد الصعوبات الكثيرة آواني ربي في مدرسة الحاج أبي الفتح (عليه الرحمة) الواقعة في نهاية شارع الري في طهران . فتفأللت باسم الفتح خيراً ، وكأني بهذا الاسم كنت أرجو فتوحات ربي الفاتح عزّ اسمه .

وعندئذ قرأت باقي كتب شرح اللمعة وقوانين الأصول بكاملها عند العالم الجليل

الحجّة الآية السيّد أحمد اللواساني (رضوان الله تعالى عليه) . وله عليّ حقّ مشكور في التدريس والتعليم ، سيّما في التحبيب والتأليف والترحم ، حيث كان في سلوكه معي كالوالد العطوف البارّ .

بعد ذلك أردنا أن نقرأ رسائل الشيخ الأنصاري في الأصول . ومكاسبه في الفروع ، وأن نبدأ في العلوم العقلية وقراءة اللثالي المنتظمة في المنطق ، والحكمة المنظومة في الحكمة المتعالية والفلسفة الإلهية ، ولهذا فقد اشتركنا في بعض المحافل الدراسية ، فرأينا أنّ علماء مدينتنا أمل أفضل من هؤلاء الأساتذة بمراتب .

الوصول إلى محضر درس آية الله القمسي :

وفكرت في نفسي أن أرجع إلى من هو بصير بالعلماء وخبير بهم ، فتشرّفت بمحضر آية الله الحاج الشيخ محمدتقي الأملي . وكان من كبار العلماء في طهران ، فحكيت له بما جرى عليّ من إدراك بعض المحافل الدراسية ، وعدم قناعتني ببعض مجالس الدرس الراجحة العادية ، فهو أوصاني بشدّة أن أدرك محضر العلامة ذوالنون آية الله الحاج الميرزا أبو الحسن الشعراني . والحكيم الإلهي الحاج الميرزا الإلهي القمسي . فتشرّفت عندهما ، ولكن كلّ واحد منهما اعتذر بكثرة المشاغل والمشاكل من التدريس والتصنيف والتحقيق والتصحيح وغيرها من الأمور العلمية ، فأبى أن يستقبل لنا درساً آخر .

وعلى هذا المنوال راجعت إليهما كرهة بعد أخرى . وكان الجواب نفس الجواب . وكنت أحضر في تلك الفترة القليلة في محافل دروس أخرى رغم عدم قناعتني بها راجياً ما وعد به الله سبحانه بقوله الكريم : ﴿ لَعَلَّ اللَّهُ يُخَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾^(١) ، وبعد أيام عاودت أيضاً إلى الأستاذ إلهي القمسي مع خجل وانفعال ، فلمّا رأى أنّ

شوقي إلى الالرس فوق طوقى ، سألنى هله المره عن بلالى وارلحالى ومده اسلغالى بالالراسه ، وعن المالراسه الالى كلل مقلما فىها فى طهران ، ثم طلب منى مهله لعهه ألام ، وبعه مصلها لفضل بقلول الالراسه المنظومه للملال السبزلوارى ، وكانل الالراسه عنله لقال فى ببله الشرف بعه صلاله المغرب والعشاء ، ولأكلل من عشرين سله . فلعللنا عنله لفسلر القرآن الكرفم ، والالراسه المنظومه بكاملها ، وشرل المالحق الطوسى على إشارال من الالراسه الالراسه إلى الأالراسه ، والمجلل الالراسه من الأسفار لالالراسه الالراسه فى الإلهلال بلعناها الأالراسه . وبعه الالراسه الالراسه والمعارفه فى مالحضره الأسنى ، حكى لبله بعه الالراسه بما فعل فى غلابل لكى بللملن وبللمن منى ، لقال : عنلما رأبل إصارلك وإلراملك على الالراسه للل بلوما إلى مالراسه الالراسه أبى الفلح على اللل غفله منك ، وسألل طلاب المالراسه عن كلفله رألك وابلللك فى عمللك . واشلغاللك بلالالراسه الالراسه ، فكانوا لللهم بلقولون بلالراسه سبلرلك ، وشله ولعلك بلالالراسه المعارف واكلساب العلوم . ومع ذلك بعه ما لللعل إلى المنزل لقالل بالالراسه الكرفم . وألللل اسللالراسه فى بقلول الالراسه ، لفلللل الالراسه فإذا بلله الآله الكرفمه لالالراسه أمامى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (١) .

ثم اعللر من رعاهه كل هذا الالراسه والالراسه فى الالراسه فى بقلول الالراسه بأن أكلل الالراسه قاصره عن الالراسه على الطلرله وبللملن فى العلم بأقل ما بلللملن به لإمرار معاشهم .

والعلب أنه وعنلما لفضل الالراسه الأالراسه إلهى (رضوان الله لعالى علىه) بلالراسه الالراسه المنظومه ، وأعلمل الكللر مملن كانوا بلللملن ذلك الالراسه ، لالالراسه فى مجلس الالراسه فى الالراسه الأالراسه علللاً كلبراً لالالراسه الالراسه .

ولكن في الاسبوع الثاني بقيت أنا وحدي .

ومن كلامه السامي في حقِّي أنه بَشَّرني ليلة بعد الدرس بقوله لي : « إنك في سبيل العلم تنال خيراً » ، فلما سمعت تلك البشارة منه قلت : آمين ، ثم سألتُه عنها بأنَّ سماحة الأستاذ بماذا يبشِّرني بذلك ؟ فقال : « بما أرى منك محلاً من الأدب مع أساتيدك ، ومن التواضع عندهم .

ومما تفضَّل به عليّ ، هو تقييده على ديوان شعري بخطه الشريف في مقدّمته ، وقد طبع مع الديوان .

وكان هو (رحمه الله تعالى) شاعراً مُثَلِّقاً مُصَنِّعاً ، وله ديوان كبير ضخّم ، قد طبع أكثر من مرّة ، وأقسم أنّ الأستاذ الإلهي التمشي كان ذا فضائل جمّة في شعب الكمالات الروحانيّة .

الوصول إلى محضر درس آية الله الشعراني :

ثمّ في أثناء تتلمذنا عند الأستاذ الإلهي فتح الله سبحانه بفضله وكرمه باب رحمته الأخرى لنا ، ويسّر لنا الاشتراك في محضر معلّم العصر ، فخر العلم ، ومفخر الإسلام آية الله العليم العلام ، العلامة ذي الفنون الأعظم الحاج الميرزا أبي الحسن الشعراني (أفاض الله علينا من بركات أنفاسه القدسيّة النفيسة) .

وهذا البطل العلمي كان مفرداً في جميع العلوم . ما رأيت أحداً من علمائنا المعاصرين مثيلاً له في جمعه للعلوم وإحاطته بها . كان أديباً بارعاً ، صاحب قلم رصين ، وقول ثميل في الفنون الأدبيّة الفارسيّة والعربيّة ، وكان يتقن اللغات الفرنسيّة والعبريّة والتركيّة بشكل كامل ، وبالإنجليزيّة أيضاً ، بالمقدار الذي يحتاجه ، وكان فقيهاً مجتهداً جامعاً للشرائط الفقهيّة بكاملها ، وفيلسوفاً متبحراً وحكيماً متضلّعاً في الحكمة المتعاليّة والمثنائيّة والإشراقيّة ، ومتخصّصاً في العلوم الرياضيّة وخاصّة في علم الفلك .

وكان طبيباً يدرس شرح الأسباب والقانون للشيخ الرئيس . وكان مخترعاً حاذقاً اخترع بقريحته الطيارة الوفاة بعض الآلات الرصدية في معرفة قبلة البلاد ، ومحدثاً خبيراً يعدّ من مشايخ حملة الرواية ، ورجالياً حاذقاً في الدراية وتمييز الثقات من الضعاف ، ومفسراً خريّتاً في تفسير القرآن الكريم وعلم القراءات ، والخلاصة أنّه عندما يذكر العلماء الذين يجمعون العلوم والفنون في عصرنا فكان هو الذي يشار له بالبنان .

وأثاره الباهرة أصدق شاهد على ما أنتجه قلمه ، بالإضافة إلى أنّ الإنسان مسؤول على أفعاله وأقواله ، ومع كلّ هذه الفضائل كان زاهداً في الدنيا وأهلها ، وحريصاً مولعاً باكتساب المعارف والحقائق ليلاً ونهاراً . فني ذلك فليتنافس المتنافسون . وقد تتلمذت على يديه لمدة ثلاثة عشر سنة فتعلّمت منه ما يلي :

في الفقه والأصول :

- ١- كلّ رسائل ومكاسب الشيخ الأنصاري مع التدقيق والتحقيق الكاملين .
- ٢- كفاية الأخوند الخراساني .
- ٣- عدّة كتب من جواهر الكلام : كتب الطهارة . الصلاة ، والخمس ، والزكاة ، والحجّ ، والإرث . ولم يكن يكتفي في تدريس هذه الكتب على تفهيم المتن فقط ، بل سعى الى تدريسها بما هو في البحث الخارج عن المتن أيضاً على وجه التحقيق والتدقيق .

حينئذٍ آمن واطمأنّ بأثني قادر على استنباط الفروع من الأصول ، فشرّفني بتصديقه منّة استنباطي وقوّة اجتهادي . وصحيفته المكرّمة المكتوبة بخطّه المبارك في ذلك التشرّيف موجودة محفوظة عندي ، وسيأتي التبرّك بذكرها وذكر صحيفة أخرى منه أيضاً .

وفي العلوم العقلية :

- ١- أكثر أسفار صدر المتألّهين .

٢ - عدّة كتب من شفاء الشيخ الرئيس : كتاب النفس ، كتاب النبات ، كتاب الحيوان ، وخلاصة من كتاب النفس إلى آخر الطبيعيات . وقد درسنا عدّة أنماط من إشارات الشيخ بشرح الخواجه الطوسي مرّتين : مرّة عند الأستاذ القمّشي ، ومرّة عند الأستاذ الشعراني .

وفي تفسير القرآن ، درسنا عنده تفسير مجمع البيان لأمين الإسلام الطبرسي من البداية إلى الخاتمة كاملاً من تفسير سورة الفاتحة إلى تفسير سورة الناس بكاملها .

أمّا في التجويد وعلم القراءات : شرح الشاطبية المسمّى (سراج المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهى) ، وهو شرح العلامة الشيخ عليّ بن الناصح العذري على القصيدة الالامية المنظومة للعلامة الشيخ قاسم بن قيره الرعيني الشاطبي في علم القراءات . والقصيدة فيها ألف ومئة وخمس وسبعين بيت كلّها بقافية الألام فقط ومطلعها :

بدأت بيسم الله في النظم أولاً تبارك رحماناً رحيماً وموثلاً

ومختمها :

وتبدي على أصحابه نفحاتها بغير تناء زريناً وقرنفلاً

وكان شرح الشاطبية من الكتب المدرسية يدرّس في المراكز العلمية ، والأستاذ الشعراني كان قد قرأه عند والده ﷺ . والقصيدة المنظومة بأسلوب خاصّ ومشحون بكنوز رموز في علم القراءات ومعرفة القراء . وأوصي طالبي المعارف القرآنية بجمع المعلومات من هذه الموارد العلمية .

وأما في الطب :

١ - خلاصة القانون (القانونچه) لمحمّد بن محمود الجفميني .

٢ - شرح الأسباب لنفيس بن عوض بن حكيم الطبيب .

٣ - تشريح كليّات قانون الشيخ الرئيس .

وقد نصحننا الأستاذ الشعراني في بداية درس (القانونچه) بقوله المتين ،

بشكل موجز: « ينبغي للعالم الديني أن يكون عارفاً بالتشريح والطب حتى لا يتوهم أن كليلته معلقة تحت ذفنه ، على أنه يحتاج في مسائل الديات والقصاص والحدود وأشباهاها إلى العلم بالتشريح .

وأما في علم الدراية والرجال :

١ - دورة كاملة من رسالة الأستاذ في الدراية والتي لم تطبع إلى الآن .

٢ - دورة كاملة من (جامع الرواة) للأردبيلي (عليه رحمة الباري) .

وأما في الحديث والرواية : جامع الوافي للفيض الكاشاني (رضوان الله تعالى عليه) .

وبعد دراسة الجامع الوافي شرفني بالانخراط في سلك رواة الدين ، والانسلاك في سلسلة حملة الأحاديث الصادرة عن أهل بيت العصمة والوحي ، حيث أجازني الرواية عنهم عليهم السلام بالإسناد الذي يروي هو عن مشايخهم الروائية عنهم عليهم السلام . وسيأتي ذكر هذا الإسناد فيما بعد .

وأما في الرياضيات وعلم الهيئة :

١ - رسالة الملاء علي القوشجي في الهيئة بالفارسية .

٢ - شرح القاضي زاده الرومي على (الملخص في الهيئة) . من مؤلفات محمد بن محمود الخوارزمي الجفميني المعروف بـ (شرح الجفميني) .

٣ - الاستدراك على شرح الأفلاك للشيخ البهائي . من مؤلفات الأستاذ .

٤ - كتاب الأصول المشهور بـ (أصول اقليدس الصوري) ^(١) بتحرير المحقق الناقد الخبير الخواجه نصير الدين الطوسي من البداية إلى الخاتمة ، وهي خمس عشرة مقالة في الحساب والهندسة وجميع مسائلها مبرهنة بالبراهين القاطعة الرياضية .

(١) منسوب إلى صور ، وصور اسم المدينة التي كان اقليدس من أهلها .

٥ - اكرمانالائوس .

٦ - اكرناو ذوسيوس في المثلثات والأشكال الكروية ومسائلها مبرهنة بالبراهين الرياضية ، وكلاهما بتحرير المحقق الطوسي .

٧ - شرح العلامة الفخري على (التذكرة في الهيئة) للمحقق الطوسي ، وهذا الكتاب شرح استدلاله على مسائل علم الهيئة . وإن كانت التذكرة المذكورة قد شرحها العلامة الفاضل الملا عبدالعلي البيرجندي أيضاً . وكذلك العلامة حسن بن محمد النيشابوري صاحب غرائب القرآن في التفسير وغيرهما من أعلام العلم ، لكن الشرح الذي هو كتاب درسي إنما هو شرح الخصري لريزانتة العليا ورصانته القصوى .

٨ - بعد تعلم شرح الخصري على التذكرة والتسلط عليها أمر الأستاذ بتعلم الزيج البهادري ، وهو آتم وأدق الزيجات وأجدها .

استخراج التقيوم :

وقد وفقنا الله سبحانه بأخذ وتعلم هذا الكتاب عند محضر الأستاذ مبرهنًا جميع مسائله من البداية إلى الخاتمة في مدة أربع سنين ، وقد تبخرت بالغوص في مسائله بشكل أنني أصبحت ماهراً في استخراجها وشرحها شرحاً كاملاً ، ولم يطبع بعد ، وقد استخراجت عنه تقاويم تسع سنين ، وقد طبعت ونشرت .

٩ - بعد التسلط على الزيج البهادري أمر الأستاذ بتعلم الكتاب الكبير المجسطي لبطليموس القلوذي ، وهو بتحرير المحقق الطوسي أيضاً ، والمجسطي هو دستور عظيم في علم الهيئة ، وأشرف ما صُنِّفَ ، وهو المقصد الأقصى ، والمطلب الأعلى ، ونهاية النهايات لدراسة الهيئة الاستدلالية ، كما أن شرح الخصري المذكور وأكرناو ذوسيوس ، واكرمانالائوس ، وكتاب (الكرة المتحركة) لأوطولوقوس ، بتحرير الخواجه الطوسي أيضاً ، ورسالة قسطا بن لوقا في العمل بالكرة ذات الكرسي ونظائر هذه الكتب من المتوسّطات ، وأصول اقليدس . وما دونه في الحساب والهندسة

٣٩٠ مذكرات فريدة عن بعض العلماء الربانيين

والهيئة من البدايات وحسب المراتب في هذا الفرع ، كما هو المتعارف والمعمول به عند أهلها .

وأما العمل بآلات الرصد :

١ و ٢ - الاسطرلاب والربع المجيب على نحو الكمال .

٣ - معرفة الآلات التي ذكرت في الكتب المذكورة .

خاطرة لطيفة لا تنسى :

كان الأستاذ الشعرائي (رضوان الله تعالى عليه) يولع النفوس المستعدة بأخذ العلوم جداً ، كما أنه كان مولعاً بإحياء النفوس المستعدة جداً . وكان يتنقّر من العطلة ويُتقّر عنها .

ولا أنسى نكتة عن أستاذي الشيخ العلامة الشعرائي روعي فداه ما زالت في ذهني ، في يوم من أيام الشتاء كانت السماء قد هطلت ثلجاً عظيماً - وكنت يومئذ من طلاب مدرسة مروزي ، وقد انتقلت قبل ذلك ، من مدرسة الحاج أبي الفتح إليها - وكانت أكثر دروسنا في بيته الشريف . فخرجت من الحجرة قاصداً إلى بيته على تردد وإقبال وإدبار ، حيث إنَّ النفس كانت تُحدّثني الإدبار عن الدرس في هكذا يوم ، والعشق يَحُثُّني على الإقبال إليه ، وبعد أن وصلت إلى باب بيته المنيع استحييت أن أدقّه ، فمكثت برهة من الزمان خلف الباب . ثمَّ طرقت حلقة الباب ، وما أن تشرفت بحضوره ، اعتذرت منه لأنني زاحمته في هكذا يوم بارد جداً ، فقال : « أتيت من المدرسة إلى هنا ، فهل أهل الكدية في الشوارع وحواشي الطرق قد عطّلوا عن حرفتهم اليوم ؟ » .

فقلت : بل أن سوقهم في هكذا أيام باردة حارٍ ورائج جداً ، قال : « إذا كان هؤلاء لم يعطّلوا عملهم ولم يمسكوا عن الكدية فلماذا نحن نعطّل عملنا ولا نستجدي » .

سماحة فاضل التونسي وعليّ محمّد الجولستاني :

ومن أساتذتي العظام في طهران هو العارف بالله ، والحكيم المتأله الجامع ، والأديب المتضلع البارع ، مولاي العلامة الشيخ محمّد حسين فاضل التونسي (تغمّده الله سبحانه برحمته ، ورفع إلى ذرى جنة الذات درجاته) ، فقد تتلمذت عنده بتعلّم شرح العلامة القيصري على فصوص الحكم للشيخ الأكبر محيي الدين العربي ، وقسم من شفاء الشيخ الرئيس أبي عليّ بن سينا .

ومنهم الشيخ الجليل المفضال وخدم العلم والمال ، والبارع في العلوم العقلية والنقلية الحاج الشيخ عليّ محمّد الشولستاني (رحمة الله تعالى عليه) ، فقد تتلمذت عنده بتعلّم اللاكئ المنتظمة في المنطق لمتأله السبزواري .

وأيضاً من الذين رزقني الله سبحانه في طهران من مادبهم العلمية ، هم أساتذتي العظام ومراجع الإمامية ، وأعلام الدين ، وأركان شعب العالم ، وأرباب اليقين ، ومعالم الهدى ، ومعافل العلماء والمسلمين الآيات الكبرى : الحاج الميرزا السيّد أبو الحسن الرفيعي القزويني ، والحاج الميرزا أحمد الأشتياني ، والحاج الشيخ محمّد تقي الأملّي (رفع الله المتعالي درجاتهم) .

الدروس التي تعلّمتها من العلامة الرفيعي القزويني :

وتتلمذت عند العلامة القزويني لمدة خمس سنوات ، وأخذت عنه العلوم العقلية والنقلية ، فدرست عنده مع التدقيق والتحقيق ، ومع تصفية الفكر وتجريد الخاطر ، الدروس التالية :

١ - شرح العلامة محمّد بن حمزة الشهير بابن الفناري على (مفتاح غيب الجمع والوجود) لصدر الدين محمّد بن إسحاق القونوي ، ويُعرف ذلك الشرح بمصباح الأنس .

٢- درس خارج الاجتهاد والتقليد من كفاية الأصول للآخوند الخراساني .

٣- القسم الأعظم من الأسفار لصدر المتألهين .

٤- درس الخارج في الطهارة والصلاة والإجارة في الفقه من العروة الوثقى للفقيه السيد محمد كاظم اليزدي .

وكان الأستاذ القزويني في تبخره وتغلغله بفكره الناصع ، ونظره الشاقب ، وحافظته القويّة ، وذكائه الشديد ، في جميع شعب المعارف الحقّة الإلهيّة معروفاً عند الأجلّة من علماء الدين ، كما كان بيانه البليغ البارع ، وجودة سليقته في تفهيم الحقائق وتقرير المواضع العويصة مثلاً سائراً في ألسنة الخواصّ . وأقسم أنّه كان في الكمالات الروحانيّة والمعارف القرآنيّة طود التحقيق والتفكير . وكان يصفني بـ (الفاضل الأملي) ، ويدعونني ويسمّيني به . وكان يوصيني ، بل يأمرني ، بعدم المراجعة إلى أمل على سبيل الإقامة فيها . وقال لي مرّة : « أقسمك برأس جدّي الأطهر أن لا تقيم في أمل . فإنّي أخاف أن تصبح ضائعاً هناك » .

الأساتذة الشيخ محمد تقي الأملي والأشتياني :

تشرّفت عند الأستاذ محمد تقي الأملي بالبحث عن الخارج في الفروع الفقهيّة من المكاسب وغيرها ، وكذلك له حقّ عظيم على تلميذه الحقير هذا ، في المعارف العقلية .

وعند الأستاذ الأفخم الرباني سماحة الأشتياني درست شفاه الشيخ الرئيس . ولكلّ واحد منهم حقوق روحانيّة على تلميذهم هذا جزاهم الله سبحانه عنّا خير جزاء المعلمين . نعم ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) .

وجاء في كتاب فضل العلم من الكافي بإسناده إلى حفص بن غياث قال : قال لي

أبو عبد الله عليه السلام: « مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَمِلَ بِهِ، وَعَلَّمَ لِلَّهِ دُعَايَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ عَظِيمًا، فَقِيلَ: تَعَلَّمَ لِلَّهِ، وَعَمِلَ لِلَّهِ، وَعَلَّمَ لِلَّهِ ^(١)، وَأَشْهَدُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْعِظَمَاءُ تَعَلَّمُوا لِلَّهِ، وَعَمِلُوا لِلَّهِ، وَعَلَّمُوا لِلَّهِ (عليهم صلوات الله وسلامه).

التدريس مع التحصيل:

ومن فضل ربِّي عليَّ أنني في مدَّة إقامتي في طهران لمدَّة ثلاث عشر سنة أو أكثر مع اشتغالي بتحصيل العلوم من تلك المحاضر العالية، كنت أشتغل أيضاً بالتدريس والتعليم في المدارس الروحانيَّة (الحوزة العلميَّة) على السنة المعهودة والسيرة الجارية بين العلماء ورجال الدين. وقد وقَّمت بتدريس الكتب التالية:

- ١- معالم الأصول.
 - ٢- مطوَّل التفتازاني.
 - ٣- (القوانين) في الأصول.
 - ٤- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد في علم الكلام.
 - ٥- شرح المحقق الطوسي على إشارات الشيخ الرئيس في الحكمة المشائيَّة.
 - ٦- شرح اللمعة في الفقه.
 - ٧- إرث الجواهر في الفقه.
 - ٨- اللالئ المنتظمة.
 - ٩- الجواهر النضيد.
 - ١٠- حاشية الملا عبد الله.
 - ١١- شرح الشمسيَّة.
- وهذه الكتب الأربعة الأخيرة كلَّها في المنطق.

(١) الكافي / الشيخ الكليني ١: ٨٥، ح ٦، طبع دار الأضواء - بيروت.

١٢ - الهيئة الفارسية للفوشجي .

١٣ - شرح الجغميني .

١٤ - تشریح الأفلاك للشيخ البهائي .

١٥ - أصول اقليدس .

١٦ - الزيج البهادري .

وهذه الكتب الخمسة كلها في الرياضيات من الهيئة والحساب والهندسة .

وأيضاً وقّعت بتعليم اللغة الفرنسية .

تصديق الاجتهاد وإجازة الرواية :

وأما وعدنا من نقل ما كتبه الأستاذ الشعراني بما شرفني به فيها ، هو كالتالي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بعد حمد الله تعالى على آلائه ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه وخاصة أصفياه ، فإن أولى الفضائل باستلزام التعظيم ، وأحقها باستيجاب التكريم هو ما يكون غاية وجود الإنسان الحصول عليه ، وفائدة خلقه التحلي به ، وهو التزّين بالعلم للقوة النظرية ، والتزّكي عن الرذائل للقوة العملية ، فإن الإنسان امتاز بهذين القوتين ، ولم يمنحهما الباري باطلاً وعبثاً . قال تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١) . وقال : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * ﴾ يعني : (زكّى نفسه) وَقَدْ حَابَ مَنْ دَسَّاهَا^(٢) .

وليس المراد علم الدنيا وتدبيرها ، بل علم النفس وعلم الآخرة ؛ لأن علم الدنيا أخس من الدنيا نفسها لأخسيتها المقدمّة من ذي المقدمّة . ثم أنّ ممّن حقّق الغايتين

(١) الرّم: ٩ .

(٢) الشمس: ٩ و ١٠ .

لنفسه ، ومن اللائق أن يتَّصف بحياسة المنقبتين لذاته هو مولانا الأجل الموقَّع نجم الدين ، ونور الصبابة ومصباح العلم وشمس الهداية الشيخ حسن الأملي المعروف بحسن زاده ، فإنَّه وفقه الله صرف قسم من عمره في تحصيل الكمالات الإنسانيَّة والفضائل النفسانيَّة ، وقد اختبرته وامتحنته منذ عشرين سنة ، بل أكثر ، فلم أر فيه ما يشينه ويؤخذ عليه إلاَّ الجهد والاجتهاد ، فجمع من علوم الدين جميع ما يجب أن يعلمه علماء الدين . ولم أره ولو لمرة واحدة يتأنَّف من علم واجب وإن كرهه الجهال ، أو يفتخر بالجهل ، أو يتجاهل تقرباً إلى العوام كما قد نرى من غيره . ولذلك تراه فاق أقرانه بعلم القرآن في لفظه ومعناه ، وباطنه وظاهره ، وقرائته وكتابته وسائر ما يتعلَّق به . وفاق غيره في تتبُّع الأحاديث وما يحتاج فيه من الأدب ، وضبط كلمات كتاب الكافي الشريف ، وقام بإعرابه بما يتعجَّب منه ويعجز عنه أكثر النَّاس . ثمَّ أنَّ له اليد الطولى في علم النجوم وما يتعلَّق به من الرياضيات ، وله في استخراج رؤية الهلال والكسوفين مهارة جرَّبها من عنده علم بهذا الموضوع . وفضَّلها على استخراج غيره . وأمَّا العلوم الشرعيَّة العقلية والنقلية فهو فارس ماهر في مضمار السباق . وقد رأيتُه قادراً على استنباط القروع من الأصول ، وأجزت له أن يروي عني ما صحَّت عندي روايته ، وألتمسه أن لا ينساني من الدعاء .

كتبه أبو الحسن المدعو بالشعراني عفى عنه في سنة ١٣٩٣

الشجرة الروائيَّة :

وأما صورة شجرة طوبى الروائيَّة التي شرَّفني الأستاذ آية الله العلامة ذوالفنون الشعراني رحمته بها . المنتهية بإسناده إلى مشايخ العلم وحملة الروايات والأحاديث الصادرة عن أهل بيت الطهارة والعصمة والوحي - صلوات الله عليهم ، وأرجو أن تكون من الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربِّها فهي كما يلي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المفيض على الإطلاق ، المتجلى على الأنفس والآفاق . والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد قطب الأقطاب ، والناطق بفصل الخطاب ، وآله أوعية أم الكتاب ، وأتباعه الأطياب الأنجاب ، يقول أحوج المربوبين حسن بن عبدالله الطبري الأملي المعروف بـ (حسن حسن زاده الأملي) ، والمدعو بلسان أستاذه المجيز نجم الدين : هذه صورة شجرة طوبى الطيبة الروائية التي بها أباهي وأبتهج من حيث انتسابي إلى حملة العلم ورواة آله طه ويس :

فإني أروي الصحيفة الكاملة السجادية الملقبة بزبور آل محمد وإنجيل أهل البيت ، وجميع روايات المعصومين عليهم السلام عن شيعي وأستاذي أبي الفضائل ، معلّم العصر ، العلامة ذي القنون . المفرد في جمع العلوم ، الزاهد الذي عزفت نفسه عن الدنيا وما فيها فتساوى عنده حجرها وذهبها ، آية الله الكبرى الحاج الميرزا أبي الحسن ابن المولى محمد ابن المولى غلام حسين ابن المولى أبي الحسن الطهراني ، الشهير بالعلامة الشعراني أفاض الله سبحانه علينا من بركات أنفاسه النفيسة القدسية ، عن الشيخ العلامة الفقيه المحدث الرجالي الشيخ محمد حسن صاحب الذريعة ، عن المحدث الماهر متبّع حفظة المتأخرين الحاج الميرزا حسين النوري ، عن العالم المتفهم المتبحر جامع العلوم العقلية والنقلية الشيخ عبدالحسين الطهراني ، عن أستاذ الفقهاء المتأخرين الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر ، عن السيد الفقيه المتبحر السيد جواد العاملي صاحب مفتاح الكرامة ، عن شيخ الأصوليين المشهور بالوحيد محمد باقر البهبهاني ، عن والده محمد الأكمل ، عن المحدث البارع المتبحر محمد باقر المجلسي صاحب بحار الأنوار ، عن السيد الأديب اللغوي الفاضل . والحكيم الكامل . جامع الفضائل السيد علي خان المدني الهندي الشيرازي ، عن الشيخ الفاضل الشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني ، عن الشيخ الفاضل حسام الدين الحلبي ، عن الشيخ الأجل خاتمة المجتهدين ،

ويحر العرفان واليقين الشيخ بهاء الدين العاملي بالإسناد الذي نصّه في أول كتابه الأربعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

وأيضاً برواية صاحب البحار المجلسي : عن العالم الجامع بين العقل والعرفان ، والنقل والوجدان ، والرواية والدراية مولانا محمد محسن الفيض الكاشاني صاحب الجامع الوافي ، عن أستاذه أستاذ الحكماء والفلاسفة المتألهين محمد بن إبراهيم صدرالدين الشيرازي الشهير بصدر المتألهين صاحب الأسفار ، عن الشيخ المحقق بهاء الدين العاملي ، عن والده العالم البارح حسين بن عبدالصمد الحارثي العاملي ، عن السيد حسين بن جعفر الحسيني الكركي ، عن الشيخ الجليل علي بن عبدالعالي الميسي ، عن الشيخ الإمام شمس الدين الجزيني المعروف بابن المؤذن ، عن الشيخ ضياء الدين علي ، عن والده السعيد شمس الدين محمد بن مكّي المعروف بالشهيد قدس الله سبحانه أسرارهم الزكيّة .

وتنتهي هذه الإجازات نوعاً إلى الشهيد السعيد محمد بن مكّي العاملي (رضوان الله تعالى عليه) .

وأيضاً برواية صدر المتألهين الشيرازي : عن السيد المحقق أعلم المتأخرين ، جامع فضائل المتقدمين السيد محمد باقر المعروف بالداماد صاحب القبسات ، عن الشيخ العالم الفقيه المتبحر عبدالعلي بن علي الكركي ، عن والده الشيخ المحقق مروّج المذهب علي بن عبدالعالي الكركي ، عن الشيخ ، عن ابن هلال الجزائري ، عن الشيخ الفقيه الزاهد أبي العباس أحمد بن محمد بن فهد الحلّي الأسدي ، عن الشيخ الفاضل مقداد السيوري ، عن مشايخه إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام .

تقريظ العلامة الشعراني على كتاب التكملة :

ثم أنّ مقدّمة عدّة من آثاري المصنّفة مُزيّنة متألّفة بتقريظات الأستاذ العلامة الشعراني (قدّس سرّه العزيز) ، وأقسم بالله ما كنت مطلعاً عليها إلّا بعد نشرها .

ولا أتعب القارئ الكريم بنقل جميع هذه التتريظات ، وإنما أكتفي بذكر بعض ما فاض به قلم ذلك الأستاذ على شرحي لنهج البلاغة المسمى (تكملة منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة) .

قال (رضوان الله تعالى عليه) في عنوان المجلد الأول من التكملة بعد التسمية والتحميد وطائفة من الإفاضات العلمية حول نهج البلاغة ، وجامع كلمات الوصي أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ما هذا نصه :

« ... ولما أطلعت على اهتمام حضرة الفاضل الأديب البارح العالم الجامع الحائز لقصبات السبق في مضممار اكتناه الحقائق ، والفائز بالقدح المعلى في استلهام العلوم والدقائق ، ذو الفكرة النقاد ، والفطنة الوقادة ، اللوذعي ، الألمعي ، الحبر المؤتمن الحاج الشيخ نجم الدين حسن الأملي الطبري (ضاعف الله قدره) ، استبشرت به لما كنت أعرفه من حداقته وتتبعه وتبحره في العلم ، وأناته في مقاساة العمل ، وقد جربتُه سنين ، وعرفت دخلة أمره ، فقد درس عندي فنوناً مما يهتم به غيره من المشتغلين ، وما لا يهتم به لغموضه . ولم يكن يقتصر على أصول الفقه كغيره ، فإن أبناء زماننا قاصروا الهمة ، ينعون من العلم بأقل شيء منه ، كالمقتصر على قدر الضرورة في الميتة ، وترى كثيراً منهم لا يقتنون من العلوم المنسوبة إلى الشرع إلا مسائل محدودة في الأصول كالفرق بين المعنى الحرفي والاسمي ، والصحيح والأعم ، والترتب واجتماع الأمر والنهي . ومقدمة الواجب ، والفرق بين التعارض والحكومة ، والأصل المثبت وغيرها مما لا يتجاوز عدد أصابع اليد ، ومن الفقه مسألة بيع المعاظة والفضولي والخيارات .

وأما شيخنا الذي ذكرنا اسمه بإجلال ، فلم يضمن بوقته ، ولم يبخل بعمره ، بل صرفه في العلوم الدينية وأتقنها ، فهو أستاذ في الأدب واللغة ، العارف بالقرآن وقراءاته وتفسيره ، متقن لعلم الكلام وسائر العلوم العقلية . ويهتم كثيراً في الحديث والرجال وسائر ما يعدّه غيره فضلاً ، ولا يعتنون به مع احتياج الدين إليه أشد وأكثر

مما يحتاجون إليه في كسب الشهرة وتحصيل عنوان الاجتهاد .

وزاد على جميع ذلك فدرس عندي مع العلوم الشرعية كثيراً من الكتب الرياضية ، كالمجسطي واقليدس وشرح التذكرة والأكر وغيرها ، وأتقن العمل بالزيجات الجديدة واستخراج تقويم الكواكب وسيرها ، وما يتعلق بها بالبراهين ، والخلاصة فهو حرّياً بأن يتصدّى للأمور الكبيرة ، وآمل أن يكمل هذا الشرح بأحسن وجه وأفضل طريقة . وقد أصلح قبل ذلك بعض الكتب وشرحها ، فأثبت مهارته ، وفتح الله لترويج العلم والدين بمحمد وآله الطاهرين .

هذا الذي نقلناه هو عين ما كتبه قلم الأستاذ ، وهو نبذة مما أظهره في حق تلميذه الفقير .

ومن خصائصه (رضوان الله تعالى عليه) أنه كان حرّاً جداً في بيان الحق وإظهاره الصديق كما أن آثاره العلمية القيّمة أصدق شاهد على ذلك . وقلت له مرّة ، وكان مشغولاً بتحشية الجامع الوافي للفيض ، أو بتصحيح شرح المولى صالح المازندراني والتعليق عليه - والترديد منّي :- أن صدور أكثر الناس ضيقة لا تسع أمثال هذه الحقائق العرشية الجارية من قلمكم . فلا يؤدّي ذلك الأمر (معاذ الله) إلى أن يتجرأ متشكّفاً بذي جاهل هناك بالإساءة إلى حضرتكم العالمة ، كما هو ديدن الجهال إلى العظماء الذين هم في ذرى معارف الإيقان ، أفليس الصواب أن يكتب قلم الأستاذ تحرير الحقائق بشكل يفهمه الأوحدي من الخواص ؟

فقال لي : « لو كان الخوف من الأراذل والجهلة موجب لإمساك العلم لما وصل إلينا علوم معاصر الماضين ؛ والعالم لا يغلق باب تقريباً إلى الجهال أو مخافة منهم » .

الهجرة من دار العلم طهران إلى مدينة قم المقدّسة :

ثمّ قضى الله لنا سبحانه بقضائه المحتوم وقدره المبرم ، الهجرة من حوزة دار العلم طهران إلى مدينة قم المقدّسة في يوم الاثنين الخامس والعشرين من

جمادى الأولى سنة ١٣٨٣هـ. ق.

وبعد ورودي إلى قم ، بدأت بتدريس المعارف الحقّة الإلهيّة ، وتعليم الفنون الشريفة الرياضيّة ، ولا زلت إلى الآن وطيلة ٢٤ سنة أسير على هذه الوتيرة المثلى .
﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾^(١).

وكذلك حضرت عدّة دروس فقهيّة في محاضر مشايخها لعدّة سنين حرصاً على العلم .

إدراك محضر العلامة الطباطبائي :

كما أدركت عند وصولي إلى قم المحضر المبارك لحضرة الراقبي إلى ذرى المعارف القرآنيّة ، والسامي إلى أسنمة النحائت الإنسانيّة ، والنائل بالذروة العليا من الاجتهاد في العلوم العقليّة والنقليّة ، علم العلم والعمل ، وطود التحقيق والتفكير ، فخر الإسلام ، صاحب التفسير القويم العظيم الميزان ، العارف المكاشف الرباني ، والفقيه الصمداني ، والعالم بالرياضيات العالية من (الهيئة والحساب والهندسة) ، الأستاذ الأكبر ، معلّم الأخلاق ، ومكمل النفوس الشّيقة إلى الكمال آية الله العظمى السيّد محمد حسين الطباطبائي (قدّس الله نفسه القدسيّة ، وأفاض علينا من بركات أنفاسه النفسيّة) .

كما أيدنا الله المنان من فضله الجسيم بالاستفادة من محضره القدسي مدّة ١٧ سنة .

ولقد درست في خدمته الكتب التالية :

- ١ - كتاب (تمهيد القواعد) لصائن الدين عليّ بن تُركة ، وهو شرح شريف عليّ (قواعد التوحيد) لأبي حامد تُركة ، وقد تمّ تدريس ودراسته في ليلة الجمعة

١٢ شعبان المعظم سنة ١٢٨٣ هـ. ق.

٢- كتاب البرهان من منطق الشفاء للشيخ الرئيس . وكان تاريخ البدء في شهر شعبان المعظم سنة ١٢٨٦ هـ. ق .

٣- المجلد التاسع من أسفار صدر المتألهين بالطبع الجديد من أول الباب الثامن من كتاب النفس إلى آخره ، وقد تمت دراسته بشكل كامل في يوم الأحد الثالث والعشرين من شعبان المعظم سنة ١٢٨٧ هـ. ق .

٤- كتاب التوحيد من بحار المجلسي ، وكان تاريخ البدء به في ليلة الخميس ١٤ شوال المكرّم سنة ١٢٩٤ هـ. ق .

٥- المجلد الثالث من البحار بأسره في المعاد ومسائل أخرى فيه ، ومطالب المجلد الثالث للبحار هي كما عنوانه في فهرسته : في العدل والمشية والإرادة والقدر والقضاء والهداية والإضلال والامتحان والطينة والميثاق والتوبة وعلل الشرائع ومقدمات الموت وأحوال البرزخ والقيامة والشفاعة والوسيلة والجنة والنار .

ومن جملة الأشياء التي استفدناها من محضره القدسي التحقيق حول العلم بشعبه والبحث عن الواجب تعالى وصفاته ، وتفسير الآيات القرآنية ، والتنقيب في العقائد الحقّة الجعفرية .

وأقسم أنّ أهمّ ما كان يبهج الجوهر العاقل في محضره الشريف هو ما كان يُلقبها من أصول العلميّة وأمّهات عقليّة كلّ واحد منها باب يفتح منه أبواب أخرى .

وأقسم بالله أنّ محضره الروحاني كان يفيض من العلم والعمل ، حتّى أنّ سكوته كان نطقاً يحاكي هيماناً ملكوتياً . كان ﷺ مراقباً جداً ، كأنك ترى أن قول صادق آل محمّد (صلوات الله عليهم أجمعين) : « القلب حرم الله ، فلا تسكن في حرم الله غير الله » . صار عجباً في سرّه .

ولتميذه الفقير هذا قصيدة نونية في رثاءه هذا مطلعها :

صبايه كوى عزيزان روضه رضوان

سلام ما به حضور عزيز ما برسان

حضور قدسي قدّيس عيسوي مشرب

كه مرده زنده نمودى به حكمت و عرفان^(١)

إلى آخر القصيدة كما في ديواني

في محضر العلامة محمد حسن الإلهي الطباطبائي :

ومن جملة الأشخاص الذين اعتكفت في عتبه العلبا التي تنسم روعي بروح الحياة فيها ، فأحيا نفساً كانت تعدّ في الأموات ، فأخرجها من الظلمات إلى النور ، هو زبدة العلماء العاملين ، وعمدة العرفاء الشامخين ، العارج إلى مطالع اليقين ، الحكيم المتفقّه ، والفقيه المتألّه ، الأستاذ العلامة ، المكاشف وبحر المعارف ، مولاي الحاج السيّد محمد حسن الإلهي الطباطبائي التبريزي أخو العلامة الأستاذ الحاج السيّد محمد حسين الطباطبائي التبريزي .

وهذان الأخوان (رضوان الله تعالى عليهما) كانا زميلين في اكتساب جميع الفنون العلميّة وآداب السلوك العرفانيّة القرآنيّة . وحقّ هذين العَلَمين عليّ عظيم (جزاهم الله خير جزاء المحسنين) . وقد أنشدت في رثاء الأستاذ العلامة السيّد محمد حسن الإلهي الطباطبائي :

امروز مرا چون شب تاراً به ديده

كز خار غمی در دل زارم بخليده^(٢)

إلى آخر الأبيات في ديواني

(١) المعنى : يا ربح الصبا ، اذهبي نحو الأعزّة والأحبّة في روضة الرضوان ، وأبلغني سلامنا لهم ، وإلى ذلك العزيز حضرة القدّيس القدسي العيسوي المشرب ، الذي أحياني بعدما كنت كالميت بما سقاني من الحكمة والعرفان .

(٢) المعنى : اليوم أنا مثل الليل المظلم لما أصابني من الغم والحزن الذي ملأ قلبي .

في محضر الحاج السيّد مهدي القاضي التبريزي:

ومن جملة العطايا الجزيلة التي وهبني إياها ربي المنعم المكرم أنّ وفّقني بالاستضاء من مصباح اليق الحروف العاليات ، والاستنارة من مشكاة حليف الكلمات الثامات ، العالم الوفي الزكي التقي ، دوحه شجرة القرآن والعرفان والبرهان ، نجل صاحب الكرامات وخوارق العادات ، العالم الكامل المكمل ، المكاشف آية الله العظمى الحاج السيّد عليّ القاضي التبريزي ، مصداق الولد على سرّ أبيه ، أعني به الحجّة السيّد مهدي القاضي أستاذي في علوم الأثرماطيقى -رحمة الله تعالى عليه - . فقد تشرفّت في عالي حضرته القدسي زهاء أربع سنين أو أكثر لتعلّم علوم الأثرماطيقى ، وقد بذل جهداً في تعليمي ، وله عليّ حقّ عظيم . وأقسم بالله أنّ القلم واللسان لا يفي بأداء شكر معشار ما أحسن به إلينا هؤلاء المشايخ العظام ، وإن كان علّة العلل . والمفيض على الإطلاق الله ربّ العالمين ، والحمد لله ربّ العالمين .

المصنّفات:

وفي الختام وكما قال الحكماء : « إن لم تشغل نفسك فهي تشغلك » فبفضل ربي وعونه واجب الوجود ، ومفيض الوجود صنّفت عدّة كتب ورسائل بعضها لم يطبع لحدّ الآن ، والبعض الآخر ، قد تزيّن بحلية الطبع . وبعضها قد طبع عدّة مرّات . وكذلك قد صحّحت بعض الكتب التي طبعت مع تعليقاتي عليها .

الكتب المطبوعة :

١ - تصحيح نصاب الصبيان مع مقدّمة وتعليقاتي عليها . وهو أوّل أثر صدر من قلّمي ، كما أنّه أوّل صحيفة اشتغلت بتعلّمها منذ بداية دخولي في المدرسة الدينيّة ، وهذا الأثر مُزيّن بتقريظ الأستاذ العلامة الشعراني (رضوان الله تعالى عليه) .

- ٢- تصحيح خزائن النراقي مع تعليقاتي عليه ومقدمة .
- ٣- تصحيح كتاب كليلة ودمنة بترجمة الأديب الأريب نصر الله المنشي بالفارسية ، مع تعليقاتي عليها ، ومقدمة ، وترجمة باين منه بالفارسية ، وهما لم يترجما من قبل . أحدهما باب (الحمامة والتعلب ومالك الحزين) ، و ثانيهما باب (ملك الجرذان ووزرائه) .
- ٤- تصحيح أصول الكافي لثقة الإسلام الكليني ، مع إعراب الأحاديث وتعليقاتي في مجلدين .
- ٥- شرح نهج البلاغة بالعربية ، المسمى بتكملة منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة في خمس مجلدات .
- ٦- تصحيح خلاصة المنهج في تفسير القرآن الكريم للمفسر المولى فتح الله الفاشي ، في ست مجلدات .
- ٧- استخراج جداول التقويم لتسع سنين .
- ٨- ألف نكتة ونكتة بالفارسية .
- ٩- الإنسان الكامل من وجهة نظر نهج البلاغة بالفارسية .
- ١٠- معرفة النفس ، وهي خمسة وخمسون ومائة درس بالفارسية .
- ١١- ديوان شعر .
- ١٢- إلهي نامه .
- ١٣- مجموعة المقالات ، وتشمل على ٨ مقالات .
- ١٤- الإنسان والقرآن بالفارسية .
- ١٥- الوحدة من وجهة نظر العارف والحكيم .
- ١٦- نهج الولاية .
- ١٧- إنه الحق .

- ١٨ - الثلاثون فصلاً في الدائرة الهندية .
- ١٩ - تصحيح رسالة القضاء والقدر للعلامة الأجل محمود بن محمد دهدار مع تعليقاتي عليه ومقدمة .
- ٢٠ - تعيين جهة قبلة المدينة بإعجاز رسول الله ﷺ .
- ٢١ - الميل الكلي (من أمهات المسائل الهيوية) .
- ٢٢ - الظل الرياضي .
- ٢٣ - تكسير الدائرة (من أمهات المسائل الهندسية) .
- ٢٤ - المطالب الرياضية .
- ٢٥ - حول الفنون الرياضية .
- من العدد الخامس عشر إلى الثالث والعشرين . إحدى عشرة رسالة طبعت في مجلد واحد موسوم بإحدى عشرة رسالة فارسية .
- ٢٦ - الولاية التكوينية .
- ٢٧ - العرفان والحكمة المتعالية .
- ٢٨ - شرح رسالة الأستاذ العلامة القزويني في اتحاد العاقل بالمعقول ، بصورة تعليقات .
- ٢٩ - تعليقات على مصباح الأنس لابن الفناري باسم (مشكاة القدس على مصباح الأنس) .
- ٣٠ - نور على نور في الذكر والذاكر والمذكور .
- ٣١ - خير الأثر في الرد على الجبر والقدر .
- ٣٢ - تصحيح طبيعيات الشفاء .
- ٣٣ - دروس معرفة الوقت والقبلة .
- ٣٤ - رسالة في لقاء الله .

- ٣٥- رسالة حول الرؤية .
- ٣٦- فصل الخطاب في عدم تحريف كتاب ربّ الأرباب .
- ٣٧- رسالة في الإمامة .
- ٣٨- أضبّط المقال في ضبط أسماء الرجال .
- ٣٩- رسالة في تعيين البعد بين المركزين .
- ٤٠- رسالة في الصبح والشفق .
- ٤١- رسالة في نفس الأمر .
- وهذه الرسائل الثمان من العدد ٣٤ إلى ٤١ كلها كتبت بالعربية ، وطبعت في مجلّد واحد باسم (ثمان رسائل عربيّة) . وقد طبعت كلّ واحد منها بشكل مستقلّ .
- ٤٢- (نصوص الحكم على فصوص الحكم) شرح فصوص الفارابي .
- ٤٣- كتاب (دروس اتحاد العاقل بالمعقول) . وهذا الكتاب انتخب من قسم الحكمة والعرفان من لجنة التعريف بالكتب المنتخبة كلّ عام وتحت إشراف وزارة الإرشاد في جمهورية إيران الإسلاميّة ، بعنوان (كتاب العام) في سنة (١٣٦٤هـ . ش) .
- ٤٤- تصحيح وتعليق (كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد) .
- ٤٥- تصحيح مكاتبات الآيتين السيّد أحمد الكربلائي والشيخ محمّد حسين الغروي الإصفهاني في بيان بيتين من الشيخ العارف العطار .
- ٤٦- كزاس في الترجمة الشخصية للأستاذ العلامة الطباطبائي .
- ٤٧- كزاس في تصحيح الغلستان للشيخ الأجل السعدي .
- ٤٨- مائة كلمة في معرفة النفس .
- الكتب والرسائل غير المطبوعة :
- ٤٩- تصحيح نهج البلاغة مع ذكر بعض من المصادر والخطب والرسائل والحكم

الفصل الثاني عشر: العلامة حسن حسن زاده الأملي ٤٠٧

ومستدرجاتها ، وقد طبعت المصادر في جريدة تراننا (العدد الخامس - السنة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ. ق).

٥٠ - تصحيح وتعليق إلهيات الشفاء .

٥١ - تعليق كتاب النفس من الشفاء ، وقد صحّحت إلهيات ونفس الشفاء ، وعلّقت عليه تعليقات باللغة العربيّة مدّة ثمانين سنين من تدريسنا إياه في الحوزة العلميّة في قم المقدّسة .

٥٢ - تصحيح الأسفار الأربعة لصدر المتألّهين في الحكمة المتعالية مع تعليقاتي عليها من البداية إلى النهاية في دورة كاملة . وقد صحّحتها وعلّقت تعليقاتي عليها بالعربيّة، المسماة بمفاتيح الأسرار لسلاك الأسفار في مدّة أربع عشرة سنة كنت أدرّسها في الحوزة العلميّة في قم . وكان يوم البدء بتدريسها وتصحيحها يوم الاثنين ٢٩ رجب الأصب ١٣٩١ هـ . ويوم انتهاء تدريسها وتصحيحها ليلة الثلاثاء السابعة من شهر الله المبارك ١٤٠٥ هـ . ق .

٥٣ - تصحيح شرح المحقّق نصيرالدين الطوسي على إشارات الشيخ في الحكمة المشائبيّة ، مع تعليقاتي عليها طيلة أربع دورات من تدريسنا إياه في الحوزة .

٥٤ - تصحيح وتعليق تمهيد القواعد في شرح قواعد التوحيد في العرفان بالله ، والتي كانت طيلة أربع دورات من تدريسنا إياه في الحوزة .

٥٥ - تصحيح وتعليق شرح العلامة القيصري على فصوص الحكم للشيخ الأكبر محيي الدين العربي في العرفان ، والتي تحفّقت طيلة أربع دورات من تدريسنا إياه في الحوزة .

٥٦ - شرح فصوص الحكم للشيخ الأكبر بالفارسيّة .

٥٧ - شرح اكرمانالائوس في المثلثات الكرويّة بالعربية وتصحيحها .

٥٨ - تصحيح وتعليق أصول اقليدس في الحساب والهندسة بتحرير المحقّق الطوسي ، طيلة أربع دورات من تدريسنا إياه .

٤٠٨ مذكرات فريدة عن بعض العلماء الرنانيين

٥٩ - تصحيح وتعليق اكرثاوذوسوس في الأشكال الكروية بتحرير المحقق الطوسي .

٦٠ - شرح باب التوحيد من حديقة الحقائق للعارف الشاعر السنائي الغزنوي بالفارسية .

٦١ - تعليقات على العروة الوثقى مع مسائل فرعية فقهية بالعربية .

٦٢ - تعليقات على اللآلئ المنتظمة في المنطق للمتأله السبزواري باسم (نثر الداري على نظم اللآلئ) .

٦٣ - رسالة في الرؤيا .

٦٤ - شرح على الزيج البهاري .

٦٥ - تصحيح كتاب (المساكن) لثاوذوسوس بتحرير الخواجه المحقق الطوسي مع تعليقاتي عليه باللغة العربية .

٦٦ - رسالة في المثل الإلهية .

٦٧ - تصحيح وتعليق شرح المولى عبدالعلي البيرجندي على الزيج الالغ بيكي .

٦٨ - رسالة في الجعل .

٦٩ - التعليقة على رسالة (تحفة الأجلة في معرفة القبلة) ، تأليف العلامة المعاصر حيدر قلي الشهير بسردار الكابلي .

٧٠ - رسالة في مناسك الحج .

٧١ - تصحيح وتعليق شرح المألا عبدالعلي البيرجندي على (عشرين باباً في الاسطrolاب) للمحقق الطوسي .

٧٢ - رسالة في إثبات عالم المثال .

٧٣ - التعليقات على الأبواب الثمانية من مطول التفتازاني في علم المعاني ، باللغة العربية .

- ٧٤- رسالة في السير والسلوك .
- ٧٥- تصحيح وتعليق كتاب الدرّ المكنون والجوهر المصون في علم الحروف ، تأليف الشيخ الأكبر محيي الدين .
- ٧٦- رسالة في تفسير آية العرض^(١) .
- ٧٧- مصادر الشعر المنسوب لحضرة الوصي أمير المؤمنين عليّ عليه السلام .
- ٧٨- تصحيح تذكرة الخواجة نصير الدين الطوسي في المبدأ والمعاد مع تعليقاتي عليها، وهي كالشرح عليها. وهذه التذكرة تُعرف بـ (البداية والنهاية) .
- ٧٩- رسالة في العلم .
- ٨٠- تصحيح وتعليق مجسطي بطليموس ، وتصحيح وتعليق شرح نظام الدين النيشابوري على المجسطي المذكور ، وكذلك تصحيح وتعليق شرح محمّد على المجسطي المذكور. ومحمّد بن عليّ هو عالم رياضي من أصحاب مرصد الزيج محمّد شاهي .
- ٨١- رسالة في بعض الشعب من الأرثماطيتي .
- ٨٢- الكشيكل (مصغّر الكشكول) باقتفاء كشكول الشيخ البيهائي .
- ٨٣- الكلمة العليا في توقيفة الأسماء .
- ٨٤- دروس علم الهيئة وسائر الشعب الرياضية .
- ٨٥- مصادر ومآخذ أدعية مفاتيح الجنان مع ترجمة أقسام من المفاتيح .
- ٨٦- خزينة ذات النفس الناطقة (في أدلة تجرّد النفس الناطقة) .
- ٨٧- تعليقات على رسالة القبله للملّا مظفر الجنازدي
- ٨٨- شرح بعض أشعار الخواجة الحافظ الشيرازي .

(١) آية: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ الأحزاب: ٧٢ .

٤١٠ مذكرات فريدة عن بعض العلماء الربانيين

٨٩- تعليقات على شرح الجفميني في الهيئة .

٩٠- دروس معرفة الأوفاق في علم الأوفاق .

٩١- تصحيح شرح العارف حسين الخوارزمي على فصوص الحكيم للشيخ الأكبر مع التعليق عليها .

٩٢- عيون مسائل النفس وشرحها المسمى بـ (شرح العيون في شرح العيون)، وهو كتاب كبير ضخيم يحتوي ستاً وستين عيناً في مسائل معرفة النفس المعاضدة بالقرآن والبرهان والعرفان .

٩٣- شرح باللغة الفارسية للأنماط الثلاثة الأخيرة من إشارات الشيخ الرئيس في (البهجة والسعادة)، (مقامات العارفين)، (أسرار الآيات) .

٩٤- رسالة عربية باسم (مفاتيح المخازن) .

٩٥- رسالة في التضادّ في معنى قولهم: «لولا التضادّ لما صحّ دوام الفيض من المبدأ الجواد» .

٩٦- من أنا؟

٩٧- رسالة في الأربعين .

٩٨- ترجمة وتعليق (الجمع بين الرأيين) للفارابي .

٩٩- العمل الضابط في الرباطي والرباط .

١٠٠- الحجج البالغة على تجرّد النفس الناطقة .

١٠١- النور المتجلّي في الظهور الظلي .

١٠٢- لا يفترق القرآن والعرفان والبرهان .

١٠٣- تصحيح الكتب الثلاثة (أبي الجعد، ونثر اللثالي، وطبّ الأئمة) .

١٠٤- تصحيح وتعليق رسالة تحفة الملوك في السير والسلوك .

١٠٥- دُرر القلائد على غرر القرائد .

١٠٦ - عشر رسائل بالفارسية .

١٠٧ - ألف كلمة وكلمة (*) .

١٠٨ - رسائل وبرامج (نامه ها و برنامه ها) .

١٠٩ - شرح أربعين حديث في معرفة النفس .

١١٠ - جولة في الحركة .

١١١ - رسالة في الاعتقادات .

١١٢ - الأصول الحكمية .

١١٣ - أمثال الطبري . وكذلك كتب ورسائل أخرى بالفارسية والعربية .

هذه المواضيع التي تيسر لنا أن نقدّمها إلى سماحة الأستاذ المحترم السيد حسن

الأمين (أبقاه الله تعالى شأنه لإحياء تراث العلم وأهله ، أمين) .

وأنا العبد حسن حسن زاده الأملي .

يوم الأحد الثالث من رجب الأصب سنة ١٤٠٨ هـ . ق

المحتويات

٧ المقدمة
	الفصل الأول: الأستاذ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي
	٩ - ٨٦
١١ وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب
١٣ آثار كل شخص مؤشر لما يمتلكه
١٣ تفسير القرآن بالقرآن وشرح المثاني
١٥ كلام بلسان الأستاذ المبارك
١٥ تاريخ إكمال الميزان وتوصية إلى طلاب العلوم الدينية
١٦ السيد حسين بادكوبه هو أحد أساتذة العلامة الطباطبائي
١٧ كتاب شرح حكمة الإشراق هو من تقارير درس الخواجة
١٨ دراسة الأستاذ الطباطبائي للرياضيات
١٨ مسألة رياضية في تثليث الزاوية
١٩ تدريس علم الهيئة في قم
٢٠ نصب دائرة هندية في قم بواسطة العلامة الطباطبائي
٢٠ ترك تبريز والإقامة في قم، والاستخارة بالقرآن
٢١ السيد علي القاضي الطباطبائي هو الأستاذ الأكبر للعلامة الطباطبائي
٢٢ الميرزا الشيرازي والميرزا حسين القاضي <small>رحمهما الله</small>
٢٣ حساب عدد الحروف المشددة في الأبجدية
٢٤ مراتب الجنة وآيات القرآن

- ٢٤ شكل القطاع السطحي
- ٢٥ نقل رؤيا وكلام المرحوم آية الله الأملي حول العلامة الطباطبائي
- ٢٦ رسالة محاكمات الأستاذ العلامة الطباطبائي
- ٢٩ السيد أحمد الكربلائي أستاذ القاضي، والسيد الكشميري تلميذ القاضي
- ٣٠ علي والفلسفة الإلهية هو أحد مؤلفات العلامة الطباطبائي
- ٣١ كلام عدد من الأعظم حول ولي الله الأعظم أمير المؤمنين عليه السلام
- ٣٣ الفلسفة الإلهية هي الدين الإلهي
- ٣٤ سلسلة مشايخ العلامة الطباطبائي في سير وسلوك العرفان العملي
- ٣٤ حادثة لقاء الحاج السيد علي الشوشتری والملاقي جولاً
- ٣٦ الإنسان قبل الدنيا، وفي الدنيا، وبعد الدنيا
- ٣٧ إن هدف السفراء الإلهيين هو تعليم وتربية البشر
- ٣٨ أهم آثار قلم العلامة الطباطبائي في الشعر والنثر
- ٤٠ العلاقة بين الإنسان والعرفان من وجهة نظر العلامة الطباطبائي
- ٤٣ القرآن والروايات والأدعية أفضل الطرق العرفانية
- ٤٤ منزلة العلامة الطباطبائي في العرفان العملي
- ٤٥ المعارف يرى صور ملكات الأشخاص
- ٤٩ أساتذة للعلامة الطباطبائي في العرفان النظري
- ٥٠ علاقة العرفان بالقرآن والحديث والحكمة من وجهة نظر العلامة
- ٥١ مشايخ العلامة في المعقول والمنقول
- ٥٣ محاوره مع العلامة الأملي حول شخصية العلامة الطباطبائي
- ٥٤ الوصول بالسير والسلوك
- ٥٥ من هو الفيلسوف الواقعي؟
- ٥٧ غواص في محيط المعارف والعلوم الإسلامية

٤١٥ محتويات الكتاب
٦٢ عقبة معرفة النفس
٦٤ مصائب الحكماء الإلهيين
٦٨ الغواص الماهر في البحر الإلهي اللامتناهي
٦٩ إن تفسير القرآن بالقرآن من سيرة الأئمة
٧١ تأويل الأحاديث
٧٢ التحليق بجناحي العرفان النظري والعرفان العملي
٧٣ المراتب الفقهية للعلامة الطباطبائي
٧٥ تربية الحوزة العلمية
٧٨ آية الله السيد محمد حسن إلهي (الطباطبائي)
٨٠ غزل في رثاء الأستاذ الإلهي الطباطبائي
٨١ الفناء في الولاية
٨٣ قصيدة في رثاء حضرة الأستاذ العلامة الطباطبائي
٨٥ النص المكتوب على ضريح العلامة الطباطبائي

الفصل الثاني: العارف الرباني آية الله الحاج الميرزا جواد ملكي التبريزي

٨٧ - ١١٦

٨٩ العارف بالله الميرزا جواد الملكي التبريزي
٩١ الحال والهمة
٩١ الأسرة
٩٢ الدرجات العلمية والسير والسلوك
٩٢ كلمات حضرة الأستاذ العلامة الطباطبائي
٩٤ برنامج عمل عرفاني
٩٨ توضيح عدّة نقاط مهمة

٤١٦ مذكرات فريدة عن بعض العلماء الربانيين

الهجرة إلى قم ٩٩

معرفتي بحضرته ١٠٠

كلمات من المرحوم الحاج السيد حسين الفاطمي القمي ١٠١

قصة (المجهول) ١٠٣

المؤلفات ١٠٤

تلامذته ١٠٥

نظر أصحاب التراجم ١٠٧

ذكر مكاشفات حول الميرزا جواد الملكي ١١٠

تمثلات ومكاشفات السالك ١١١

يجب تقديم أحذيتهم أمام أقدامهم ١١٣

توصية للحوزات العلمية بتدريس كتب الأدعية ١١٤

سلسلة مشايخه في السير والسلوك العملي ١١٥

لوح القبر ١١٥

الفصل الثالث: العلامة ذو الفنون الحاج الميرزا أبو الحسن الشعراني

١١٧ - ١٥٨

العلامة الشعراني على كرسي التدريس ١٢٠

مؤلفات العلامة الشعراني ١٢٠

الخصائص الأخلاقية والعلمية للعلامة الشعراني ١٢٤

رحيل العلامة الشعراني ١٢٥

منتخب وصية آية الله الشعراني ١٢٥

طريقة المعرفة العلمية ١٣١

طريقة المعرفة عند العلامة الشعراني ١٣١

٤١٧ محتويات الكتاب
١٣٢ الخصائص العلمية البارزة للعلامة الشعراني
١٣٦ نظر العلامة الشعراني حول العرفان
١٣٨ نماذج من الحياة العلمية للعلامة الشعراني
١٣٩ التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري
١٤٠ النزول الدفاعي والتدريجي للقرآن
١٤٠ بحث حول ليلة القدر
١٤٢ ارتباط السور على أساس القرآن الإنزالي
١٤٣ عدم تحريف القرآن
١٤٥ آخر آية نزلت من القرآن
١٤٥ حول الجزيرة الخضراء
١٤٧ رسالة نهج الولاية
١٤٨ المعجزات الكلامية للسفراء الإلهيين
١٤٩ ترجمة كشف المراد وتعليقات أسرار الحكم
١٥١ لم يكن الأئمة يعملون بالتقية
١٥٢ الملا صدرا كان لطفاً إلهياً
١٥٣ رأي العلامة الشعراني حول حكومة البهلوي
١٥٣ تعزفي على الأستاذ العلامة الشعراني
١٥٥ العلامة الشعراني شاعر مقتدر
١٥٧ خصائص أخرى

الفصل الرابع: الملا محمد الأملي

١٥٩ - ١٧٥

١٦٧ توضيح بعض المطالب من العلامة حسن زاده الأملي
-----	--

الفصل الخامس: آية الله الحاج الشيخ محمدتقي الآملي

١٧٧ - ١٩٧

- ١٧٩ دراسة المتقول والمعقول
- ١٨١ أعمال الشغب في طهران واعتقال العلماء المخالفين للمشروطة
- ١٨٢ انعكاس إعدام الشيخ فضل الله النوري وتبعيد والدي
- ١٨٤ الشوق للاستمرار بالدراسة برغم وجود محن وفتن الزمان
- ١٨٥ شيوع القحط وعودة والدي من التباعد ووفاته
- ١٨٦ الهجرة إلى النجف لإكمال المراتب العلمية
- ١٨٧ البحث عن عارف كامل لأجل الكمال النفساني
- ١٨٨ أخذ الإجازات في الرواية من الأساتذة العظام
- ١٩٢ توضيح بعض النقاط من العلامة حسن زاده الآملي

الفصل السادس: العلامة الميرزا مهدي إلهي قمشه

١٩٩ - ٢٤٧

- ٢٠١ العلامة الميرزا مهدي إلهي قمشه
- ٢٠١ الأجداد وشجرة العائلة
- ٢٠٢ رؤيا جدّه حول ولادته
- ٢٠٢ أيام طفولته
- ٢٠٣ الهجرة إلى إصفهان وخراسان
- ٢٠٤ أيام الطلبة الشاقّة
- ٢٠٥ رؤيا رؤيته للشهيد المدرّس، والهجرة إلى طهران
- ٢٠٦ الاعتقال من قبل رضاخان

٤١٩ محتويات الكتاب
٢٠٧ أستاذ جامعة وأخذ درجة الدكتوراه
٢٠٧ تأليفاته وأثاره العلميّة
٢٠٩ القناعة في حياته
٢٠٩ الكرامات
٢١٠ عدم الاهتمام بالمقامات والمناصب الدنيويّة
٢١١ وفاته
٢١١ هو الله
٢١١ الرسالة الأولى
٢١٣ إدراك مجلس درس كبار الأساتذة
٢١٥ الطبع اللطيف للمرحوم قمشه وطلاقة بيانه
٢١٧ التآلم من أجل حسود
٢٢٠ زاهد ومعرض حقيقي عن متاع الدنيا
٢٢٢ قبلة على قدم الأستاذ
٢٢٢ ندرس نهج البلاغة في الجنة عند أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>
٢٢٤ عرض الاحترام لحضرة الأستاذ إلهي قمشه
٢٢٤ الرسالة الثانية
٢٢٧ قصّة تعرّفني على الأستاذ قمشه
٢٢٩ آقا بزرگ حكيم الأستاذ الأكبر للمرحوم إلهي قمشه
٢٣١ الأساتذة الآخرون للمرحوم إلهي قمشه
٢٣٣ شرب الكأس الصبوح المنفوخ فيه في صبح السعادة
٢٣٥ تقرّظ الأستاذ إلهي قمشه على ديوان شعري
٢٣٧ صورة وسيرة وسريرة الأستاذ قمشه
٢٤١ قصيدة عرفانيّة من الأستاذ إلهي قمشه

٤٢٠ مذكرات فريدة عن بعض العلماء الربانيين
٢٤١ بعض من إفادات الأستاذ إلهي قمشه
٢٤٥ لا بد أن تمرّ قرون حتى يولد طفل ويصبح مثل إلهي قمشه

الفصل السابع : آية الله الحاج الميرزا أبو الحسن الرفيعي القزويني

٢٤٩ - ٢٧٧

٢٥١ آية الله الحاج الميرزا أبو الحسن الرفيعي القزويني
٢٥٢ أساتذة العلامة الرفيعي
٢٥٣ الآثار والمؤلفات
٢٥٧ خطاب في مؤتمر تجليل العلامة الرفيعي القزويني
٢٥٩ معرفتي بالعلامة الرفيعي القزويني
٢٦١ نموذج عن سلوك العلامة الرفيعي مع تلامذته
٢٦٤ أخلاق التلميذ تتأثر بأخلاق الأستاذ
٢٦٧ إله غير متناهي، قرآن غير متناهي
٢٦٨ فهم حقائق القرآن ودرك مقامات الإنسان الكامل
٢٦٩ النفس الإنسانية الناطقة لا تقف عند حدّ
٢٧٢ يجب الوصول إلى وحدة الصانع من وحدة الصنع
٢٧٤ ذكرى عن الشهيد آية الله المطهري

الفصل الثامن : العلامة المولى محمّد مهدي النراقي

٢٧٩ - ٣٠٠

٢٨١ العلامة المولى محمّد مهدي النراقي
٢٨٢ عالمان كبيران غير معروفين
٢٨٣ آراء أصحاب التراجم حول العلامة النراقي

٤٢١ محتويات الكتاب
٢٨٥ أساتذة العلامة التراقي
٢٨٧ الملامه مهدي التراقي الثاني
٢٨٨ المصنقات القيمة للعلامة التراقي
٢٩١ تحرير اكرثاوذوسوس
٢٩٢ تعلم اللغة والخط العبري
٢٩٣ العلامة التراقي عالم ذو القنون
٢٩٤ ذكر بعض إفااءات العلامة التراقي
٢٩٦ تجرد النفس الناطقة
٢٩٨ نظر الحكماء حول تجرد النفس الناطقة
٣٠٠ إن العمل نفس الجزاء

الفصل التاسع: الحكيم المتأله السيد أبو الحسن جلوه

٣٠١ - ٣٢٤

٣٠٤ الهجرة للدراسة
٣٠٥ جلوة على كرسي الاء
٣٠٥ سماء ومشرب جلوه
٣٠٧ الحكيم جلوه وناصر الاء شاه
٣٠٧ لقاء الحكيم جلوه مع السيد جمال الاء أسدآبادي
٣٠٨ تلامذته
٣٠٩ غروب شمس جلوه
٣٠٩ آثار الحكيم جلوه
٣١٠ خطاب في مؤتمر تجليل الحكيم المتأله جلوه
٣١٢ بعض تلامذة الحكيم جلوه

٤٢٢ مذكرات فريدة عن بعض العلماء الربانيين

٣١٣ تحزّر وعدم اهتمام الحكيم جلوه بالدنيا

٣١٤ الحكيم جلوه مصداق بارز للعارف والزاهد والعابد

٣١٧ القرآن «مأدية الله»

٣٢٠ يُذكر الحكيم جلوه باحترام وتقدير في ملكوت السماوات

٣٢٠ مقام ومنزلة ألعارف بالله يوم القيامة

٣٢٢ عارف موحد بالتوحيد الصمدي

الفصل العاشر: العلامة محمد حسين فاضل التوني

٣٢٥ - ٣٤٢

٣٢٨ الهجرة لتعلم العلوم

٣٢٩ تحقّل أيام المحنة في إصفهان

٣٣٠ دراسة العلامة فاضل التوني للحكمة والفقّه

٣٣١ السفر إلى طهران وملازمة الحكيم الميرزا هاشم الأشكوري

٣٣٢ الأستاذ فاضل التوني على كرسي التدريس في الحوزة والجامعة

٣٣٤ آثار المرحوم فاضل العلميّة

٣٣٥ دراسة الحكمة عند العلامة فاضل التوني

٣٣٦ بلسان الأستاذ المبارك

٣٣٨ ذكرى مؤلّمة جداً

٣٣٩ وفاة العلامة فاضل التوني

٣٤٠ عمر كلّ تعليم وتدرّيس وتأليف ومطالعة

٣٤١ الصفات الأخلاقيّة للعلامة فاضل التوني

محتويات الكتاب ٤٢٣

الفصل الحادي عشر: الحكيم المتأله الحاج الملا هادي السيزواري

٣٤٣ - ٣٧٠

- ٣٤٦ الآثار التي كتبت حول الحكيم السيزواري
- ٣٤٧ كان السيزواري ومنذ الطفولة تحت تربية عالم سالك
- ٣٤٩ كلام المتأله السيزواري حول الحس المشترك
- ٣٥٢ نقل إحدى كرامات الحكيم السيزواري
- ٣٥٤ آثار السيزواري تحتوي على المعارف القرآنية وأمّهات العلوم الإنسانية
- ٣٥٦ أول من اكتشف قوة الجاذبية هو ثابت بن قرّة
- ٣٥٧ طرح بعض النقل العلمي لآراء السيزواري
- ٣٦٣ هل لآثار الحكيم السيزواري مطلب تأسيسي ؟
- ٣٦٥ الحاج الملا هادي السيزواري فقيه عظيم المرتبة وصاحب آثار فقهية
- ٣٦٧ أحكام التشريعات تُستخرج من نفس التكوينات
- ٣٦٩ الحكيم السيزواري متضلع في علم الحروف والأوقاف والأعداد

الفصل الثاني عشر: الأستاذ العلامة حسن حسن زاده الأملي

٣٧١ - ٤١١

- ٣٧٣ تاريخ الولادة والوالدن
- ٣٧٥ الذهاب إلى المكتب للتعلّم، ووفاة الوالدة
- ٣٧٦ أوضاع ايران الدينية في زمان رضاخان
- ٣٧٧ القصيدة التائية
- ٣٧٨ الدخول إلى المدارس الدينية
- ٣٨٠ ازدياد اشتعال البارقة
- ٣٨٠ أول الأساتذة، وأول الكتب الدراسية

٤٢٤	مذكرات فريدة عن بعض العلماء الربانيين
٣٨١	مدّة الدراسة والكتب التي تعلّمتها في أمل
٣٨٢	الهجرة إلى طهران
٣٨٣	الوصول إلى محضر درس آية الله القمّشي
٣٨٥	الوصول إلى محضر درس آية الله الشعراني
٣٨٩	استخراج التقويم
٣٩٠	خاطرة لطيفة لا تنسى
٣٩١	سماحة فاضل التوني وعليّ محمد الجولستاني
٣٩١	الدروس التي تعلّمتها من العلامة الرفيعي القزويني
٣٩٢	الأساتذة الشيخ محمد تقي الأملي والأشتياني
٣٩٣	التدريس مع التحصيل
٣٩٤	تصديق الاجتهاد وإجازة الرواية
٣٩٥	الشجرة الروائيّة
٣٩٧	تقريظ العلامة الشعراني على كتاب التكملة
٣٩٩	الهجرة من دار العلم طهران إلى مدينة قم المقدّسة
٤٠٠	إدراك محضر العلامة الطباطبائي
٤٠٢	في محضر العلامة محمد حسن الإلهي الطباطبائي
٤٠٣	في محضر الحاج السيّد مهدي القاضي التبريزي
٤٠٣	المصنّفات
٤١٣	محتويات الكتاب